

فرق
بين الصوفية وأهل السنة والجماعة

فرق

بين

الصوفية وأهل السنة والجماعة

حقوق الطبع غير محفوظة

إعداد

أبي هارون بهاء الدين محمد الداغستاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُقَدِّمَةُ:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 . 71].

وبعد:

فهذا كتاب أعدته لمقاومة إحدى التيارات الضالة التي تسربت بسربال الإسلام ومَوَّهَتْ على بسطاء المسلمين أمور دينهم والتي تنخر في جسم الأمة من داخله نخر السوس للشجرة؛ ألا وهي الصُّوفِيَّةُ. ولمعرفة الأسباب التي حَدَّثَنِي لوضعه أذكر لكم نُبْدَةً من حياتي والظروف التي أحاطت بي في نشأتي.

وُلِدْتُ بتاريخ 20 / 4 / 1946م – 19 / 5 / 1365هـ في قرية فيدِينُو إحدى قرى الشَّيْشَانِ الآن. لكن الشَّيْشَانِ في ذلك الوقت كانوا في المنفى، وكنا نحن الداغستانيون قد هُجِّرَتْ بَعْضُ قُرَانَا قسرا إلى قراهم التي خلت من بعد نفيهم. وأبي كان يعلم العربية إلى حد ما بحيث يصح أن يقال له: طالب علم صغير. ولكنه كان يحب العربية ويجلسها كثيرا ويجمع كتبها بقدر المستطاع، كما كان يُعَلِّمُهَا الآخَرِينَ. فلمَّا بلغت الثالثة من عمري سحنت السلطات والذي دون أية مخالفة منه ولا محاكمة له بل بمجرد تهمة

تدينه والتزامه وعدم تركه للصلاة حتى في مكان عمله وقت الدوام. فكان هذا منه جريمة في جنبهم يستحق السجن والنفي. وبعد أن قضى في السجن سبع سنوات خرج منه سالماً ومعافى، وكنت حينئذ بلغت العاشرة. وهناك بدأ يعلمني مبادئ العلوم العربية من النحو والصرف واللغة ونشأ في الحب للعلوم العربية، فرحمه الله رحمة واسعة كما علمني صغيراً.

عهدي الذي نشأت فيه كان قد حصل فيه بعض خفة للتوتر السياسي والاجتماعي بالمقارنة مع سابقه في عهد ستالين الطاغوت لا سيما الثلاثينات، ومرد هذه الخفة هو موت ستالين وحدوث الحرب العالمية الثانية التي كان أثقل عبئها على كاهل الاتحاد السوفيتي وضغط الدول العالمية كأمريكا وإنجلترا عليه وغيرها من الأسباب وإن كان لا زال يحكم البلاد فيه الحزب الشيوعي. أما العشرينات والثلاثينات فحدث عنها ولا حرج. لقد كان الرجل يؤخذ - غالباً في منتصف الليل - بمجرد وشاية أحد عليه دون تحقيق في صحة ما قيل عنه، وبوجود كتاب عربي أو مصحف في داره، ويكونه من سلالة معروفة سابقاً بغناها وتملكها للأراضي والأطيان، وبغير ما سبب إذا كان ممن يعاديه أحد موظفي السلطات آنذاك. وبعد الأخذ كانوا يسجنونه فيغربونه إلى أقاصي سيبيريا والشمال فقد يعود بعد عشرين عاماً وقد هدَّ قواه أو لايعود أصلاً. وفي أكثر الأحوال كان الرجل يطحنونه في مطاحن الناس أو يخنقونه في كاميرات الغاز أو يموت موتاً بطيئاً تحت أساليب التعذيب. وبالجملية كانت تلك عهداً رهيباً حالكة تحكمها الشيوعية الملحدة هي سُبَّة على جبين تاريخ البلاد. أصبح الرجل فيه يخاف صديقه؛ بل يخاف أخاه ووالده لكثرة وفُشُو ما وشى الناس بعضهم ببعض؛ بل أصبح يخاف أن يعترف بأن الذي أخذ قريبه ونسيبه لئلا يؤخذ بجريته. فلو قال أحدها: ما مر بالبشرية حقبة هي أظلم وأشدَّ بلاء من التي مرت بنا ما جانب الحق، فقد أزهقت أرواح سبعين مليون نسمة عدا من قتل في الحرب العالمية الثانية من هذه البلاد.

وكل هذا كان موجهاً للقضاء على كل ما له صلة بالدين. وطبيعي في مثل هذه الظروف أن ينقرض العلم وينقرض العلماء وتنقرض الكتب؛ لأنها أيضاً كانت تحرق حيثما وجدت وتتلّف. فهذا هو السبب في قلة العلم الإسلامي وانقرض العلماء

عندنا وعدم وجود عالم واحد يعتد به اليوم في بلاد روسيا والقافقاس وبلاد ما تسمى بالجمهوريات الإسلامية.

وقد يتعجب من ليس له اطلاع على تاريخ بلادنا من أننا أطبق على أبنائنا الجهل إلى هذا الحد، وإني أقول: لو يقرأ هذا المتعجب التاريخ ويقف على ما كان هناك من الظلم والاضطهاد والإبادة الشاملة لأتفه الأسباب بل بدون سبب لتعجب من بقاء هذا المقدار من العلم فينا.

ورغم كل ذلك فله الفضل والمنة، يرى جلياً أن الله قد تكفل لدينه بالحفظ ولعلوم الدين بالبقاء فبقى هنا وهناك وتحت ستار التكتّم ممن عنده شيء من معرفة بالعربية والعلوم الدينية. فعلموا ودرّسوا وانشأوا في السر حجرات خرّجوا فيها بعض طلبة ودارسين للعلم. وكنت واحداً من درس في هذا النظام وبهذه السرية. أما الخروج في تلك الحقبة إلى خارج البلاد لالتحاق بإحدى الجامعات الإسلامية فكان أمراً دونه خرطُ القتاد ولا يحلم به حالم إذ كنا جميعاً محصورين في أكبر سجن في العالم يسمى الاتحاد السوفيتي ومحاطين بستار حديدي محكم الإغلاق.

إلا أن دراستنا كانت على المنهج السابق الموروث ففيه الخير الكثير لا ننكره، ولكن ينقصه الشيء الكثير. إنها كانت مقصورة على الكتب والمقررات المحدودة التي كانت موجودة عند قدامئنا وما كان بينها شيء من الكتب التي ألفت في العقيدة السلفية الصحيحة ككتب عقائد الأئمة وكتب ابن تيمية وكتب محمد بن عبد الوهاب وغيرهم ممن يعرفون بعقائدهم السلفية ودعوتهم إلى التمسك بالسنة ومحاربتهم للبدعة

في المذهب الفقهي في الشيشان وداغستان كنا جميعاً ندرس كتب الشافعية ونتعصب لها ولا يحق لأحد أن يخرج عنها إلا في ظروف استثنائية وبشروط وضوابط معينة. وفي آسيا الوسطى وكازاخستان وبلاد التتار كان الناس حنفين بنفس التعصب الذي كان لدينا أو أشد

وفي العقيدة كنا أشعريين اسماً؛ يعني لم يكن لدينا اهتمام بالعقيدة اهتماماً يجعلنا نحقق عقيدتنا ونعرف دقائقها وتفصيلها ونقارنها بالعقائد الأخرى التي تخالفها فنجد الفروق بينها ونرد على ما يخالفها وندعمها بأدلة من الكتاب والسنة وأدلة من العقل، لم يكن شيء من هذا، وإنما عند جريان الحديث عن العقيدة كنا نتسب إلى الأشعرية

تقليداً لآبائنا وأجدادنا ولما وجدناهم عليها لا فقها فيها ولا اقتناعاً بصحتها. وما كان هناك كتاب يُدرّس في العقيدة داخل في المقرر إلا كتاب واحد هو (شرح عقيدة عمر النسفى لسعد الدين التفتازاني)، حتى دراستها كانت تتم في أواخر مرحلة الدراسة والذي يدرسها إنما يمر عليها مر الكرام

أما كتب النحو والصرف فكان الاهتمام بها أكثر ودراستها أطول وأعمق حتى كان ينفق الرجل على دراسة النحو ما يزيد على خمسة عشر عاماً. ومن تخرّج على المقرر الكامل لكتب النحو والصرف وأتى عليها جميعاً كان يعتبر من أقوى النحاة وبالفعل كان متضلعا منها لا سيما إن كان درسها دراسة فهم وتحقيق وتدقيق

على هذا درجنا مدة من الزمان حتى فتح الله علينا في الأعوام الأخيرة بمنه وفضله فتحاً عظيماً وخرق الستار الحديدي أمامنا فأصبحنا قادرين على الخروج خارج الستار سواء للحج والعمرة أو للدراسة أو للتجارة فجاءتنا من الكتب والرسائل والمؤلفات ما لم تكن عندنا وعند آبائنا قبل فقرأناها وفهمناها وغيرت كثيراً مما درجنا عليه تقليداً للآباء. فوجدنا في عبادتنا وعبادات آبائنا وأجدادنا الشيء الكثير من البدع والضلالات وفي عقائدنا ما خالفنا فيها السلف الصالح. فبحثنا وحققنا ودققنا حتى اطمانت نفوسنا ببطالان كثير مما كنا عليه وصحة ما جاءنا في هذه الكتب حتى قررنا الرجوع إلى الحق وجعلنا الكتاب والسنة هما الأصل والمصدر للتلقي ونبذنا التعصب لرأي ومذهب شخص واحد معين واتبعنا عقيدة السلف الصالح كالأئمة الأربعة وغيرهم ومن سلك مسلكهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً.

وهذا الذي حدث فينا من التغير والرجوع إلى الحق ما كنا نخفيه عمن معنا ومن حولنا بل كنا ندعو الناس والدارسين عندنا إلى هذا الذي ذهبنا إليه. فكان فيهم المؤيد ومعظمهم من الشباب وفيهم المتوقف المتردد ومعظمهم ما بين الشباب إلى الكهولة وفيهم المعارض ومعظمهم الشيوخ والطاعنون في السن. كنا في البداية قلة ومع مرور الأيام والليالي وانتشار هذه الكتب وبلوغ دعوتنا إلى مزيد من الناس ازداد عددها وكثر مؤيدونا إلى أن بلغوا الألوف.

هذا والحكومة الروسية تراقبنا وتجمع معلومات عنا فتنبّهت لخطورة الوضع وإن الأمور إن جرت على ما تجري عليه الآن خرج زمام الدولة من أيديهم وأصبح في

أيدي أصحاب هذه العقيدة دون حرب ولا إراقة دم فبحثوا عما يلصقون بنا من التهم ويلقبوننا من الألقاب فنبشوا ما كان قد دفنه التاريخ وهي تهمة "الوهابية" ولقب الوهابي فأثاروها حولنا واتهمونا زورا وبهتانا بأننا جواسيس الأنكليز وأننا عملاء الدولارات، وأننا هادمو الدين، وأننا الطاعنون في الأئمة والمتنقصون لهم وأننا المنكرون للمذاهب، وأننا الجاحدون للأولياء وكراماتهم وهلمنا جرا. فصدقهم دَهْمَاءُ الناس الذين هم مواليد تلك الحقبة المظلمة والذين ليس عندهم أي معيار لمعرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب، أضف إلى ذلك أن لديهم كلّ القوى المادية وكلّ وسائل الإعلام.

وقديما في بداية القرن العشرين أثاروا كلمة الوهابية حول شخصية أحد علماء داغستان السابقين واسمه (علي كَيَايُوف) وكان يعرف بين الناس بـ (ضَمِيرٌ عَلِي) لقصر قامته. كان في حينه قد أتى دراسةً على ما في داغستان من كتب العلم على منهجهم وبرَّرَ فيها وفاق أقرانه ثم سافر إلى مصر واتصل بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ودرس عليه سنتين وتأثر بأفكار المدرسة الإصلاحية ومنهجها العلمي وصار أحد أتباعه. ثم رجع منها إلى داغستان فأنشأ في داغستان مدرسة إصلاحية جديدة على غرار ما في مصر غيرَ معهودة للداغستانيين وتخرَّج على يديه رعييل لا بأس به من علماء داغستان بل كان بينهم شعراء يقرضون الشعر بالعربية فعارضه كثير من علماء داغستان وشوهوا سمعته ولقبوه ومن تبعه بالوهابين. واتهموه بأنه جاء يفسد عليهم مذهبهم ودينهم تماما كما فعلوا بنا اليوم. ولكن أتباع هذه المدرسة المذكورة ما كان لهم اهتمام بالعقيدة وبرجعهم فيها إلى مذهب السلف على ما نحن عليه الآن وإنما كل نشاطاتهم كانت مقصورة على تغيير وإصلاح المنهج العلمي وطرق تدريسه وحرية الفكر ومسائل التقليد والاجتهاد ومحاربة الجمود الفكري والتوفيق بين العلوم الدينية والعلوم المادية منبهرين بما عليه الغرب من نهضة وتطور علمي مادي.

لكن هذه النشاطات وهذه الحركات ومعها كلمة "الوهابية" ذهبت كلها في العشرينات والثلاثينات مع ذهاب الدين عموما فما بقي في الساحة من ينطق بها، وظل الأمر كذلك إلى أن بدأت حركتنا من جديد في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وإلى التمسك بالسنة وتجنب البدعة في بداية الثمانينات فنبشوا الكلمة من حيث دنوها وأثاروها ثانية إذ وجدوها أنجح كلمة في إثبات التهم علينا وزادوا فيها أشياء كثيرة

وألصقوها بنا ونحن منها براء فلسنا إلا أصحاب الدعوة إلى إخلاص العبادة لله ونبذ الشرك والبدعة.

- والآن يقاومنا في دعوتنا هذه ست طوائف، وهم:
- (١) السلطات لأجل قولنا: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.
- (٢) المافيا المجرمة لأن الحكم الإسلامي لا يقرهم على جرائمهم وأكلهم أموال الناس بالباطل ويسويهم بسائر الناس.
- (٣) المقلدة المتعصبة لمذهب واحد معين لأننا نسوي بين المذاهب ونفسد عليهم تقليدهم الأعمى وتعصبهم.
- (٤) الصوفية لأننا ندعو الناس إلى عبادة الله وحده وعدم عبادة مشايخهم وأوليائهم فخافوا على دورهم ومراكزهم وجاههم في المجتمع.
- (٥) المبتدعة ورواد الموالد وموائدها لأننا نقطع عليهم مصادر أرزاقهم وملذاتهم.
- (٦) جماهير العوام المشايعون للطوائف الخمس المذكورة لأنهم مغرورون بزخرف كلامهم.

وفي أثناء هذه الفترة كنت أجتمع بالشباب وأحضر مجالس الناس ومجتمعاتهم وألقي فيهم الكلمات وأبحث معهم في مسائل التوحيد والشرك والبدعة فكانوا يلقون علي كل ما خطر ببالهم من أسئلة حول تلك الموضوعات. وكان أكثر الأسئلة ورودا على ألسنتهم هو سؤال: "إن كتابكم واحد وألهكم واحد ونبيلكم واحد ودينكم واحد فما الفرق بينكم وبينهم حتى أصبح بينكم هذا الخلاف الحاد؟".

فأجيبهم بما حضر لدي من الفروق باختصار حيناً وببسط وإسهاب حيناً. والذين يسألون هذا السؤال كانوا طبعاً من الذين ليس لهم كبير فقه في الدين ولا كبير اهتمام به إلا أن يكونوا محسوبين من عداد المسلمين فكان هذا السؤال الأكثر وروداً هو أحد الأسباب التي حدثني لإعداد هذا الكتاب جواباً عليه واخترت من الطوائف المعارضة لبيان هذه الفروق طائفة الصوفية لأنهم هم الأكثر غموضاً على العوام بل على كثير من العلماء. وهم أكثر فساداً في الدين، وأشد نخراً لجسمه من الداخل والمتسربل بسربال الدين حتى أوهمو الناس أنها هي الدين بل لب الدين، حتى قال بعضهم عندنا: "أهون للإنسان أن يخرج عن الإسلام من أن يخرج عن الطريقة الصوفية"

وسميت الكتاب: «فروق بين الصوفية وأهل السنة والجماعة» ليكون عنوانه دالا على مضمونه دلالة ظاهرة.

ويرى القارئ من خلال نصوص الكتاب أنني شددت عليهم اللهجة وعنفت عليهم كثيرا كردة فعل لما قاسينا ولا زلنا نقاسي منهم حتى الآن لأنهم السبب في إثارة كل الفتن والشبه حولنا استقلالا وتبعا للسلطة الروسية الكافرة. ومع ذلك فما صرّحت في موضع بكفر الصوفية عموما أو بكفر معين منهم خصوصا. أما ما قلت في كثير من المواضع من أن عقيدة كذا وكذا أو قول كذا وكذا أو فعل كذا وكذا كفر وزندقة فذاك تكفير فعل لا تكفير فاعل ولا يلزم من تكفير الفعل تكفير فاعله فبينهما فرق عند أهل العلم. ولتكفير المعين شروط وقيود وضوابط وموانع ذكرها العلماء في الكتب المختصة لهذا الموضوع فلتطلب منها.

ولقد علم الله أنني لا أرى نفسي أهلا لطروق هذا الموضوع الهام الخطير لو لم أر ضرورة ذلك وخلوّ الساحة من كتاب يشفي غليل الناس فيه لكثرة فساد الصوفية في ديارنا وشدة اجتياحهم لأراضينا وبسطاء شعوبنا. ولقد ألف العلماء في موضوع الصوفية وكشف عوارها كتباً علمية هي أفضل من هذا بكثير لكني أردت أن يكون بين أيديهم كتاب يجيب على سؤاَلهم ويعالج وضعهم الراهن ويأتي لهم بالأمثلة الواقعية الحية من حياتهم ومما حولهم كما رأيت إعداد الكتاب بأسلوب مبتكر جديد وهو أن أذكر عقائد الصوفية أولا مع ذكر ما يدل عليها من أقوال مشايخهم وكبارهم ثم أتبعها ردّاً عليها بعقائد أهل السنة والجماعة مدعومة بما حضرنى من أدلة الكتاب والسنة وأقوال العلماء والأئمة المعترين. وفي هذا الأسلوب ذكر شيئين ضدين جنباً إلى جنب مقارناً بعضهما البعض فيكون تمييزهما عن البعض أبين وأوضح مما لو ذُكر كلُّ لوحده، إذ الأشياء تعرف بأضدادها.

وإني أرجو الله أن ينفع به المسلمين في تبصيرهم بالحق في أمور عقائدهم التي لبسها عليهم الصوفية، وأشكر الله على أن وفقني لإكمال الكتاب، وسوف يترجم بإذن الله إلى لغة شعب بلادنا لينتفع به العوام دون أن يُقصر على متعلمي العربية. وأسأل القراء أن يعذروني على ما عسى أن ييدر مني من سهو أو خطأ أو تجنٍّ على

الحق فهذا جهدي وهذا ما عندي، ويسرني أن ينبهني أحد إلى ما بدّر مني وسأكون شاكرًا له. ثم ما جاء موافقًا للحق فهو من الله وفضله إليه. وما جاء فيه على خلافه فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله منه.

وإني عازم بإذن الله على عرض كتابي هذا على عدد من العلماء المعروفين بعقيدتهم الصحيحة السلفية ليدوا رأيهم فيه ويكتبوا تقريرهم عليه وسوف أثبتها في الكتاب إن تم ذلك قبل صدور الكتاب وإلا ففي الطبعة القادمة إن شاء الله. والله أحمد أولا وآخرا وعلى نبيه محمد أصلي وأسلم أبدا ودائما.

وكتبه أبو هارون بهاء الدين محمد الداغستاني.

(١) اِتِّخَاذُ الْوَاسِطَةِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ فِي الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أنه لا بد من واسطة شيخ بين الله وبين العبد حتى يقربه إلى الله ويوصله إليه، ويفسرونه كالتالي: إن الرجل من عامة الناس إذا أراد أن يدخل على الملك أو أراد جندي أن يدخل على جنرال فلا بد له أن يستعين بأقرب الناس إليه حتى يشفع له أمام الملك أو الجنرال، فكذلك المريد يستعين بشيخه ويتخذ واسطة للوصول إلى الله لأن الشيخ أقرب إلى الله من المريد فهو من الله بمنزلة حاشية الملك.

ويستدلون على ضرورة اتخاذ الواسطة بآية من القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] يفسرون الوسيلة على أنها الشيخ من مشايخ الطريقة الصوفية.

لنسمع الآن بعض أقوال كبار الصوفية المصَرَّحَةِ بهذه العقيدة عند الصوفية: يقول أبو حامد الغزالي: "... فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ أو أستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لا محالة ... فمُعْتَصِمٌ المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شَيْخُهُ فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد ..."^(١)

ويقول القشيري: "ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً؛ هذا أبو يزيد يقول: "من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان"^(٢) ويقول أحمد الرفاعي (الذي تسري كراماته في أتباعه من بعده): "... من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ... وينبغي للمريد أن يعرف لشيخه الحق بعد وفاته كما كان

(١) إحياء علوم الدين: ٦٥/٣.

(٢) الرسالة القشيرية: ١٨١.

يعرف الحق في حال حياته ... وقال: من يذكر الله تعالى بلا شيخ لا الله له حصَل ولا نبيه ولا شيخه" (١).

وقال الشيخ الكردي: إن طلب الشيخ هو عين طلبه تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] الرفيق ثم الطريق، من لا شيخ له فالشيطان شيخه ... ثم قال: إن الشيخ مقصود ومطلوب فالشيخ كالكعبة يسجدون إليها والسجود لله، وهكذا الشيخ" (٢).
وقال الشيخ نقشبند: "فمن آداب الذكر أن يكون المريد متوجها إلى شيخه يستمد منه، ويعتمد أنه لا يقدر أن يتوجه إلى الله تعالى إلا بواسطته" (٣).

هذا شيء يسير من كلام كبار الصوفية يصرح بوجود اتخاذ واسطة بين الله وبين العبد يوصله إليه ويقربه إليه، اقتضرت عليه، ففيه الكفاية لمن أراد أن يعرف عقيدة الصوفية في هذا المجال.

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ (٤) تقول: لا واسطة بين الله وبين العبد في الدعاء والعبادة؛ لأن الله يقول: إنه أقرب إلى عبده من كل شيء حيث قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقال أيضا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال ﷺ: «إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ» (٥).

فإذا كان الله أقرب إلى الإنسان حتى من حبل وريده، وكان الله سميعا بصيرا لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فما حاجة الإنسان في أن يتخذ واسطة بينه وبين الله؟!!

(١) قلادة الجواهر: ١٧٧.

(٢) المواهب السمرندية: ٣١٣، الأنوار القدسية: ٥٢٥.

(٣) المواهب السمرندية: ١٧٠.

(٤) من الآن فصاعدا أقصر من هذه العبارة على كلمة «الجماعة» طلبا للاختصار ، ولأنها هي الواردة في الحديث اسما للفرقة الناجية والطائفة المنصورة

(٥) متفق عليه: البخاري ٣٩٦٨ و ٦٠٢١ و ٦٢٣٦ و ٦٩٥٢ ومسلم ٢٧٠٤ وأوله: «ارْتَبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ».

ثم من يعلم منزلة كلٍّ من المريد والشيخ عند الله حتى يُحَكَّمَ على أحدهما بأنه أقرب إلى الله من الآخر؟

وفي ضربهم المثل لله بالملك أو الجنرال وللشيخ بحاشيته تشبيهه لله بالمخلوق وضرب مثل له بما لا يجوز، فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]، وقال أيضا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

ما أبعد هؤلاء عن الحق!! وما أجراًهم على الله!! إن كانت ملوك الأرض لا تعلم إلا ما أُبْلِغُوهُ فالله عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يحتاج إلى من يبلغه، وإن كانت ملوك الأرض بعيدين عن رعاياهم، محجوبين في قصورهم، لا يفتحون أبوابهم إلا لأخص الناس بهم، فالله ليس كذلك؛ بل هو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وإن كانت ملوك الأرض محتاجين إلى حاشيتهم لتأييدهم ومضطرين لقبول شفاعتهم؛ فالله غني عن العالمين لا يحتاج إلى تأييد أحد، قبحهم الله، كيف شبهوا الله العظيم الذي ليس كمثله شيء برجل في الأرض يأكل ويشرب ويتخلى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، حتى لو شبهوه جل وعلا بعمر بن الخطاب، العدل الذي لم يكن كأولئك الملوك يحتجب عن رعيته حتى يُتَوَسَّطَ إليه بمن يدخلهم عليه؛ لكانوا معتدين على مقام الإله، فكيف إذا شبهوه بملك ظالم، يحتجب عن رعيته، ولا يصل المحتاجون إليه إلا بواسطة حاشيته، ما أجهلهم بالله وأضلهم عن سبيله!! ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤] فلعنة الله على الكافرين.

إن هذا التصريح الجريء الذي تطلقه مشايخ الصوفية بأن "من لا شيخ له فشيخه الشيطان" إنه والله وقاحة لا حدود لها، وقول على الله بلا دليل.

إن أمور الدين كلها، كبيرها وصغيرها، جليلها وحقيقتها قد وضحها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس ولم يترك شيئاً مما يحتاجه الناس إلا بينه لهم حتى حيضة المرأة قد ورد ذكر أحكامها، وبيان تفاصيلها، فكيف بغيرها؟! وقد قال فيه النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيَّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ»^(١).

(١) رواه مسلم في حديث طويل.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: تُوِيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا^(١).

فكيف تكون الطريقة الصوفية من أمور الدين؛ بل أهم أمور الدين ولم يجر لها ذكر في الكتاب والسنة، ولو بنصف كلمة؟! ليتهم أتوا عليها ولو بدليل من القرآن والسنة؛ إلا هذه الآية التي يفسرونها على خلاف ما فهمه السلف الصالح وفسروا، أمثل هذه الطريقة التي هي عند الصوفية أهم من الإيمان والإسلام تُعَدُّ الدليل لإثباتها؟! إنه تناقض عجيب!!

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم إثبات الوسائط: "ومن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقرهم منهم، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل^(٢)."

إذا فهمنا ما قاله ابن تيمية، ونظرنا في صوفيتنا اليوم في داغستان، والشيشان لم نجد أحدا منهم دخل الصوفية إلا وهو يرجو ويأمل أن يكون شيخه، وأستاذه واسطة بينه وبين الله بالمعنى السابق، ويقربه إلى الله. وهنا نترك الحكم على صوفيتنا إلى أهلها.

إن نظام الوساطة هذا بعيد عن الإسلام، ولكنه معروف عند النصاري، فالتائب عندهم لا تقبل توبته إلا بواسطة القسِّ يعترف إليه بما أذنب، فيقبل توبته، ويبارك له، ويغفر ذنوبه، ويكتب له **صَكَّ الْغُفْرَانِ**، وهو عند الصوفية منقول من النصرانية، وليس معروفا في الإسلام، ولا دليل عليه من الكتاب والسنة.

أما معنى الوسيلة في آية: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] فقد اتفق عامة المفسرين على أن المراد بالوسيلة: ما يتقرب به إلى الله من الإيمان، والعمل الصالح،

(١) رواه أحمد وغيره.

(٢) مجموع الفتاوى: ١/١٢٦.

فيكون معنى الآية: تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه، لا باتخاذ شيخ الطريقة الصوفية، الذي هو عند الشيخ الكردي كالكعبة يسجدون إليها والسجود لله، وهذا قريب من قوله تعالى حاكيا عن المشركين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

إن آية الوسيلة نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد كان حوله الصحابة فهم أولى الناس بالعمل بمضمونها، فلو كان معناها كما تزعم الصوفية لنقل ذلك عن الصحابة، والتابعين، والأئمة؛ لكننا لا نعلم أن أحدا منهم اتخذ شيخا واسطة بينه وبين الله عملا بهذه الآية. فهل ظهر للصوفية بعد مضي ثلاثة قرون معنى لم يظهر للنبي ﷺ وصحابته، والتابعين لهم؟

إذا عرفت هذا تبين لك كيف تحرف الصوفية معاني الآيات لترويج بضاعتهم، وجمع الناس حول مشايخهم وتخدير عقولهم، فالله المستعان.

فإن قال قائل: أليس الرسول ﷺ واسطة بيننا وبين الله؟! قلنا: بلى إنه واسطة بيننا وبين الله في تبليغ ما أنزل عليه إلينا؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]. كما أن جبريل عليه السلام واسطة بين الله وبين الرسول ﷺ في إنزال القرآن وإيصال الوحي، وكذلك كل أستاذ، أو معلم واسطة بين التلميذ، وبين من قبله من العلماء الذين نقلت إلينا على أيديهم العلوم؛ لكن دعاءنا وعبادتنا ينبغي أن تكون لله بدون واسطة أحد لا الرسول، ولا الشيخ، ولا غيرهما.

(٢) عِلْمُ الْغَيْبِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن مشايخهم يعلمون الغيب كما يعلمون متى يموت الإنسان، وأين يموت، ومن يدخل الجنة ومن يدخل النار. حتى حُكِيَ أن بعض أبناء الشيخ الصوفي قال لوالده في المسجد: هل أميز بين أحذية من يدخل الجنة ومن يدخل النار؟ ومن ذلك ما نقله الشعراني عن سهل بن عبد الله التستري؛ أنه قال: أعرف تلامذتي من يوم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل من ذلك اليوم ألاحظ تلامذتي، وأريهم في صلب آدم حين ردوا إليه بعد أخذ العهد، وفي أصلاب آبائهم حتى وصلوا إلي في هذا الزمن، لم يُحْجَبُوا عني إلى وقتي هذا^(١).

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله. وعلم الغيب صفة من صفات الله الخاصة به، ونسبة علم الغيب لغير الله إشراك في ربوبية الله؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ و ٢٧]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال ﷺ: «لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢). وقال ﷺ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خُمُسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَّا يَكُونُ فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ تعالى، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَّا فِي

(١) الطبقات الكبرى.

(٢) رواه الطبراني، وقال حديث حسن.

الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى»^(١).
وقالت عائشة رضي الله عنها: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]"^(٢).

هذه الآيات والأحاديث تُصَرِّحُ أن أحدا غير الله حتى النبي ﷺ أفضل خلق الله لا يعلم الغيب إلا إذا أظهره الله عليه، فهل نُكْذِّبُ هذا ونصدق مزاعم الصوفية القائلين بأن مشائخهم يطلعون على الغيب، ويخبرون بما يكون؟! كلا، ثم كلا؛ بل نقول: صدق الله ورسوله، وكذب الصوفية.

تقول الجماعة: إن كانت الصوفية صادقين في قولهم هذا فلماذا لا يستخدمونه فيما ينفع الإسلام والمسلمين، لماذا لا يخبروننا بأسرار الكفار، والصهانية، ومكائدهم بنا؟ والمسلمون اليوم كأحوج ما يكون إلى معرفة أسرارهم، حتى يَتَّقُوهُمْ، ويصرفوا عنهم كيدهم، لماذا لا يخبروننا بمواقع النفط والمعادن في الأرض، لماذا لا يعرفون أسرار القنابل الذرية والنووية، وصناعة الصواريخ، والطائرات والدبابات، والغواصات، وغيرها من الأسلحة المتوفرة لدى الكفار والمعدومة لدى المسلمين؟ ما أحوج المسلمين اليوم إلى أنواع من هذه الأسلحة التي هي القوة يهرب بها عدو الله وعدوهم، أيكتم المشايخ هذا العلم عن المسلمين، فإن كانوا يكتمونهم فقد خانوهم، وإن لم يكونوا يعلمونه ففيما الكذب وخداع المسلمين، وإشراك أحد من خلق الله بالله في إحدى صفاته؟ لذلك نقول: أما ما ينفع الإسلام والمسلمين فلا يعلمونه، وأما ما يخذعون به جهال المسلمين، وبسطاءهم، وضعاف العقول منهم فيزعمون أنهم يعلمونه.

حدث في أواخر شهر يناير عام ١٩٩٧ في الطريق بين كيزليورت وبؤيناكسك في دَاغِسْتَانْ لحافلة صغيرة (مكرو باص) حادث طريق اصطدمت فيه بسيارة أخرى، فتحطمت المكروباص، وهلك جميع ركاها الذين كان عددهم نحو من اثني عشر، وكانت

(١) صحيح الجامع الصغير رقم ٥٨٨٤.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧) والترمذي.

بينهم امرأة لم يعرف الناس من هي، ومن أي قرية هي؟ فنقلت إلى موضع جثث الموتى في مستشفى كينزليوتز، وبقيت فيه خمسة أيام أو أكثر لا يدري أهلها بها، ولا يأتي أحد ليأخذها، فأتضح فيما بعد أنها إحدى مريدات الشيخ سعيد أفندي التشركي.

والسؤال هنا: كيف طاب لهذا الشيخ الصوفي الجليل، والأستاذ العظيم أن يقعد في بيته خلال هذه المدة مطمئن القلب، ساكن البال، يتلذذ بما طاب ولذ من الأطعمة، وإحدى مريداته مطروحة في قاعة الجثث، لا يدري بها أهلها وأقاربها؟!

أين علم الغيب هنا؟ وأين معرفة أحوال المريدن هنا؟

إننا إذا نظرنا في سيرة نبينا محمد ﷺ نجد فيها مواطن كثيرة عجز النبي ﷺ عن معرفة الغيب، فمنها قصة الإفك على عائشة رضي الله عنها حيث مكث النبي ﷺ أكثر من شهر لا يدري ما يفعل، أصدق به أم يكذبه؟ حتى أنزل الله آيات تقرأ في القرآن يُبرئ عائشة، فاستبشر رسول الله ﷺ وَبَشَّرَ عائشة بقوله: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ! أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَأَكَ»^(١).

ففي القصة دلالة قاطعة على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، وأن معرفة الغيب من خصوصيات الله وحده؛ إذ لو علم لبادر إلى تكذيب المفتريين، ولسهل عليه أن ينهي المشكلة، ويريح نفسه ويريح غيره.

ومنها: قصة بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ: ذلك أن رسول الله ﷺ لما وصل إلى الحديبية في عمرته، بركت به ناقته فيها، لأمر يعلمه الله، فأوفد عثمان بن عفان إلى مكة لإعلامهم بأنه لم يأت ليشن حرباً عليهم، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحرمته. فحبست قريش عثمان ومن معه، فبلغ النبي ﷺ أن عثمان قد قتل، والواقع أنه لم يقتل، فما شك النبي ﷺ في صدق الخبر، وعزم على محاربة قريش، وقال: «لَا نَبْرُحُ حَتَّى نُنَاجِرَ الْقَوْمَ»^(٢) فدعا الصحابة إلى البيعة على القتال وعدم الفرار، فكانت بيعة الرضوان، ولما تمت البيعة علمت قريش بها، فخافوا على أنفسهم فأطلقوا عثمان ورجع إلى النبي ﷺ فظهر أن نبأ مقتلته كان مجرد شائعة لا أساس له من الصحة.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن إسحاق في المغازي، ومن طريقه ابن جرير في التفسير.

فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لأخبرهم بالواقع، ولأفادهم أن عثمان حي معافى لم يصبه مكروه، ولكنه على قربه من مكة لم يكن يدرى ما يجري بداخلها. ومن ذلك: أن رسول الله ﷺ لما كان في بداية رسالته في غار حراء جاءه جبريل على صورة رجل، فضمه ثلاث ضُمَّاتٍ، وظنه الرسول شيطانا، ولم يدر أنه جبريل، ومثل هذا كثير.

ما ذا تقول الصوفية في هذا؟ أيقولون أن مشايخ الصوفية يُعْطَوْنَ من علم الغيب ما لم يعطه النبي ﷺ؟

وعقيدة أهل السنة والجماعة: أن من اعتقد أن أحدا سوى الله يعلم الغيب فقد أشرك؛ لأنه كذب القرآن والحديث، ووصف المخلوق بصفة الخالق جل وعلا.

(٣) دُعَاءُ الْمَشَايخ وَالْإِسْتِغَاثَةُ بِهِمْ

الصوفية: يدعون مشايخهم من دون الله، ويستغيثون بهم في كشف الضر، وجلب النفع، سواء كانوا أحياء أم أمواتا، حاضرين أم غائبين. وكثيرا ما يأتون قبورهم ويدعونهم، ويطلبون منهم المدد، والشفاء، والرزق، والولد، والهداية، والعافية، من كل ما لا يقدر عليه إلا الله. ويرون دعاء غير الله أمرا جائزا فيقولون: يا جيلاني! المدد. أو يا دسوقي، يا رفاعي خذوا بأيدينا إلى الله، أو يا كُنُتَّا حَاجِي خلصني من هذا البلاء، أو اشف مريضِي. ويستدلون على جواز ذلك بقبصص عجيبة، أشبه ما تكون بالأساطير؛ كأن يقولوا: هجم علي وأنا أسير في بعض طرق الغابة ذئب، فدعوت: يا كُنُتَّا حَاجِي! فانصرف الذئب عني كأنما ضرب على رأسه.

ويقول الآخر: كدت أغرق في بعض الأنهار، فدعوت: يا الله! فلم يغن عني، ثم دعوت: يا أستاذ! فإذا يد خفية من تحت الماء ترفعني، وتضعني على شاطئ النهر!!
ومن ذلك: ما يُروى أن أحد مريدي الشيخ محمد المعصوم كان راكبا فرسا فجفل، فسقط على الأرض وبقيت رجله معلقة في الركاب، وجعلت الفرس تعدو به حتى أيقن بالهلاك، فاستغاث بحضرة القيوم أي: الشيخ محمد المعصوم قال: فرأيتك حضر وأوقفها وأركبني عليها. ثم وقع نفس هذا المريد في البحر، ولم يكن يعرف السباحة، وكاد أن يغرق، فناداه مستغيثا به، فحضر، وأخذه بيده وأنقذه.

وكذلك استغاث به رجل في سفينة كادت تغرق به، فاستغاث بالشيخ فمد الشيخ يده، وكان الشيخ جالسا بين أصحابه في بيته، فمد يده، وانتشل السفينة، وابتل كُمُهُ لذلك، مع أن المسافة بين المستغيث والمستغاث به شاسعة، فتعجب تلامذته، وأصحابه حين رأوا كمه قد ابتل بعد أن مد يده في الهواء!!^(١).

(١) جامع كرامات الأولياء: ١٩٩/١، ٢٠٠، المواهب السمرمية: ٢١٠، ٢١٣.

وجاء يوماً سيل عظيم على قرية مولانا عارف فخاف أهلها من الغرق ففرعوا إليه، فخرج وجلس مكان طغيان الماء، وقال للماء: إن كان لك قوة فاحملني فترجع السيل!!^(١).

الجماعة: تعتقد أن الدعاء، وطلب العون في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله لا يجوز صرفه لغير الله، لأنه عبادة والعبادة لا تجوز لغير الله.

إن دعاء أحد، أو الاستغاثة به؛ إنما يعني الاعتقاد فيه أنه قادر على إجابة من يدعوه، وكشف ما به من سوء. ولولا هذا الاعتقاد ما دعاه وما استغاث به، والله ينفي أن يكون لأحد قدرة على إجابة المضطر إذا دعاه وكشف السوء عنه؛ قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَن يَمْسَسَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] فكيف إذا يطلب أحد من آخر شيئاً لا قدرة له عليه؟!

لقد ورد النهي عن دعاء غير الله في آيات كثيرة من القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦]. وقال ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(٢).

والدليل على أن الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكَ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ففي هذه الآية سمى الله دعاءه ديناً ودعاء غيره شركاً.

وقوله ﷺ: «الِدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٣).

(١) المواهب السرمدية: ١٠٧، الأنوار القدسية: ١٢٥.

(٢) رواه الترمذي وصححه.

(٣) رواه الترمذي.

حتى الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية يقول في كتابه الفتح الرباني: "سلوا الله ولا تسألوا غيره، استعينوا بالله، ولا تستعينوا بغيره. ويحك بأي وجه تلقاه غدا وأنت تنازعه في الدنيا، معرض عنه مقبل على خلقه، مشرك به، تنزل حوائجك بهم، وتتكل بالمهمات عليهم!! ارفعوا الوسائط بينكم وبين الله، فإن وقوفكم معها هوس، لا مُلْك ولا سلطان ولا غِيَّ ولا عِزٌّ إلا للحق عَزَّ وَجَلَّ كن مع الحق بلا خلق".

أقول هنا: أما أن لا يسمع الصوفية كلام الله وكلام رسول الله ﷺ وعدم طاعتهم لهما في ترك دعاء غير الله فهذا أمر معروف، فكيف يخالفون شيخهم سلطان العارفين، وغوث العالم، وقطب الزمان عبد القادر الجيلاني؟
ونقل لك هنا مناجاة معدودة من الأوراد الأساسية في الطريقة القادرية يناجون بها شيخهم عبد القادر الجيلاني وقد خالفوا وصيته، وهي مملوءة بالغلو في التوسل والدعاء والاستغاثة، وفيها شرك بادٍ، والعياذ بالله، ومما جاء فيها:

"يا سلطان العارفين، يا تاج المحققين، يا ساقِي الحُمَيَا، يا جميل المُحَيَّا، يا بركة الأنام، يا مصباح الظلام، يا شمس بلا أَقْلٍ، يا در بلا مثل، يا بدر بلا كَلَفٍ، يا بحر بلا طرف، يا فارج الكرب، يا غوث الأعظم، يا واسع اللطف والكرم، يا كنز الحقائق، يا معدن الدقائق، يا واسع السلك والسلوك، يا صاحب الملك والملكوت، يا شمس الشموس، يا زهرة النفوس، يا هادي النسيم، يا محيي الرميم [سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم] يا عالي الهمم، يا ناموس الأمم، يا حاجة العاشقين ... يا خزانة الأسرار، يا سيدي جمال الله، يا نائب رسول الله، ... يا راحم الناس، يا مُدْهِبِ البأس، يا مُفْتِخِ الكنوز، يا معدن الرموز، يا كعبة الواصلين، يا وسيلة الطالبين ... يا قوي الأركان، يا حبيب الرحمن، يا فاتح المُعْلَقَاتِ، يا حافظ الأشياء، يا منتهى الأمل، حين ينقطع العمل ... يا ضياء السماوات والأرضين ... يا فرجا في الشدائد ... يا غافر الأوزار ... يا ذا الأحوال العظيمة ... يا كاشف الغمة ... يا مقبول رب الجنان ... يا جليس الرحمن ... يا شاه يا سر إلهي ... يا سيدي يا سندي يا مولاي يا قوتي يا غوثي يا غياثي يا عوني يا راحتي يا قاضي حاجتي يا فارج كربتي يا ضيائي يا رجائي يا شفائي ... يا نور السرائر يا بالغ الشرق والغرب بخطوة يا قطب الملائكة والإنس

والجن يا قطب البر والبحر يا قطب المشرق والمغرب يا قطب السموات والأرضين يا قطب العرش والكرسي واللوحي والقلم ... يا من يبلغ لمريده عند الاشتغاة ولو كان في المشرق ... يا صاحب التصرف في الدنيا وفي قبره بإذن الله ... يا غوث الأعظم أغثني في كل أحوالي وانصرني في كل آمالي" (١).

أقول: لا يَظُنُّ أحدٌ أن هذه المناجاة والدعاء موجه إلى الله؛ بل هو موجه إلى عبد القادر الجيلاني الإله الثاني عند الصوفية القادرية وقد أعطي من الصفات ما لا ينبغي لغير الله جل وعلا، هذا والله غلو سافر في هذا الشخص وعبادة جلية له. إن هذا الدعاء نموذج واحد من الأدعية الكثيرة المماثلة في الطرق الصوفية المختلفة، وكل طريقة فيها من الأدعية ما يماثل هذا أو يفوقه.

إني أعجب من الصوفية كيف يقرأون سورة الفاتحة في كل ركعة من صلواتهم ولا يتنبهون لمعناها وذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ومعناه: نخصك بالعبادة والاستعانة فلا نعبد غيرك ولا نستعين إلا بك فكيف التوفيق بين قولهم هذا وفعلهم ذاك!!!

وأعجب من ذلك أن يسمع أحد كلام الله الذي يقول فيه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمُ الْخُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ﴾؟ [النمل: ٦٢] وكلامه الذي يقول فيه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ثم يؤمّل أن يجيبه أو يغثه أو يكشف السوء عنه سوى الله!! أبعد سماع قوله تعالى: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ يبقى عند أحد شك أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك وغير جائز!!!

إن ما تفعله الصوفية اليوم من دعاء مشايخهم والاستغاثة بهم في الرخاء وفي الشدة عند نزول البلاء هو أعظم وأشد مما كان يفعله المشركون في عهد نزول القرآن فإنهم إنما كانوا يشركون بالله ويدعون معه غيره في الرخاء أما في الشدة وحدث المصيبة فإنهم كانوا يخلصون الدعاء لله وينسون أصنامهم وأهنتهم لعلمهم أن آلهتهم لن يغنوا عنهم في هذه الحالة شيئاً ولن يكشفوا عنهم سوءاً فقد ذكر الله حالتهم هذه في القرآن فقال:

(١) الفيوضات الربانية: ١٩٤. ١٩٦.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فحكم الله على دعائه وحده إخلاصا للدين كما حكم على دعائهم غير الله بعد خروجهم إلى البر ونجاتهم إشراكا به كما ذكرناه سابقا. أما صوفية اليوم فيدعون غير الله ويستغيثون به في العسر واليسر والشدة والرخاء فيكونون أسوأ حالا من أولئك المشركين، عصمنا الله من الصوفية الوثنية. ثم انظروا في القصص المذكورة لتروا عجبا فوق عجب رجل يدعو الله ويستغيث به عند المصيبة فلا يأتيه المدد ولا يغيثه فيدعو غير الله فيغيثه ويخلصه، أليس هذا فوق الشرك وأشد منه!! أما الشرك فهو دعاء غير الله مع الله وهذه دعوة إلى نسيان الله بالكلية ودعوة غير الله فإن كان الأمر كما تقول الصوفية فأني حاجة إلى الله ما دام لا يجيب الداعي ولا يغيث المستغيث!! أين إذن وعد الله الذي وعدناه بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ويقول تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد يقول قائل: هذا الذي يستغيث بشيخه وقد يأتيه الشيخ ويخلصه مما وقع فيه من البلاء هذا أمر مجرب يشهد بذلك كثير فكيف لا يصدق هذا ما رآه بأمر عينيه!! أقول: نعم لا ننكر احتمال أن يأتيه من يغيثه ويخلصه ولكننا نقول: إن الذي يأتيه فيغيثه ويخلصه ليس الشيخ ولكنه شيطان أتاها في صورة من استغاث به ليوهمه أن شيخه هو الذي أغاثه فيتوغلل في غيه ويزيد من تضليله.

وعلى كل حال فالواجب على الإنسان في الأمور التي لا قدرة للإنسان عليها عادة أن لا يدعو غير الله ولا يستغيث إلا به سواء جاءه من يغيثه أو لم يجئه حتى لا يقع في الشرك؛ بل يدعو الله وحده بصدق وإخلاص وعلى يقين من أن الله سيجيبه لأن الله قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وليس من هذا القبيل استعانة الناس ببعضهم البعض في الأمور التي ثبت بالحس والتجربة قدرتهم عليها بأن كان المستعان به حاضرا أو بمكان يبلغه الصوت، أو يبلغه الخبر أو يمكن الاتصال به أو نحو ذلك ثم يأتي فيعين ويغيث كفرقة الإسعاف ورجال إطفاء الحريق ونحوها فهذه أمور تجوز الاستعانة فيها بلا خلاف ويشعر التعاون فيها

كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾
[المائدة: ٢].

(٤) مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ الْمُرِيدِينَ

الصوفية: تعتقد أن مشايخهم يعلمون أحوال مريديهم أينما كانوا وكم كانوا، ويراقبونهم، ولا يغيبون عن أنظارهم، ويطلعون على خواطرهم.

فمن ذلك: قول الدَّبَّاحِ يخاطب أتباعه: "لا تكتموا عني شيئاً من الأمور التي تنزل بكم في الدين والدنيا، وأخبروني حتى بالمعاصي التي تقع لكم، وإن لم تخبروني أخبرتكم" (١).
ومنه قول الفوتي: "وينبغي للمريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاج".

ومنه ما قال يوسف النبهاني: "أما الشيخ محمد بن عبد الله بن مصطفى الحاني فقد كان يخبر بالأمر قبل وقوعه فيقع كما أخبر وكان في الاطلاع على خواطر المردين مرآة صقيلة يلوح فيها أدنى الخطرات كأعلاها وكان لا يسأل المريد عن أحواله بل هو الذي يخبر المريد بأطواره" (٢).

وذكر أحد تلاميذ الدبّاح من كرامات شيخه عدداً فقال: "منها انه وصف لي زوجتي من رأسها إلى قدمها عضوا عضوا ما ظهر منها وما خفي وكانت كما وصفها... لم يزد ولم ينقص حتى لو كُلفْتُ أنا بوصفها ما وصفتها كما وصف هو فلو خَضَرْتُ والله بين يديه ما زاد فيها معرفة، وكانت منه على مسيرة أربعة أيام ولم يرها قط" (٣).

الجماعة: تقول: إذا تتبعنا سيرة النبي ﷺ وأصحابه وقصصهم وأخبارهم فلا نجد شيئاً مما يدل على أن النبي ﷺ كان يعلم أحوال أصحابه مهما كانوا وأينما كانوا، ولا نجده يصف لأصحابه أزواجهم كأنما ينظر إليهن بل نجد عكس ذلك.

(١) الإبريز: ٢٣٨.

(٢) جامع كرامات الأولياء ١/٢٢٢-٢٢٣.

(٣) الإبريز: ٢٤.

من ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ انه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ فَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لْيَتْرَكْهَا» (١).
ومنه حديث «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ» (٢).

ففي الحديث الأول نجد بياناً شافياً وتنبيهاً بليغاً على بشرية الرسول ﷺ وان البشر لا يعلمون من الغيب وبواطن الأمور شيئاً إلا أن يطلعهم الله على ذلك.
والحديث الثاني يدل دلالة قاطعة على أن الرسول ﷺ لا يعلم من أحوال أصحابه إلا ما أُبْلِغَ. هذا هو رسول الله ﷺ على علو منزلته وارتفاع مقامه يشهد على نفسه أنه لا يعلم ما غاب من أحوال أصحابه، فإذا كان هذا حاله فَمَا بَالُكَ بمن لا يدانيه ولا يداني أصحابه في شيء.

فهل نصدق الصوفية في زعمهم أن مشايخهم يطلعون على أحوال مريديهم أينما كانوا، وكم كانوا ويعلمون ما خطر في نفوسهم؟ أبداً وكلا، فهذا من الفروق العظيمة بين أهل السنة والجماعة وبين الصوفية.

(١) صحيح الجامع الصغير: ٢٣٤٢.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم (٦٣٢٢).

(٥) سَمَاعُ الْأَصْوَاتِ مِنْ بُعْدٍ

الصُّوفِيَّةُ: يعتقدون أن مشايخهم يسمعون أصوات مرديهم عند دعائهم والاستعانة بهم أينما كانوا وكم كانوا وبأي لغة كانوا، حتى لو دعا ألف مرید بألف لغة مختلفة من مسافة ألف كيلومتر في آن واحد ولحظة واحدة سمعهم وفهمهم وجاءهم يعينهم ويخلصهم مما وقعوا فيه. وإذا لم يكن قادراً على ذلك فليس بالشيخ المنشود المقصود لهم. وإذا عرفوا أو شكوا أن شيخهم ليس بهذه الصفة طلبوا آخر وتحولوا إليه. يقول علي وفا: "إِذَا صَدَقَ الْمُرِيدُ مَعَ شَيْخِهِ وَنَادَاهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ أَجَابَهُ حَيًّا كَانَ الشَّيْخُ أَوْ مَيِّتًا" (١).

ويقول الشعراي عن جده موسى أبي عمران: "وَكَانَ إِذَا نَادَاهُ مُرِيدُهُ أَجَابَهُ مِنْ مَسِيرَةِ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ" (٢).

أما **الْجَمَاعَةُ:** فلا يبقى عندها إلا أن تستغرب من هذه العقيدة الشريكة، إنها والله صفة اختص بها الله فليس في العالم مخلوق يستطيع أن يسمع الأصوات بهذه الصفة التي تُصَفِّيهَا الصوفية على مشايخهم. ولقد قرأنا قصصاً وأخباراً عن الرسل والأمم السابقة فما وجدنا أن أحدا منهم حتى لو كان نبياً مرسلًا كان يسمع الأصوات من أولاده وأتباعه بهذا الشكل الذي عند الصوفية. فهذا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام كلاهما نبي ورسول، وكم غاب أحدهما عن الآخر هذا بالشام وهذا بوادي مكة فما نادى أحدهما الآخر وما سمع أحدهما الآخر، وهذا يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام كلاهما نبي وكلاهما رسول كم غاب أحدهما عن الآخر هذا بفلسطين وهذا بمصر فما

(١) الأنوار القدسية: ١٨٩/١.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٩/٢.

دعا أحدهما الآخر وما سمع أحدهما الآخر بل ما كان يعقوب خلال تلك الفترة الطويلة يعرف أين يوجد ابنه المفقود الحبيب إليه يوسف، إن الله عَرَفَ يعقوبَ أن يوسف لم يمت وأنه على قيد الحياة ولكن الله ما عرفه لحكمة يعلمها بمكانه ولا سائر أحواله التفصيلية، إنه ما ناداه ولا سمعه ولولا ذلك ما قال لبنيه كما حكاها الله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وفي سيرة نبينا ﷺ أمثلة لا تحصى لذلك.

منها: أن الرسول ﷺ أرسل يوم الحديبية عثمانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه ومعه بعض الصحابة إلى مكة للتفاوض مع قريش ولمعرفة أخبارها فحبستهم قريش فبلغ النبي ﷺ أن قريشاً قتلت عثمان ومن معه، ولكنهم في نفس الأمر ما قتلوه بل كانت شائعة لا أساس لها من الصحة، لكن النبي ﷺ ظنها صدقاً وما عرف أنها مجرد شائعة، فجمع الصحابة وبايعهم على قتال قريش، وهنا ما نادى النبي ﷺ عثمان على قصر المسافة بينهما وما ناداه عثمان وما سمع أحدهما الآخر.

أبعدَ هذا نصدق الصوفية في زعمهم أن مشايخهم يسمعون أصوات مريديهم أينما كانوا وكم كانوا وبأي لغة كانوا.

وأغربُ من هذا كله أن الشيخ الذي يصفونه بهذه الصفة إذا قابلته وكلمته لا يكاد يعرف من تلك اللغات شيئاً، حتى أقرب اللغات إليه لغة أمه لا يعرفها على الوجه الصحيح الكامل. فإن كانوا يصرون على أنه يعرف تلك اللغات فأولى لغة بالمعرفة من بين سائر اللغات هي اللغة العربية، فليكتب أحد المشايخ المعاصرين بها ورقة واحدة أو رسالة واحدة لننظر فيها فنعرف مدى معرفته باللغة العربية لغة القرآن والحديث، وإذا كان يعرف تلك اللغات فلا بد أن يعرف اللغة السريانية أيضاً التي يتكلم بها أولياء الأرض في ديوانهم المغلق بغار حراء.

لقد رأيت وسمعت مشايخ عصرنا الصوفيين سَعِيدَ أَقْتَدِي التَّشْرِكِيِّ وَتَاجَ الدِّينِ الْعُشَلِيِّ يتكلمان في مجامع الناس وعلى شاشة التلفاز باللغة الأوربية إحدى لغات داغستان ويعتذران إلى الناس عن عدم تكلمهما باللغة الروسية بأنهما لا يحسنانها، علماً بأن اللغة الروسية اليوم هي اللغة المشتركة بين الأمم والأقوام في جمهوريات الاتحاد

السوفيتي السابق، فيرد هنا سؤال: لماذا لا يبدي مشايخ صوفيتنا علم اللغة الروسية التي إن دعاه بها مريده سمعها وفهمها وأجابها؟ والجواب هنا واضح وهو أن الصوفية يَكْذِبُونَ. وعندني ملاحظة على قول علي وفا السابق: "إذا صدق المريد مع شيخه وناداه من مسيرة ألف عام... الخ"

إن قوله هذا محل نظر ومناقشة لأن مسيرة ألف عام إن أرادها على الحقيقة فهذا يعني أنه يسمعه ويجيبه من النجوم والكواكب البعيدة عن أرضنا لأن محيط الكرة الأرضية التي نسكنها أقل من ذلك بكثير وإن أراد المجاز مبالغة في سماعهم وإجابتهم «صح المعنى» وارتفع الإشكال ووجب السكوت.

(٦) إِنْزَالُ الْمَطَرِ

الصُّوفِيَّةُ: يزعمون أن مشايخهم وأولياءهم قادرون على إنزال المطر متى شاءوا. فمن ذلك ما قاله ابن ضيف الله في ترجمة عبد الرحيم بن الشيخ عبد الله التركي: "أنه كان يسمى بَيَّاعَ الْمَطَرِ، لأنه كان يبيعه على الناس"^(١). أقول: إن الإنسان لا يبيع شيئاً إلا إذا كان مالكا له إلا أن يكون سارقاً فهل يعني هذا انه كان مالكا للمطر مِلْكاً أَحَدِنَا لِقَرَسِهِ.

ومنه: ما حكى صفي الدين الخزرجي: أنه أصابت ديارَ الشام شدة وقحط، وكانت امرأة عجوز يقال لها: الحاجة رومية، وكانت تربي أولاد الملوك، وكانت شخصية محترمة لترددها على الملوك، ومؤاخاتها للشيخ محمد الزغي. فركبت بغلتها وأتت إلى الزغي، فقالت له: الناس في شدة من القحط وعدم المطر والغلاء، وأنتم غافلون؟ وأكثرت عليه، فسكت الشيخ عنها، فقامت وركبت بغلتها، ومضت لتدخل مدينة حران، فلما وصلت إلى الجسر هطل المطر، وهبت ريح شديدة رمت الحاجة رومية من بغلتها في الطين، فحملوها، وأركبوها ثم رجعت ودخلت على الزغي فقالت له: قلت: أَنْزِلَ الْمَطَرُ وَأَنْتَ رميتني من على البغلة في الطين لأي شيء؟ قال الشيخ: "لِقُضُولِكَ"^(٢).

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن إنزال المطر من أفعال الله تعالى وأنه لا يقدر على إنزاله إلا الله تعالى؛ بل لا يعلم وقت نزوله غيره سبحانه وتعالى، وهذه عقيدة ثابتة لدى أهل السنة والجماعة قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] حتى كفار قريش كانوا يعترفون بها إذا سئلوا عنها وما

(١) طبقات ابن ضيف الله: ٢٥٨.

(٢) سير الأولياء: ٥٨.

قالوا إن أصنامهم تنزل المطر؛ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ نَّزَلٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٍ فَآخِيًا بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

ويقرر القرآن هذه العقيدة في آيات أخرى فقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾؟ [الواقعة: ٦٨ - ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

كما يقرر القرآن أن الله كما أنه هو وحده المالك لإنزال المطر متى شاء وحيث شاء فكذا هو وحده المتفرد بمنعه إذا شاء وليس لأحد غيره دخل في هذا فقال تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

قال القرطبي مفسراً هذه الآية: "فلا بد أن يقولوا لا يأتينا به إلا الله". فكيف يتفق هذا وما تعتقد الصوفية في مشايخهم وأوليائهم؟ وهل زاد كفرهم على كفر كفار قريش المقرين بأن الله هو وحده المنزل للمطر والمانع له إذا شاء!!؟

ويقرر الحديث أيضاً هذه العقيدة فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(١).

يقول الإمام الشافعي في هذه المسألة: "من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان أهل الجاهلية يقول من إضافة المطر إلى أنه بنوء كذا، فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ومن قال مُطَرْنَا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفراً، وغيره من الكلام أحب إليّ منه"^(٢).

(١) رواه الشيخان.

(٢) الأم: ٢٥٢/١.

ألا ترى إلى الإمام الشافعي رحمه الله كيف كره هذا الكلام، حتى لو أراد قائله معنى لا يكون كفوراً أصلاً؟

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنْعاً في ذلك فكفره كفر شرك.

ولا ريب في أنه لا فرق بين من نسب إيجاد المطر إلى الكوكب وبين من نسبه إلى أحد من المخلوقين سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر لأن المخلوق كما في نص الإمام الشافعي السابق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً.

هكذا نجد الأفكار الصوفية وعقائدها وأفعالها مُعَاكِسَةً على طول الخط للعقائد الإسلامية الصافية عقائد أهل السنة والجماعة وان لم يعترفوا بها وأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَاتٍ باطلة لا تحملها أساليب اللغة العربية، ولا نكاد نجد عقيدة إسلامية إلا وتدخّلت الصوفية فيها وغيروها.

اللهم اهدنا واهد بنا، وثبتنا على الهدى واهد الصوفية من الطريق الضال إلى الصراط المستقيم.

(٧) شِفَاءُ الْمَرْضَى

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن مشايخهم وأولياءهم يشفون المرضى ويزيلون الأدواء ليس باستخدام الأدوية والعقاقير ولا باستعمال الرقى الشرعية ولكن بطريق سري غيبي لا سبيل لنا نحن العوام إلى معرفته والاطلاع عليه، وليس هذا فحسب بل بوسعهم أن ينقل المرض من شخص لآخر.

وإليك شهادةً بذلك من أبرز كُتَّابِ الصوفية المشهود لهم بأنهم الأقطاب والأغواث: يقول الدباغ: "كل ما أُعْطِيَ سليمانُ في ملكه وَسُحِّرَ لداودَ وَأُكْرِمَ به عيسى أعطاه الله تعالى وزيادةً لأهل التصرف من أمة محمد ﷺ، فإن الله سخر لهم الجن والإنس والشياطين والريح والملائكة؛ بل وجميع ما في العوالم بأسرها، وَمَكَّنَهُمْ من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى"^(١).

ويقول القوي: "إن أم أحمد الكبير أصابها وجع البطن وقد أخذت مني الطريقة وأذكراها فصارت تنادي وتستغيث بعبد القادر الجيلاني وتقول: يا عبد القادر على عادتها قبل أن تكون تجانية فأخذها النعاسُ وسمعت قائلاً يقول: دعي عبد القادر ولكن قولي: يا أحمد التجاني فإن الله يعافيك فقالت ذلك وعُوفِيَتْ من ساعتها"^(٢).

وذكر ابنُ ضَيْفِ اللهِ أن امرأةً جاءت إلى الشيخ حسنَ وَدَّ حُسُونَهُ فذكرت أن ابنتها مريضة وأنها تريد لها العافية فقال الشيخ: إن جاءت بأوقية من ذهب عوفيت وإن لم تأت بها فلن تُعافى فأتت المسكينة بالذهب ودعا بالبنات فجاءوا بها ووضعوها تحت كرسي الشيخ فقال لها: قومي فقامت كأن لم يكن بها شيء^(٣).

(١) الإبريز: ١٩٣.

(٢) الرماح: ١٩١/١.

(٣) طبقات ابن ضيف الله: ١٣٩، ١٤٠.

وذكر أيضاً أن الشيخ كُرَانَجَ عَمِي في آخر عمره فطلب من الشيخ حسن ود حسونة أن يزيل ما به من العمى فقال الشيخ: القدرة صالحة لأكثر من ذلك، أَرَكِبُوهُ ليأتي فلما أمسكه من رأسه ففتح عينيه ورأى الناس القاعدين يميناً وشمالاً ووراء وقدام فقال له "بقي لك من الدنيا أمد يسير فخير لك أن تبقى في عماك وتفتح عينيك بين يدي الله أم أفتحك من عماك؟ فقال له يا سيدي خير لي أن افتحها بين يدي ربي (١). ويلاحظ مما يكتبون أن قدرتهم في شفاء الأمراض لا حدود لها حتى أن بعض المرضى الذين انقضت آجالهم وجاء ملك الموت ليقبض أرواحهم يتدخل أولياء الصوفية فيبقونهم على قيد الحياة. فمنه: "مرضت فاطمة بنت عبيد مرضاً شديداً أشرفت فيه على الموت فجاء أحد الفقهاء إلى الشيخ حُوجَلِي فأعطاهم ماء لتشربه المريضة غير أنها مَجَّتْهُ لأنها كانت في سكرات الموت ومن حينه دخل الشيخ خلوته، وفي آخر الليل تكلمت المرأة وقالت: أنا طيبة رأيت الشيخ حُوجَلِي واقفاً بجانب البيت فوكزني بعصاه وقال لي: قومي ومن وقته قام ذلك الفقيه إلى الشيخ فوجد ولده الذي قال له: إن الشيخ لا زال في خلوته إلى الآن فقال الشيخ: لقد غَلَبْتُ، كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي" (٢).

ثرى لِمَاذَا حضر ملك الموت إذا لم يكن أجل المرأة قد انقضى؟ فان كان أجلها قد انقضى فكيف تمكن هذا الرجل من صرف الملك والغلبة عليه؟ ويقول الشعراي في ترجمة الشيخ محمد الشَّرْبِينِي: "ولما ضعف ولده أحمد وأشرف على الموت وحضر عزرائيل لقبض روحه قال له الشيخ: ارجع إلى ربك فراجعه فإن الأمر نسخ فرجع عزرائيل وشفي أحمد من تلك الضعفة وعاش بعدها ثلاثين عاماً" (٣). وقال الشعراي في ترجمة الشيخ القاسم بن عبد الله البصري: "... وكان إذا خرج من خلوته لا يمر على شجرة يابسة إلا أورقت ولا بذي عاهة إلا عوفي" (٤).

(١) طبقات ابن ضيف الله: ١٤٤.

(٢) طبقات ابن ضيف الله: ١٩٩.

(٣) الطبقات الكبرى ١٢٨/٢.

(٤) الطبقات الكبرى ١٢٨/١.

أقول: سبحان الله! ما أعظم طب هؤلاء!! يكفي من أحدهم بعد خروجه من خلوته مجرد مروره لتورق الشجرة اليابسة وليعافى ذو العاهة. وذكر الخاني أن الشيخ عبيد الله أحرار مرض فقال له الشيخ قاسم إني قد فديتك بنفسي فقال الشيخ عبيد الله لا تفعل هذا فان المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب فقال الشيخ قاسم ما جئتك مستشيراً في هذا الأمر بك بل قررت في نفسي وصممتُ عليه وجئتك وقد قبل الله مني ذلك ففي اليوم التالي انتقل مرض الشيخ عبيد الله إلى الشيخ قاسم وبرئ الشيخ من المرض برءاً تاماً فلم يعد بحاجة إلى طبيب^(١).

أقول: إذا كان في مقدور الشيخ قاسم إخراج المرض من عبيد الله أحرار ونقله إلى نفسه فهلاً أخرجته منه ولم يدخله في نفسه حتى تتم الكرامة؟ ومما يؤسف له أشد الأسف أن عبيد الله أحرار وجد من يفديه بنفسه ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجد لا في مرضه ولا في موته من يفديه بنفسه، لا ندري أكان حب الشيخ قاسم لعبيد الله أعظم من حب الصحابة لنبههم فدخلوا عليه ولم ييخل الشيخ على الشيخ أم قدراته أعظم من قدراتهم أم له تفسير ثالث لا يعرفه إلا رجال الغيب؟ فليتأمل في ذلك المتأمل.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن جلب النفع ودفع الضرر ومنها شفاء الأمراض وإزالة العاهات لا تكون إلا من عند الله ولا تطلب من غيره أصلاً، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة وهذا ما يقرره القرآن ويقرره الحديث.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٥٧]. وقال تعالى على لسان الخليل: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وجاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَزْمَةَ اشْتَكَيْتُ فَقَالَ أَنَسُ: "أَلَا أَزُقِيكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" قَالَ: "بَلَى" قَالَ «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبِ الْبَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا»^(٢).

(١) الأنوار القدسية: ١٧٧.

(٢) رواه البخاري وغيره في الطب.

ففي هذا الحديث نسبة الشفاء إلى الله وحده وابتغال إلى رب الناس مذهب البأس وبراءة من كل حول وقوة.

هل بعد الوقوف على هذه النصوص الصريحة الواضحة التي نَسَبَ فيها الخليل الشفاء إلى الله والتي تبرأ منها الرسول ﷺ من أن يكون له قدرة على شفاء الأمراض، هل بعد هذا يجترئ أحد أن ينسب شفاء المرض لغير الله؟

لقد كان النبي ﷺ أعلم الناس بحقوق الله وقدرات البشر فكيف إن كان هذا بالإمكان لم يرشد أحدا إلى الاستشفاء بذكر اسمه هو ولم يُسْتَشَفَ من بعده بأسماء كبار الصحابة وأفاضلهم الذين هم أولياء الله حقاً، أعطى أولياء الصوفية أكثر مما أعطى أولياء الله النبي ﷺ وصحابته؟ أم جعل في أسماء مشايخ الصوفية بركة أعظم مما جعل في اسم النبي ﷺ وأسماء صفوة الصحابة؟ إن هذا لكذب صريح وإن هذا لبهتان عظيم.

(٨) الْأَحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ

الصُّوفِيَّةُ: تزعم أن مشايخهم وأولياءهم قادرون على إحياء الموتى وإماتة الأحياء فهذا أمر ظاهر بينهم لا يشكون فيه، وحتى لا يتهموناً أننا ننسب إليهم ما ليس فيهم نأتي بنصوصهم في كتبهم المعتبرة:

فمنه ما صرح به الدباغ من "أن الأولياء لهم القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى" ^(١).

ومنه ما قال الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند: كنا نتذاكر في المعارف (هو وزميل له) فما زلنا كذلك حتى أنجرَّ الكلام بنا إلى العبودية فقال لي: إلى أي حد تنتهي العبودية؟ فقلت له: تنتهي إلى درجة إذا قال صاحبها لأحد: "مُتْ" مات في الحال قال: ثم وقع لي أنني قلت ساعته له: "مُتْ" فمات حالا واستمر ميتاً، فانزعجت لذلك وتحيرت كثيراً... ثم رجعت عنده فنظرت إليه فوجدته قد تغير من فرط الحر فازددت قلقاً، فألقي إلى وقتئذ أن قل "يا مُحَمَّدُ احي" فقلت له ذلك ثلاث مرات فأخذت تسري به الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر إليه حتى عاد إلى حاله الأول ^(٢).

ومن ذلك ما حكى لي والد زوجتي نَذِيرُ بَكْ أن الشيخ كُنْتُ حَاجِي أراد بعض الناس اختباره يوماً وَعِلْمُهُ للغيب وقدرته على الأفعال الخارقة فادرجوا أحدهم وهو حي في الكفن ووضعوه على الأرض على صورة ميت، ثم دعوا كُنْتُ حَاجِي ليصلي عليه صلاة الجنائز يختبرون بذلك هل يعلم انه ليس بميت أصلاً، فجاء كُنْتُ حَاجِي فقام ليصلي عليه صلاة الجنائز فمكث طويلاً وهو قائم لا يصلي والناس ينتظرونه ما هو فاعل؟ أيعلم أنه ليس بميت أم لا يعلم؟ فلما طال قيامه سأله أحد الناس: يا كِشِي

(١) الإبريز: ١٩٣.

(٢) المواهب السرمودية: ١٣٣ - ١٣٤، الأنوار القدسية: ١٣٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٤٦.

حَاجِي ماذا تنتظر؟ ألا تصلي؟ فأجاب كِشِي حَاجِي: إني أنتظر تمام موته وكان لم يتم بعدُ موتهُ والآن تم موتهُ وتحوز الصلاة عليه الآن. فنظر القوم إليه وحركوه فإذا هو ميت فعلاً.

وذكر القُشَيْرِيُّ أن سهل بن عبد الله تكلم يوماً في الذكر فقال: "إن الذاكر لله على الحقيقة لو همَّ أن يحيي الموتى لفعل"^(١).

ويرى التجاني أن الولي بعد الفتح يقدر أن يفعل ما يريد في كل ما أراد؛ فيحيي الموتى إذا شاء ويناديها فتجيبه مسرعة ولو كانت رميمة^(٢).

وفي حديثٍ دَارَ بين الشعرائي وشيخه ذكر الخواص إحياء المسيح عليه السلام للموتى فقال له الشعرائي: "... ليس في إحيائه الموتى تخصيص فإن غيره من هذه الأمة وغيرها أحيا الموتى فأجاب الخواص بأن الكامل من أحيا الموتى بالقول والجلس أما أمثال أبي يَزِيدَ البُسْطَامِيِّ الذي كان لا يحيي الموتى إلا بالجلس فليس له من الإرث المسيحي إلا قدرُ النصف"^(٣).

ويحكى الشعرائي في ترجمة محمد الشُّومِيِّ أن شيخه السيد مَدِينَ مَرَضَ مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت فوهبه الشُّومِيُّ من عمره عشر سنين ثم مات الشيخ في غيبة الشُّومِيِّ فجاء وهو على المغتسل فقال: كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضرَكَ ما خَلَيْتُكَ تَمُوتَ^(٤).

وأما ابن ضيف الله فقد عقد في ترجمة حسن ود حسونة فصلاً في إحيائه الموتى وإبرائه ذوي العاهات والآفات فمما جاء فيه:

١ - جاءت أم رقية إلى الشيخ وقالت له يا سيدي بنتي ماتت وأبوها لا مال له كَفَّنَهَا لي، فمشى الشيخ إليها فلما رآها قال لها: بنتك طيبة ما ماتت ثم قال للبنت قومي فامتألت روحها وعادت إليها الحياة من جديد وقامت^(٥).

(١) الرسالة القشيرية: ٧٠٠/٢.

(٢) جواهر المعاني ١٥٠/٢ . ١٥١ .

(٣) الجواهر والدرر: ١٣٠ . ١٣١ .

(٤) الطبقات الكبرى ٩١/٢ .

(٥) طبقات ابن ضيف الله: ١٤٣ .

أقول: لولا هذه العبارة الأخيرة لقلنا باحتمال أن الفتاة لم تكن فارقت الحياة بالفعل بل كانت في غيبوبة من شدة مرضها لكن تلك العبارة تدفع هذا الاحتمال.

٢ - عَفِيشَةُ ولد أبكر غرق في البحر ومكث فيه ثلاثة أيام وقضى نحبه فقالوا للشيخ: صل على حواريك فلما رآه قال له: قم فقام وامتلأت روحه وتزوج بعد ذلك وولد له^(١).

وهكذا نقرأ في كتب الصوفية ونسمع من أفواههم قصصاً في إحياء الموتى تفوق الأساطير بكثير وليس هذا الإحياء يقتصر على الناس بل يسوقون قصصاً في إحيائهم للحيوان والطير والنبات واليك بعضاً منها:

ذكر القشيري أن أعرابيا كان يسوق جملاً فوقع الجمل ميتاً فدعا بدعاء خاص فقام الجمل من حينه^(٢).

وذكر القشيري أيضاً بإسناده عن أبي سبرة النخعي أن رجلاً أقبل من اليمن على حمار فلما كان في الطريق مات حماره فدعا له فقام الحمار ينفض أذنيه^(٣).

ويحكي النبهاني في ترجمة أحمد الجامي انه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء فأخذها الجامي ومسح بيده ظهرها فظهر أثر الحياة فيها ثم لما توجه جهة المدينة أقبلت تسعى خلفه^(٤).

وحكى الشعراني أن الشيخ عبد العزيز الدَّيريني استضاف الشيخ عليا المُلَيْجِي فذبح له فرخة فتشوشت أمراته عليها لعلها لصغرها فلما حضرت قال لها الشيخ علي: "هَشْ" فقامت الفرخة تجري وقال: يكفينا المرق لا تتشوشي^(٥).

أما إحياء النبات اليابس فيذكر التجاني أن الولي المفتوح عليه لا يورق الشجرة اليابسة فحسب ولكنه يثمرها في الحين إذا شاء^(٦).

(١) طبقات ابن ضيف الله: ١٤٣ .

(٢) الرسالة القشيرية: ٧٠٩/٢ .

(٣) الرسالة : ٧١١.٧١٠/٢ .

(٤) جامع النبهاني: ١٥٤/٢ .

(٥) الطبقات الكبرى: ١٧٢/١ .

(٦) جواهر المعاني: ١٥٠/٢ .

ويقص أبو العباس المُرسِّي أنه صحب أقواما ما يمر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها إلا وتثمر رماناً للوقت ويقول: من صحب هؤلاء الرجال ما يصنع بالكيماء^(١).

أرجو أن لا يمل القارئ من كثرة أخبارهم في هذا الكتاب ومهما أكثر من أخبارهم في هذا النوع فإنها قليل من كثير وقلما يوجد كتاب للصوفية إلا وهو زاخر ببيان قدرات الأولياء على إحياء الموتى وإماتة الأحياء من الناس ومن غير الناس. لكن آدم الخليفة الأوتريّ الشيشانيّ وليّ عصرنا وشيخ زماننا أخفق في دعواه انه يقدر على إحياء الموتى وذلك انه قال لمن حوله انه يقدر على إحياء أي واحد يقتل نفسه فقتل أحد أتباعه نفسه بضرب سكين في بطنه فمات، فقال أهل الميت لآدم لقد وعدتنا إحياءه فأحياه فدخل آدم الغرفة التي فيها الميت ومكث فيها قليلاً ثم خرج ولم يحياه وقال: إني وجدته يرتع في جنات النعيم فعرضت عليه أن يخرج إلى الدنيا فأبى. أقول: لعل السبب في إخفاق آدم انه عميل للمخابرات الروسية وانه لم تكتمل ولايته بعد.

هذه هي عقيدة الصوفية في مشايخهم وقدراتهم على الإحياء والإماتة.

أما الجماعة: فتعتقد أن إحياء الموتى وإماتة الإحياء صفتان من صفات الله سبحانه وتعالى الخاصة التي لا دخل للبشر فيها وأنَّ صرفها إلى أحد غير الله إشراك في ربوبية الله. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

وورد في القرآن الكريم ذكر حاجة إبراهيم للملك في عهده فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَنُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ومعلوم أن إبراهيم أراد بقوله ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أن يذكر لمن يُحاجُّه أخص صفات ربوبية الله تعالى ليثبت له أنه

(١) الرواح: ٢٢/١.

ليس بآله وأن الإله لا بد أن يكون قادراً على الإحياء والإماتة متى شاء، لكن الملك عانده وقال: أنا أحيي وأميت فأني فرق بين هذا الملك وبين مشايخ الصوفية الذين يثبتون لأنفسهم ما أثبت الملك لنفسه؟!

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أَحْبَبُ السَّودَاءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»^(١). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِلَّا السَّامَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: الْمَوْتُ»^(٢).

فهذه النصوص من القرآن صريحة في أن الإحياء والإماتة من أفعال الله وأن الموت لا علاج له إذا جاء أما هؤلاء المتصوفة فقد عاندوا هذه النصوص أو تناسوها وقالوا إن مشايخهم يحيون الموتى كما يحيي الله وأن للموت دواء رغم ما جاء في الحديث وأنه بأيديهم.

ولا يُعْتَرَضُ هنا بأن المسيح عليه السلام أحيى الموتى وأبرأ الأكْمه والأبرص فيجوز للأولياء أيضاً أن يفعلوا ذلك توارثاً كما ذهب إليه الخواص حيث قال: "ما أحيى الموتى من أحيائهم إلا بقدر ما ورثه من عيسى عليه السلام"^(٣).

وذلك إن المسيح عليه السلام ما كان لِيُسْنِدَ إلى نفسه إحياء الموتى إلا مقيداً بالإذن من الله كما حكاه ﴿وَأُبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] والصوفية يجعلونه قدرة ثابتة، وقوة لازمة في أوليائهم يستخدمونها متى شاءوا ولا تفارقهم، ثم هناك فرق عظيم بين من أحياه المسيح ومن أحياه أولياء الصوفية، وذلك أن من أحياه المسيح كان يكلمه ثم يموت سريعاً؛ أي: يبقى حياً على قدر ما تقوم به الحجة كما قال الألوسي في تفسيره روح المعاني، أما من أحياه مشايخ الصوفية فإنه يعيش بعد ذلك عمراً طويلاً ويتزوج ويولد له، وهذا يعني أن مشايخ الصوفية لم يقتصروا على الإرث من عيسى عليه السلام بل يُفْهَمُونَ أنهم ورثوا من الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الجواهر والدرر: ١٣٠، ١٣١.

وفوق ذلك فالمسيح عليه السلام نبي ورسول وإحياءه الموتى ثابت بالقرآن معجزةً له وهؤلاء المشايخ إن فرضنا أن الإحياء والإماتة حصلاً منهم فإنما هو سحر أو شعوذة أو استدراج من الله لهم لفتنة الناس بهم كما جاء في الحديث: أن الله يعطي الدجال قدرة على إحياء الموتى ليبتلّي الناس به.

وقد يقول قائل: إنكم لا تحسبون حساب الكرامات لأولياء الله وأن الإحياء أو الإماتة يمكن أن يحصل للولي كرامة له؟ قلنا: بلى إننا نقر الكرامات وأن الله تعالى يعطيها لأوليائه ولكن للكرامات معنى غير ما تعنيه الصوفية فلا تكون الكرامة لفتنة الناس وتضليلهم وتعبيدهم للبشر إنما تكون الكرامة لنصرة المسلم وتأيد الحق وإعلاء كلمة الله في الأرض عصمنا الله من بلاء الصوفية وفتنة الدجالين.

(٩) هِدَايَةُ الشَّخْصِ وَإِضْلَالُهُ

الصوفية: تزعم أن مشايخهم وأولياءهم قادرون على هداية شخص أو إضلاله وسلبه الإيمان متى شاءوا، وإليك بعض قصص تدل على ذلك من كتبهم المعتمدة:

يقول الشعراني في ترجمة الشيخ يوسف العجمي: "وكان إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأخهما قطعة جمره تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهباً خالصاً... ووقع له أن خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب وصار الناس يُهرعون إليه في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب ليكون ويظهرون الحزن عليه فلما مات أظهرت الكلاب البكاء والعيول وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا"^(١).

قال الشعراني معلقاً على هذا الحدث: "فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان؟!"

وذكر الشعراني في ترجمة الشيخ محمد الشَّناوي: "أنه كان أكثر تربيته بالنظر ينظر إلى قاطع الطريق وهو مار عليه فيتبعه في الحال ولا يستطيع رد نفسه عن الشيخ ورأيت منهم جماعة صاروا من أعيان جماعته"^(٢).

وذكر ابن ضيف الله أن موسى ولد يعقوب كان يهدي الخلق ويوصلهم إلى درجات الأولياء بمجرد النظر وكان إذا نظر إلى الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة^(٣).

هذه القصص في الهداية واليك بعض قصص في الإضلال وسلب الإيمان:

(١) الطبقات الكبرى: ٥٩/٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ١١٦/٢.

(٣) طبقات ابن ضيف الله: ٣٢٥.

سأل أحمد المبارك شيخه الدباغ: "إذا حضر الغوث فهل يقدر أحد على مخالفته؟ فقال: لا يقدر أحد أن يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلاً عن النطق بما فإنه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الإيمان"^(١).

وذكر الشعراني أن أبا إسماعيل يوسف الأنباري استهزأ برجل اسمه أبو طرطور فشكاه الأخير إلى السيد عبد العال خليفة البدوي وكلهم من أصحابه فقال له عبد العال: "لا تتشوش يا أبا طرطور نزعنا ما كان معه وأطفأنا اسمه وجعلنا الاسم لولده إسماعيل فمن ذلك اليوم انطفأ اسم السيد يوسف إلى يومنا هذا"^(٢).

وحكي الدباغ بعد أن ذكر أن أهل التصرف لهم القدرة على إهلاك الكفار وأنه يحرم عليهم أن يقاتلوهم إلا بما جرت به العادة من ضرب بالسيف وطعن بالرمح ونحو ذلك، حكى "أن سفينة للمسلمين وكان فيها وليان من أولياء الله التقت مع سفينة للكفار فلما حمي القتال بينهم قام أحد الوليين وكان صغيراً فتصرف في السفينة فانطلقت النار في سفينة الكفرة فلما فعل ذلك الولي ما فعل سلبه الولي الآخر الذي كان معه، وكان أكبر منه، عقوبة على ما فعل"^(٣).

ويحكي الشعراني أيضاً أن ابن اللبّان وقع في حق البدوي فسلب القرآن والعلم فلم يزل يستغيث بالأولياء (سبحان الله!) فلم يقدر أحد أن يدخل في أمره فدلوه على السيد ياقوت العرشي فمضى (أي ياقوت) إلى السيد أحمد وكلّمه في قبره وأجابه وقال له أي للبدوي: أنت أبو الفتيان رُدَّ على هذا المسكين رأسه فقال أي البدوي: بشرط التوبة فتاب ورد عليه رأس ماله"^(٤).

ويقول الشعراني: "وأخبرني شيخنا الشيخ محمد الشنّاوي... أن شخصاً أنكر حضور مولده يعني أحمد البدوي فسلب الإيمان فلم تكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بالسيد أحمد فقال بشرط أن لا تعود فقال: نعم فرد عليه ثوب إيمانه ثم قال

(١) الإبريز: ١٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ١/١٥٧..

(٣) الإبريز: ١٩٣.

(٤) الكبرى: ١/١٥٩.

له: وماذا تنكر عليه؟ (أي على المولد) فقال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له السيد البدوي: ذلك واقع في الطواف ولم يمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسماك في البحر وأحميهم من بعضهم بعضاً أفيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي^(١).

هذا غيض من فيض وقطرة من بحر من حكاياتهم من هذا القبيل، يبدو فيها جلياً أن مشايخ الصوفية يُعْطَوْنَ من الصفات والقدرات ما لم يُعْطِ النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما لا ينبغي إلا لله عز وجل، ومن أراد مزيداً من هذه الحكايات فعليه بكتب الشعراي وغيره من كُتُبِ الصوفية، فقد كَفَّوْنَا مؤونة جمع هذه القصص. وترك التعليق عليها إلى القارئ نفسه؛ إذ هو شرح طويل.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن الهداية والإضلال ليسا لأحد إلا الله وأنها من أفعال الله وصفاته الخاصة به. وهذه عقيدة ثابتة صريحة عند أهل السنة والجماعة لا يختلف فيها اثنان منهم. وذلك لأدلة صريحة من الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. لقد كان النبي ﷺ حريصاً على هداية قريش وإيمانهم ومع ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ويورد القرآن قصة نوح مع ابنه قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَاءَ أَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

لو يتأمل متأمل في قصة نوح مع ابنه لعرف يقيناً أن أمر الهداية والإضلال ليس إلى أحد من البشر ولو كان رسولاً من أولي العزم، فهل يشك أحد في أن نوحاً عليه السلام كان أحرص الناس على هداية ابنه ومع ذلك فلم يملك هدايته ولم يملك إلا أن دعاه ووعظه وذكره، ولم يغن عنه حرصه ودعوته شيئاً إذ أمر الهداية بيد الله.

(١) الطبقات الكبرى: ١/١٥٨.

كما يورد القرآن قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر وقومه يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظْلُ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾. [الشعراء: ٦٩ - ٨٢].

يستفاد من الآيات أن إبراهيم عليه السلام لم يملك هداية قومه ولا هداية أبيه مع حرصه على ذلك، إذ لم يكن أمر الهداية بيده.

ويورد القرآن أيضاً قصتي نوح ولوط اللذين لم يغنيا عن أزواجهما شيئاً إذ خانتاهما مع أنهما أقرب الناس إليهما، وذلك في سورة التحريم الآية: ١٠.

ومن أبرز الأدلة التي تبطل مزاعم الصوفية قصة نبينا ﷺ مع عمه أبي طالب فقد حرص النبي ﷺ على هداية عمه أبي طالب في حياته وعند وفاته فلم يتيسر له ذلك ولم يقدر عليه ثم استغفر له بعد موته فلم يغفر له حتى نهاه الله عن ذلك، ولما رأى الله ما به من التأسف على موت أبي طالب على الضلال أنزل الله آية تقرأ في القرآن تعلمه أن الهداية ليست بيد أحد وإنما هي ملك لله فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

إن هذه الآية لتقطع حجة كل مكابر وتُسكت لسان كل معاند يقول على الله ما لا يعلم. أبعد أن قال الله لنبيه هذا القول، أبعد أن عجز النبي ﷺ عن هداية عمه أبي طالب ومغفرة ذنوبه نصدق الصوفية في أن مشايخهم يهدون ويضلون ويغفرون، وأجمع المسلمون على أن هذه الآية نزلت في أبي طالب.

ويقول الله تعالى بما لا يترك مجالاً للشك في هذه القضية ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

من خلال تدبر النصوص السابقة يتضح لنا أن الهداية والإضلال ليسا بيد أحد حتى أفضل الرسل لم يملكهما فضلاً عن مشايخ الصوفية وإنما هما من صفات الله الخاصة به سبحانه وتعالى، فمن اعتقد أن أحداً من دون الله يملك هداية أحد أو إضلاله فقد أشرك بالله في ربوبيته نعوذ بالله من الشرك.

(١٠) التَّصَرُّفُ بِكَلِمَةِ التَّكْوِينِ "كُنْ فَيَكُونُ"

الصُّوفِيَّةُ: تزعم أن شيوخها تقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ فيتحدث أحدهم عن الولي الذي استخلفه فيقول "إنه خليفة يُمَلِّكُهُ اللهُ كلمة التكوين متى قال للشيء كن كان من حينه" (١).

ويقول أبو السعود: "إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة وتركناه نظرفاً". ويعلق ابن عربي على هذا بقوله: "وأما نحن فما تركناه نظرفاً وإنما تركناه لكمال المعرفة" (٢) وقال صوفي آخر: "تركت قولي للشيء كن فيكون تأدباً مع الله". وقال الشيخ إبراهيم نياس وهو يعدد خصوصياته:

قد خصني بالعلم والتصريف * إن قلت كن يكن بلا تسويف
لكنني اتخذته وكَيْلاً * تأدباً واختارني خليلاً (٣)

وقال الشعراني في ترجمة بركات الحَيَّاطِ: "وكانوا إذا قَدَّموا له لحم الضأن واشتهى لحمَ حَمَامٍ ينقلب في الحال لحمَ حمام" (٤).

وسئل التجاني عن القول المنسوب لعبد القادر الجيلاني: "وأمرني بأمر الله إن قلت كن يكون" ونحوه من أقوال القوم؟ فقال: "ذلك أن الله مَلَكَهُمُ الخِلافةَ العظمى واستخلفهم على مملكته تفويضاً عاماً أن يفعلوا في المملكة كلَّ ما يريدون وَيُمَلِّكُهُمُ اللهُ كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه. فلا يَسْتَعصي عليهم شيء في الوجود" (٥).

(١) جواهر المعاني: ٨/٢.

(٢) الفصوص: ١٢٩/١.

(٣) الرحلة الكناكية: ٦.

(٤) الطبقات الكبرى: ١٥٢/٢.

(٥) جواهر المعاني: ٧٧٠/٢.

ووصف ابن ضيف الله الشيخ عووضة فقال: "وقد أعطاه الله الدرجة الكونية وهي لغة كن فيكون"^(١).

المقصود أن اعتقاد الصوفية بأن الأولياء يتصرفون في الكون تصرفاً شاملاً كاملاً أمر ذائع وشائع تمتلئ به أسفارهم وهو عندهم كالمعلوم من الدين بالضرورة، وهذا هو معنى مصطلح "أهل التَّصَرُّفِ" عندهم.

الْجَمَاعَةُ: تقول: أن صفة التكوين المفهوم من "كُنْ فَيَكُونُ" صفة خاصة بالله تعالى لم يعطها أحدا من خلقه.

قال تعالى في كتابه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢].

هكذا يصف الله نفسه في القرآن في عدة مواضع بأنه صاحب كلمة "كُنْ فَيَكُونُ" وأن بيده ملكوت كل شيء فهل يجوز عقلاً أن يكون هناك آخر له صفة "كُنْ فَيَكُونُ"؟

وإذا قرأنا القرآن من أوله إلى آخره وأعدنا قراءته مرات ومرات لم نجد فيه حرفاً يدل على أن الله مَلَكٌ أحدا كلمة التكوين "كُنْ فَيَكُونُ" وأعطاه التصرف الشامل الكامل في خلقه، بل يفصل الله في هذه القضية وهو يخاطب أكرم خلق الله عليه محمد المصطفى ﷺ فقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فقد نفى الله أن يكون شيء من الأمر لأفضل المرسلين ولغيره فهل يحرم الله أفضل رسله مشاركته في أمره ويعطيها من جاء بعده ممن لا يعرف أصله ولا يعرف مصيره؟ بأي دين هذا؟! وأي عقل هذا؟! وأي منطق هذا؟! أليس هذا تعريضاً بأن مشايخ الصوفية هم الآلهة إن لم يكن تصريحاً؟ كيف لا إذا كان التصرف في الكون هو صفة الإله؟

(١) جواهر المعاني: ٢٧٣/٢.

وكذلك إذا تتبعنا سيرة الرسول ﷺ وحياته ما نجد فيها موقفاً أو موطناً صرح فيه النبي ﷺ أو عرّض بأنه أُعطي التصرف في الكون وبوسعه أن يقول للشيء "كُنْ فَيَكُونُ". فلقد اشتد أذى المشركين في مكة على المسلمين وتناولوا حتى على رسول الله ﷺ فلو كان الرسول ﷺ يملك "كُنْ فَيَكُونُ" لكفاه أن يقول لهم: "موتوا فيموتون" لكنه ما فعل ذلك بل تضرع إلى الله ورفع يديه بالدعاء فقال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ... اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ...» وَعَدَّدَ أسماءً أخرى^(١).

وفي يوم بدر عندما قابل المسلمون جيش قريش وعظم خطبهم ورأوا تفوقهم عدداً وَعَدَّدَا لم يكن منه ﷺ إلا أن استقبل القبلة وابتهل إلى الله ومد يده بالدعاء وقال: «اللَّهُمَّ أَنْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ»^(٢) فوالله إن هذه الكلمات ليست كلمات من بيده "كُنْ فَيَكُونُ" وإنما هي كلمات من ليس له من الأمر شيء ومعتزٍ بعجزه بين يدي القادر على كل شيء.

ولقد سئل الصحابة وأقرب الناس إلى النبي عن صفات النبي ﷺ فذكروا تفاصيلها ولم يكتموا منها شيئاً ولكن أحدا منهم ما نسب إليه أنه كان من أهل التصرف، وأنه يتصرف بكلمة "كُنْ فَيَكُونُ".

أعود فأقول: أَحَرَّمَ اللهُ تعالى هذه الصفة العظيمة أكرمَ خلق الله عليه وأعطاه من مشايخ الصوفية وأوليائهم من لا يعرف له أصل ولا يعرف له مصير؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

هكذا الصوفية خدعوا جهلة المسلمين والعوام السذج فأعطوا مشايخهم صفات الألوهية والربوبية ودعوههم إلى الاعتقاد بأنهم متى قالوا للشيء كن فإنه يكون في الحال. فانظروا أية صفة من صفات الله خصوها بالله ولم يشركوا فيها مشايخهم وأوليائهم هكذا توحيد الصوفية توحيد الله مع خلقه.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وخلاصة القول: إن اعتقاد أن هناك من يتصرف في الكون بكلمة "كُنْ فَيَكُونُ" غير الله اعتقاد شركي كفري من قاله أو اعتقده فقد خرج عن ملة الإسلام وأصبح من الكافرين حتى لو صلى وصام وزكى وحج وقال إني من المسلمين. نعوذ بالله من الضلال بعد الهداية والكفر بعد الإيمان.

(١١) خِدْمَةُ الْمَشَايخ

الصُّوفِيَّةُ: تطالب مريديهم بخدمة المشايخ بالمال والبدن وتعتبرها من أفضل العمل الصالح وأفضل من النوافل.

يقول عبيد الله أحرار كبير أوليائهم: "وطن بعض الناس أن الاشتغال بالنوافل أولى من الخدمة وليس كذلك فإن نتيجة الخدمة المحبة وميل القلوب لأنها جبلت على حب من أحسن إليها وفرق بين ثمرة النوافل وثمره الخدمة"^(١).

وكذلك يقول الشيخ محمد الكردي: "قال بعضهم: الخدمة عند القوم من أفضل العمل الصالح"^(٢).

وكل الطوائف الصوفية: تحث على خدمة المريد لشيخه وعدم الاعتراض على الشيخ وإن أخذ كل أموال مريده فلعله يمتحنه بذلك فيسقط في هذا الامتحان وهو لا يدري.

الجماعة: تقول: ليس أمر الخدمة كما تقول الصوفية على إطلاقه انه من أفضل العمل الصالح وأفضل من النوافل، بل الخدمة لأهل الخدمة أمر جميل ومستحب كخدمة مشايخ العلوم وخدمة الضيوف وخدمة الحجاج، وقد تكون الخدمة واجبة كخدمة الأولاد لوالديهم عند تقدم سنهم وحاجتهم إلى الخدمة، أما القول بأن خدمة المشايخ الصوفيين أفضل من النوافل على الإطلاق فهو قول باطل ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، ومقصودهم من ذلك تحويل الناس من الاشتغال بعبادة الله نفعاً وفرضاً إلى عبادة المشايخ وتأليهم بعد أن سموها خدمة وبأسماء أخرى.

(١) المواهب السرمدية: ١٦٣.

(٢) تنوير القلوب: ٥٣٠.

(١٢) طَرِيقَةُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ

الصُّوفِيَّةُ: تزعم أن التقرب إلى الله يكون عن طريق المشايخ وإرضائهم وخدمتهم ومصاحبتهم، وقد ورد في دعاء رابطتهم دعوة المشايخ قائلين: "يا مشايخنا ويا أساتذتنا عند نزول البلاء وحدوث المصائب لا أحد يغشنا ويكشفها عنا كمثلكم فأعينونا على التقرب إلى الله والوصول إليه..." ويستدلون على لزوم مصاحبة الشيخ الصوفي بأية ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ويزعمون أن المراد بالصادقين هم مشايخ الصوفية وأولياؤهم لكن المفسرين يقولون في تفسيره بأنهم الذين يصدقون في نياتهم وأفعالهم وهم الذين لا كذب فيهم ولا نفاق والذين استوت ظواهرهم وبواطنهم وهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومن على شاكلتهم، أما أن يكون المراد بالصادقين هم مشايخ الصوفية وأولياؤهم فقول لم يقل به أحد من المفسرين فكيف يكونون صادقين وهم أكذب خلق الله؟!!!

ويا ليت هؤلاء الصوفية اقتصروا في التقرب إلى الله على خدمة المشايخ الرجال بل تَعَدَّوْهُمْ إلى خدمة المشايخ الكلاب.

يروى صاحب المواهب السرمدية عن الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند أنه قال: "صحبت الدرويش خليل... ثم أمرني بخدمة الحيوانات... حتى كنت إذا لاقاني في الطريق كلب وقفت حتى يمر هو أولاً لئلا أتقدم عليه ولم أزل كذلك سبع سنين ثم بعد ذلك أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الإمداد وقال (أي شيخه) إنك ستصل إلى كلب منهم تنال بخدمته سعادة عظيمة فاغتنمت نعمة هذه الخدمة ولم آل جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبة بشارته حتى وصلت مرة إلى كلب فحصل لي من لقائه أعظم حال فوقفت بين يديه واستولى عليّ بكاء شديد فاستلقى (أي الكلب) في الحال على ظهره ورفع قوائم الأربعة نحو السماء

فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوهاً وحينئذ فرفعت يدي تواضعاً وانكساراً وجعلت أقول:
آمين حتى سكت وانقلب" (١).

الْجَمَاعَةُ: تقول إن التقرب إلى الله لا يكون بما تراه نفوسنا وتستحسنه أهواؤنا وإنما يكون بما أمرنا الله بالتقرب به فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. أي اطلبوا ما يقربكم إلى الله، وفسر عامة المفسرين الوسيلة بأنه الإيمان وفعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات ولم يفسر أحد من المفسرين بأن المراد منه الشيخ أو خدمته أو مصاحبته أو إرضاءه.

وجاء في الحديث القدسي التصريح بما يتقرب به إلى الله تعالى وهو أداء ما افترضه الله علينا من الأعمال ثم عمل النوافل لزيادة القرب، قال رسول الله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» (٢).

أما قصة الكلب وخدمتها ورفعها للقوائم إلى السماء يدعو فأتركها إلى القارئ يتدبرها دون تعليق إلا أن أقول: لعل هذا الكلب كان شيخاً صوفياً مُسَخَّحاً!!! لكنني أُنَبِّئُ النقشبندية اليوم في ديار الشَّيشَانِ وَدَاغِستَانَ وما جاورهما إلى أن شيخهم الأول ومؤسس طريقتهم النقشبندية محمد بهاء الدين شاه نقشبند تربى حسب ما يستفاد من القصة على يد الكلب ووصل إلى ما وصل عن طريق خدمة الكلب، فلا تنسوا أن خدمة الكلاب للتقرب إلى الله والوصول إلى حضرة الأنس هي أساس طريقتكم وأحد أركان دينكم.

أما بالنسبة للدعاء الذي يدعون به في رابطتهم فإنما هو دعاء شرك وكفر واستغاثة بغير الله من دعا به معتقداً أن المشايخ تكشف ما به من البلاء أو تقربه إلى الله أو

(١) المواهب السرمدية: ١١٩، ١١٨.

(٢) رواه البخاري.

تتوسط في ذلك فقد أشرك شركاً أكبر يخرج من ملة الإسلام ويخلده في نار جهنم إن مات على ذلك والعياذ بالله، لأن القرآن صرح أن أحداً غير الله لا يكشف الضر عن نزل به فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]. فطلب كشفه من غير الله إشراك له بالله كما مر التنبيه عليه، عصمنا الله من الشرك كبيره وصغيره وخفيه وظاهره.

(١٣) قُدْسِيَّةُ سُلَالَةِ مَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يقدسون سلالة مشايخ الصوفية ويفضلونهم على غيرهم ويخصونهم بمزيد الإكرام والاحترام وينظرون إليهم بعين التبجيل والتوقير وإن لم يتميزوا على الآخرين بفضل أو علم أو شيء آخر، وهذا شائع منتشر بين الصوفية لا سيما القادرية في الشَّيشَانِ وفي دَاغِسْتَانِ، فالرجل عندهم من نسل الأستاذ الصوفي يشار إليه بالبنان وإذا أتى المجلس قاموا جميعاً إجلالاً له وإذا استعصى عليهم أمر الإصلاح بين جانبين متخاصمين ذهبوا به إليهم وتوسلوا به فسمعوا كلمته دون نزاع، حتى لو كان فاجراً فاسقاً يرتكب المحرمات ويأتي المنهيات قالوا له: لا بأس عليه، إنه من نسل الأستاذ كذا أو الولي كذا فهو حفيده أو حفيد حفيده إنه يشفع له ويخلصه من عذاب القبر ومن عذاب النار ويتكفل له بدخول الجنة، فليس كسائر الناس الذين لم يكن آبائهم مشايخ وأولياء.

الْجَمَاعَةُ: تقول هذا اعتقاد باطل لا أصل له في الشرع ولا دليل عليه من الكتاب والسنة الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب.

ولقد قرر القرآن أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما قرر النبي ﷺ أن لا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى والعمل والصلاح فقال ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(١).

وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ وَلَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ بِآبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ»^(٢).

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه البزار في مسنده.

وقال ﷺ: « لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ فَضْلٌ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَبْيَضٍ وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ مِنْ تَرَابٍ »^(١).

ثم إن الله يورد في القرآن قصة نوح عليه السلام وابنه كيف إن ابن نوح عصى والده وأبى أن يركب سفينته فاستحق ما استحق قوم نوح من العذاب والهلاك فما استطاع نوح النبي الرسول أحد أولي العزم من الرسل أن يخلصه من عذاب الله، فما بالك بشيخ لا يعرف له أصل ولا يعرف له مصير؟ هل يعطى من الفضل ما لم يعط نوح عليه السلام وهل يقدر على ما لم يقدر عليه نوح؟!

إن يوم القيامة يوم عظيم وفيه من الأهوال والشدائد ما لا يتصور، وكل امرئ فيه مشغول بنفسه كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] ولا أحد يلتفت إلى آخر ولو كان أقرب قريب. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]. وكل امرئ يفر من أقرب قريبه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦].

فهل يجترئ أحد بعد هذه الآيات أن يقول إن سلالة الشيخ لها من الفضل ما ليس لغيرها وإن الشيخ الصوفي يغني عن ولده أو حفيده أو يخلصه من العذاب يوم القيامة؟ لا ينكر أحد أن الشفاعة الأخروية موجودة وأنها كائنة من بعض الناس لبعض وأعظمها شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف في فصل القضاء، وقد ورد في القرآن والسنة ذكر تفاصيل الشفاعة الأخروية ومن يشفع ولمن يشفع وأن الشفاعة الأخروية هي ملك لله وحده يعطيها من يشاء ولكن لم يرد في أي موضع أن الشيخ الصوفي يشفع لأولاده أو أحد من سلالته أو مريديه حتى لو كان فاجراً فاسقاً يشرب الخمر ويعمل الزنا، فقول مثل هذا كذب وافتراء وقول علي الله بلا علم وهو حرام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

(١) رواه أصحاب السنن.

(١٤) حُضُورُ الْمَشَايخِ عِنْدَ النَّزْعِ وَعِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن مشايخهم وأولياءهم يحضرون عند موت أحد مريديهم فيخففون عنه النزاع ويحفظون عليه إيمانه كما يحضرون في القبر بعد الدفن عند سؤال الملكين ليحيييهما عنه.

بناءً على هذا الاعتقاد يرى الصوفية القادرية في الشَّيْشَانِ وَدَاغِسْتَانَ عندما يدفنون موتاهم أن يدفنوهم في مؤخر القبر على خلاف ما وردت به السنة، فإذا سئلوا عن ذلك وقيل لهم: هذا خلاف السنة أجابوا: إنما نفعل ذلك اتباعاً لوصية شيخنا وأستاذنا كُنْتَا حَاجِي فإنه وصانا بذلك لنترك مقدم القبر خالياً ليأتي الأستاذ فيجلس فيه فيجيب على سؤال الملكين بدلاً عن مريده.

الْجَمَاعَةُ: تقول: في مثل هذا الاعتقاد من الضرر على عقيدة الرجل ودينه الشيء الكثير:

- (١) ففيه اعتقاد باطل لا دليل عليه من الشرع في الرجل وفي نفعه في الحياة الأخرى وهو خطر كبير على إيمان الرجل.
- (٢) وفيه تعليق رجاء على مخلوق مثله لا يدري مصيره أهو في الجنة أم في النار ومثل هذا الرجاء شرك.
- (٣) وفيه فتح باب للغلو في الرجال بما حرم الشرع.
- (٤) وفيه تثبيت مفهوم الولي الخاطيء عند الصوفية في أذهان الناس.
- (٥) وفيه تفضيل مشايخ الصوفية على الأنبياء والرسل وكبار الصحابة وإعطاؤهم من الصفات والقدرات ما لم يعط أولئك.
- (٦) وأقل ما يقال فيه أن هذه أمور غيبية وأخبار برزخية لا يمكن معرفتها والاطلاع عليها إلا عن طريق الوحي وبإخبار الرسول ﷺ ونحن نطالبهم على كل قول

يقولونه بدليل من الكتاب والسنة، فيما أن يأتوا بالدليل وإما أن يعترفوا بأن أقوالهم كذب وافتراء ومزاعم صوفية، ولا يكفيننا دليلاً كشوفهم التي كثيراً ما تكون من الشيطان ولا مناماتهم ولا إلهاماتهم وهواتفهم ولا أخبار الجن التي تأتيهم، إذ ما ترك النبي ﷺ بعد وفاته هذه المذكورات لنا دليلاً نطمئن إليه ونستند إليه إنما ترك لنا الكتاب والسنة كما قال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أُمُورِينَ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ» (١) فإن حاد أحد عن هذين وأخذ يتمسك بدليل آخر فهناك الضلال المُحَقَّقُ.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب. آمين.

(١) رواه مالك بلاغا في الجامع، وصححه الألباني.

(١٥) هَلِ النَّاسُ أَغْنَاءُ وَالشَّيْخُ رَاعٍ؟

الصُّوفِيَّةُ: تؤكد أن الناس أغنام أو كالأغنام والشيخ الذي يعلمهم ويرشدهم راع فمن لم يتخذ الشيخ الذي يراعه كان عرضة للشيطان كالغنم المهمل الذي هو عرضة للذئاب، وإذا أطلق الصوفية كلمة: "الشيخ" فإنما يقصدون الشيخ الصوفي لا شيخ العلم.

الْجَمَاعَةُ: تؤكد أن هذا التعبير إن صح فهو صحيح بشأن الصوفية الذين هم كالأغنام بل أضل من الأغنام، الصوفية الذين لا عقول لهم ولا ألباب ولا تفكير، وشيخهم حقاً هو راعيهم ولكن يراهم لا ليخلصهم من الذئب والشيطان بل ليدعوهم إلى عذاب السعير.

إن الناس في نظر الجماعة ليسوا أغناماً إنما هم ناس وبنو آدم وحقاً إنهم بحاجة إلى أن يُرْعَوْا ويُحَاطَوْا ويرشدوا ولكن هذه الرعاية والإحاطة والإرشاد لا بد أن تكون على وفق الكتاب والسنة وعلى وفق هدي النبي ﷺ وعلى يد رجل صالح تقي عالم بالكتاب والسنة لا على يد شيخ صوفي ضال مضل يدعو الناس إلى الشرك وإلى عبادة نفسه.

قال تعالى حكايةً عن مؤمن آل فرعون الذي يكلم قومه ويدعوهم إلى الله: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤١-٤٣].

نعم إننا بحاجة إلى مثل هذا الراعي والداعي الذي يدعو إلى النجاة وأسباب النجاة وإخلاص العبادة لله لا إلى الشيخ الصوفي الذي يدعو إلى الإشرak بالله والذي يقول: الله قد أعطاني نصف قدرته وملكه وأني تركت قولي للشيء كن فيكون تأدباً مع الله والذي يقول: من لم يتعلم التوحيد من إبليس فليس بموحّد.

(١٦) مُرَاقِبَةُ الشَّيْخِ وَاسْتِحْضَارُ صُورَتِهِ

الصُّوفِيَّةُ: يراقبون مشايخهم ويستحضرون صورهم أثناء الذكر والعبادة، ويشترطون على الذاكر أن يستحضر صورة شيخه في الرابطة وفي أثناء الذكر، بل لا تكون الرابطة عندهم إلا باستحضار شخص الشيخ وصورته.

يقول الرفاعيون: "لا بد للمريد أن يستحضر شخص شيخه في قلبه أثناء الذكر ويجعله بين عينيه قبل الذكر فإن شيخه هو باب الدخول على الله ومنه يستمد الهمة ويكون الشيخ عنده كالقابلة فبذلك يُمدُّ له نور من قبر الشيخ الرفاعي" (١).

ويقول محمد سعد التجاني في الشرط (٢٣) "من شروط الطريقة التجانية أن يستحضر صورة الشيخ في حال قراءة الورد ويستمد منه" (٢).

وصرح بذلك الدباغ في قوله: "الشيخ للمريد في درجة لا اله إلا الله محمد رسول الله بإيمانه متعلق به وكذا سائر أموره الدينية والدنيوية وقال لتلميذه ابن مبارك: أكبر الكبائر في حقل أن تمر عليك ساعة ولا أكون في خاطرك".

أقول تعليقاً على قول الدباغ: لو قال: "الشيخ للمريد إله وأكبر الكبائر في حقل أن لا تتخذني إلهاً" لكان أخصر وأوضح، ولا أدري لماذا يُعقِّدون الألفاظ؟.

لقد جمعت صوفية دَاغِسْتَانَ صور مشايخ السلسلة الصوفية في ورقة فقدموا على الجميع صورة مرشدتهم الأكبر مُحَمَّدُ أَفَنْدِي المدفون في أَسْتَرْحَانَ مكبرة وصور سائر المشايخ تحتها مصغرة، وبين هذه الصور المصغرة صورة الرسول ﷺ وصورة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على زعمهم.

(١) انظر قلادة الجواهر: ١٧٧.

(٢) الدرر السنية: ٨.

وهذه الصور تعلقها الصوفية على جدران بيوتهم مكبرة ومصغرة ومزينة ومحاطة بإطار جميل ويجعلونها أمامهم في مصلاهم وفي جهة القبلة ويتجهون إليها عند الصلاة تماماً كما تفعل النصارى بإيقوناتهم في كنائسهم وفي بيوتهم.

إن استحضار صورة الشيخ عند ممارسة الأوراد الصوفية أمر معروف ومنتشر بين الصوفية النقشبندية والشاذلية في ديارنا، لا سيما في رابطتهم الشريفة، فالنقشبندية يربطون على صورة الشيخ مُحَمَّدُ أَفَنْدِي المدفون في أُسْتَرْخَانَ لأهم يروونه آخر مرشد كامل والشاذلية يربطون على صورة سَيِّفِ اللَّهِ قَادِي لأهم يروونه آخر مرشد كامل في الطريقة الشاذلية وَسَعِيدُ أَفَنْدِي التَّشْرُكِيُّ يعطي من يأتيه لِتَلَقُّنِ أوراده هذه الصور يستقبلونها عند أداء أورادهم لا سيما الرابطة، كما يوزعون هذه الصور على التلامذة في المدارس التابعة للصوفية في بُوَيُنَاكُسْكِ وغيرها من المدن ومن اعترض عليهم من الطلاب أو تردد يُقْصُونَهُ من الدراسة بتهمة الوهابية، حكى لي هذا من خرج من مدرستهم لهذا السبب.

لقد استغل بعض الناس هذه الصور وجعلوها وسيلة لكسب أرزاقهم فبدأوا يتجرون بها ويبيعونها ويروجونها، إنهم عرضوها في الأسواق على البيع سوية مع صور المطربين والمطربات الكاسيات العاريات وأبطال الأفلام السينمائية وأصحاب العضلات المفتولة، فإذا أتيت السوق رأيت صور هؤلاء جميعاً معروضة علي البيع في صف واحد!!! فانظر إلى بالغ حكمة الله، كيف جعل صور المشايخ الصوفية في صف واحد مع نجوم الأفلام السينمائية العهرة الفجرة.

الْجَمَاعَةُ: لا يراقبون في عبادتهم وفي غير عبادتهم غير الله تعالى لأن مراقبة الله عبادة بل هي المرتبة الثالثة في الإسلام بعد الإسلام والإيمان التي تسمى "إِحْسَانًا"، ومراقبة غير الله في العبادة إعطاء لمرتبة الإحسان لغير الله وإعطاء الإحسان لغير الله شرك أكبر يخرج الإنسان من ملة الإسلام ويجعله في عداد المشركين، قال رسول الله ﷺ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١). وتعليق صور المشايخ في المصلى

(١) رواه مسلم في حديث طويل.

في جهة القبلة هو عين فعل النصارى الذين يعلقون الأيقونات في مصلاهم ويعبدون متجهين إليها.

إن الذي يفعل هذا عند ذكر الله يكون ذاكرة الله في الظاهر وذاكرة لشيخه في الباطن وكيف يصح هذا والله يأمرنا بإخلاص العبادة له في قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] وكيف يتسنى للمريد إخلاص العبادة لله تعالى وشيخه في قلبه وخاطره وبين عينيه وفي درجة لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

إن هذا والله شرك، ولو كان أحد من خلق الله يستحق أن تستحضر صورته في العبادة وعند ذكر الله لكان رسول الله ﷺ أحقَّ بذلك من كل أحد، فما كان الصحابة رضي الله عنهم يضعون النبي ﷺ بين أعينهم ويربطون به أنفسهم وقلوبهم إذا ذكروا به بل كان هذا عندهم شركاً، ولو كان ذلك جائزاً ومشروعاً لترك النبي ﷺ صورته لأمتة من بعده كما تترك مشايخ الصوفية صورهم لأتباعهم أصناماً تعبد وأيقونات تعلق على الجدران وبضاعة يتجر بها في الأسواق.

أما بالنسبة للصور التي تنسب للنبي ﷺ أو لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن أهل السنة والجماعة لا تصدقها ولا تتخذها لأنه لم تثبت لهما صورة عند المسلمين، إنما جاءت هذه الصور من تخيلات المصورين الفنانين الذين حاولوا إخراج صورهما على وفق أوصافهما الواردة في الكتب وربما جاءت هذه الصور من الشيعة الذين هم صنو الصوفية أو أسوأ منهم بكثير.

ثم إذا نظرنا في الورقة التي جمعت فيها صور المشايخ النقشبندية رأينا تناقضاً وذلك أنهم جعلوا صورة مُحَمَّدُ أَفَنْدِي فوق جميع الصور مكبرة وسائر الصور تحته مصغرة، وبينها في الصف الأول على يسار مُحَمَّدُ أَفَنْدِي صورة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصورة على بن أبي طالب رضي الله عنه والتناقض هنا في أنهم جعلوا صورة مُحَمَّدُ أَفَنْدِي فوق صورتي النبي ﷺ وَعَلِيٍّ وَأكبر منهما، فكيف طابت أنفسهم بتقديم شيخهم عليهما؟ فإن قالوا لا نقدمه عليهما، قلنا لهم: فكيف إذا جعلتم صورته فوق صورتهما وأكبر منهما؟ وكذلك إذا عملوا رابطة عملوها على صورة مُحَمَّدُ أَفَنْدِي لا على صورة النبي ﷺ ولا على صورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه رغم أنهم يزعمون أن

النقشبندية جاءت عن النبي ﷺ حتى لو عملوها على صورتها ما كانت جائزة شرعاً
فكيف إذا عملوها على صورة من لا يعرف له أصل ولا يعرف له مصير!!!؟
هكذا نجد الصوفية بعقائدهم وأورادهم وأذكارهم وتشريعاتهم يتدرجون شيئاً فشيئاً
إلى تأليه مشايخهم واتخاذهم أرباباً من دون الله.

(١٧) رُؤْيَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا

الصُّوفِيَّةُ: تزعم ان مشايخهم يرون الله في الدنيا جهرة بدون حجاب، وهي عقيدة الصوفية المقررة في كتبهم والمصرحة على ألسنة أساطينهم لأن ثمرة الذكر عندهم هي مشاهدة الحق.

يقول الشيخ محمد أمين الكردي: "فإذا جاهد فيه (أي في الذكر) حق جهاده وصدق فيه ظهرت النتيجة وهي رؤية جناب الحق سبحانه وتعالى بعين البصيرة على الدوام والمُداوم عليها مع المجاهدة التامة يكون دائماً في التقرب وأبداً في التحبب حتى تنتهي مراقبته إلى المشاهدة من غير حجاب لأن المجاهدة بذرة المشاهدة فمن لم يزرع بذر المجاهدة في أرض الاستعداد لم يحصد المشاهدة في التجليات" (١).

ويقول صاحب المواهب السرمدية: "وحصل اختلاف بين علماء بُخَارِي في إمكان رؤية الله أم لا فتحاكموا عند الشيخ شاه نقشبند فقال للذين ينفون الرؤية: أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام متطهرين فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فَصُعِقُوا فلما أفاقوا جعلوا يَقْبَلُونَ قدمه الشريف وقالوا آمنا أن الرؤية حق ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبه" (٢).

وذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: (باب حكاية المحبين ومكاشفاتهم) هذه القصة: "قال أبو تراب يوماً لصديقه: لو رأيت أبا يزيد؟ فقال له صديقه: إني عنه مشغول قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد، قال أبو تراب: ويلك تغتر بالله عز وجل، لو رأيت أبا يزيد (البِسْطَامِيَّ) مرة واحدة كان أنفع لك من

(١) المواهب السرمدية: ٣١٧ .

(٢) المواهب السرمدية: ١٤٥-١٤٦ .

أن ترى الله سبعين مرة" ثم قال الغزالي فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن^(١).

أقول: بل ينبغي أن ينكرها المؤمن ويردها في وجوه أصحابها.

الجماعة: تقول: إن ادعاء رؤية الله في الدنيا منكر من القول وفرية عظيمة على الله، كيف نصدق هذا الكذب إذا كان الله يكذبه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١]. وكيف نصدق الرسول ﷺ يكذبه بقوله: «تَعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ»^(٢).
وحين سأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٣).

وحينما سئلت عائشة رضي الله عنها: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فقالت: "سُبْحَانَ اللَّهِ! لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي لِمَا قُلْتَ"^(٤)

وعنها أنها قالت: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ"^(٥)
وَنَحْدُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَالَّذِي هُوَ أَحَدُ أَوْلَى الْعِزْمِ مِنَ الرِّسَالِ لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ بِرُؤْيَيْهِ بِقَوْلِهِ ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أَجَابَهُ رَبُّهُ بِالنَّقْيِ وَقَالَ: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أبتعد هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة يصدق أحد مزاعم الصوفية أن مشايخهم يرون الله جهرة، بل ليسوا يرونه هم فحسب ولكن يستطيعون أن يرووه من يشاؤون؟ هل يُعَقَّلُ أن يقول الله لموسى عليه السلام وهو من هو ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ويسمح لهؤلاء برؤيته؟ بل يتضح مما مرَّ كَلِّهِ: أن القول بجواز رؤية الله مخالف لقول الله وقول رسوله ﷺ وإجماع الصحابة وعقيدة الإسلام وهي أن أحدا لن يرى

(١) إحياء علوم الدين: ٣٠٥/٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٢٩٦٠.

(٣) رواه مسلم: ٢٩١.

(٤) رواه مسلم: ٢٨٩.

(٥) رواه مسلم: ٢٨٧.

الله في الدنيا ويراه المؤمنون في الآخرة يوم القيامة وفي الجنة. رزقنا الله رؤيته في الآخرة آمين.

فلننظر الآن في قصة اختلاف بين العلماء إننا نجدهم يصفون الشاه نقشبند بما يختص به رسول الله ﷺ من الأوصاف حيث قالوا "قدمه الشريف"، حتى إن كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم المُبَشِّرِينَ بالجنة والذين هم خيار هذه الأمة عندما تذكر أعضائهم كأيديهم وأرجلهم لم نر أحداً من العلماء وصفها بالشريفة كما وصف صاحب المواهب السرمدية قدم الشاه نقشبند، بل يفعل العلماء هذا عند ذكر أعضاء الرسول ﷺ فيقولون "يُدُّهُ الشَّرِيفَةُ وَقَدَمُهُ الشَّرِيفُ". أفاق شاه نقشبندُ الصحابة؟ أم ساوى الرسول ﷺ؟ بل فضله على الرسول ﷺ حيث فعلوا به ما لم تفعل الصحابة بالرسول ﷺ من تقبيل قدمه وتقبيل مبارك عتبه.

وإن تعجبوا من مخالفة الصوفية للكتاب والسنة عقيدة وعملاً فأعجبُ منه دعواهم أن طريقتهم موافقة للكتاب والسنة دون زيادة ولا نقصان فانظروا ماذا يقول كُتَّابُهُمْ:

(١) يقول الشيخ محمد أمين الكردي (صاحب كتاب تنوير القلوب): "إن طريق

السادة النقشبندية هو معتقد أهل السنة والجماعة وهي طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها لم يزدوا فيها ولم ينقصوا منها" (١).

(٢) ويقول يس بن إبراهيم السَّنْهُوِيُّ: "اعلم أن الطريقة العلية النقشبندية قدس الله أسرارَ سَرَائِهَا الندية هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله عنهم على أصلها لم يزدوا فيها ولم ينقصوا منها" (٢).

(٣) وينسب للجنيد البغدادي الملقَّبُ بسيد الطريقة قولاً: "عِلْمُنَا أي التصوف مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث فلم يتفقه فلا يُقْتَدَى به".

(١) المواهب السرمدية: ٣.

(٢) الأنوار القدسية: ٥.

(١٨) الْكَلَامُ مَعَ اللَّهِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن مشايخهم يكلمهم الله ويكلمونه يقظة وجهرة وبدون حجاب، فقد ورد في كتب النقشبندية "أن الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند سلم عليه أحد مريديه فلم يرد عليه السلام فاغبرَّ خاطره، فقال: اعتذروا له بأني كنت وقتئذ متوجهاً بكليتي لسماع كلام الحق تعالى لي فشغلني كلام الحق عن سلام الخلق" (١).

الْجُمَاعَةُ تُعَلِّقُ: من المعلوم في الدين أن الله اختص بعض الأنبياء ببعض الصفات فجعل آدم عليه السلام صَفِيَّ الله، وجعل نوحاً نَحِيَّ الله وجعل إبراهيم خَلِيلَ الله، وجعل موسى كَلِيمَ الله كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ولم تكن نعلم أن بين الناس كليماً لله غير موسى عليه السلام وكيف نعلم إذ لم يخبرنا الله به حتى يخبر الشاه نقشبند فيقول ما قال؟ فأين تَمَيِّزُ موسى عن سائر البشر إن كان الشاه نقشبند ينازعه ذلك؟

ثم إن فيه تكديماً لله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١].

(١) المواهب السمرودية: ١٣٠، الأنوار القدسية: ١٣٥.

(١٩) الطَّاعَةُ الْعَمِيَاءُ

الصُّوفِيَّةُ: تُلْزَمُ مريديهم بالطاعة العمياء لمشايخهم في كل ما يأمرؤهم سواء كان جائزاً أو ممنوعاً حراماً أو حلالاً وإلا حُرِّمُوا بركتْهم ولم ينتفعوا بصحبتهم، فهذا أمر ثابت في كتبهم ومعروف بينهم.

ويرى الجيلاني أن المريد يجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر وترك الاعتراض عليه في الباطن ^(١).

ونقل الشعراني عن الدسوقي قوله: "المريد مع شيخه على صورة الميت لا حركة ولا كلام ولا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه، ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر أو خدمة في الزاوية... فعليك يا ولدي بطاعة والدك يعني الشيخ وَقَدِّمُهُ على والد الجسم فان والد السر أنفع من والد الظَّهر ^(٢)."

هكذا يقدمون حق الشيخ على حق الوالد مع أن الله تعالى أكد على الإحسان إلى الوالدين في مواطن كثيرة من كتابه وقرن ذلك بطاعته وتوجيهه في غير ما آية كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ويقول الشيخ داود الكبير: "خدمة أستاذك مقدّمة علي خدمة أبيك لأن أباك كَدَّرَكَ وأستاذك صَفَّاكَ، وأباك سَقَّلَكَ وأستاذك علاَّكَ، وأباك مزجك بالماء والطين وأستاذك رَفَّأَكَ إلى أعلى عليين" ^(٣).

(١) الغنية: ١٦٤/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى: ١٥٣/١ .

(٣) الطبقات الكبرى: ١٦٩/١ .

ويقول بعض الصوفية: "بقرآني بآياتي لو أمرني الشيخ أن أسجد اللآت لسجدت" (١). بل يصرح ذو النون المصري بما هو أفظع من ذلك فيقول: "طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه" (٢).

ومنه ما جاء في كتبهم عن الشاه نقشبند: "...ودعاه (أي الشاه نقشبند) بعض أصحابه في بخاري فلما أذن المغرب قال للمولى نجم الدين دادر: أتمثل كل ما أمرك به؟ قال: نعم، فان أمرتك بالسرقة تفعلها؟ قال: لا، قال ولم؟ قال: لأن حقوق الله تكفرها التوبة وهذه من حقوق العباد، قال: إن لم تتمثل أمرنا فلا تصحبنا، ففرع المولى نجم الدين فزعا شديداً وضاعت عليه الأرض بما رحبت وأظهر التوبة والندم وعزم على أن لا يعصي له أمراً فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده وسألوه العفو عنه فعفا عنه" (٣). ومنه ما يقول أحمد بن مبارك مبيناً كيف يكون المريد صادقاً مع شيخه مطيعاً لأمره ولو أمره بقتل والديه يقول: سمعت من الشيخ رضي الله عنه قال "كان لبعض المشايخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوماً فقال له: يا فلان أتجني؟ قال: نعم يا سيدي، فقال: أرايت إن أمرتك أن تأتيني برأس أبيك أتطيعني؟ فقال: يا سيدي فكيف لا أطيعك ولكن الساعة ترى، فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس فتسوّر جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمه في منزلهما فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك عليه وهو فوق أمه فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه، فقال له: ويحك أتيت برأس أبيك؟ فقال: يا سيدي نعم أما هو هذا، فقال: ويحك إنما كنت مازحاً فقال له المريد: أما أنا فكل كلامك عندي لا هزل فيه، فقال له الشيخ رضي الله عنه انظر هل هو رأس أبيك فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه فقال له الشيخ: رأس من هو؟ فقال: رأس فلان العليج، قال: وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين قال: وكان أبوه غاب تلك الليلة فخانت زوجته في الفراش وواعدت عليها كافراً ومكّنته من نفسها، وكوشف الشيخ رضي

(١) تربيّتنا الروحية: ٢٠٦ .

(٢) تذكرة الأولياء: ١٧١/١ .

(٣) المواهب السرمودية: ١٣٨، الأنوار القدسية: ١٤٠، جامع كرامات الأولياء: ١٥٠/١ .

الله عنه بذلك فأرسل المريد ليقنته على الصفة السابقة ليمتحن صدقه فعلم انه جبل من الجبال فكان وارث سره والمستولي بعده على فتحه والله الموفق" (١).

الْجَمَاعَةُ: تقول: لا طاعة لأحد من خلق الله إلا في حدود طاعة الله ورسوله سواء كان أستاذاً أو شيخاً أو والداً أو زوجاً أو أميراً أو غيرهم عملاً بقوله ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» (٢).

وقوله ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» (٣).
وقوله ﷺ كذلك: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» (٤).

هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ وأفضل هذه الأمة بعد نبي الله ﷺ قال لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ: "أَيُّهَا النَّاسُ أَطِيعُونِي مَا أَعْطَى اللَّهُ فَيْكُمْ فَإِنْ عَصَيْتُمْ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ" (٥).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ خطب الناس فأمرهم أن لا يسكتوا عن منكر إذا وقع فيه فقام إليه رجل وقال: والله لو علمنا فيك اعوجاجاً لقومناك بحد هذا السيف، فما غضب عمر رضي الله عنه وما قال له كما يقول مشايخ الصوفية للمعتز عليهم: أنت مطرود من حضرة الربوبية أو لا تصحبي إن لم تطعني بل تلقى ذلك بالقبول والسرور.

والعجيب في القصة التي مرت أنك ترى هذا المريد المدعو نجم الدين دادرى قد أظهر التوبة والندم ليس على فعله للمعصية كما هو اللازم المطلوب شرعاً بل على تركه للمعصية طاعةً لشيخه مع أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كيف انقلبت الأمور عند الصوفية رأساً على عقب!!! فأين هذا من شرع الله؟ وأين هذا من سنة المصطفى ﷺ.

(١) الإبريز: ١٨٦ .

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٧٥٢٠ .

(٣) أخرجه الشيخان.

(٤) أخرجه الشيخان.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: أمر سقيفة بني ساعدة.

إن الوالد الذي له أكبر الحق بعد حق الله ورسوله يأمرنا الله أن لا نطيعه إذا طلب منا الإشراف بالله فقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨] فَقَارِنْ أَيُّهَا الْقَارِئُ هَذَا الْقَوْلَ بِقَوْلِ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ: "طَاعَةُ الْمُرِيدِ لِشَيْخِهِ فَوْقَ طَاعَتِهِ لِرَبِّهِ".

إن هذه القاعدة قاعدة الطاعة العمياء لدى الصوفية بحيث يكون المرید كاملياً بين يدي المغيَّب وكالورقة في مهب الريح إنما هي من أسس قواعدهم وأركانهم لترويض المریدين ترويضاً لا يصدر منهم معه أي إنكار ولا اعتراض ولا مخالفة لشيخهم في كل ما يأمرهم به، وبهذا يسهل لهم التحكم فيهم والتلاعب بهم كما يشاءون، وإن يخرجهم من طاعة الله وطاعة الرسول ويأمرهم بالمعصية بحكم قاعدتهم متى يشاءون. فأَيُّ مَكْرٍ وأَيَّة مَكِيدَة أعظم من هذا بالإسلام والمسلمين؟ وأَيَّة وسيلة أكثر أثراً أو فعالية من هذا لإضعاف المسلمين وجعلهم أداة سهلة القيادة في أيدي مشايخ الصوفية الخبثاء الماكرين؟ وإذا وجب على المرید قتل أبيه بأمر شيخه وطاعته فيه طاعة عمياء فلا أدري ما حكم الإسلام في هذا؟ وأين الإسلام هنا أصلاً؟

وسائر الحكايات التي مرت نترك التعليق عليها إلى القارئ اللبيب فليتأملها. اللهم الطف بالمسلمين لطفاً يزيل عنهم زيف الصوفية وكيد مشايخهم آمين.

(٢٠) تَقْدِيسُ قُبُورِ الْمَشَايخ

الصُّوفِيَّةُ: يُقَدِّسُونَ قُبُورَ مشايخهم ويرون لها فضلاً على سائر القبور فيحيطونها بالسجاج وينون عليها القباب والمشاهد وينون عليها المساجد ويزينونها بشتى الزينة والزخارف ويربطون عليها وحولها الحُرَقَ وَيُقَبِّلُونَهَا وَيَطُوفُونَ بِهَا وَيَتَمَرَّغُونَ عَلَى تَرَابِهَا وَيَأْخُذُونَ تَرَابَهَا لِلتَّبَرُّكِ والتداوي بها، كل هذا مما نلمسه ونشاهده بأمر عيوننا.

قال الشيخ الكردي: "وما تفعله العامة من تقبيل أعتاب الأولياء والتابوت الذي يجعل فوقهم فلا بأس به إن قصدوا بذلك التبرك، ولا ينبغي الاعتراض عليهم لأنهم يعتقدون أن الفاعل والمؤثر هو الله وإنما يفعلون ذلك محبة فيمن أحبه الله تعالى" (١). وقال الشيخ الكردي أيضاً: ولما مات الشيخ نقشبند بنى أتباعه على قبره قبة عظيمة وجعلوه مسجداً فسيحاً (٢).

وأضاف صاحب الأنوار القدسية على ذلك القبر ما يلي: "ولم يزل كذلك إلى يومنا هذا يستغاث بجنابه ويكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ إلى أبوابه" (٣).

ولو اقتصر أمرهم على التبرك لكان الأمر ولكنهم يعتقدون باستجابة أصحاب القبور لمن يدعوهم وقضائهم لحاجتهم، فيقول الشيخ الكردي في ذلك: "قال بعض المشايخ إن الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه" (٤). إن هؤلاء الصوفية القبوريين لم يقتصرُوا على تقديس القبور التي فيها جثث مشايخهم وإنزال الحاجات بهم بل تعدَّوْها إلى تقديس كل مكان أو بقعة لها صلة بهم، فيقدسون المكان الذي وضعت عليه جنازة الشيخ وهو محمول في طريقه إلى مكان

(١) تنوير القلوب: ٥٣٤ .

(٢) المواهب السرمدية: ١٤٢ .

(٣) الأنوار القدسية: ١٤٢ .

(٤) تنوير القلوب: ٤١٠ .

دفنه، فيجهزون فيه مكان الصلاة، وكل من يمر به يلتقط في طريقه عدة أحجار فيلقونها في ذلك المكان، وما أن يمضي وقت طويل حتى تتجمع في ذلك المكان كومة كبيرة من الحصى والحجارة، ومن لم يُصَلِّ فيه ولم يرم الحجارة فأقل شيء يفعلهُ المار أنه يقف عنده إن كان ماشياً ويوقف سيارته أو دابته إن كان راكباً فيدعو ويتهلل ويتضرع ثم يمشي وهو مرتاح البال ومعتقداً أنه عمل عملاً طيباً يثاب عليه ويرضيه الله ويرضيه الشيخ.

ولقد عمل أتباع الشيخ حُسَيْنِ السَّيْتَلِيِّ مثل هذا المكان لشيخهم في المكان الذي وضعت فيه جنازته في ولاية تُسُومَاذا وهو محمول للدفن إلى قريته سَسِئَلْ في دَاغِسْتَانْ وما يزال هذا المكان محفوظاً إلى يومنا هذا والمكان واقع على شاطئ النهر ففرشوا فيه صفائح من الحجارة وأعدوا فيه مكاناً للصلاة.

كما يقدسون مصرع أي كان من قادة الإسلام وأئمتهم المشهورين ومصارع الشهداء أيضاً. ولقد شهدت بأمر عيني كيف إن الصوفية وجهال المسلمين فعلوا هذا بمصرع غَازِي مُحَمَّدٍ أحد أئمة دَاغِسْتَانْ الذين قادوا الجهاد ضد روسيا القيصرية، لقد بنوا في هذا المكان مسجداً وغرسوا حوله أشجاراً وربطوا فيها وعليها وحوها خِرْقاً ملونة إذا رأيتها من مكان بعيد حسبتها سوق أقمشة وجُعِلَ المكان مزاراً تُشَدُّ إليها الرحال من مناطق بعيدة.

ومثله (أَخْلُ كُخْ) الجبل الذي وقعت فيه موقعة عظيمة بين الإمام شَمُويل وجنوده وبين جنود روسيا القيصرية فلقى الكثير من جنود شَمُويل فيه حتفهم. وبلغ الأمر بالناس في تقديس هذه الأماكن إلى أن قال حَاجِي مَحَاتَشُوفُ أحد قادة المافيات المجرمة في دَاغِسْتَانْ: "لا حاجة بالناس بعد اليوم أن يسافروا إلى مكة وبيت الله الحرام للحج فقد وجدوا مكاناً يحجون إليه في أرضنا هذه وهي (أَخْلُ كُخْ) ومصرع الإمام غازي محمد وسوف يتحولون من تلك إلى هذه".

الْجَمَاعَةُ: يرون أن لا قدسية لتلك الأماكن ولا للقبر أصلاً سواء كان قبر شيخ أو شاب أو صبي ويرون تقديس القبور ذريعة إلى جعل القبور أصناماً واتخاذ أصحابها آلهة من دون الله.

إن الأعمال التي تفعل الصوفية بقبور مشايخهم من تسييحها وبناء القباب والمساجد عليها وتزيينها وربط الخرق عليها وتقبيلها والتمرغ على ترابها والتبرك بها والتداوي بها والطواف حولها واعتقاد استجابة الدعاء عندها كل هذه الأعمال تراها أهل السنة والجماعة أعمالاً وثنية وعقائد شركية والإسلام بريء منها.

كيف لا تكون كذلك والرسول ﷺ يقول: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». قالت عائشة: فَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا^(١). ويقول ﷺ أيضاً: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(٢).

كيف نُقِرُّ الصوفية على صنعهم ونحن نرى أن الرسول ﷺ: "نَهَى أَنْ يُقْعَدَ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْ يُحْصَصَ أَوْ يُنْشَأَ عَلَيْهِ"^(٣).

وكيف نفرهم ونحن نرى إجماع الصحابة على خلافهم، فقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسطاطاً على قبر عبد الرحمن فقال: "إِنْرِعْهُ يَا غُلَامُ فَإِنَّمَا يُظْلَمُ عَمَلُهُ" رواه البخاري تعليقاً.

وخرج عثمان فأمر بتسوية القبور فسُوِّيَتْ إِلَّا قَبْرَ أُمِّ عَمْرٍو فقال: ما هذا القبر؟ فقالوا: قبر أم عمرو فأمر به فسُوِّيَ رواه ابن أبي شبة في المصنف.

وأوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: إِذَا انْطَلَقْتُمْ بِجَنَازَتِي فَأَسْرِعُوا الْمَشْيَ، وَلَا تَتَّبِعْنِي جُمُحَرًا، وَلَا تَجْعَلُوا فِي لَحْدِي شَيْئًا يَحْوُلُ بَيْنِي وَبَيْنَ التُّرَابِ، وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى قَبْرِي بِنَاءً، وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ حَالِقَةٍ أَوْ سَالِقَةٍ أَوْ حَارِقَةٍ قَالُوا أَوْ سَمِعْتَ فِيهِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٤).

كيف نُقِرُّ الصوفية ووافقهم على قولهم والرسول ﷺ يقول: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»^(٥).

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسم.

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٦٨٤١.

(٤) رواه أحمد ٣٩٧/٥.

(٥) صحيح الجامع الصغير: ١٥٤.

ويقول أيضاً: «لَا تَتَّخِذُوا بَيُوتَكُمْ قُبُوراً صَلُّوا فِيهَا»^(١).
ويقول أيضاً: «لَا تَجْعَلُوا بَيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(٢).

أليست هذه الأحاديث تدل صراحة أن القبور مكان لا يقرأ فيه القرآن ولا يصلي فلا تُشَبِّهُوا بيوتكم بها؟ أم إن هذه قدسية من النوع الخاص النوع اللدني التي لا تظهر إلا للخواص؟!

كنا حتى الآن قبل أن نتعرف بالعلوم الصوفية اللدنية نرى ان المكان المقدس هو الذي تحسن الصلاة والعبادة وقراءة القرآن فيه وشد الرجال إليه للصلاة فيه كالمساجد الثلاثة، كما نرى أن الله اختار للكلام مع موسى وادياً مقدساً فقال تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]. فإذا الصوفية يكشفون اعتماداً على ما أوتوا من العلوم الخفية اللدنية قدسية قبور مشايخهم التي خفيت على الرسول ﷺ والصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم وما تزال خفية على علماء الشريعة حتى يومنا هذا.

لقد علم رسول الله ﷺ خطورة القبور على أمتة فسدَّ كل ذريعة قد تؤدي إلى تقديس القبور، حتى نهي في بداية الأمر عن زيارة القبور أصلاً، ثم أباحها لهم فقال في ذلك الرسول ﷺ: «قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ فَرُزُّوْهَا فَإِنَّهَا تَذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(٣).

وهذا القول المار «لعن الله اليهود والنصارى...» كان يقوله رسول الله ﷺ في مرض موته قبل وفاته بعدة أيام وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

إن تقديس القبور وبناء القباب والمساجد عليها إنما هي بدعة إبليسية ومكيدة شيطانية اتخذها إبليس وسيلة جديدة لتضليل الناس بعد أن رأى أن الأصنام التي كانت حول الكعبة وداخل الكعبة وعند قبائل مختلفة في جزيرة العرب قد حُطِّمَتْ بعد فتح

(١) صحيح الجامع الصغير: ٧٢١٧ .

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٧٢٢٧ .

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٤٣٧٩ .

مكة ورأى الناس جميعاً المسلمون وغير المسلمين أنها لم تُغْنِ عن عِبَادِهَا شيئاً بل لم تغن عن أنفسها شيئاً فعلم إبليس أن دورها في تضليل الناس قد انتهى وأصبح من الضروري إيجاد إله آخر يكون بديلاً عن الصنم فأوحى إلى الناس بتقديس القبور وأصحاب القبور وبناء القباب والمشاهد عليها وحثهم على شد الرحال إليها وإنزال الحاجات لديها عند حصول الشدائد.

أيقول بعد كل هذا من عنده مَسْكَةٌ عقل وأدنى فقه في الدين أن الصوفية هم أهل السنة والجماعة وأن طريقهم موافقة للكتاب والسنة وأن علمهم مضبوط بالكتاب والسنة كما قال سيد الطائفة جنيد البغدادي؟ فتأملوا واعتبروا.

(٢١) التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الشَّيْخِ وَكُلِّ مَا لَهُ صِلَةٌ بِهِ

الصُّوفِيَّةُ: يتبركون بآثار الشيخ وَوَضُوئِهِ وَغُسَالَةِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَبَدَنِهِ وَيَتَدَاوُونَ بِهَا كَمَا يَتَبَرَّكُونَ بِقَبْرِهِ وَتَرْتِيهِ.

فمن ذلك ما حكى لي أحد معارفي الساكن في كِيزْلِيُورْت واسمه مُحْيِي الدِّين بُنْ حَاجَّ مُحَمَّدٍ الْحَرْشِيُّ، حكى لي "أن أتباع الشيخ سَعِيدُ أَفْنَدِي التَّشْرِكِي كانوا يتقاسمون الماء الذي اغتسل هو فيه بل يتنازعونه ليتداووا به ويتبركوا به، وكلُّ يحاول جُهْدَهُ أَنْ يَصِيبَ نَصِيباً أَوفَرَ منه فمن أصابه رضي ومن لم يصبه سخط وتأسف".

ومنه ما حكى لي أحد أصدقائي من قرية مِيَأُقُو إحدى قرى دَاغِسْتَانَ الْأَوَارِيَّةِ الواقعة على مسافة ١٢ كيلومتراً من كِيزْلِيُورْت واسمه محمد رسول حكى لي: "أن امرأة عجوزاً من مريدات سَعِيدِ أَفْنَدِي التَّشْرِكِي كانت تتعالج وتستجُم على عين ماء حارة غير بعيد من قرية بَافْتُوغَايْ وكان الشيخ سَعِيدُ أَفْنَدِي التَّشْرِكِي أهدى إليها عدة بيضات للدجاج مطبوخة، فأكلتها العجوز على أنها طعام مبارك من شيخ مبارك فيه شفاء للناس، فلما أكلتها ونزعت القشرة الصلبة عنها قال لها بعض من حضر ولعله كان أيضاً مريده: يجب عليك أن تأكلي القشر أيضاً ولا يجوز لك أن تطرحي من هدية الشيخ شيئاً وإلا لم تنتفعي بما أعطاك وما أكلتِ فصدقت المسكينة القائل وأكلت القشر أيضاً فأصببت المرأة مَبْعُصٍ ووجع في بطنها كادت تموت منه وكانت تبكي كثيراً" (والعهدة على الرَّاوي)

ومنه ما ذكر انه كانت للشيخ تاج الدين بن زكريا بنت صغيرة كانت مريضة وكان الشيخ يتوضأ فألهمها الله إن شربت من غُسَالَةِ رِجْلَيْهِ عِنْدَ الْوَضُوءِ شُفِيَتْ فَشَرِبَتْ فَشَفِيَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ ^(١).

(١) جامع كرامات الأولياء: ٣٧٣/١ .

ويقول محمد أمين الكردي: "وما يفعله العامة من تقبيل أعتاب الأولياء والتابوت الذي يجعل فوقهم فلا بأس به إن قصدوا بذلك التبرك ولا ينبغي الاعتراض عليهم"^(١).

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن ما تفعله الصوفية بآثار مشايخهم وبقبورهم غلو فيهم وعمل وثني مناقض للتوحيد كما تعتقد أن البركة ثابتة لكن التبرك بشيء هو من أمور العبادة، والعبادة مبناها كما قلنا غير مرة على الاتباع لصاحب الشريعة محمد ﷺ فلا بد لجواز التبرك بشيء ما من ثبوت البركة في ذلك الشيء بدليل شرعي.

وأذكر هنا قواعد أساسية للتبرك لا بد من الوقوف عليها لمن يريد أن يتبرك بشيء ما حتى يكون تبركه على وفق الشريعة ولا يخرج عن حدها وهي:

(١) إن البركة كلها من الله تعالى كما إن الرزق والنصر والعافية والأولاد والهداية والمغفرة كلها من الله تعالى فهو مالكمها وواهبها، فإذا كانت كذلك كان طلبها من غير الله تعالى شركاً بالله سبحانه وتعالى.

(٢) إن ثبوت البركة في شيء وطريقة التبرك به أمر ديني فلا بد له من دليل شرعي لأن الأمور الدينية مبناها على النقل ولا يثبت شيء منها بالعقل والتجربة والاجتهاد وحسن الظن.

(٣) إن ما يتبرك به من الأقوال والأفعال والأعيان التي أثبت الشرع فيها البركة إنما هو سبب البركة وليس هو واهب البركة كما أن ما يتداوى به من الأدوية والرقى الشرعية إنما هو سبب للشفاء وليس هو واهب الشفاء فالشافى هو الله عز وجل.

(٤) البركة لا تحصل إلا لمن يؤمن بالله الثابت على إيمانه لا سيما في أمور الآخرة، ولذلك لم يحصل لعبد الله بن أبي بن سلول المناق بركة من إلباس النبي ﷺ قميصه له عند الدفن فلم يستفد منه ولم ينج ببركته من عذاب جهنم إذ مات علي نفاقه. فإذا وقفنا على هذه القواعد كلها عرفنا بماذا يجوز التبرك وبأية طريقة وبماذا لا يجوز.

(١) تنوير القلوب: ٥٣٤.

ولقد جاء التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره ووضوئه وما انفصل عنه من شعر وعرق وريق ونحوه فهو أمر جائز بإجماع الأمة وبأحاديث كثيرة:
منها حديث أنس بن مالك "أن النبي ﷺ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ أَخَذَ الصَّحَابَةُ يَفْتَسِمُونَ شَعْرَهُ"^(١).

ومنها حديث صلح الحديبية الطويل: "أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ جَعَلَ يَرْمِي أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "قَوْلَ اللَّهِ مَا تَنْحَم رَسُولُ اللَّهِ نُحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَفْتَسِمُونَ عَلَى وَضْئِهِ..."^(٢).
ومنها ما روى أنس: "أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نِطْعًا فَيَقْبِلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النَّطْعِ، قَالَ فَإِذَا نَامَ النَّبِيُّ ﷺ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ وَشَعْرِهِ فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سِكِّ وَهُوَ نَائِمٌ، قَالَ (أَيُّ الرَّايِ): فَلَمَّا خَضَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْوَفَاةَ أَوْصَى أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السِّكِّ، قَالَ فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ"^(٣).

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْثُقُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمَعْوَذَاتِ فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْثُقُ عَلَيْهِ هَيَّ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ نَفْسَهُ لِيَرْكَبَهَا"^(٤)، فهي لمعرفتها ببركة يد رسول الله ﷺ أخذت تمسح بها على نفسه الشريفة وهو ﷺ أقرها على ذلك ولم يقل لها: لا فرق بين يدي ويدك، مما يدل على اختصاصه ﷺ بتلك البركة العظيمة.
هذه الأحاديث وغيرها تدل على أن ذات رسول الله ﷺ وآثاره جعل الله فيها من البركة ما يُتَبَرَّكُ بها ويرجى بسببها الفائدة في الدنيا والآخرة، ولكن التبرك بآثاره وفضلاته غير ممكن اليوم لأنها فُقِدَتْ وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين. وقد اختص به أهل عصره ومن بعدهم بقليل الذين حصل لهم شيء من ثيابه أو شعره أو عرقه، وأجُرْ من صح أنه كان عنده شيء من شعر النبي ﷺ هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، أما أهل الأزمنة المتأخرة فقد فاتهم ذلك^(٥).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

(٥) التوصل، وواضح الإشارة ببعض تصرف.

أما غير النبي ﷺ من الصالحين وآثارهم وقبورهم وثيابهم فلم يرد في الخبر ما يدل على أن أحدا ممن له فقه وعلم تبرك بأحد وأنه كان جائزاً ومعمولاً به في الأمة الإسلامية.

يقول الشيخ أحمد النجمي: "لم يؤثر عن أحد منهم أن تبرك بأحد بعد رسول الله ﷺ، فمن يأتي بعده أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي...؟ بل من يأتي بعد هؤلاء أفضل من باقي العشرة المشهود لهم بالجنة؟ بل من يأتي بعد العشرة أفضل من أهل بدر؟ ومع ذلك فلم يؤثر عن مفضل منهم أنه تبرك بفاضل ولا عن تابعي أنه تبرك بصحابي وذلك إجماع منهم على اختصاص الرسول ﷺ بذلك في حياته، ولم يصح عن أحد منهم أنه تبرك به أو بقبره بعد موته، وكل ما ورد في ذلك فهو موضوع مفتري" (١).

وبهذا يتبين أن ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي ﷺ من التبرك لا يقاس عليه غيره فيه لأنه لو كان جائزاً مع غيره لسارع الصحابة وهم أحرص الناس على الخير إلى فعله مع أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ ومن شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، لكنه لم يحصل شيء من ذلك.

ومع وضوح هذا الأمر وظهوره أعنى امتناع الصحابة وغيرهم من السلف عن التبرك بغيره عليه الصلاة والسلام فقد عمد أصحاب الفكر الصوفي وأنصاره إلى التبرك بدوات المشايخ وآثارهم وفضلاتهم وبالقبور والمشاهد والأضرحة وما يتصل بها من تربة وأخشاب وجدران وشبابيك. فترى واحداً منهم يأخذ تربة من قبر الشيخ يتبرك بها أو يتداوى بها أو ينثرها في حقله لتزداد بركة زرع، وترى آخر يقبل يد وقدم شيخه أو يتمسح بعصاه أو بثيابه يتبرك بها.

ويقول الشيخ محمد صديق حسن: "وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه وذلك إنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك" (٢).

(١) أوضح الإشارة ببعض التصرف: ١٢١.

(٢) الدين الخالص: ١٩/٤.

وقال أيضاً: "وأما التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هذا من الشرك" (١).

وجملة القول: إن من تبرك بذات شيخ أو آثاره أو تداوى بوضوئه أو فضلاته أو تبرك بقبر أو ضريح أو مشهد أو أي شيء له صلة بشخص مقدس عند المتبرك سواء كان ذلك التبرك بالتقبيل أو الاستلام أو تمرغ الخد والوجه والجسم عليه فهو سالك مسلك عبدة الأوثان مشرك بالله مبتدع في الدين ما لم ينزل به سلطاناً فيجب عليه أن يتوب إلى الله ويتعد عن الشرك وذرائعه.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

(١) الدين الخالص ٤/٣٠.

(٢٢) تَدْبِيرُ الْكَوْنِ

الصُّوفِيَّةُ: تنسب لمشايخهم وأوليائهم تدبير الكون والتصرف في العوالم السفلية والعلوية ويقولون شيخ كذا يتصرف في البحار ويدبرها وشيخ كذا يدبر الجبال ويتصرف فيها وثالث يتصرف في كذا وكذا وما من شيء في العالم العلوي والسفلي إلا ويدبره شيخ من مشايخ الطرق الصوفية.

يقول ابن عربي: "لما اجتمع محمد بن قائد الأواني وكان من الأفراد بأبي السعود قال له: يا أبا السعود إن الله قسم المملكة بيني وبينك فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا فقال له أبو السعود بن الشبل البغدادي يا ابن قائد وهبتك سهمي نحن تركنا الحق يتصرف لنا"^(١).

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن عقيدة الصوفية هذه كذب وهراء وباطل وشرك وإن المدبر للعوالم كلها والمتصرف فيها هو الله وحده سبحانه وتعالى عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]. وقوله أيضاً: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]. وقوله أيضاً: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

هذا قول الله تعالى وذلك قول الصوفية المُعَارِض فانظر أيها القارئ أيهما أحق بالتصديق والقبول؟ ولن يجتمعا أبداً.

إن عقيدة الصوفية هذه هي نفس العقيدة الإغريقية القديمة حيث جعلوا لكل شيء إلهاً. فعندهم إله النور وإله الظلمة وإله الخير وإله الشر وإله الجبال وإله البحار وإله المطر وما إلى ذلك. وكبير الآلهة عندهم هو "زِيُوسُ"، والذي فعل الصوفية بها هو أنهم نقلوها

(١) الفتوحات المكية: ٢٤٣/١.

إلى دينهم وغيروا أسماءها وشكلها والحقيقة باقية كما هي، وكبير الآلهة عند هؤلاء هو الغوث أو القطب.

ومن ظن أننا ننسب إلى الصوفية ما ليس فيهم فليقرأ في كتبهم التي ما تزال عمدة لديهم يجد ما كتبه عنهم جزءاً واحداً من ألف جزء بل من آلاف الأجزاء مما عندهم ومن لم يجد هذه الكتب وأراد أن يقف على الحقيقة فليأتني فسوف أطلعه إن شاء الله على ما يشفي عليه ويروي غليله بإذن الله.

(٢٣) عِصْمَةُ الْمَشَايخ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد في مشايخهم العصمة أي أنهم محفوظون من الوقوع في الخطأ والذنوب فهذه عقيدة ثابتة مصرحة لدى الصوفية.

فهذا أبو القاسم القشيري يقول: "واعلم أن من أجلّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي والمخالفات"^(١).
وفي تعريف الولي ذكر الشَّعْرَانِيُّ: "أنه هو الذي لا يُخْلَقُ له الخذلان الذي هو القدرة على المعاصي"^(٢).

ويقول صاحب الإبريز: "إن الذنوب لا تصدر إلا من المحجوبين أهل الغفلة والظلام ولا تصدر من العارفين أهل القرب والمشاهدة"^(٣).
ونذكر هنا قول القشيري: "ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً"^(٤).

أقول: انظر هل يوجد فرق بين المحفوظ والمعصوم في المعنى إلا اختلاف الألفاظ؟ وهذا أيضاً من تضليلهم للناس.

ويقول الدباغ: "إن أهل الفتح الكبير يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر وحسناتهم مقبولة وسيئاتهم كلها ترجع حسنات إذا فعلوها قبل الفتح، أما بعد الفتح فإنها لا تصدر منهم معصية لأنها لا تصدر إلا من المحجوبين"^(٥).

(١) الرسالة القشيرية: ٦٦٧.

(٢) الطبقات: ٤٦٠.

(٣) الإبريز: ٢٩٨.

(٤) الرسالة: ٥٢١.

(٥) الإبريز: ٣٠١.

ويقول التجاني بعبارة صريحة لا تحتاج إلى تعليق: "ثم لتعلم أن من تجلى الله له بالسر المصون والغيب المكنون عصم من المعاصي بكل وجه وبكل اعتبار فلا تتأتى منه المعصية التي هي مخالفة أمر الله تعالى صريحاً أو ضمناً" (١).

الجماعة: تعتقد ان العصمة ثابتة للأنبياء فقط دون غيرهم كائناً من كان حتى لو كان صحابياً أو تابعياً أو إماماً من الأئمة فضلاً عن غيرهم من المتأخرين. قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» (٢).

ونقول للصوفية: إذا كان مشايخ الصوفية وأولياؤهم معصومين من الذنوب ولا يخطئون فلماذا يخطئ بعضهم البعض ويضلُّ بعضهم البعض، ليس علينا أن نذهب بعيداً، فهذا تاج الدين العسلي الساكن في مدينة خَسْوَئُورْت شيخ الطريقة النقشبندية والشاذلية وآخر سَعِيدُ أَفَنْدِي التَّشْرِكِيُّ شيخ الطريقتين أيضاً ولكل منهما أتباع ينتصرون لهما ويضلُّ بعضهم البعض ويعادي بعضهم البعض فأيهما على الحق وأيهما على الباطل؟ فمن البديهي أن لا يكونا جميعاً على الحق وهما يعادي بعضهم البعض، إذن فأحدهما بالبدهة على الباطل، أقول: بل كلاهما على الباطل، ومثْلُهُمَا في ذلك مثل اليهود والنصارى الذين قال بعضهم في حق الآخر أنهم ليسوا على شيء كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]. لقد صدقوا جميعاً في هذه المقالة كما صدق تاج الدين العسلي وسَعِيدُ أَفَنْدِي التَّشْرِكِيُّ فيما يقول أحدهما للآخر.

أما الأنبياء الذين لهم العصمة خاصة فلا نجد أحداً منهم خطئاً نبياً آخرَ وضللُّ كما هو الحال بين مشايخ الصوفية، فكيف تُشَبِّهُ الصوفية مشايخهم بالأنبياء الذين أوجب الله على الأمم اتِّبَاعَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ فما أبعد ما بينهما !!

وما يقول في حق "أهل الفتح الكبير" إنه يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر فهذا الوصف لا نعرف أنه ورد في الكتاب والسنة في حق أحد إلا في نبينا محمد ﷺ

(١) جواهر المعاني: ٢٥٢/١.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٤٥١٥.

قال تعالى فيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١]. أما غيره حتى الصحابة رضي الله عنهم فَمَا قِيلَ فِيهِمْ هَذَا الْقَوْلُ إِلَّا مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَقِّ أَهْلِ بَدْرٍ: «فَلَعَلَّ اللَّهُ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُمْ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١).

هكذا نجد الصوفية يرفعون مشايخهم وأولياءهم تارة إلى مقام النبوة فيشتبون لهم الفتح وغفران الذنوب ما تقدم منها وما تأخر وتارة إلى مقام الألوهية فيشتبون لهم التصرف في الاكوان وامتلاك كلمة التكوين "كُنْ فَيَكُونُ" دون أن يقولوا صراحة: إنهم أنبياء أو إمامهم آلهة. فَمَا أَخْبَثَكُمْ يَا صُوفِيَّةَ وَمَا أَدْهَاكُمْ يَا صُوفِيَّةَ !!!

(١) متفق عليه.

(٢٤) الطَّوَّافُ بِالْقُبُورِ

الصُّوفِيَّةُ: يطوفون بقبور مشايخهم وأقرباء مشايخهم ويعتبرونه قربة من قربات الله. فمن ذلك ما نرى من زيارة أتباع كُنُتَا حَاجِي لقبر أمه خِدِ فِي إِزْتَنِ فِي الشَّيْشَانِ فيزورونه ويطوفون به سبعاً ويفعلون به من التبجيل والتعظيم والانحناء والسجود والتمسح والتقبيل ما لا يفعل الحُجَّاجُ بالكعبة بيت الله الحرام، ثم إذا رجعوا رجعوا قَهْقَرَى لَا يُؤَلُّونَهُ أدبارهم حتى يختفي عن الأنظار.

ومثله قبور كثيرة في العالم، ففي دمشق قبر محيي الدين بن عربي وفي بغداد قبر عبد القادر الجيلاني وفي مصر قبر أحمد البدوي، وهناك في السودان وفي اليمن وفي الهند وفي غيرها من أقطار العالم الإسلامي قبور يزورونها ويطوفون بها ويقربون لها القرابين.

الْجَمَاعَةُ: يرون الطواف عبادة والعبادة لا تجوز إلا لله، فالإسلام شرع لنا الطواف بالكعبة فقط، فلا يوجد مكان يجوز الطواف به غير الكعبة قبر أو بيت أو شجر أو حجر أو شيء آخر. قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

ولم يعرف في تاريخ الإسلام أن طاف أحد من الصحابة ولا ممن بعدهم بقبر نبينا محمد ﷺ ولو كان قبر يستحق تعظيمه بالطواف لكان قبر رسول الله ﷺ أولى القبور به وكذلك قبور الصحابة، فما لم يفعل بقبر رسول الله ﷺ ولا بقبور الصحابة فكيف يفعل بقبور من أتى بعدهم بقرون!!

إن الطواف بشيء ما غير الكعبة على نحو ما تفعل الصوفية عبادة له والعبادة لا تجوز لغير الله وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال تعالى أيضاً: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]. فمن يفعل ذلك فقد أشرك والعياذ بالله، والشرك يا أخوتي محبط للعمل ومخلد صاحبه في النار قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلَكَ لئنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا حَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].
فنصيحتي لمن يزور هذه القبور ويطوف بها أن يكفَّ عنها ويتوب عنها قبل أن يحل به الموت فيكون من الخاسرين.

إني أرى كثيراً في طرق الشيشان شباباً لم تتجاوز أعمارهم خمساً وعشرين سنة يحملون في أيديهم الشُّنْطَ فيها زادهم وطعامهم يسرون مشياً على الأقدام فيذهبون لزيارة قبر خدٍ في إِرْتَنَ والطواف به وإني أتأسف عليهم كثيراً، أتأسف عليهم لأنني أظن أنهم يعملون ذلك لا عن سوء طوية بل جهلاً منهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، نسأل الله ان يبصِّرنا وإياهم بالحق ويهدينا وإياهم إلى الصواب.

(٢٥) الرّواحُ للصلاة بِمَكَّةَ

الصُّوفِيَّةُ: تؤكد أن مشايخهم يروحون لصلاة الجمعة والجماعة إلى مكة والمدينة وغيرها من الأماكن المقدسة، بل يروحون إلى جبل قاف وسدِّ إسكندَر ثم بعد انتهاء الصلاة يعودون ولا يشعر بهم في ذهابهم وإيابهم أحد، وغياهم عن حضور الجمعة والجماعة في مسجدهم يفسرونه بهذا، وهذه الفكرة منتشرة بين صوفية داغِستَان والشَّيشَانِ كَثِيراً.

وأذكر لك هنا ما يُثبِت هذه العقيدة من كتبهم القديمة:

يسأل الشرعاني شيخه الخواص عن أرباب الأحوال الذين يظهر عنهم الخوارق مع عدم صلاتهم وصومهم كيف حالهم؟ فقال: "ليس أحد في أولياء الله له عقل التكليف إلا وهو يصلي ويصوم ولكن هؤلاء لهم أماكن مخصوصة يصلون فيها كجامع رَمْلَةَ وبيت المقدس وجبل قاف وسدِّ إسكندَر وغيرها من الأماكن المشرفة". ثم قال الشرعاني: "وكان سيدي إبراهيم المَتَّبُولِيُّ يصلي الظهر دائماً في الجامع الأبيض برملة لد فكان علماء حارته ينكرون عليه: لأي شيء لا تصلي الظهر أبداً مع كونه فرضاً عليك كغيره من الصلوات الخمس؟ فيسكت" ^(١).

وحكى الشرعاني أيضاً عن سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ أنه قال: "ما من ولي لله صحت ولايته إلا ويحضر إلى مكة في كل ليلة جمعة لا يتأخر عن ذلك" ^(٢).

وقال الشرعاني أيضاً: "إن من عباد الله من لا يصلي الصلوات الخمس إلا بمكة ومنهم من لا يصلّيها إلا ببيت المقدس ومنهم من لا يصلّيها إلا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصلّيها إلا بجبل قاف... وبالجملّة فأرباب الأحوال ينبغي التسليم لهم" ^(٣).

(١) درر الغواص من فتاوى سيدي على الخواص: ٦٢ - ٦٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦٧/١.

(٣) اليواقيت والجواهر: ١٥١/١.

ومن الذين يحكون عنه انه يطير للصلاة إلى مكة الشيخ الصوفي بَدْرُ الدِّينِ البُنْدَلِيُّ وأعرفه شخصياً وكان منهم الشيخ عَبْدُ الحَمِيدِ الإِنْجِيُّ والله أعلم.

الْجَمَاعَةُ: تقول لمثل هذه الحكايات إنها هراء وخرافات وأساطير.
وَدِدْنَا لو نعرف بأي طريقة يروحون لكل صلاة إلى تلك الأماكن البعيدة؟
أيطيرون؟ ولكن كيف بدون جناح؟ أم تطوى لهم الأرض طياً فيخطون عدة خطوات
فيبلغون حيث يشاءون؟ أم يتجردون من الصفات البشرية المادية فيصبحون أرواحاً
لطيفة مجردة فيستوي عندهم البعيد والقريب وينتقلون بسرعة كما تنتقل الملائكة والجن؟
أم إن الجن هم الذين يحملونهم ذهاباً وإياباً، وعلى فرض صحتها فهذا الأخير هو
الأقرب للصواب.

وعلى كل حال يصعب علينا أن نصدقها لأننا لا نعرف في تاريخ البشرية أحدا من الناس كان يطير فينتقل حيث يشاء إلا ما كان من سليمان وجنوده بتسخير الله الريح لهم، ولا نعرف من صفوة خلق الله محمد ﷺ وخيرة أمته الصحابة رضوان الله عليهم أنهم طاروا يوماً أو حملتهم الجن إلى حيث يشاءون.

كيف نصدق الصوفية وواقع حياة مشايخهم الذين يعاصروننا يكذب حكاياتهم!!
فهذا عَبْدُ الْحَمِيدِ الشَّيْخِ الصُّوفِيِّ من انْحُوْ إحدى قرى دَاغِستَانِ الْأَوَارِيَّةِ وهو من مشايخ
الصوفية المحترمين - وكل مشايخهم محترمون - وكنت أعرفه أنا شخصياً، وكانوا يتحدثون
عنه انه يروح لصلاة الجمعة والجماعة إلى مكة والمدينة، فحدث معه ما نقض كل هذه
الحكايات التي حيكت حوله، وذلك أن الشيخ عبد الحميد الإِنْجِي قَدَّمَ في عهد الاتحاد
السوفيتي أظن في السبعينات من القرن العشرين طلباً أن تسمح الحكومة السوفيتية له
بالسفر إلى الحجّ مع من يسافر، لكن الحكومة منعتة ومنعت الآخرين من داغستان
عدة سنوات حتى ثَوَّقَ عَبْدُ الْحَمِيدِ ولم يحجّ ولم ينل لقب "حَاجّ" الْمُحَبَّبَ إلى الصوفية.
ويتبادر إلى الأذهان السؤال هنا: لماذا احتاج الشيخ عبد الحميد الذي كان بمقدوره
أن يصل إلى مكة متى شاء وفي لَمَحَّةِ بصر أن تسمح له الحكومة الكافرة بالسفر إلى
الحج؟ أكان إذنهم شرطاً من شروط الحج؟ أم كان الطيران على طائرهم ركناً من أركان
الحج لا يقبل إلا به؟ لا نجد له جيباً من الصوفية.

وهناك شيخ آخر صوفي نال الإذن والإجازة في التربية والإرشاد وأنا أعرفه أيضاً وما يزال حياً يرزق إلى يومنا هذا، وأعلمه رجلاً طيباً حليماً وما علمت عليه من سوء، اسمه بدر الدين من بئَلَح وهي أيضاً قرية أَوَارِيَّة من قرى دَاغِسْتَان ينسبون إليه نفس الحكايات ويتحدثون عنه أنه يطير ويغدو إلى مكة للصلاة ثم يروح إلى البيت بعدها. يحكون أنه سافر إلى الحج مع من سافر من رفقته فلما كان ذات يوم في مكة قبل حلول يوم عرفة إذ فقده أصحابه في مكة فلم يجدوه ولم يعثروا عليه بضعة أيام حتى فاته الحج ولم يقف بعرفة.

أَقُولُ: إن كان هذا الخبر صحيحاً فهنا يستغرب الإنسان ويبقى حائراً لا يجد الجواب، شخص بلغ المقامات العالية ونال الإجازة والإرشاد كيف اختفى عليه عرفة ويوم عرفة؟ وكيف فقد الصلة بمريديه الذين هم بعينه وهو مطلع على أحوالهم دائماً ومراقب لحركاتهم وسكناتهم؟

لا أجد والله لذلك جواباً وتفسيراً إلا أن نقول: إن الشيخ المذكور سُلِبَ تلك المكاشفة وتلك القدرة وتلك الحال الغيبية حين أصبح في بلد "وَهَّابِي" معظم سكانه وهابيون - كما تقول الصوفية - وإنما نسبت هذا القول لهم، لأنهم الذين يلهجون بهذه الكلمة.

وكثير منهم من لا يصلي وراء أئمة مكة لما يرونهم وهابيين، أم إن كل ما تقوله الصوفية عن مشايخهم افتراء وهراء وهذيان؟
اللهم لا تُعَمِّمْ أبصارنا ولا تعم بصائرنا واكشف للخلق عن زيف الصوفية.

(٢٦) شَدُّ الرِّحَالِ إِلَى الْقُبُورِ وَالْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ

الصُّوفِيَّةُ: يشدون الرحال إلى قبور مشايخهم وأضرحتهم لزيارتها ويرونه قربة وعملاً مفيداً وينفقون فيه أموالاً طائلة، ويسافرون إلى آلاف الكيلومترات، وكلما كانت المسافة أبعد يرون الأجر فيه أكثر، وكثيراً ما يمشون إليها مشياً على الأقدام دون أن يركبوا حافلة (باصاً) أو سيارة تُثْقِلُهُمْ، لما يرون في تحمل المشاق في سبيله زيادة أجر. ولقد لقيت وأنا أسير بسيارتي في طرقات الشيشان مجموعات من الشباب لم تتجاوز أعمارهم خمساً وعشرين سنة، يمشون على أقدامهم ويحملون عصيهم وشنطهم فيها زادهم وأغراضهم وهم متوجهون إلى قبر خِدِّ أَمِّ كُنْتَا حَاجِي ليزوروه ويطوفوا به ويتبركوا به.

هكذا يشدون الرحال إلى قبورهم فيأتونها ويصلون عندها ويتبركون بها ويتمسحون بتربتها ويذبحون الذبائح عندها ويتضرعون إلى أصحابها من دون الله ويسألونهم حاجات الدنيا والآخرة من نحو رزق أو ولد أو شفاء من مرض أو نجاح في عمل أو تفاق في تجارة وقد يأخذون تربتها إلى بيوتهم ويستشفون بها ويتبركون بها.

لقد حولت الصوفية قبور مشايخهم إلى كعبة يقصدونها ويحجونها. قال الغزالي في كتاب آداب السفر: "وهو أن يسافر لأجل العبادة أما لحج أو جهاد... ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض" (١).

وكثير ممن ترجعوا لمشايخ الصوفية وأوليائهم وصفوا موقف الصوفية من قبورهم فرددوا كثيراً عبارة "وقبره كعبة محجوة".

(١) الإحياء: ٢/٢٧٠.

هذا أبو الهدى أفندي الرفاعي صرح بان حجهم إنما هو إلى قبر الرسول ﷺ وقبر الرفاعي شيخه فيقول:

بَيْتَانِ حَجَّ الْعَارِفُونَ إِلَيْهِمَا * بَيْتُ الرَّسُولِ وَشَيْلِهِ بِطَاحِ
أَعْنِي بِهِ الْمُؤَلَّى الرَّفَاعِيُّ الَّذِي * خُلِقَتْ أَنَامِلُهُ مِنَ الْأَرْبَاحِ^(١)

ويقول أيضاً مصرحاً بأن قبر الرفاعي هو كعبة أتباعه:

هُوَ كَعْبَةُ الْعُشَّاقِ فَالَزِمَ رُكْنَهُ * وَأَبَشِّرْ بُنُورَ الْقَلْبِ وَالْأَفْرَاحِ^(٢)

ولماذا نذهب بعيداً في إيراد الأمثلة لذلك إنما في ديارنا داغستان والشيشان كثيرة جداً ومن أشهرها قبر مُحَمَّدُ أَفَنْدِي فِي أَسْتَرَاخَانَ وقبر خِدْ أَمْ كُنْشَا حَاجِي فِي الشَّيْشَانِ. ولقد بدأوا يشدون الرحال إلى مصارع الشهداء أيضاً مصرع الإمام غازي محمد الإمام الأول فِي دَاغِسْتَانَ الذي حارب الروس المعتدين، كما يشدون الرحال إلى "أَحْلُ كُخْ" الجبل الذي حدثت فيه موقعة دامية بين الإمام شمويل وبين الجنود الروس وغيرها كثير.

الْجَمَاعَةُ: يرون شد الرحال لزيارة قبر أو ضريح أو مشهد أو مقام بدعة وأمرًا منكراً سواء كان صاحبه نبياً أو صحابياً أو عالماً أو أي شخص آخر لأن سلفنا الصالح لم يكونوا يفعلونه، وما نقل إلينا في كتاب أن أحداً من سلفنا الصالح سافر لزيارة قبر إلى مسافة بعيدة على نحو ما تفعله الصوفية إلى قبور مشايخهم.

والدليل عليه قوله ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٣).

ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه سافر لزيارة قبر أحد من الأنبياء والمرسلين ولم يأمرنا بزيارتها ولم يخبرنا بمواقعها وهم ماتوا في الأرض ودفنوا في الأرض ولو كان السفر

(١) قلادة الجواهر: ٤٣٣.

(٢) قلادة الجواهر: ٤٣٣.

(٣) رواه الشيخان.

لزيارة القبور عبادة وعملاً نافعا مطلوباً شرعاً وقربة تقربنا إلى الله ما كان النبي ﷺ ليتركها وليكنمها، أيكنم ما ينفع أمته وهو أحرص الناس علي نفعهم وإيصال الخير إليهم؟ وما كان الصحابة أيضاً ليكنموها، بل ما كان الله ليخفي مواقعها عن الرسول محمد ﷺ

إننا اليوم لا نعرف يقيناً أين قبور الرسل الكرام ولم يخبر الله نبيه بها فلم يخبرنا هو بها، فعلم من ذلك أن معرفة مكان القبور ليس أمراً مهماً كما أن زيارتها بشد الرحل إليها ليس مشروعاً.

ثم تلك المشاهد التي نراها في البلاد الإسلامية أكثرها غير صحيح ولا ندري في الحقيقة من أصحابها، فمشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما في مصر غير صحيح لأنه استشهد في العراق في الكربلاء وأكبر دليل على ذلك أن له قبراً في العراق ومصر والشام، ومستحيل أن يكون لشخص واحد عدة قبور في أماكن مختلفة، ودليل آخر وهو أن الصحابة ما كانوا يدفنون الموتى في المسجد لقوله ﷺ «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١).

أما الأعمال التي تفعلها الصوفية بقبور مشايخهم من التمسح بها والتبرك بتربتها وتقبيل أعتابها وشد الخرق عليها ونثر الدراهم والفلوس عليها وذبح الذبائح عندها والطواف حولها وما أكثرها حينما تعد فكلها أعمال وثنية شركية يعملها عبّاد الأوثان. ولا يفهم من كلامنا أننا نمنع من زيارة القبور أصلاً، بل نقول: إن زيارة القبور أمر مشروع مستحب فعلها الرسول ﷺ وأمر بها بعد أن كان منعها في البداية فقال ﷺ في ذلك: «قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ فَرُزُّوْهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»^(٢).

إن ما نمنعه بل يمنع الشرع هو السفر وشد الرحال لزيارة القبور وعمل الشريكات عندها، لا زيارة القبور إذا جاءت في حدود ما أباح الشرع. فزيارة القبور شيء وشد الرحال لزيارتها شيء آخر ولا يجوز الخلط بينهما.

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٤٣٧٩.

ولتكون الزيارة للقبور جائزة شرعية موافقة لما فعله الرسول ﷺ لأبد للزائر من مراعاة عدة أمور لخصها العلماء وذكروها في كتبهم وهي:

(١) أن يكون مقصده الأساسي طاعة أمر رسول الله ﷺ الذي استحب للمسلمين زيارة القبور.

(٢) أن يقصد الدعاء للميت والاستغفار له والسلام عليه ولا يقصد دعاء الميت والاستغاثة به وطلب الحاجات منه فإن الميت نفسه في حاجة إلى من يدعو له.

(٣) أن يقصد تذكّر الآخرة والاتعاظ بالموتى وتذكر أنه سيدركه الموت كما أدرك إخوانه فيصبح منبوذاً وحيداً لا أنيس له كما أصبح إخوانه كذلك.

(٤) أن لا يشد رحلاً أي لا يسافر لزيارة القبور إلى مسافة بعيدة بل تكفيه زيارة القبور القريبة من محل إقامته، وكذلك القبور البعيدة إذا كان يجتازها من غير قصد لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "تزار القبور الزيارة الشرعية ممن كان قريباً منها ومن اجتاز بها كما أن مسجد قباء يزار من المدينة وليس لأحد أن يسافر إليه لنهيهِ ﷺ أن تُشدَّ الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة" (١).

(٥) وأن لا يدعو الموتى، ولا يستعين بهم، ولا يستغيث بهم ولا يطلب الشفاعة منهم ولا أية حاجة منهم، لأن دعاء الموتى وطلب الحاجة منهم شرك أكبر يجعل فاعله كافراً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]. الظالمون: المشركون.

(٦) أن لا يتحرى الصلاة وسائر العبادات عند قبورهم معتقداً أن ذلك أدعى للقبول فإنه اعتقاد باطل ناتج عن الجهل بالدين ووسيلة إلى الغلو في الميت وإلى الشرك.

- (٧) أن لا يتمسح بتراب القبر ولا بجدران الضريح، ولا يتبرك بشيء مما له صلة بالميت معتقداً أن ذلك ينفعه في الدنيا أو في الآخرة، فإنه لا بركة إلا باتباع سيد المرسلين ﷺ.
- (٨) أن لا يشد الخرق على القبر ولا ينثر النقود والفلوس عليه فإنها أعمال وثنية شركية وتشبه بالكفار في أعمالهم.
- (٩) وليحرص على الدعوات الواردة عن الرسول ﷺ عند زيارة القبور ولا يشغل نفسه بتلاوة القرآن عند الزيارة فإن ذلك مما لا أصل له في السنة ولو كانت مشروعة نافعة لفعليها الرسول ﷺ ولعلمها أصحابه.

قال الألباني رحمه الله: "وما يقوي عدم مشروعية قراءة القرآن عند القبور قوله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» رواه مسلم وغيره. فقد أشار ﷺ إلى إن القبور ليست موضعاً للقراءة شرعاً فلذلك حض على قراءة القرآن في البيوت ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها، كما أشار في الحديث الآخر إلى أنها ليست موضعاً للصلاة أيضاً، وهو قوله ﷺ: «صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا» أخرجه مسلم^(١).

هذه هي الأمور التي لا بد من مراعاتها عند زيارة القبور فمن فعلها على هذا النحو كانت زيارته شرعية سنية، ومن أخل بها وفعلها على غير هذا الوجه كأن شدَّ الرحل لزيارة القبر أو زاره ليصلي عنده كانت زيارته بدعية، ومن أضاف إلى الزيارة عملاً شركياً كدعاء الميت وطلب الحاجة منه كانت زيارته شركية، فتبين مما ذكرنا أن زيارة القبور على ثلاثة أنواع:

- (١) سنية إذا كانت موافقة لزيارة الرسول ﷺ ولم تُشدَّ الرحال إليها.
- (٢) وبدعية إذا كانت على غير الوجه الذي فعله الرسول ﷺ.
- (٣) وشركية إذا فعل في زيارته عملاً شركياً يخرج الإنسان من ملة الإسلام.

(١) أحكام الجنائز: ١٩١.

(٢٧) الشَّفَاعَةُ الْآخِرِيَّةُ

الصُّوفِيَّةُ: يطلبون الشفاعة الآخروية من مشايخهم وأوليائهم ويعتقدون أنهم يشفعون لهم يوم القيامة عند الله، يقول أحدهم: يا شيخى أو يا أستاذى اشفع لي عند الله أو اشفع لي يوم القيامة. أو أومل شفاعتك يوم القيامة، أو أسألك الشفاعة يوم القيامة ونحوها من العبارات، ويقول الشيخ الصوفي: من أحب أن أشفع له يوم القيامة فليفعل كذا وكذا أو من فعل كذا وكذا نالته شفاعة.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن الشفاعة في الآخرة ليست كالشفاعة في الدنيا وأن الشفاعة الآخروية كلها ملك لله تعالى وحده لقوله تعالى: ﴿قُلِ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]. ولا تكون إلا إذا جمعت شروطاً ثلاثة:

(١) رضى الله عن الشافع.

(٢) رضى الله عن المشفوع له.

(٣) إذن الله في الشفاعة.

بخلاف الشفاعة في الدنيا عند كبير أو ملك فلا تحتاج لهذه الشروط فقد يشفع الشافع لأحد في الدنيا، وأحدهما أو كلاهما غير مرضي عنه وقد يشفع بدون إذن من يشفع عنده.

ودليل الشروط المذكورة قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِّن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٥٥]. وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

فبما أن الشفاعة في الآخرة ملك لله وحده، وأنها لا تكون إلا لمن رضي الله عنه، ولا تكون إلا من بعد إذن الله فيها لا يحق لأحد أن يدعيها لنفسه فيقول: أنا أشفع لفلان أو من فعل كذا نال شفاعتي، كما لا يحق أن يسألها من أحد فيقول مثلاً: يا شيخني اشفع لي يوم القيامة عند الله، لأننا لا نعلم أن هذا الشيخ ومن يطلب منه الشفاعة هل كل منهما الذي رضي الله عنه كما لا نعلم هل يأذن الله في الشفاعة له، حتى نبينا محمد ﷺ مع كوننا نعلم أن له جميع أنواع الشفاعة يوم القيامة، فليس سؤال الشفاعة منه ﷺ مخاطبين له بعد موته، مشروعاً فلا يقول أحدنا يا رسول الله اشفع لي، لأن الشفاعة الأخروية كما قلنا سابقاً ملك لله وحده فطلبه من الرسول ﷺ طلب ما لا يملكه، فمن أراد شفاعة النبي ﷺ فليسألها الله قائلاً: اللهم شفّع النبي فيّ، اللهم ارزقني أو أنلني شفاعة النبي ﷺ ونحوها. هذا مع علمنا أن النبي ﷺ هو الشافع المشفّع بل أول شافع، فإذا كان هذا هو الحال مع نبينا ﷺ فكيف بمن دونه؟ بل كيف بمن لا يعرف هل هو أهل للشفاعة أصلاً كمشائخ الصوفية وأوليائهم؟ فوالله ليس الأمل في شفاعة هؤلاء إلا كالأمل في سراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوقاه حسابه.

إن هؤلاء الذين يؤمنون في شفاعة مشايخهم ويطلبونها منهم إن هم الا كالمشركين الذين ذمهم الله على عبادتهم لما لا يضرهم ولا ينفعهم وعلى قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. فنفي الله في نفس الآية قولهم بأبلغ عبارة قائلاً: ﴿أَتَشْتَبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]. وقال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ [الزمر: ٤٣]. فنفي في الآية بعدها أن تكون الشفاعة لأحد غير الله يعطيها من يشاء بقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] كما نفى أن يكون للظالمين يوم القيامة حميم أو شفيع يطاع، فقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. فأى ظالم أعظم ممن صرف العبادة لغير الله اذ طلب الشفاعة الأخروية عبادة والعبادة لا تجوز إلا لله وعلى الوجه الذي شرع كما قلنا غير مرة.

وإذا نظرنا في سيرة سلف هذه الأمة الصحابة والتابعين والأئمة نجد أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه قال: يا رسول الله اشفع لي لا في حياته ولا بعد موته عند قبره، لكن الصوفي أحلى عبادة عنده أن يزور قبر النبي ﷺ فيمُدَّ يديه إليه ويدعوه ويتضرع إليه ويسأله الشفاعة عند الله فهو في ذلك مخالف لأهل السنة والجماعة خارج عن طريق الحق إلى طريق الضلال. فإن اعترضت على هذا الصوفي فيما فعل وقلت له: هذا غير جائز، هذا مخالف للكتاب والسنة قال لك: اسكت، "أَنْتَ وَهَائِي"، أنت تكره النبي ﷺ أنت تقول: عصاي خير من نبيكم، أنت تمنع من زيارة قبره ومن دعائه وتمنع من طلب الشفاعة منه، فيخلط في الرد عليك بين الحق والباطل. فقولوه: "أَنْتَ وَهَائِي" كلام باطل لأننا ليسنا وهابيين فلم يسمننا الله بهذا الاسم ولا رسوله ﷺ

وقوله: "أنت تقول: عصاي هذه خير من نبيكم" باطل أيضاً، بل نقول: لعن الله قائل هذا القول.

وقوله: "أنت تمنع من زيارة قبره" ليس صحيحاً على إطلاقه، بل نقول: من زار قبره فليزره على الوجه المشروع.

وقوله: "أنت تمنع من دعائه وتمنع من طلب الشفاعة منه" فهذا صحيح وحقاً تمنع من دعاء غير الله عز وجل كما تمنع من طلب الشفاعة الأخروية من غير الله لأحدهما عبادة والعبادة لا تجوز إلا لله، فلا تجوز لملك أو نبي مرسل أو شيخ أو أستاذ أو أي واحد آخر غيرهم.

(٢٨) حُبُّ مَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يحبون مشايخهم وأولياءهم كحب الله والرسول أي يسوونهم بالله ورسوله، ويصرح كُتَّابُهُمْ في نصوص كثيرة لا تحصى بأن المريد يجب عليه أن يفرد شيخه بالحب ولا يشرك به غيره. فإليك بعضاً منها:

يحكى الشعراي عن أحد أصحاب أبي مدين انه مكث عند شيخه إلى أن توفي لم يذق له طعاماً ف قيل له في ذلك فقال: "أنا لم أكل لشيخي طعاماً خوفاً أن أشرك في طلبي للشيخ شيئاً آخر" (١).

ويجب عندهم أن لا يزاحم الشيخ أحد في محبة المريد لا زوجة ولا ولد وفي ذلك يقول أحمد بن المبارك راوي الإبريز قصة مع شيخه الدباغ مُقَادُّهَا:

"أن ابن المبارك كان قد تزوج بنت الفقيه محمد بن عمر السَّجْلَمَاسِيَّ وكان يحب البنت حبا شديداً، وكان الدباغ يسأله: هل تحبني مثل فلانة؟ (يقصد زوجته) فيصارحه الرجل: "أن لا" فيتأثر الشيخ بذلك، يقول ابن المبارك: وحق له، فإن المريد لا يأتي منه شيء حتى لا يكون في قلبه غير الشيخ والله والرسول (هكذا محبة ثلاثية والشيخ مقدَّم على الآخرين)!! وكان الشيخ يشير له بإشارات لم يفهم ابن المبارك المراد منها إلا بعد حين. ومن تلك الإشارة قوله له: "إن سيدي فلانا لما عرفه مريده لم يترك له امرأة ولا ولداً حتى أفرد به" فتمضي الأيام فتمرض زوجة ابن المبارك وتموت، ثم يتعلق قلب الرجل بابنه الوحيد الذي تركته زوجته فيمرض الولد ويموت هو الآخر، ثم يتزوج أخت البنت ويحبها المحبة ذاتها فتلحق بأختها. قال: ثم من الله علي بمحبة الشيخ المحبة التي لا محبة فوقها، ثم تزوجت بنتا ثالثة من بنات الفقيه المذكور ولم يتعلق بها قلبي فهي والحمد لله على السلامة والعافية" (٢).

(١) الطبقات الكبرى: ٩٥/٢.

(٢) انظر الإبريز: ٢٩.

أقول: بالنسبة لهذه القصة التي يذكر صاحبها فيها موت ثلاثة من النفوس زوجة ابن المبارك وولده وزوجته الثانية لا لشيء آخر غير إشراكهم مع الشيخ في المحبة وددت لو أسأل عن الذي أماتهم؟ الله أم الشيخ الدباغ؟ فإن كان الله هو الذي أماتهم فالله لا يُسأل عما يفعل بل نجعله سراً من الأسرار اللدنية التي لا سبيل لنا للاطلاع عليه. وإن كان الشيخ الدباغ هو الذي قتلهم فما ذنبهم الذي استوجبوا به القتل؟ وما يكون جوابه عن صنيعه هذا حينما يمثّل بين يدي الله سبحانه وتعالى؟.

ويقول الشيخ التجاني: "من أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه بقلبه. ويتأمل ذلك في شريعة نبينا ﷺ فإن من ساوى بين رتبة نبيه ﷺ غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع، فهو عنوان على أنه يموت كافراً؛ إلا أن تدركه عناية ربانية، بسبق محبة إلهية، فإذا عرفت هذا فليكن المرید مع شيخه في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره. ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه" (١).

أقول: هذا النص الأخير أقل ما فيه التسوية بين الشيخ وبين النبي ﷺ وفيه رد على نفسه الذي قال: "من ساوى رتبة نبيه ﷺ مع رتب غيره من النبيين... فهو عنوان على أنه يموت كافراً..." الخ. ورد على قول النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٢). وفيه تفضيل لشيخه على النبيين والمرسلين.

ويقول الشيخ علي وفا: "إن قلوب الرجال أمثال الجبال فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله كما قال عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٢]. وكذلك قلوب

(١) جواهر المعاني: ١١/١٥٨.

(٢) رواه الشيخان.

الرجال لا سيما الولي لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته معه من إشراك معه في المحبة لا يزيله إلا ذلك لا تقصير في الخدمة ولا غير ذلك" (١).

أقول: هل نحتاج إلى أكثر من هذا الكلام في إثبات ان الصوفية يسوون بين الله وبين الشيخ بتسميته إشراك أحد مع الشيخ في المحبة شركاً، كما أن إشراك أحد مع الله في المحبة يكون شركاً؟

الجماعة: تقول: هذا النوع من المحبة وهي محبة التوجه والقصد ومحبة الذل والانكسار ومحبة الرغبة ومحبة التقديس هذه المحبة هي عبادة لا يجوز صرفها لغير الله فمن صرفها لغير الله فهو مشرك شركاً أكبر يخرج الإنسان من ملة الإسلام.

وإذا تأملنا نصوص كُتَابِ الصوفية وما يجب ان يكون عليه المريد إزاء شيخه وما ينبغي أن تكون عليه محبة المريد لشيخه وجدناها من نوع العبادة. يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. ففي هذه الآية يذم الله من يسوي غير الله بالله في المحبة والتعظيم ولهذا يقولون لأندادهم يوم القيامة وهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨]. ثم يقول الله تعالى في نفس الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من غيره فلا يسوون به في ذلك أحداً.

هذه هي محبة العبادة أما إذا كانت المحبة لا تستلزم الخضوع والتعظيم ولا تتضمن الذل والانكسار ولا تستلزم التقديس بأن كانت محبة طبيعية فلها حكم آخر كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء وكمحبة الوالد لولده والولد لوالده وكمحبة أصدقائه وإخوانه فهذا جائز ولا يلام صاحبه عليه. فقد كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلوى، وكان يحب النساء والطيب كما قال في ذلك: «حُبِّ إِيَّيْ مِنْ دُنْيَاكُمْ التَّسَاءُ وَالطَّيْبُ وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (٢).

وقال النبي ﷺ والحسن بن علي عاتقه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَجِبْهُ» (٣).

(١) الرواح: ١١٨/١ - ١١٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٣١٢٤.

(٣) رواه الشيخان.

(٢٩) الْخَوْفُ مِنْ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يخافون من مشايخهم وأوليائهم خوفَ السر وهو الخوف العَقْدِيُّ أي خوفهم منهم أن يصيبوهم بالمكروه من فقر أو مرض أو يميتوهم إذا شاءوا أو يضلّوهم عن طريق الحق أو يسلطوا عليهم جنياً أو سبعاً أو يسلبوهم النجاح والتوفيق في أعمالهم أو تجارّتهم أو نحو ذلك. وكذلك يخافون من أصحاب القبور أن يوقعوا بهم مكروهاً أو يغضبوا عليهم فيسلبوهم نعمةً أو نحو ذلك مما هو واقع في عُبَاد القبور.

وهذا الخوف العَقْدِيُّ هو الخوف الذي لا باعث له معلوم عند الناس وإنما هو خوف ناشئ عند الصوفية من اعتقادهم في مشايخهم الاعتقادات الباطلة كاعتقاد قدرتهم على التصرف في الكون والحياة تصرفاً شاملاً كإحياء الموتى وشفاء المرض وإنزال المطر وهداية الضالين وإضلال المهتدين، واعتقاد أن لديهم القدرة على تسليط الجن أو السبع أو المرض أو سلب النجاح والتوفيق، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب وأنهم معصومون من الخطأ والخطايا وأنهم يقولون للشيء "كُنْ فَيَكُونُ" وغير ذلك من الاعتقادات الباطلة. فلما اعتقدوا فيهم كل ذلك كان من الطبيعي أن يخافوهم ذلك الخوف كما يخاف الإنسان من الله وهذا هو خوف السِّرِّ والخوف العَقْدِيُّ وهو خوف العبادة الذي لا يجوز صرفه لغير الله.

وقد حاك أساطين الصوفية لبعث هذا الخوف في نفوس أتباعهم البسطاء من الناس قصصاً وحكايات رهيبة غريبة لا يتمالك من نظر فيها أن تتملكه مشاعر الخوف والرهبنة إن لم يعصمه عاصم الإيمان، وهم في ذلك كمن قال تعالى فيهم: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

وأذكر لك طائفة من تلك القصص:

ففي ترجمة محمد بن علي القشيري يذكر السُّبُكِيُّ أن شخصاً أساء معه

الأدب فقال له الشيخ: "نُعِيَتْ لي في هذا المجلس ثلاث مرات فمات بعد ثلاثة أيام"^(١).

وحكى المُنَاوِي أن أحدهم سأل علي بن عمر القزويني عن بعض أحكام الزهد والتقشف الصوفي فأجاب عنه بما لم يقنعه فأنكر عليه فرأى تلك الليلة ما أزعجه وقائلاً يقول: هذا بسبب القزويني"^(٢).

وفي ترجمة الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني يقول المُنَاوِي: "اجتمع له في بغداد مائة من أكابر الفقهاء وأتوه لامتحانهم فظهرت منه بارقة نور مرت على صدورهم فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم فصعد الكرسي وأجاب عن جميع ما عندهم"^(٣).

ومن قبيل هذا ما حكاه أحدهم: "أنه مشى في بعض الأعوام إلى ولي صوفي يدعى أبا يُعْزَى بحمل زبيب فدفعه إلى مؤذنه ثم جلس يتحدث معه فقال له المؤذن: عسى أن تكلم الشيخ أبا يُعْزَى أن يستر الناس ولا يفضحهم فإن الرجل جاهل لا علم عنده فيقول للواصلين إليه: سرقت يا هذا وزنيت يا هذا وفعلت يا هذا كذا وكذا فيذكر لكل واحد فعله ثم انقطع كلامه (أي: حُسِنَ لسانه) قال الضيف الزائر: فنظرت إليه وقد مُنِعَ من الكلام وكلمته فلم يجبني فبينما أنا معه كذلك إذ أقبل أبو يُعْزَى وعصاه في يده فسلم علي... وجاء إلى مؤذنه ومد يده إلى حلقه يمسح عليه ويقول: يا بُنَيَّ صدقت فأنا جاهل لا علم لي إلا ما علمني مولاي ثم طارت علقة دم من حلقه فتكلم وأخذ يقول: أتوب إلى الله..."^(٤).

بمثل هذه الحكايات الغريبة الرهيبة الكاذبة تمكن أنصار الفكر الصوفي من زرع الخوف في نفوس الناس المذنبين حتى وقع في هذا الشرك بعض الفقهاء كما يقولون فضلاً عن العوام والبسطاء.

(١) طبقات الشافعية: ٢١١/٩.

(٢) الكواكب: ٦٧/٢.

(٣) الكواكب: ٩٨/٢.

(٤) المطرب في مشاهير أولياء المغرب ٥١.

أَجْمَاعَةٌ: لا يخافون بهذا النوع من الخوف أحداً إلا الله، لأنهم يعلمون علم اليقين ان لا هادي إلا الله ولا مضل إلا الله ولا شافي ولا مُمَرِّض إلا الله، ولا يعطي النجاح والتوفيق أو يسلبهما إلا الله، ولا محيي ولا مميت إلا الله، وليس في وسع شيخ أو ولي أن يفعل من هذه المذكورات شيئاً بطريق سري. فهذه كلها من صفات الألوهية التي لا يتصف بها إلا الله، فلا داعي للخوف من غير الله في الأمور التي مرت، وهذا النوع من الخوف كما قلنا سابقاً هو خوف السر والخوف العقدي وخوف العبادة وقد ذكرنا غير مرة أن ما كان عبادة لا يجوز صرفها لغير الله.

وللمقارنة بين أنواع الخوف ومزيد البيان فيما يتعلق به نذكر هنا أنواع الخوف وأحكام كل نوع منها:

إن الخوف ينقسم إلى أربعة أقسام:

١ - الأول خوف السرّ الذي نحن بصدده الآن والذي ذكرناه. وهو أن يخاف من القبر ومن صاحب القبر أو من الصنم أو من المقدس شخص أو غيره أن يصيبه بمكروه من مرض أو عاهة أو فقر أو شقاوة أو موت أو نحوها متى يشاء بقدرته ومشيتته. فهذا النوع من الخوف قد عُلمَ حكمه وهو انه شرعاً عبادة ولا يجوز صرفه لغير الله فمن صرفه لغير الله كان شركاً لا يغفر الله لمن مات عليه، وهذا النوع من الخوف هو الموجود عند الصوفية يخافون به مشايخهم.

قال الله تعالى أمراً عباده أن يخصوه بهذا الخوف ويخلصوه له: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِذْ مَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيتَايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

قال في "التيسير": "فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف فهو مشرك" (١).

إن هذا النوع من الخوف منتشر بين الناس كثيراً وموجود ليس عند الصوفية فحسب بل وعند غيرهم أيضاً، يعلم ذلك من تأمل حال الناس، وذلك إنه من المطلوب شرعاً أن تهدم القباب والأضرحة والمساجد والمزارات الموجودة على قبور

(١) التيسير ص: ٤٨٤.

مشايخ الصوفية في ديارنا دَاغِسْتَان وَالتَّيْشَانِ وَأَسْتَرَاخَانَ وغيرها لمنع الناس من شد الرحال إليها وقصد الصلاة أو الدعاء عندها والاعتقاد في أصحابها، ولكن تجد أكثر الناس حتى لو كانوا غير صوفيين يخافون من التعرض لها خوفاً من أن يصابوا بِجَبَلٍ أو جنون أو عاهة في الجسم أو آفة في المال أو الولد فهذا هو الخوف الذي ثَبَتَهُ الصوفية في أوساط الناس ولا ينبغي أن يكون في مسلم مؤمن متمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة، والواجب على المسلمين هنا أن يُقَدِّمُوا على إزالة هذه المنكرات وإزالة هذه العقائد متوكلين على الله ولا يخافون في الله لومة لائم، فعند ذلك يظهر الإسلام وتقوم قائمته.

٢ - الثاني من أنواع الخوف هو الخوف من لومة اللائم، وهو الخوف الذي يؤدي إلى ترك الإقدام على الجهاد مثلاً وترك التصريح بالحق وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه الخوف أن يُلقَّبَ بالوهابي إن تكلم في قضية الشرك والتوحيد وعَمِلَ بالسنة وترك البدعة فقَصَّرَ الإزار وأطلق اللحية وهو المسمى بالجن.

وسبب هذا الخوف هو ضعف الإيمان وقلة اليقين، وكلما كان هذا الخوف في المرء أكثر كان حرصه على الحياة الدنيا أكثر وكراهيته للموت أشد وخوفه للومة اللائم أقوى. فهذا النوع من الخوف غير مُكَفِّرٍ ولكنه محرم لأنه يُثَبِّطُ المرء عن أداء الواجب كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع السنة وتجنب البدعة وَيَسْلُبُهُ خصلة الشجاعة التي هي من أحب الخصال إلى الله.

قال الله تعالى يذكر صفات المؤمنين حقاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لَا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟! قَالَ: «يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى» (١).

(١) رواه ابن ماجه وأحمد، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

فالحديث يحذر من التقاعس عن تغيير المنكر بدون عذر غير خوف الناس وهذا العذر غير مقبول ولا ينبغي أن يكون سبباً في ترك ما أوجبه الله على العباد من التصريح بالحق ودحض الباطل.

٣ - الثالث من أنواع الخوف هو الخوف من عذاب القبر وعذاب النار والخوف من وعيد الله والخوف من مكر الله، فهذا الخوف لازم ومطلوب وهو مقام عظيم من مقامات الصالحين الأبرار وقد أثنى الله على أهله في آيات كثيرة من كتابه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

٤ - الرابع من أنواع الخوف هو الخوف الطبيعي كالخوف من عدو يترصده أو سبع يهجم عليه وكالخوف على ولده من الغرق في النهر، وهذا خوف لا يكاد يخلو أحد منه لأنه خوف جبلي لا يسلم منه إنسان حتى الأنبياء. قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصاص: ٢١]. وقال حاكياً عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣]. وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

ويدخل في هذا النوع الخوف من أن تسجنه الحكومة أو يمسكوه والخوف من الأخبار عن استحکامات العدو وتجمعاته وكثرة عدده ووفور سلاحه، فهذا النوع من الخوف لا يلام أحد عليه وإن كان الخلط منه أفضل ولكنه ينبغي ان لا يتسبب في التقاعس عن أداء الواجب كواجب الجهاد والدعوة وقول الحق وغيرها، بل الواجب في مثل هذه الحالة ان يتغلب على هذا الخوف ولا ينفعل به ويتخذ الأسباب اللازمة ثم يتوكل على الله ويقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

يقول الله تعالى مادحاً عباده الذين لا يخافون هذا الخوف: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

[آل عمران: ١٧٣]. وقال الله تعالى عن موسى: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

وإنما لا ينبغي لنا أن نخاف من استحکامات العدو وتجمعاتهم وكثرة أعدادهم وتنقلات أسلحتهم لأنه لا خطر علينا من أفعال العدو ولا تؤثّر من قبلهم إذا استقمنا على الحق فإن الله قد تكفل أمرهم حينئذ وإنما الخطر علينا من أفعالنا نحن الخاطئة ومعاصينا وذنوبنا، تَبَّهْ إلى هذه النقطة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائد جيوش المسلمين سعد بن أبي وقاص في العهد الذي كتب إليه لما أرسله لفتح بلاد فارس فقد جاء فيه: "... أما بعد فأني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصَرُ المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإن استوتينا في المعصية كان لهم علينا الفضل في القوة، وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا... ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يُسَلِّطَ علينا وإن أسأنا فرب قوم سَلِّطَ عليهم من هو شر منهم كما سلط على بني إسرائيل كفار الجوس لما عملوا بالمعاصي..."^(١).

فعلم مما ذكرنا أن النوع الأول من الخوف الذي هو خوف السر هو خوف العبادة وهو الموجود في الصوفية يخوفون به أتباعهم ومريديهم وبسطاء الناس، وقد كان الأمم الماضية يخوفون أنبياءهم بمثل هذا الخوف فتقول عاد لنبيها هود عليه السلام: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤].

يقول ابن كثير في تفسيره: يقولون: ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها^(٢).

(١) جمهرة رسائل العرب: ١/٢١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٢/٤٥٠).

(٣٠) وُجُوبُ الإِقْتِصَارِ عَلَى شَيْخٍ وَاحِدٍ

الصُّوفِيَّةُ: يقولون بوجوب الاقتصار على شيخ واحد، ولا يجوز عندهم للمريد أن يتحول من شيخ إلى آخر أو أن ينتقل بين الشيوخ أو أن ينتفع بعدة شيوخ في آن واحد، وإلا لم ينتفع بالشيخ ولا سبيل له للوصول إلى الله البتة، بل يوجبون على من انتسب إلى طريقة واحدة أن ينقطع عن المسلمين الذين لا ينتمون إلى طريقته وأن لا يزورهم حتى لو كان المزور من أولياء الله الصالحين، والأخوة الدينية التي جعلها الله على أساس الإيمان العام بين المسلمين قَصَرَهَا الصوفية على أساس طريقته: فترى أحدهم يقول: جاءني أخ لي أو رأيت أخاً لي أو مررت بأخ لي وهو يعني بذلك أخاه في طريقته لا في الإيمان كما شاهدناه غير مرة.

وهذه العقيدة هي عقيدة جميع الطُّرُقَاتِ لا تختلف عنها واحدة منها، وإليك ما يثبت هذا من كتب القوم:

يقول الشيخ الفوتي: "الفصل الثاني والعشرون في إعلامهم بأنه لا بد لكل مريد صادق أن يقتصر على قدوة واحدة ولا يتشوف ولا يلتجئ إلى غيره ولا يزور ولياً من الأولياء الأحياء والأموات..." ثم قال: "واعلم أن الاقتصار على واحد لا يتعداه إلى غيره شرط لازم في طريق أهل الله ولا بد لكل مريد من التزامه، ولا فلا سبيل له للوصول البتة" (١).

ثم نقل عن ابن عربي قوله: "إنما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياساً على عدم وجود العالم بين إلهين، وعلى عدم وجود مكلف بين رسولين، وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين" (٢).

(١) الرماح: ١/١٤٢.

(٢) الرماح: ١/١٤٣.

وعلى هذا أصبح من شروط الطريقة التجانية ترك زيارة الأولياء، فقد نقل الفوتي عن التجاني: أن النبي ﷺ أمره وجميع أهل طريقته بترك زيارة الأولياء، وأعلمهم أن من زار أحداً منهم ينسلخ عن حضرته^(١).

الْجَمَاعَةُ: تقول: كلما كان المشايخ أكثر كان أفضل ولكن لا مشايخ الصوفية بل مشايخ العلم، لذلك نرى الأئمة العظام والعلماء الكرام كالشافعي والبخاري وغيرهما ينتقلون بين مشايخ كثيرين يأخذون عنهم العلوم ولا يقتصرون على شيخ واحد، ما إن يسمع أحد منهم بوجود شيخ فلا يفي في مكان كذا وكذا عنده علم حتى يقصده ويتحمل في طريقه إليه المشاق فإذا رأى أنه استفاد منه وأخذ ما عنده من العلم تحوّل إلى شيخ آخر يأخذ عنه أيضاً، وهكذا حتى يأتي على جميع من يسمع بهم من الشيوخ.

وما كان أحد من شيوخ العلم يمنع طالبه من بعده أن يذهب إلى آخر وما كان يقول له: إن تحولت إلى آخر فلا تصل إلى الله أو لا تصل إلى العلم، بل كان على خلاف ما تفعل الصوفية يقول لطالبه: اذهب من بعدي إلى شيخ كذا وكذا فإن لديه كذا وكذا من العلم، حتى بلغ عدد شيوخ كثير منهم المئات ليس هذا موضع بسطه، هذا هو طريق أهل العلم ومشايخه الذي يختلف تماماً عن طريق أهل الصوف.

أما بالنسبة لزيارة الأخ المسلم فإنها أمر مطلوب شرعاً، فقد جاءت أحاديث كثيرة تحث على زيارة الإخوة في الله وتدل على استحبابه.

فمن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِيهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أُنِي أَحَبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبَتْهُ فِيهِ»^(٢).

(١) الرماح: ١٥١/٢.

(٢) رواه مسلم.

وجعل الله الإخوة الذين يتبادلون الزيارة ممن وجبت لهم محبته ويُظْلَمُ في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «وَجَبَتْ حُبِّي لِلْمُتَحَايِينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَرَاوِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»^(١).

فجاء الصوفية من بعدُ وعدّلوا حكم الله ورسوله وجعلوا ما شرعه الله ورسوله مانعاً من وصول العبد إلى الله.

أما بالنسبة لقياسهم وجود مريد بين شيخين على وجود عالم بين إلهين أو مكلف بين رسولين أو امرأة بين رجلين فقياس لا وجه له من الصحة، إذ وجود إلهين مستحيل فهل وجود شيخين مستحيل؟ ووجود امرأة بين زوجين محرم شرعاً فهل وجود مريد بين شيخين محرم شرعاً؟ وأين النص الذي حرّمه؟ وأما وجود مكلف بين رسولين فأمر ممكن وجائز وواقع فقد أرسل الله موسى وهارون إلى مكلف واحد، كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [يونس: ٧٥] فلم يصحّ قياسهم هذا من وجه من الوجوه.

من خلال ما سمعناه أو قرأناه أو علمناه عن الصوفية نعرف أن عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم وعباداتهم وأذكارهم مخالفة لقول الله تعالى ولما كان عليه الرسول ﷺ حتى الأخوة التي جعلها الله على أساس الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] أخرجها الصوفية عن هذا الأساس وجعلوها على أساس الطريقة، أنسلمها لهم ونقول: إن هذا من العلوم الدنية التي اختص بها الصوفية ولم نطلع عليها؟ أم نردّ كل ما يخالف الكتاب والسنة ونضرب بها وجوه قائلوها؟ بل نفعل الثاني وإن لقبونا ألف مرة وهابيين وهو الواجب لأننا نشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، ومن متطلّبات هذه الشهادة أن لا نقبل قولاً يخالف قوله، ولا نشهد أن شيخ كذا أو كذا رسول الله. والرسول ﷺ ترك لنا من بعده للعمل والاهتداء الكتاب والسنة لا غيرهما.

وخلاصة القول: إن قواعد الصوفية إنما شرعت لإضعاف الإسلام وهدمه من أساسه وتأليه شيوخيهم وإخراج عباد الله من عبادة الله إلى عبادة مشايخهم.

(١) رواه مالك في الموطأ (١٧١١) والحاكم في المستدرک (٧٣١٤) وابن حبان في صحيحه (٥٧٥).

(٣١) هَلْ مَشَايِخُ الصُّوفِيَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ؟

الصُّوفِيَّةُ: تَدَّعِي أَنْ مَشَايِخَهُمْ وَأَوْلِيَاءَهُمْ هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ بَلْ لَمْ يَقِفُوا عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ فَقَالُوا إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ أَتْبَاعَهُمُ الْجَنَّةَ، بَلْ زَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَذَا فَقَالَ: إِنْ مِنْ رَأَى الشَّيْخَ الْفَلَائِي أَوْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ أَوْ أَخَذَ عَنْهُ وَرَدَا أَوْ قَضَى لَهُ حَاجَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَوْ عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ مَا عَمِلُوا وَبَلَّغُوا مِنَ الْمَعَاصِي مَا بَلَّغُوا حَتَّى لَوْ كَانُوا حِينَ رُؤْيَتِهِمْ لَهُ كَافِرِينَ لَا بَدَّ أَنْ يُخْتَمَ لَهُمُ بِالسَّعَادَةِ وَيَمُوتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، فَاسْمَعِ الْآنَ مَا يَقُولُونَ:

قال صاحب الرماح: "ليس لأحد من الرجال أن يدخل أصحابه كافة الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم ﷺ أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة" (١).

ويقول أحمد التجاني: "... أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى أنا وكل أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم لي في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي، من كل من تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت عيسى ابن مريم من جميع الذكور والاناث... وكل من أحسن إليَّ بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر... وكل من لم يُعَادِني من جميع هؤلاء، أما من عاداني وأبغضني فلا، وكل من والاني واتخذني شيخاً أو أخذ عني ذكراً، وكل من خدمني أو قضى لي حاجة... وآباؤهم وأمهاهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم... يضمن لي سيدنا رسول الله ﷺ ولجميع هؤلاء أن يموت كل حي منهم على الإيمان والإسلام... ثم قال أي النبي: كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضماناً لا تتخلف عنك وعنهم أبداً، إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جوارِي في عليين" (٢).

(١) رماح حزب الرحيم: ١٤٣/٢.

(٢) رماح حزب الرحيم: ١٤٣/٢.

ولم يكتف التجاني بهذا فقد زعم كذلك أن الرسول ﷺ لا يفارقه يوم الاثنين والجمعة من كل أسبوع وأن مع الرسول ﷺ سبعة أملاك وكل من رأى التجاني في هذين اليومين تكتب الملائكة اسمه في رقعة من الذهب ويكون ناجياً أبداً ومن أهل السعادة حتى ولو كان كافراً عند مشاهدته فإنه لا بد أن يموت على الإسلام وإن هذا كرامة من الله له" (١).

وفي ترجمة الشيخ مَدِينِ بن أحمد الأَشْمُونِيّ يقول الشعراني: "وجاءته امرأة فقالت هذه ثلاثون ديناراً وتضمن لي على الله الجنة؟ فقال لها الشيخ مباسطاً لها: "لا يكفي" فقالت: لا أملك غيرها، فضمن لها على الله دخول الجنة، فماتت فبلَّغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون الثلاثين ديناراً من الشيخ وقالوا: هذا الضمان لا يصح، فجاءتهم في المنام وقالت لهم: اشكروا لي فضل الشيخ فإني دخلتُ الجنة فرجعوا عن الشيخ" (٢).

وحكى أيضاً: أن ابن أبي حاتم كان في الدرس فأتاه رجل فقال: "إن سور طرسوس قد انهدم منه جانب واحتيج في عمارته إلى ألف دينار، فقال الشيخ للحاضرين من يَعْْمُرُهُ وأنا أضمن له على الله قصراً في الجنة فقام رجل أعجمي وجاء بألف دينار وقال اكتب لي ورقة بهذا الضمان فكتب له الشيخ، ثم إن العجمي مات ودفنت معه الورقة فحملتها الريح حتى ألقته في حجر الشيخ فإذا مكتوب في ظهرها: قد وَفَيْتُنَا ما ضمنته ولا تُعَدُّ" (٣).

الْجَمَاعَةُ: لا تقول عن أحد معين من المسلمين إنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من أخبر النبي الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة المبشرين بالجنة رضي الله تعالى عنهم، لأن معرفة من يدخل الجنة ومن يدخل النار أمر غيبي لا يطلع عليه إلا من أطلعه الله تعالى من أنبيائه ورسله، لأن الرجل وإن كان صالحاً فيما يظهر لنا فلا ندري ما يُخْتَمُ له به وما يموت عليه، لكن نرجو للمحسنين الخير ونخاف على المسيئين.

(١) انظر بغية المستفيد: ٢١٦.

(٢) طبقات الشعراني ٩٠/٢.

(٣) الطبقات الكبرى: ١٦٣/٢.

فهذه هي العقيدة الصحيحة التي ثبتت بالكتاب والسنة وأثبتها العلماء في كتبهم:

يقول أبو جعفر الطحاوي في عقيدته: "وَلَا تُنْزَلُ أَحَدًا مِنْهُمْ (أَي مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ) جَنَّةً وَلَا نَارًا"^(١). أي لا نحكم على أحد معين منهم بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار. ويقول ابن قدامة المقدسي في رسالته (لُفْعَةُ الْإِعْتِقَادِ): "وَكُلٌّ مِنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ شَهِدْنَا لَهُ بِهَا كَقَوْلِهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» وقوله لثابت بن قيس: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا مَنْ جَزَمَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ لَكِنَّا تَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ".
ومما يدل على عقيدتنا من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

ومما يدل على عقيدتنا من السنة ما رواه البخاري: "أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه كان أول من مات من المهاجرين في المدينة وكان من السابقين الأولين في الإسلام وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، فلما مات تَوَلَّى رسول الله ﷺ تجهيزه للدفن والصلاة عليه، فقالت صاحبة البيت الأنصارية التي كان عثمان في بيتها وكانت تُدْعَى أُمَّ الْعَلَاءِ: "رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ (هذه كنية عثمان ابن مظعون) فَشَهِدَا بِي أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَكَ بِالْجَنَّةِ"، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهَا قَالَ لَهَا: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ بِالْجَنَّةِ؟» قَالَتْ: فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ إِنْ لَمْ يُكْرِمْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ وَاللَّهُ إِنِّي لِأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهُ لَا أَدْرِى وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي». فَقَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ الْأَنْصَارِيَّةُ: لَمْ أَشْهَدْ بَعْدَ هَذَا لِأَحَدٍ بِالْجَنَّةِ"^(٢).

وحدث مرة أن مات طفل صغير لم يقترب ذنباً فقالت له عائشة رضي الله عنها: "طَوَّبَ لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَلَا تَدْرِينَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ هَذِهِ أَهْلًا، وَهَذِهِ أَهْلًا»^(٣).

(١) العقيدة الطحاوية.

(٢) أخرجه البخاري وغيره.

(٣) رواه مسلم وغيره.

هكذا كانت عقيدة النبي ﷺ وعليها رُبِّي صحابته أن لا يجزؤوا لأحد معين بالجنة أو بالنار إلا بإخبار من الله تعالى ، لأن ذلك غيب والغيب لا يعلمه إلا الله. أما الصوفية فقد حَرَّمُوا هذه العقيدة وشَطَبُوا عليها وقسموا الناس بأهوائهم إلى أصحاب الجنة وأصحاب النار فمن شاءوا جعلوهم من أصحاب الجنة ومن شاءوا جعلوهم من أصحاب النار.

وأما ما تقول الصوفية من أن مشايخهم يُدْخِلُون مريديهم الجنة فهذا كذب سَمِجٌ وتقول على الله لأن النبي ﷺ وهو أفضل الناس وأفضل الرسل على الإطلاق لم يَدْعِ لنفسه أنه يدخل أحداً الجنة ولم يَعِدْه أحداً، بل أشعر الناس جميعاً أن الذي يدخل الجنة أو يدخل النار هو الله تعالى وحده، حتى أعزُّ الناس على النبي ﷺ وأقربهم إليه لم يضمن لهم أن يدخلهم الجنة. فهذا عَبَّاسُ عم النبي ﷺ يقول له: «يَا عَبَّاسُ عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ أَنْقِذْ نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ فَلَسْتُ بِمُغْنٍ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً». وهذه صَفِيَّةُ عمة رسول الله ﷺ تقول لها: «يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ لَسْتُ بِمُغْنٍ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»، وهذه فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بنت رسول الله ﷺ فَلَذَةُ كَبِدِهِ وَبُضْعَةُ نَفْسِهِ وأحب أهله إليه لم يضمن لها من نفسه الجنة بل قال لها: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ سَلِّبِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»^(١).

هكذا الضمان من أفضل الخلق وأكرم الرسل لأحب الناس إليه. فما عسى أن نقول بعد هذا لضمان مشايخ الصوفية لمريديهم وأتباعهم؟ أيستحقُّ هذا غيرَ الازدراء والاستهانة؟

وأما زعم الصوفية أن أحدا رأى الشيخ الصوفي أو رأى من رآه أو رأى من رأى من رآه أو رأى في يوم كذا وكذا من أيام الأسبوع فلا تكاد تجد كذباً أسمى ولا وقاحة أشنع من هذا، إذ من المعلوم أن النبي ﷺ رآه آلاف الناس من الكفار في كل أيام الأسبوع ومع ذلك فقد ماتوا على الكفر والشرك بل كان معه منافقون صحبوه وجاهدوا معه وصلوا خلفه، بل كان منهم من قال الله في شأنهم ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. فلم ينفعهم صحبتته ولا

(١) متفق عليه.

الجهاد معه ولا الصلاة خلفه اذ ماتوا على نفاقهم، وكذلك كان من أصحاب النبي ﷺ أناس يعرفهم الرسول ويعرفونه ولا يحسبهم الرسول ﷺ إلا أصحابه ويوم القيامة يؤخذ بهم جهة النار ويطردون عن حوضه ﷺ فيقول للملائكة: «أَصْحَابِي أَصْحَابِي» فيقولون: ليسوا أصحابك، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ^(١).

هذا شأن النبي ﷺ وشأن من صحبه وشأن من رآه أو رأى من رأى من رأى من رآه، لا نجد بينهم من أصبح من أهل الجنة بمجرد رؤية الرسول ﷺ ولا من ضمن له الجنة، فكيف بمن دونه ودونهم بمراحل؟

فوالله إن عقائد الصوفية وأكاذيبهم وسخافاتهم لا تستحق الرد عليها ولكن لما كان بعض الناس يسمعون بمثل هذه السخافات فلا يستطيعون التمييز بين النبي الصادق وبين الشيخ الصوفي الكاذب، وبين عقيدة الإسلام وعقيدة الزندقة، فإننا نُضطرُّ أحياناً أن نقابلها بالقرآن والسنة وإن كانت هي أحسن وأحط من أن تقابل بالكتاب والسنة.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٣٢) خُلُودُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ وَعَدَمُ مَوْتِهِمْ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد في إِيْلَاسَ وفي الحُضِرَ وفي كثير ممن لا يعرف قبورهم أنهم لم يموتوا، فهؤلاء أتباع الطريقة القادرية في الشَّيشَانِ وَدَاغِسْتَانَ يعتقدون أن كُنْتَا حَاجِي غَابَ وَلَمْ يَمِتْ وسوف يعود ويحارب الكفار ويجدد طريقته وأنه مستتر وراء جبال "قاف" ينتظر ميعاد خروجه وينسبون إليه قول: "لا تعتقدوا موتي حتى تحدث حرب بين المسلمين والكفار في قرية بَأَقْتُوغَايَ فَإِنْ لَمْ أَظْهَرْ فِيهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ اَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ مِتُّ، وَحَتَّى ذَلِكَ لَا تَعْتَقِدُوا مَوْتِي".

وزعم آدَمُ بْنُ حُوجَا الأَوْتَرِيُّ الشَّيشَانِيُّ الذي درس في العراق سنتين ودخل الطريقة الكَسَنَزَائِيَّةَ . وهي فَرَعٌ من الطريقة القادرية، زعم أنه بلغ مقام المشيخة وأصبح في عداد أولياء الله ومُنِحَ إجازة الإرشاد والتربية في هذه الطريقة وأنه حضر ديوان الأولياء الباطنيِّ فُلقي فيه كُنْتَا حَاجِي وعرضَ عليه أن يَأْتِيَ إلى الشَّيشَانِ لَكِنْ كُنْتَا حَاجِي قَالَ: "لَمْ يَحْنُ بَعْدُ" وجاء بقلم من كُنْتَا حَاجِي هدية إلى أحد مريديه في قرية أَوْتَرِي.

وآدم هذا نَصَّبَ نفسه بعد الرجوع من العراق خليفةً للمسلمين حتى أصبح له أتباع، وما يزال إلى يومنا هذا على قيد الحياة يمضي في طريقه الجديد بعد أن كان يوماً داعية من أقوى الدعاة إلى التوحيد وإخلاص العباداة لله، وكان صديقاً لي زارني مراراً في بيتي وزرته مراراً وكان يستعير مني الكتب المؤلفة في التوحيد وإخلاص العباداة لله لكنه في آخر المطاف استقر به المقام في موسكو وعارض الجهاد في الشَّيشَانِ وَثَبَّطَ الناس عنه فلا ندري الآن هل ما يزال ضمن أولياء الله أم تَرَفَّقَى إلى مقام أولياء المخابرات الروسية؟ لكن أتباعه لا زالوا ينتظرون مجيئه كما ينتظر أتباع كُنْتَا حَاجِي ويكتبون على جدران قريته عبارة "إَرْجِعْ يَا آدَمُ الْخَلِيفَةُ".

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن لا خلود لأحد من بني البشر لا إِيْلَاسَ ولا للخضر ولا لكنتا حاجي ولا لآدم "الخليفة" ولا لغيرهم ولم تدل آية ولا حديث ولا أثر على خلود أحد

من بني البشر إلا عيسى ابن مريم عليهما السلام الذي رفعه الله إليه لينزل عند قرب الساعة وسوف يموت هو الآخر ويدفن في الأرض بجانب النبي ﷺ في المدينة المنورة كما جاءت بذلك الأحاديث.

أما ما تقول الصوفية من أن فلانا لم يمت وأنه خالد وأنه مستتر في مغارة كذا أو وراء جبال "قاف" ونحو ذلك فهي أكاذيب وأساطير من نوع ما يذكر في كتاب (ألف ليلة وليلة).

ولو كان أحد يخلد لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بالخلود ولكنه مات وقبره بالمدينة، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

وصرح القرآن بأنه لا خلود لأحد فقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾؟ [الأنبياء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وينقل ابن كثير عن ابن الجوزي قوله: "فالخضر ان كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل". ثم أردف ابن كثير قائلاً: "والأصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله" (١). ونحن نقول: وَكُنَّا حَاجِي إِنْ كَانَ بَشَرًا فَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا الْعُمُومِ لَا مُحَالَةَ وَلَا يَحُوزُ تَخْصِيصَهُ مِنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ وَلَا دَلِيلَ هُنَا صَحِيحٍ وَلَا غَيْرَ صَحِيحٍ أَصْلًا.

(١) البداية والنهاية ٣٣٤/١.

(٣٣) اِتِّخَاذُ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ

الصُّوفِيَّةُ: يتخذون قبور مشايخهم وأوليائهم مساجد، فيبنون عليها المساجد والقباب ويصلون فيها كما يصلون إلى القبور.

واتخاذ القبور مساجد يأتي بإحدى ثلاث صور:

(١) الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها.

(٢) الصلاة إلى القبور واستقبالها بها وبالدعاء.

(٣) بناء المساجد عليها أو قريباً منها وقصدها للصلاة والدعاء فيها للتبرك، فكل

هذه الصور الثلاثة يصدق عليها اتخاذ القبور مساجد وكلها تفعلها الصوفية

بقبور مشايخهم وأوليائهم.

وهذا أمر مشهور منتشر في كل بلد ضعف فيه الإسلام والتوحيد وقوى فيه البدعة والصوفية، ففي بلادنا في أَسْطَرَاخَانَ عند قبر محمود أفندي مسجد يقصده الناس للصلاة والدعاء فيه والتبرك به وتشد إليه الرحال من المناطق البعيدة، وفي خُوتَرَاخَ عند قبر الشيخ أبي مسلم مسجد تقصده الصوفية زائرين له للصلاة والدعاء فيه، وعلى مقربة من قرية بَاقْتُوغَايَ فِي دَاغِسْتَانَ على قبر الشيخ موسى مسجد يقصده الزوار فيصلون ويدعون فيه ويتبركون بذلك، وإن كان هذان الأخيران أعني الشيخ أبا مسلم والشيخ موسى ليسا شيوخ الصوفية وإنما كانا شيخين جاءا إلى دَاغِسْتَانَ يجاهدان وينشران الإسلام فلقيا حتفهما على أرض دَاغِسْتَانَ ولكن الناس الجهال والصوفية الضُّلَّالُ جعلوا قبورهما وثناً يعبد.

وفي السَّيْشَانَ على قبر أم كُنْتَا حَاجِي مسجد في إِرَتَنَ يأتون فيه بالطامات من الشراكيات والمخالفات الشرعية، أمّا أنه قبر أم كُنْتَا حَاجِي فأحد قولين وهناك قول آخر بأنه قبر زوجة كُنْتَا حَاجِي، والله أعلم بالصواب.

الْجَمَاعَةُ: يرون الصلاة إلى القبور أو عليها والدعاء عندها أو مستقبلين لها وبناء المساجد عليها أو قريباً منها وقصدها للتبرك بها كلّها بدعة محرمة وعملاً منهياً عنه شرعاً ولُعِنَ فاعلها.

ولقد جاءت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة جداً تبلغ حد التواتر تنصُّ على النهي عن اتخاذ القبور مساجد وفيما يلي جملة منها:

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» قَالَتْ: قُلُوبًا ذَلِكَ أَبَرُّ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ حَشِيَّ أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِداً^(١).

(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٢).

(٣) وعن عائشة رضي الله عنها "أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْتَهَا بِالْحَبَشَةِ حِينَ كَانَتَا مُهَاجِرَتَيْنِ إِلَيْهَا فِيهَا تَصَاوِيرُ فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتَا زَوْجَيْنِ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ فَأَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(٤) وعن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «... أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(٤).

أقول: أين هذا النهي المؤكد عن اتخاذ القبور مساجد الذي أكدّه رسول الله ﷺ بحرف التنبيه "أَلَا" أين هو من الصوفية؟ لما ذا لا ينتهون به؟ إني أريد الجواب !!!

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) رواه مسلم وغيره.

٥) وعن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا»^(١). يقول الشيخ الألباني رحمه الله: "إن كل من يتأمل في تلك الأحاديث الكريمة تظهر له بصورة لا شك فيها أن اتخاذ المذكور حرام بل كبيرة من الكبائر لأن اللعن الوارد فيها ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى لا يمكن أن يكون في حق من يرتكب ما ليس كبيرة^(٢).

وكان السلف يحذرون الناس من الصلاة إلى جهة القبور خشية اتخاذها مساجد، فعن أنس رضي الله عنه قال: "رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَأَنَا أَصَلِّي عِنْدَ قَبْرِ فَجَعَلَ يَقُولُ: الْقَبْرِ، قَالَ فَحَسِبْتُهُ يَقُولُ: الْقَمَرِ فَجَعَلْتُ أَرْفَعُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْظُرُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَقُولُ: الْقَبْرِ لَا تُصَلِّ إِلَيْهِ"^(٣).

ويجب أن يُعْلَمَ أن تحريم البناء على القبور وإقامة المساجد عليها هو قول جميع الأئمة ومنصوص المذاهب الأربعة وغيرها لا موضع هنا لبسطها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو من أعلم الناس بمواطن الإجماع: "وقد اتفق أئمة الدين على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا أن تعلّق عليها الستور ولا أن يُنَدَّرَ لها النذور ولا أن يوضع عندها الذهب والفضة، بل حكم هذه الأموال أن تصرف في مصالح المسلمين إذا لم يكن لها مستحق معين ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائنا من كان الميث فإن ذلك من أكابر أسباب عبادة الأوثان"^(٤).

وقال رحمه الله أيضاً: "فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد سواء كان ذلك ببناء المساجد عليها أو بقصد الصلاة عندها بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك وإنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد لا نبي ولا غير نبي، ومن قال: إن قصد الصلاة عند قبر أحد أو في مسجد بني على قبر أو مشهد

(١) رواه مسلم.

(٢) تحذير الساجد: ٤٧.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم (١٥٨١).

(٤) مجموعة الرسائل: ٦٧/١.

أو غير ذلك أمر مشروع بحيث يُستحب ذلك ويكون أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبر فيه فقد مَرَّقَ من الدين وخالف إجماع المسلمين، والواجب أن يستتاب قائل هذا أو معتقده فإن تاب وإلا قتل" (١).

أقول: طيب الله ثراك وجعل الجنة مثواك يا ابن تيمية لقد أبلغت في البيان بحيث لا يدع للشك مجالاً ولا للحجة مقالاً، فهل يبقى بعد مثل هذا البلاغ عذر لمعتذر؟! ويا أيها الصوفية على اختلاف أنواعها وتنوع طرقها إن مزاراتكم وقبابكم ومساجدكم التي بنيت على قبور مشايخكم إنها ستهدم بإذن الله وستُسَوَّى بالأرض عندما تقام كلمة الله في الأرض وتقوم الدولة الإسلامية عليها فهذا كائن لا محالة عاجلاً أو آجلاً إن شاء الله وسوف يشاء، فقاوموها وعارضوها وأجلبوا عليها بخيلكم ورجلكم، واستعينوا بشياطينكم ومن شئتم من القوى الطاغية الباغية في الأرض إن كرهتم ذلك ولكن حزب الله هم الغالبون.

(١) مجموع الفتاوى ٤٤٨/٢٧.

(٣٤) تَقْدِيمُ النُّدُورِ وَالْقَرَابِينَ لِأَصْحَابِ الْقُبُورِ

الصُّوفِيَّةُ: تقدّم النذور والقرايين لقبور أوليائهم ومشايخهم، فيقدمون لها الزيوت أو الشموع ويحملون إليها الذبائح ويدبحونها عندها، وقد يضعون عندها الصناديق تجمع فيها النذور والأموال المتبرّع بها وقد ينثرون النقود الفلوس والدراهم على القبور ليلتقطها من الفقراء من يأتي لزيارتها، وبذلك يجلبون الفقراء إليها، وقد يقولون: يا سيدي يا فلان، إن عاد غائي أو عوفي مريض أو رزقاً ولداً فلك من الذهب والفضة أو الشمع والزيت كذا وكذا، أذبح عند قبرك بدنة أو خروفاً أو نحو ذلك، يفعلون كل هذا تعظيماً للقبر أو المشهد أو تعظيماً لمن دفن به أو نسب إليه أو بنى على اسمه، واعتقاداً منهم أن هذا العمل قرينة إلى الشيخ وقرينة إلى الله وأن صاحب القبر ينفع ويضر ويتصرف في الأمر، ويرون أنها مما يُدفع به البلاء ويُستجلب به النعماء ويُستشفى بالنذور لها من الأدواء، حتى إنهم يندرون لبعض الأحجار لما قيل: إنه جلس إليها أو عليها عبد صالح وولي من أولياء الله واستند إليها أو بات بقربها. إن هذا النوع من النذور والقرايين شيء منتشر بين الصوفية وكتبهم طافحة بذكر نماذجها يقول الشعراي في ترجمة الشيخ بقاء بن بطّو: "وتلمذ له خلائق من الصلحاء والعلماء وقُصِدَ بالزيارات والنذورات"^(١).

لقد اصطلح أصحاب التوحيد أهل السنة والجماعة على تسمية من يقدس القبور ويقدم لها النذور ويعتقد في أصحابها النفع والضرر والتصرف في الأمور أن يسموهم "بِالْقُبُورِيِّينَ" نسبة لهم إلى القبور وتعظيمها وخدمتها وعبادتها. وفيما يلي أنقل قصة ذكرها الأستاذ عبد المنعم الجداوي الذي كان قبل غارقاً في الخرافات الصوفية ثم هداه الله على يد الدكتور جميل غازي إلى العقيدة الصحيحة المستقاة من الكتاب والسنة وفهم الصحابة.

(١) الطبقات الكبرى: ١٢٥/١.

وهذه القصة وقعت له بعد مضي أيام فقط من هدايته أوردتها في رسالته التي كتبها يشرح حاله قبل الهدى وبعد الهداية وعنوان الرسالة "كُنْتُ قُبُورِيًّا".

والقصة هذه ليست إلا صورة من ملايين الصور الَّتِي تحدث لقاصدي القبور بالعبادة والندور وبما أن القصة طويلة فإني أنقلها بتصرف يسير واختصار يقول الأستاذ: "... في الصباح استيقظت على ضجة في البيت غير عادية... واعتدلت في فراشي ووصلتُ إلى أذني أصوات ليست آدمية خالصة ولا حيوانية خالصة... ثغاء وصياح وكلام... غير مفهوم العبارات... وقلت: لا بد أنني أعاني من بقية حلم ثقيل... ثم تأكدت من يقظتي، ولكن الثغاء هذه المرة اخترق طبله أذني، ودخلت عليّ زوجتي تحمل إليّ أنباءً سارة جداً... وهي تتلخص في أن ابنة خالتي التي تعيش في أقصى الصعيد ومعها زوجها وابنها البالغ من العمر ثلاث سنوات قد وصلوا في قطار الصعيد ومعهم الخروف... وفجأة وبدون استئذان اقتحم الخروف الباب واندفع في جنون من مطاردة الأولاد له فحطّم كل ما اعترض طريقه... وقبل أن أدخل في مصارعة الخروف دخلت ابنة خالتي وهي في حالة انزعاج كامل فقد خُيِّلَ لها أنني سوف أقتله... وصاحت وهي على يقين من أنني سأصرعه: "إِنَّهُ!! هَذَا خُرُوفُ السَّيِّدِ الْبَدَوِيِّ" ونادته فتقدم إليها في دلالٍ... وروت لي أنها قدمت من الصعيد ومعها هذا الخروف البكر الرشيق الذي أنفقت في تربيته جهود ثلاثة أعوام هي عُمرُ ابنها لأنها نذرت للسيد البدوي إن عاش ابنها أن تذبح على أعتابه خروفاً، وبعد غد يبدأ العام الثالث موعد النذر...

كانت تقول كل هذه العبارات وهي سعيدة... وخرجتُ إلى الصالة لأجد زوجها وهو في ابتهاج عظيم يطلب مني أن أرافقهم إلى "طَنْطًا" البلد الذي به ضريح السيد البدوي لكي أرى هذا المَهْرَجَانَ العظيم، وقد اكتفوا بالخروف ولم يأتوا ببدنةٍ لبعد المسافة، أما الذين على مقربة من (السيد البدوي) فيبعثون بجمالٍ.

وأصبح علي أن أجمال ابنة خالتي لكي تقتنع بأي حريص على أن يعيش ابنها وإلا اعتُبرَتْ قاطعاً للرحم لا يهمني أن يعيش ابن بنت خالتي أو يموت فلا بد لذلك أن أذهب معهم إلى مهرجان الشرك، وفي نفس الوقت كنت أسأل نفسي: كيف أقنعها بأنها في طريقها إلى الكفر؟ وما ذا سيحدث إذا حطمتُ هذا الحلم الجميل الذي تعيش فيه منذ ثلاث سنوات؟ فقلت أبدأ بزواجها أولاً لأن الرجال قوامون على النساء.

أخذت الزوج إلى زاوية البيت وتعمدْتُ أن يرى في يدي كتاب "الإمام محمد بن عبد الوهاب" ومَدَّ يده فجعل الغلافَ ناحيته، وما كاد يقرأ العنوان حتى قفز كأنه أمسك جمره نار...!!! وهتف صارخاً: ما هذا الذي أقرأه؟ وكيف وصلني هذا الكتاب؟ لا بد أن أحدهم دسه علي... فهو يعرف أنني رجل متزن أحرص على ديني وعلى زيارة الأضرحة وتقديم الشموع والنذور، وأحياناً القرايين المذبوحة والحية كما يفعل هو تماماً ورأيت في عينيه نظرة رثاء إلى ما رماني به القدر في تلك النسخة.

وكان علي أن أقف منه موقف الدكتور جميل غازي مني سابقاً... وشاء الله أن يكون ذلك بمثابة الامتحان لي... وهل في استطاعتي أن أطيق ما قرأت أم لا؟ والأهم من ذلك هو مدى إصراري على عقيدتي وإقناع الآخرين بها أيضاً... فالذي لا يؤثر في المحيط الذي يعيش فيه هو صاحب عقيدة سلبية... فليس من المعقول في شيء أن أطوي توحيددي على نفسي وأترك الآخرين يعيشون في ضلالة لأنهم بعد فترة سوف يغرقوني في خرافاتهم... وعليه فلا بد أن أجادلهم بالتي هي أحسن ولا أتركهم يشعرون أن الأمر هين، لا بد أن أنقِزَهُمْ من شركهم وهم لا بد أن يتراجعوا... لأن الخرافات بما أنها تقوم على ضلالاتٍ هشة فلا يكاد الشك يدخلها حتى يهدمها، والحق في تعقُّبِها إذا كان لِحُوحاً قضى عليها أو على أقل تقدير أوقف نموها حتى لا يصيب الآخرين.

ومن أجل ذلك كله قررت أن أتوكل علي الله وأبدأ الشرح للرجل... ولم أكن أطمع في زحزحته عن معتقدات في ضميره عمرها أكثر من ثلاثين سنة... فاكتمت منه بأن طلبت منه أن ينظر في الأمر... أهؤلاء الموتى أصحاب الأضرحة أكرم عند الله أم محمد رسول الله ﷺ؟ ثم يفكر طويلاً ويحيي إلى بالنتيجة دونما تحيز أو تعصب.

ووعدني بأن يفكر ولكنه فقط يطلب مني أن أرافقهم في رحلتهم "الْمَيْمُونَةَ" إلى طنطا فقلت له: إن هذا المستحيل فلن يحدث. وإذا كان مصمماً على الذهاب إلى السيد البدوي هو وزوجته حتى يعيش ابنهم فليس معناه إلا اعتقاد أن الأعمار بيد السيد البدوي يُعَمَّرُ من يشاء ويميت من يشاء، وحملق فيَّ وصاح قائلاً: لا تَكُفِّرْ يا رجل؟ فقلت له: أيُّنا يكفر؟ أنا الذي أطلب أن تتوجه إلى الله أم أنت الذي تأتي أن تتوجه إلا إلى البدوي؟

فسكت واعتبر هذا مني إهانة لحق ضيافته وأخذ زوجته والخروف وابنهما وانصرفوا من العباسية في القاهرة إلى طنطا، وحيث وقفت أوَدَّعهم همست في أذن الزوج أنه إذا تفضل بعدم المرور علينا بعد العودة من مهرجان الشرك فيني أكون شاكراً له، وإلا لقي مني ما يضايقه، وازداد ذهول الرجل ومضى الركب الغريب يسوق الخروف نحو طنطا. وعلمت بعد أيام أن قريتي عادت من طنطا إلى الصعيد مباشرة دون المرور علينا في القاهرة وأنها غاضبة علي وشكتني لكل شيوخ الأسرة... وفي الأسبوع الثاني فوجئت بجرس وذهب ابني الأصغر ليستطلع الأمر ثم عاد يقول لي: إبراهيم الحرَّانُ، فقلت: الحرَّان؟ إنه زوج ابنة خالتي ما ذا حدث؟ هل جاءوا بخروف جديد ونذر جديد لضريح جديد أم ماذا؟ وقررت أن أخرج غضبي من الصمت إلى العدوان هذه المرة ولو بالضرب... ومشيت في ثورة إلى الباب وإذا بهذا "الحرَّان" يمد يده ليصافحني فدعوته إلى الدخول فرفض... ابتسم ابتسامة مغتصبةً وهو يقول: إنه يطلب كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عندي وحملت فيه طويلاً... جاء يطلب ويلح في أن يبدأ مسيرة التوحيد... لا بد أن وراء عودته أمراً... ليس من المعقول أن يحدث ذلك بلا أسباب قوية جعلت أعماقه تتفتَّح.

بدأ يتكلم وكانت الجملة التي سقطت من فمه ثقيلة كالحجر الذي يهبط من قمة جبل... قال: لقد مات ابني عقب عودتنا... إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا هو الولد الرابع الذي يموت لإبراهيم تباعاً، وكلما بلغ الطفل العام الثالث لحق بسابقه، وفي كل مرة بدلاً من أن يذهب إلى الأطباء ليتداوى مع زوجته بعد التحليلات اللازمة، فقد يكون مبعث ذلك مرضٌ في دم الأب أو الأم اقتنع بأن ينذر مع زوجته مرة للشيخ هذا ومرة للضريح ذاك وأخرى لمغارة في جبل بني سُؤَيْفٍ إن عاش طفله ولكن ذلك كله لم ينفعه، ورغم الجهل والظلم الذي يظلم به نفسه إلا أنني حزنت من أجله، وجلست أستمع إلى التفاصيل.

لقد عاد من طنطا مع زوجته إلى بلدهما وحملها بعض أجزاء من الخروف المقدس الذي كان قد دُبح على أعتاب ضريح السيد البدوي، فقد كانت تعاليم الجهالة تقضي بأن يعودا ببعضه التماساً لتوزيع البركة على بقية المحبين ولكي يأكلوا من هذه الأجزاء التي لم تتوفر لها اجراءات الحفظ الصحية ففسدت، وأصاب كل من أكل منها بِنَزْلَةٍ

مَعَوِيَّةٍ، وقد تصدى لها الكبار وصمدوا بحكم المناعة البدنية، أما الطفل فمرض وانتظرت الأم بجهلها أن يتدخل السيد البدوي، لكن تدخل البدوي قد أبطأ وحالة الطفل ساءت وفي آخر الأمر ذهبت به إلى الطبيب الذي أذهله أن تترك الأم ابنها يتعذب طوال هذه الأيام، فقد استغرق مرضه أربعة أيام، وهز الطبيب رأسه، ولكنه لم ييأس وكتب للعلاج أدوية وحُقِّنَا غير أن الطفل اشتد عليه المرض ولم يقو جسمه على المقاومة فمات.

من موت الطفل بدأت المشاكل كانت الصدمة على الأم أكبر من أن تتحملها ففقدت وعيها وأصابها لُوثَةٌ... جعلتها تمسك بأي شيء تلقاه وتحمله على كتفها وتهْدُهُ وتداعبه على أنه ابنها. أما الأب فقد انطوى يفكر في جدية بعد أن جعلته الصدمة يَبْصِرُ أن الأمر كله لله لا شريك له، وأن ذهابه عاماً بعد عام إلى الأضرحة والقبور لم يزد إلا خسارة، واعترف لي بأن الحوار الذي دار بيني وبينه كان يَطْنُ في أذنيه عقب الكارثة، ثم صمت...!! فقلت له بعض الكلام الذي يخفف عنه والذي يجب أن يقال في مثل تلك المناسبات، ولكن بقي في نفسه شيء من حديثه فهو لم يكمله ولم يخبر ما ذا حدث للسيدة المنكوبة وهل شُفِيَتْ من لوثتها أم لا؟

فقلت له: لعل الله قد شفى الأم من لوثتها؟ فأجاب وهو مطأطئ الرأس: إن أهلها يصرون على الطواف بها على بعض الأضرحة والكنائس أيضاً، ويرفضون عرضها على أي طبيب من أطباء الأمراض النفسية والعصبية، ليس ذلك فحسب، بل ذهبوا بها إلى "سَيِّدَةٍ" لها صحبة مع الجن فكتبت لها على طبق أبيض، وهكذا تزداد العلة عليها في كل يوم وتتفاقم، وكل ما يفعله الدجالون يذهب مع النقود المدفوعة سدى. وحينما أراد أن يحسم الأمر وأصر على أن تعرض على طبيب برزت أمها تتحداه وركبت رأسها فاضطُرَّ إلى طلاقها وهو كاره.

أثارتني قصته ورغم حرصي على النسخة التي حصلت عليها من الدكتور جميل إلا أنني أتيت بها وناولتها له، فأمسك بها وقلَّبها بين يديه، وعلى غلافها الأخير كان مكتوباً كلام راح يقرأه بصوت عال كأنه يسمع نفسه قبل أن يسمعي "تَوَاقَضُ الْإِسْلَامُ" من كلمات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، الناقض الأول الشرك بالله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ يَشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للغير ورفع رأسه فحملق

في وجهي ثم أخذ الكتاب وانصرف واشترط أن يعيده لي بعد أيام، وأن أُخْضِرَ له من الكتب ما يُعينه على المضي في طريق التوحيد.

انصرف إبراهيم والمأساة التي وقعت له تتسرب إلى كياني فطرة بعد فطرة فهي ليست مأساة فرد ولا جماعة وإنما هي مأساة كثير من المسلمين في كثير من الأمصار، الخرافة أحب إليهم من الحقيقة، والضلالة أقرب إلى أفئدتهم من الهداية والبدعة تجتذبهم بعيداً عن السنة..."

توقفت من القصة هنا ورأيت فيها كفاية.

لقد نقلت هذه القصة في كتابي هذا رغم طولها لما فيها من الدروس والعبر التي تصلح ليس لمسلمي مصر فحسب، ولكنها تصلح لمسلمي الجمهوريات الإسلامية أيضاً، ولتشابه الأوضاع الدينية هنا في بلادنا التي طالما رزحت تحت نير الشيوعية وفي البلاد التي تعرف في العالم بأنها بلاد إسلامية.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن النذور والنحر وتقديم القران عبادة مماثلة للصلاة والصيام والزكاة والعبادة بأنواعها لا تصرف لغير الله، ومن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله فقد صار مشركاً عابداً لغير الله والعياذ بالله.

والأدلة على أن النذر عبادة آيات من القرآن هي: قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]. وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]. ووجه الدلالة في الآية أن الله مدح الموفين بالنذور والله تعالى لا يمدح إلا على فعل طاعة أو ترك معصية وكلاهما عبادة. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذْرٍ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. ووجه الدلالة في الآية أن الله أخبر أن كل نفقة أو نذر فعل تقرباً إلى الله فإن الله يعلمه ويجازي عليه فدل ذلك على أنه عبادة.

والدليل على أن الذبح عبادة قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَمْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وإذا تقرر هذا علم جلياً أن من تقرب بنذره إلى الموتى لأجل الاعتقاد فيهم أنهم ينفعون أو يضرّون فقد صرف عبادة جليلة لغير الله وأصبح بذلك في عداد المشركين.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم أو لقبورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذر شرك ومعصية له تعالى سواء كان النذر نفقة أو ذهباً أو غير ذلك وهو شبيه بمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأصنام" (١).

وقال الشوكاني: "ومن المفسد البالغة إلى حد يرمي بصاحبه إلى ما وراء حائط الإسلام ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكان من الدين أن يأتي كثير منهم بأحسن ما يملكه من الأنعام فينحره عند القبر متقرباً به إليه راحياً ما يضمن حصوله منه فيهلُّ به لغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان، فإنه لا فرق بين نحر النحائر لحجارة منصوبة يسمونها وثناً وبين قبر لميت يسمونه قبراً، ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغيي من الحق شيئاً، ولا يؤثر تحليلاً ولا تحريماً، فإن من أطلق على الخمر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين أجمعين، ولا شك أن النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها، فالهدايا والفدايا والضحايا المتقرب بها إلى القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه" (٢).

وعن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي بن أبي طالب أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله ﷺ فقال: ما أسر إليَّ شيئاً كتبه عن الناس ولكني سمعته يقول: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ...» إلى آخر الحديث (٣).

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: "فالمراد به أن يذبح باسم غير اسم الله كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى عليهما الصلاة والسلام أو للكعبة ونحو ذلك وكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً... فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفراً فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً" (٤).

أقول: تعليقاً على قول النووي: إذا كان الذبح لنبي من أولي العزم ردة عن الإسلام فلا أن يكون الذبح لمن دونه من الأولياء والصالحين كفراً من باب أولى.

(١) مجموع الفتاوى: ٥٠٤/١١.

(٢) شرح الصدور: ١١.

(٣) رواه مسلم.

(٤) شرح صحيح مسلم (١٣/١٤١).

(٣٥) إِبَاحَةُ الْخُرُوجِ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن مشايخهم وأولياءهم يَسْعُهُمُ الخروج عن شريعة محمد ﷺ ويستغنون عن متابعتة ﷺ وأن لهم شريعة خاصة بهم تعتمد على علومهم الدنية وتختلف عن شريعته ﷺ وأن شريعتهم قد تبيح لهم ما تحرمه شريعة محمد ﷺ وقد توجب عليهم ما لا توجبه شريعة محمد ﷺ

وعمدتهم في ذلك قصة الخضر مع موسى عليهما السلام الواردة في القرآن فقالوا: "إن الخضر عليه السلام كان ولياً ولم يكن نبياً وكان عنده العلم اللدني وموسى كان رسولاً من كبار الرسل لم يكن عنده إلا العلم الظاهر، فصدرت من الخضر أعمال عملها بناء على ما عنده من العلم اللدني فأنكرها عليه موسى لانتفاء العلم اللدني عنده وعدم اطلاعه على ما اطلع عليه الخضر".

وهكذا نجد الصوفية استنتجوا من قصة الخضر مع موسى أن الولي يُعْطَى من العلوم والأسرار ما لم يعط النبي وأن الولي يَسْعُهُ الخروج عن شريعة النبي كما وَسِعَ الخضر الخروج عن شريعة موسى.

وليصح هذا الاستنتاج يؤكدون على أن الخضر لم يكن نبياً بل كان ولياً فقط إذ لو قالوا إن الخضر نبي لبطل كل دعاويهم ومزاعمهم حول شخصية الخضر وبطلت جميع استنتاجاتهم من قصته مع موسى.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن أحداً لا يَسْعُهُ الخروج عن شريعة محمد ﷺ ومن اعتقد غير ذلك فقد كفر كفراً بيناً لا يختلف فيه اثنان، والعياذ بالله.

وأما قياس الصوفية أولياءهم ومشايخهم على الخضر فقياس فاسد من وجوه:

١ - أولاً: أن الخضر الذي صاحب موسى عليهما السلام لم يكن على شريعة موسى حتى يقال: إنه خرج في أعماله عن شريعة موسى إذ لم يكن موسى مبعوثاً إلا إلى

بني إسرائيل والخضر لم يكن من بني إسرائيل ومعلوم أن كل نبي قبل نبينا محمد ﷺ كان يبعث إلى قومه خاصة ولم يكن يبعث إلى جميع الأقوام فكان تعدد الشرائع جائزاً قبل محمد ﷺ لذلك كان من الممكن أن يكون الخضر على غير شريعة موسى.

وهذا التعدد في الشرائع كان قبل بعثة نبينا محمد ﷺ أما بعد بعثته فلا يجوز لأحد أن تكون له شريعة أو طريقة تختلف في شيء عن شريعة محمد ﷺ إذ لا نبي ولا رسول بعد محمد ﷺ

ولا تأتي الشرائع إلا عن طريق الرسل، فالولي الذي ليس برسول لا تأتي شريعة الله إلى الناس عن طريقه، فكل شريعة جاءت من الله إلى الناس إنما جاءت عن طريق الرسل وبواسطة رسلهم فمن قال: إن هناك طريقاً آخر غير الرسل تعرف بها شريعة الله وأحكام دينه بحيث يستغني عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال وجواب (١).

وروى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: «أَمْتَهُوْكَوْنَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي» فقال عمر رضي الله عنه: "رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَمُحَمَّدٍ نَبِيًّا".

فهذا الحديث نصٌّ على أنه لا يسع أحدًا الخروج عن شريعة محمد ﷺ لأنه إذا لم يجز لموسى الذي هو أحد أولى العزم من الرسل إلا اتباع محمد ﷺ فلأن لا يجوز لأحد آخر غير الأنبياء يكون بالطريق الأولى.

ومثل موسى في هذا جميع الرسل والأنبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد ﷺ ولو كانوا أحياء لوجب عليهم جميعاً أن يتركوا شرائعهم التي أوتوها وكتبهم التي أنزلت عليهم ويتبعوا شريعة محمد ﷺ وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ومجمع عليه بين جميع علماء الأمة.

٢ - ثانياً إن الخضر كان على علم لا يعلمه موسى وموسى كان على علم لا يعلمه الخضر كما قال الخضر هذا في حديثه مع موسى عند مقابلته له، فعمل الخضر أعمالاً بناء على العلم الذي كان عنده فأنكر موسى عليه أعماله لما كان تخفي عليه

(١) قاله القرطبي في الجامع ٤٠/١١ . ٤١ .

الأسباب التي دفعت الخضر إلى عملها فلما أخبره الخضر بالسبب رضي بذلك وترك الإنكار ووجدها سائغة في شريعته، فلم يلزم أن تكون الشريعة التي كان عليها الخضر في حقيقتها مخالفة للشريعة التي عليها موسى؛ بل كل ما فيه خفاء تلك الأسباب على موسى وظهورها للخضر.

٣ - ثالثاً أن الخضر كما كان ولياً كذلك كان نبياً وعليه جماهير أهل العلم والمحققون وحينئذ جاز أن يعطي من العلوم ما لم يعط موسى كما يجوز أن يعطي نبي آخر ما لم يعط موسى والخضر كلاهما، وقد ذكرنا سابقاً العلة التي دفعت الصوفية إلى القول بعدم نبوة الخضر وهي التوصل إلى إباحة خروج الأولياء عن شرائع الأنبياء.

(٣٦) الرّجعةُ عند الصّوفيّة

الصّوفيّة: يعتقدون في مشايخهم وأوليائهم الرّجعة؛ أي: أنهم يخرجون من قبورهم بعد موتهم ويرجعون إلى الدنيا متى أرادوا ويكلمون أهلهم وذويهم ويتفقّدون أتباعهم ومريديهم وربما أعطوهم أورادا وعلموهم أذكّاراً وأخبروهم بالمغيبات، ويعني هذا أن مشايخهم وأوليائهم لا يفقدون الصلة بعد موتهم بالأحياء الذين تركوهم في الدنيا ولا يحول الموت بينهم وبين أتباعهم.

والرجعة عقيدة كانت موجودة عند بعض الناس قبل الإسلام، قال ابن الأثير: "والرجعة مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء، يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون: إن علي بن أبي طالب مستتر في السحاب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادٍ من السماء: (اخرج مع فلان)^(١).

وأول من قال بالرجعة في الإسلام عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني قال: "إن الإمام علي بن أبي طالب لم يمّت وسيرجع ويعذب كل من أساء إلى الشيعة"، ثم اعتنقها الشيعة، وهذا ما أكده النّوحيّ الشيعي في قوله: "ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي عليّ بالمداين قال للذي نعاه كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرّةً وأقمت على قتله سبعين شاهداً عدلاً لعلمنا أنه لم يمّت ولا يموت حتى يملك الأرض"^(٢).

وإذا تقرر هذا علمنا أن الشيعة هم أول من دعا في الإسلام إلى عقيدة الرجعة وأن جذورها رافضية محضة، ثم أخذتها الصوفية عنهم كما أخذوا كل ما فيه تقدّيس للأشخاص وتألّيه لهم، عن الشيعة وعن غير الشيعة من أصحاب الديانات الأخرى،

(١) النهاية مادة رجع.

(٢) فرق الشيعة: ٤٤.

فإذا تتبعنا كل الديانات في العالم القديمة والحديثة لا نجد فيها شيئاً مما فيه تقديس للأشخاص وتأليه لهم إلا وأخذته الصوفية عنهم وطبقوه على مشايخهم وأوليائهم علمه من علمه وجهله من جهله.

بل إن الصوفية زادوا في عقيدة الرجعة على الشيعة، فإن الشيعة لم يثبتوها إلا لأئمتهم، أما هؤلاء فأثبتوها لكل من هبَّ ودبَّ من أولياء الصوفية ومشايخهم؛ بل بلغ الأمر بالكثير منهم أن استنكفوا عن إطلاق لفظ الموت على الشيوخ لتأصل هذا المعتقد في قلوبهم فيطلقون ألفاظاً تناسبه كقولهم: "اختفى الشيخ سنة كذا" أو "حج سنة كذا" ونحوهما.

وفيما يلي نصوص الصوفية التي تثبت عقيدة الرجعة عندهم:
يقول الشيخ علي بن محمد وفا: "علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام"^(١).
ويقول الشيخ أفضل الدين في جواب لمن سأل عن مرتبة المشايخ الظاهرين في مصر في القرن العاشر الجالسين في الزوايا: "وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدي عليه الصلاة والسلام واخبره بوقت ظهوره"^(٢).

أقول: عقيدة الصوفية هذه في علي بن أبي طالب وفي المهدي المنتظر عين عقيدة الشيعة سواء بسواء لا تزيد ولا تنقص.

وفي ترجمة الشيخ إبراهيم المتبولي يقول الشعراني: "سمعت الشيخ عبد القادر الدشتوطي يقول: ليس أحد من الأولياء له سماط يمد كل سنة فوق سد الإسكندر ذي القرنين غير سيدي إبراهيم المتبولي ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضوره فيجلس النبي ﷺ صدر السماط والأنبياء يميناً وشمالاً على تفاوت درجاتهم وكذلك الأولياء، ونقباء ذلك السماط المقداد بن الأسود وأبو هريرة رضي الله عنهما وجماعة"^(٣).

(١) ذكره الشعراني وعلق عليه بقوله: «وبذلك قال سيدي علي الخواص ..» الطبقات الكبرى: ٣٩/٢.

(٢) جواب أفضل الدين: ١٠٤ مع الإبريز.

(٣) الطبقات الكبرى: ٧٧/٢.

يقول محمد أحمد لوح تعليقاً على هذا: "قد جعل الشعراني جميع الأنبياء والأولياء لا يتخلفون عن حضور مائدة إبراهيم المتبوي السنوية وهل من جرأة على الله أكبر من اعتقاد أنه يخرج الأنبياء والأولياء من حياتهم البرزخية المنعمة ويرجعون إلى الحياة الدنيا لا لشيء ألا لتناول طعام أعدّه أحد مشايخ الصوفية، بل لم يستح الشعراني من جعل أجله الصحابة خُدَمَةً لإبراهيم المتبوي على سماته الخيالي"^(١).

وأقول: لعل الشعراني اعتبر إعطاء النِّقَابَة للصحابيِّين على سماء المتبوي تشريفاً لهما لا يناله إلا أخص الصحابة كما كان الصحابة يعتبرون خدمة النبي ﷺ تشريفاً لهم. وفي ترجمة الشيخ علي العيَّاشي يقول الشعراني: "وكان الأولياء الأموات يزورونه كثيراً لا سيما الإمام الشافعي رضي الله عنه فكان يخبر أنه كان عنده يقظة لا نوماً وكان من لا يعلم حاله يقول هذا خُرَافٌ"^(٢).

أقول: نقل صاحب "تلبيس إبليس" عن الشافعي رحمه الله قوله: "مَنْ تَصَوَّفَ أَوَّلَ النَّهَارِ لَا يَأْتِي الظُّهْرُ حَتَّى يَصِيرَ أَحْمَقَ، وَمَا لَرِمَ أَحَدُ الصُّوفِيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً فَعَادَ عَقْلُهُ إِلَيْهِ أَبَدًا"^(٣).

فانظر الآن هل من المحتمل أن يكون قائل هذا القول في سلك مشايخ الصوفية؟ لا أبداً، ولكن الشعراني أدخله فيهم ليرفعوا قدر الصوفية بوجود مثل الشافعي بينهم وفي سلكهم.

ومن أعجب ما ذكر الشعراني في ترجمة أحمد البدوي ما حكاه فقال: "ولما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر مكثت خمسة شهور لم أقرب منها فجاءني البدوي (طبعاً الميت) وأخذني وهي معي وفرش لي فَرَشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل وطبخ لي حلوى ودعا الأحياء والأموات إليه وقال: أَزَلْ بَكَارَتَهَا هُنَا فَكَانَ الْأَمْرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ".

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٦٢/٢.

(٣) تلبيس إبليس.

ويقول أيضاً: "تخلفت عن ميعاد حضوري للمولد (الذي يقيمه أحمد البدوي الميت المدفون في طنطا!!!!) سنة ثمان وأربعين وتسمعمائة وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن سيدي أحمد كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول أبطأ عبد الوهاب ما جاء" (١).

ويقول الشعراي أيضاً عن أبي العباس الحريشي: "ولقد قصدته في حاجة وأنا فوق سطح مدرسة أم حَوْنَد بمصر فرأيتَه خرج من قبره يمشي من دِمِيَاط وأنا أنظره إلى أن صار بيني وبينه خمسة أذرع فقال عليك بالصبر ثم اختفى رضي الله عنه" (٢).

بل نجد الشيخ طنطاوي جوهرى أحد علماء الأزهر الذي توفي عام (١٩٤٠م) يورد قصة غريبة زعم فيها رجعة هارون الرشيد ومقابلته إياه فيقول تحت عنوان: (هارون الرشيد يخاطبني): "إن هارون الرشيد طلب منه طلباً ألح عليه فيه فقال: "بحق الله، بحق النبي، بحق القرآن إلا فعلته؟ فأكدت له أني أفعل ذلك"، فقال: "والله إن جعفر ما زنى بأختي العباسية ولا زوجته لها ولكنه رجل خاني فقتلته، فهل تعاهدني أن تسهر الليل وتجد النهار وتقرأ في الكتب وتبحث فيها حتى تؤلف كتاباً به تطفئ النار المتأججة في الشرق والغرب وتدفع الأكاذيب التي نشرها جرجي زيدان؟ فعاهدته على ذلك ثم ذكر أنه بعد هذه المقابلة قام يبحث فوجد في المكتبة كتاباً اسمه (العباسة أخت هارون الرشيد) فاشتره ووقف علي تفاصيل القصة وبحث في كتب التاريخ فوجد أنها (أي ما كتبه جرجي زيدان) رواية خيالية يكذبها العلم فألف كتاباً استجابة لطلب الرشيد اسمه (براءة العباسية أخت هارون الرشيد) (٣).

أقول: مما يتعجب منه في قصة هارون الرشيد السابق أن هارون الرشيد مع قدرته على الخروج من القبر ومقابلته لطنطاوي جوهرى وقدرته على الكلام ما كتب بنفسه ما يدفع به أكاذيب جرجي زيدان وهو أعلم من كل أحد بأخبار أخته العباسية وأخبار وزيره جعفر بل كلف بذلك طنطاوي وقد اختاره من بين علماء الأمة، ومما ينكر على

(١) الطبقات الكبرى: ١/١٥٧.

(٢) الطبقات: ٢/١٤٧.

(٣) الأرواح لطنطاوي جوهرى: ٣٢٣.

هارون الرشيد انه حلف بحق النبي ﷺ والحلف بغير الله غير جائز في الشرع، فما كان ليفعل ذلك في حياته فكيف يفعله في مماته؟!
أعذر إليك أيها القارئ وأكتفي بهذا القدر من نصوص الصوفية المثبتة لوقوع الرجعة لأولياء التصوف ولو جمعت أخبارهم في ذلك لحصل منه مجلد كامل.

الجماعة: ترى أن عقيدة الرجعة عند الصوفية وعند الشيعة وعند غيرهم عقيدة باطلة وان الميت بعد موته لا يرجع إلى الدنيا ولا يقابل الأحياء ولا يكلمهم ولا يعلمهم شيئاً ولا يخبرهم بالمغيبات، وأن الموت قد قطع الصلة بينه وبين الأحياء، وأن النبي ﷺ أو غيره لم يقابل بعد موته أحداً من الأحياء يقظة، وأن مزاعم الصوفية في ذلك باطلة مخالفة للقرآن والسنة وإجماع الأمة.

وحكايات الصوفية في ذلك إما أنها مكذوبة أو دور الشيطان فيها بارز فهو الذي يتمثل بصورة من يقبله من الأموات.

لا خلاف في أن الله قادر على إحياء الموتى وإرجاعهم إلى الدنيا إذا شاء ولكن الكلام هنا في وقوعه فعلاً علي ما تقول الصوفية، فأهل السنة والجماعة لا يقولون به. وتستند الجماعة فيها كغيرها من العقائد إلى الكتاب والسنة، فأما الكتاب فقد وردت منه آيات كثيرة ترد القول بالرجعة، فمنها:

١ - قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] في هذه الآية نرى أن هؤلاء القوم سألوا الرجعة لأجل الانتهاء عن السيئات والإقبال على العمل الصالح ومع هذا فقد رد طلبهم وقيل لهم: لا سبيل لكم إلى الرجعة فقد عُمِرْتُمْ ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير، فإذا كانت هذه هي سنة الله في خلقه فكيف يسمح للبدوي بالرجعة لكي يفرش للشعراني الفراش فوق ركن القبة فيأمره بوطء زوجته عليه وإزالة بكارتها بعد مضي خمسة أشهر من النكاح.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، فكان الجواب قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿السجدة: ١٤﴾. فنرى أن الله لم يجبههم إلى طلبهم ولم يرجعهم إلى الدنيا.
 ٣ - وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

من هذه الآيات نرى أن هؤلاء يسألون الرجعة إلى الدنيا في جميع مواطن الآخرة عند الموت، وبعد الموت، ويوم القيامة، وعند دخول النار، فلم يبق موطن إلا سألوا الله الرجعة فيها لفرط ندمهم على ضياع حياتهم في الكفر والمعاصي، ولكن الله تعالى يرد عليهم رداً عنيفاً في كل مرة: كلا، لا رجعة فقد تقدمت الأعمال وحان وقت الجزاء^(١). وفي السنة المطهرة ما يؤيد معنى هذه الآيات ويوضح صراحة أنه لا رجعة إلى الدنيا بعد الموت، فعن طَلْحَةَ بْنِ خَرَّاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُسْتُشْهِدُ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِينًا قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ وَكَلَّمَهُ كِفَاحًا أَيْ مُوَاجَهَةً بِغَيْرِ حِجَابٍ فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ: رَبِّ تُخَيِّبْنِي فَأَقْتُلْ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ»^(٢).

هذا الحديث صريح في منع القول بوقوع الرجعة فضلاً عن أن تكون عقيدة إسلامية يجب اعتقادها والحق واضح بين بهذه النصوص لمن كان الحق والهدى مبتغاه وضالته المنشودة.

ولئن قالت الصوفية إن الآيات كلها واردة في حق المجرمين الكفرة فكيف تطبقها علينا نحن المسلمين؟ قلنا: لكن الحديث وارد في حق صحابي جليل قتل شهيداً فزال الإشكال.

(١) انظر عقيدة الرجعة عند الشيعة: ٢٥٤.

(٢) رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وحسنه الألباني. أيضاً

(٣٧) حِفْظُ الْعَالَمِ مِنَ الدَّمَارِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن مشايخهم وأولياءهم هم الذين يحفظون العالم من الدمار ولولاهم لتلاشى العالم في طرفة عين.

يقول في ذلك الشيخ التجاني: "إن نسبة القطب إلى الوجود كنسبة الروح للجسد فلو زالت روحانيته من الوجود لانعدم الوجود كله، وكل خواص الوجود بأسرها على التآمها وافتراقها وعمومها وخصوصها وإطلاقها وتقيدها كلها لا تلازم ذوات الوجود إلا بوجود روحانية القطب فيها، فإذا أزال القطب روحانيته عنها انهدم الوجود كله وصار ميتاً" (١).

بل تعتقد الصوفية أن من يسمونه قطب الأقطاب والغوث الجامع هو الذي يحفظ الله به نظام الوجود، وبه يرحم جميع الوجود، وبه صلاح جميع الوجود وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود، ولو زال عن الوجود طرفة عين واحدة لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة عين (٢).

ويقول علي الخواص: "فلو لم يحمل القطب وجماعته البلاء عن العالم لتلاشى العالم في لحظة" (٣).

وذكر الشعراني أن جماعة من الصوفية طلبوا من السيد عبد العزيز الدَّيرِيّ كرامة فقال لهم: "يا أولادي وهل ثمة كرامة أعظم من أن الله يمسك بنا الأرض ولم يحسفها" (٤).

(١) جواهر المعاني: ٢٦٧/١.

(٢) انظر الجواهر ٢٢٧/١.

(٣) درر الغواص: ١٥ - ١٦.

(٤) الطبقات الكبرى: ١٧٢/١.

ويقول محمد خضر الشنقيطي "وأما الأوتاد فهم أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم العُمُد وهم حكم الجبال في الأرض ولذا سموها أوتاداً يحفظ الله بأحدهم المشرق وبالأخر المغرب وبالأخر الجنوب وبالأخر الشمال" (١).

الْجَمَاعَةُ: تعتقد ان العالم لا يحفظه من الدمار إلا الله ولا يمسكه عن السقوط إلا الله وأن عقيدة الصوفية في ذلك باطلة وقولهم باطل مردود عليهم، يصادمه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَّمْسَسَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]. كما يكذب الصوفية في قولهم هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]. ففي الآية تصريح بأن الله هو الذي يمسك السموات والأرض والله أعلم بكيفية إمساكه بها وبماذا ولكن ليس فيها ذكر لمشايخ الصوفية.

حتى تقوية الأرض وتثبيتها فأخبر تعالى أنه جعله بالجبال الرواسي لا بمشايخ الصوفية، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]. كما ذكر الله تعالى أنه جعل الجبال أوتاداً لا مشايخ الصوفية ولا أقطابهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]

إن ما يجب أن يُعْتَقَدَ عقيدة لا يتطرق إليها شك هو أن أحداً من المخلوقين لا يقدر على حفظ شيء من العالم لا المشرق ولا المغرب ولا الجنوب ولا الشمال كما أنه ليس أحد منهم كائناً من كان يقدر أن يحفظ أو يمسك السماء والأرض، وليس لأحد منهم روحانية تسري في الوجود فتُمُدُّ الأحياء بالحياة متى أزال روحانيته انعدم الوجود. كل هذه الأمور أكاذيب وخيالات نسجتها عناكب الصوفية إما لشدة جهلها وبعدها عن الكتاب والسنة أو لتصيد بها عقول الجهلة والسذج والمغفلين فيجعلوهم راكعين ساجدين أمام أهتتهم مشايخ الصوفية، والاحتمال الثاني أقوى وأرجح.

(١) مشتهى الخارف الجاني: ٥٥٩.

(٣٨) التَّعَصُّبُ لِأَقْوَالِ الْمَشَايخِ

الصُّوفِيَّةُ: تتعصب لمشايخهم وأفواههم حتى لو خالفت القرآن والسنة ويقولون هم أعلم منا بالشرعية والطريقة والكتاب والسنة ومقاصد الشريعة فاتباع قولهم واجب وإن خالف ظاهر الشريعة.

يقول علي المرصفي (الذي ختم القرآن في يوم وليلة ٣٦٠ ألف ختمة!!): "...وإن قال قائل للمريد إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه الرجوع إلى كلام شيخه... وإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدر فيه لا يجوز لأحد تصديقه، إنه في حال تهمة لارتداده عن طريق شيخه"^(١).

الْجَمَاعَةُ: تقول: الحق ما قال الله تعالى وما قال الرسول ﷺ فلا يجوز التعصب لأحد غير الله والرسول ﷺ ولا تقديم أحد على الله والرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]. ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ولأن الله تعالى وصف أهل الكتاب بأنهم ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. تعرفون لماذا؟ لأنهم استحلوا ما أحلوه وحرّموا ما حرّموه ولم يرجعوا في معرفة الحلال والحرام إلى كتاب الله كما فسر به بذلك النبي ﷺ

ففي الحديث عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ». وسمعتة يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

(١) الطبقات الكبرى: ١٢٨/٢.

قال (اي عدي): إنهم لم يكونوا يعبدونهم فقال النبي ﷺ: «وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا شَيْئًا اسْتَحْلَوْهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»^(١).

إننا إن فرضنا أن قول الصوفية هنا صحيح فما ذا نفعل بآية: ﴿فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] أليس مفهومه: وإن لم تكونوا تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه إلى من شئتم من دون الله والرسول؟.

إن تعصب الصوفية هذا مخالف لما علم من الأئمة أيضاً فقد قال الشافعي رحمه الله "أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله لم يحلَّ له أن يدعها لقول أحد" وقال أيضاً: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت" وقال أيضاً: "كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي أولى فلا تقلدوني".

وقال الإمام أحمد: "لا تقلدوني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا، فرأى الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة بالآثار".

فانظر إلى أقوال هذين الإمامين الجليلين والجليلين العظيمين في العلم والصلاح والتقوى هل يقولان، كما تقول الصوفية: إن علومنا من علوم الله فارجعوا إليها وقدموها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ لا، أبداً.

وأما قولهم: "إن مشايخ الصوفية أعلم منا بالكتاب والسنة والشرعة والطريقة" فإننا لا نسلم به، فإن كانوا أعلم منا بهذه المذكورات فليبرزوا لنا علومهم وليلزمونا بحجتهم وليثبتوا لنا صدقهم فلسنا بعيدين عنهم.

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥).

(٣٩) آدابُ المُريدِ إِزاءَ شَيْخِهِ

الصُّوفِيَّةُ: وضعوا للمريد مع شيخه آداباً كثيرة لم ترد في السنة وكثير منها لم تعملها الصحابة مع نبيهم محمد ﷺ فإذا لم يعملها المريد فإنه لا ينتفع بشيخه ولم يصل إليه من فيوضاته وألطافه ولم يبلغ نهاية طريق السالكين العارفين مقام مشاهدة الحق والفناء في الذات الإلهية.

١ - فمن آداب المريد عند الصوفية أن لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهره حراماً، حتى لو رآه يشرب الخمر التمس له تأويلاً أو عِلْماً يَرْبِي اعتقده فيه سراً، ولا يقول له: لم فعلت كذا؟ لأن من قال لشيخه: لم؟ لا يفلح أبداً، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن كما وقع للخضر مع موسى عليهما السلام وفي هذا المعنى قال بعضهم:

وكن عنده كالميت عند مغسل * يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره * عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن * على غير مشروع فثم مخادع^(١)

ويقول محمد الكردي: "اُخْدِم المشايخ بالمال والبدن ولا تنكر على أفعالهم فإن المنكر عليهم لا ينجو"^(٢).

أقول: هذا الأدب إن صح تسميته أدباً إماتة لأكبر واجبات الأمة الإسلامية واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي به نالت أن تكون خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) تنوير القلوب: ببعض تصرف مني: ٥٢٨.

(٢) المواهب السرمدية: ٨٩.

وهو أيضاً مخالف للحديث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

وهو أيضاً تسوية للشيخ بالله فإن الله هو الذي لا يسأل عما يفعل، وهو وحده الذي لا يقال له: لم؟ وغيره يسأل، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وهو أيضاً مخالف لما قاله أبو بكر رضي الله عنه حين اسْتُخْلِفَ على الأمة الإسلامية: فقد قال: "أَطِيعُونِي مَا أَعْطَى اللَّهُ فِيكُمْ فَإِنْ عَصَيْتُهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ". ومخالف لما فعله عمر رضي الله عنه وهو انه أمر الناس ان لا يسكتوا عن منكر إذا وقع فيه.

بمثل هذه الآداب نجد مشايخ الصوفية يُرَوِّضُونَ مريدتهم على الطاعة العمياء ويدربونهم على الاستسلام التام ليعثوا بعقولهم كيف يشاءون، ويحذرونهم من الإنكار والاعتراض وإلا خوفهم أنهم سيطردهم من حضرة الله عز وجل، ولهم كلمة مشهورة: "لَا تَعْتَرِضْ فَتَنْطَرِدْ"، وهذه الكلمة تذكرني بالحرمان الذي كان يفرضه رجال الكنيسة على من يشاءون في العصور الوسطى فكانوا إذا اعترض عليهم أحد يخرجون له وثيقة الحرمان وهي حرمانه من دخول الجنة، وما هؤلاء منهم ببعيد.

٢ - ومن آداب المريد: أن يرى كل نعمة إنما هي من شيخه^(٢).

أقول: هذا الأدب الصوفي تكذيب لله تعالى الذي يقول: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وهو أيضاً تكذيب للنبي ﷺ الذي علم أمته ذكراً يقرأونه كل صباح مساءً، وهو: «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) المواهب السرمدية: ٤٩٤.

(٣) رواه أبو داود في السنن، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وحسن إسناده ابن باز. انظر تحفة الأخيار: ٢٤.

ولم يرد في القرآن ذكر للنعمة إلا وهي مضافة إلى الله منسوبة إليه، فهذا سليمان نبي الله عليه السلام نسبها إلى الله فقال تعالى حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩].

ويعقوب نبي الله نسبها إلى الله، فقال تعالى يحكى عنه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]. هؤلاء الأنبياء والرسل الكرام الذين وصل على أيديهم كل خير إلى الناس وتسببوا في هدايتهم إلى طريق الحق ما نسب أحد منهم النعمة إلى نفسه، فكيف تجرؤ الصوفية أن ينسبوا كل نعمة إلى مشايخهم؟ فما أجرأهم على الله!!!

إني والله أخاف أن لا أسمى هذا الأدب الصوفي شركاً فكيف لا يكون كذلك والصوفية يتحدثون بنعم الشيخ والله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. وما قال تعالى: وأما بنعمة شيخك فحدث.

٣ - ومن آداب المريـد مع شيخه أن لا يجلس بحضرته مترعباً ولا مظهراً رجلاً له.
٤ - ومن آداب المريـد أن لا يلبس لبسة الشيوخ إلا إذا انتهى من مقام التربية.
أقول: هذا والذي قبله حقوق أعطيت للشيخ لم يجعلها الله لرسوله ﷺ فالنبي ﷺ لم يعلم الصحابة هذين الأدبين ولم يأمرهم أن لا يلبسوا كلبسته ولا يتشبهوا به في عمامته أو قلنسوته أو يجلسوا متربعين في حضرته، بل كانوا يجلسون بحضرته ﷺ متربعين ومضطجعين وكان أحياناً يضطجع معهم، ولم يكن له ﷺ زي خاص ولا مجلس خاص. فهل فاق مشايخ الصوفية النبي ﷺ حتى يُتَأَدَّبَ معهم بما لم يتأدب مع رسول الله ﷺ؟ أم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله؟.

٥ - ومن آداب المريـد أن لا يشير على شيخه برأي حتى لو استشاره يرد الأمر إلى شيخه اعتقاداً منه أنه أعلم بالأمر وغني عن استشارته^(١).

أقول: بهذا الأدب ضربت الصوفية بقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. غرَضَ الحائط، وخالفوا فعل النبي ﷺ والصحابة، فقد كان النبي ﷺ كثيراً ما يستشير أصحابه فيما أشكل عليه من الأمور وفيما أراد أن يعرف

(١) تنوير القلوب: ٥٢٩.

رأيهم فيه فيأخذ برأيهم، فقد استشار الأنصار يوم غزوة بدر فكان يقول: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ» (يريد الأنصار)، وربما بدأه الصحابة بالمشورة من تلقائهم فيأخذ بمشورتهم، فهذا حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيُّ أشار عليه ﷺ لما نزل منزلاً يوم بدر أن يغير منزله فأخذ رسول الله ﷺ بمشورته وقال له: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»^(١).

وبهذا نرى أن النبي ﷺ فداه أبي وأمي مع صحابته لم يكونوا على ما كان عليه الصوفية مع مشايخهم، فلم يكن النبي ﷺ غنياً عن مشورة أصحابه وهو المعصوم ولم يكن الصحابة يمتنعون عن إبداء رأيهم ومشورتهم بحجة التأدب معه.

٦. ومن آداب المريـد مع شيخه أن لا يسلم عليه باللسان إذا دخل عليه بل يسلم عليه بالقلب فيرد عليه الشيخ بقلبه، أما السلام عليه باللسان ففيه إساءة أدب معه وذلك أن البدء بالسلام سنة لا واجب ورد السلام واجب فإذا بدأ المريـد بالسلام وسلم عليه باللسان يكون قد أوجب على الشيخ شيئاً إزاء مريده فهذه إساءة أدب يجب على المريـد التحرز منها وكفى به إثماً مبيناً.

أقول: وهذا الأدب الصوفي مخالفة صريحة للأدب الإسلامي فالسلام بين المسلمين أمر مطلوب شرعاً وهو تحية من بعضهم للبعض، والله ينهي المؤمنين عن الدخول في بيوت غير بيوتهم بدون استئذان وسلام على أهلها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

والأحاديث أيضاً تحثنا على إفشاء السلام والإكثار منه فقال ﷺ: «أَلَا لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢).

وكان من هديه ﷺ أن يسلم على من يلقاه صغيراً أو كبيراً رجلاً أو امرأة. ولم يعرف عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة أنهم تركوا السلام باللسان وتحولوا إلى السلام بالقلب كما فعلت الصوفية ولو فعلوه لورد ذكره في الكتب. ثم إن السلام بالقلب لا يعتبر سلاماً في ميزان الشرع ولا يثاب عليه حتى ينطق به اللسان وكذا رد السلام.

(١) ابن إسحاق في السيرة.

(٢) رواه مسلم.

فإذا عرفت هذا تبين لك أن الصوفية بأدبهم هذا يخالفون الله فيما نهي، ويخالفون الرسول ﷺ فيما أمر ويعملون عملاً لا عبرة له في ميزان الشرع، هكذا الصوفية يخرجون من الإسلام في آدابهم وأخلاقهم وعقائدهم وعباداتهم خطوة خطوة حتى يخرجوا منه أخيراً بالكلية.

٧ - ومن آداب المريـد وواجباته مع شيخه أنه إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو دنياه لا يستعجل الإقدام على مكالمة الشيخ والمهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله مُتَقَرِّغٌ فكما أن للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً لأنه مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضاً آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالى ^(١).

أقول: ألا ترون كيف سوى مخاطبة الشيخ بمخاطبة الله وجعل الكلام مع الشيخ من معاملة الله وهل يصح أن يسمى إلا إشراكاً للشيخ بالله. وإذا لم يكن مثل هذا شركاً فما هو الشرك؟ أفيدونا.

٨ - ومن آداب المريـد وواجباته إزاء شيخه أن لا يتزوج زوجة طلقها أو مات عنها شيخه أو مالت إليها نفسه.

يحكي الشعراي... "وقد بلغنا أن سيدي محمد الشُّومِيّ مات عن زوجته وهي بكر وقال لها: لا تتزوجي بعدي أحداً فأقتله!!! فاستفتت العلماء في ذلك فقالوا لها: هذا خاص برسول الله ﷺ فتزوجي وتوكلي على الله فعقدوا لها على شخص فجاءه تلك الليلة وطعنه بحربة فمات من ليلته وبقيت بكراً إلى أن ماتت وهي عجوز" ^(٢).

أقول: وهذا الأدب أيضاً مخالفة لصاحبة لحكم الشرع، والمعلوم من الشرع إن هذا الزواج ليس مكروهاً فضلاً عن كونه حراماً، إذ لو كان كذلك ما خفي على الصحابة والأئمة وكبار العلماء ولورد ذكره في كتب الفقه في أبواب النكاح.

إن هذا التحريم في فقه الصوفية على خلاف الكتاب والسنة إنما هو لرفع مشايخ الصوفية إلى مقام النبوة فإن الله قد حرم على الأمة الإسلامية أن ينكحوا أزواج رسول

(١) عوارف المعارف على هامش الإحياء ٩٨/٤.

(٢) طبقات الشعراي ٢/١٠٣، وجامع النبهاني: ٢٨٤/١.

الله ﷺ من بعده فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وهذا خاص بالنبي ﷺ دون غيره، وإلا فقد ثبت أن كثيراً جداً من الصحابة قد تزوجوا نساءً من بعد طلاقهن من صحابة آخرين أو من بعد موت أزواجهن عنهن. فهذه أَسْمَاءُ بنت عُمَيْسٍ قد تزوجها جعفر بن أبي طالب ومات عنها في غزوة مؤتة ثم تزوجها من بعده أبو بكر الصديق في حياة النبي ﷺ ثم تزوجها علي من بعد أبي بكر رضوان الله عليهم جميعاً، فعلم من هذا أن تحريم الزواج من امرأة بعد طلاقها أو موت زوجها عنها إنما كان للنبي ﷺ وحده لا لصحابي ولا لتابعي ولا غير ذلك وليس مشايخ الصوفية بأعلى مقاماً ورتبة من أفضل البشر بعد الأنبياء (أعني الصحابة).

٩ - ومن آداب المريد مع شيخه أن يعظم ما أعطاه له شيخه ولا يبيعه لأحد ولو أعطاه ما أعطاه فرمما يكون طوى له فيه سرّاً من أسرار الفقراء فيما يعينه في الدارين ويقربه إلى حضرة الله عز وجل

أقول: وهذا الأدب أيضاً فيه من المخالفة الشرعية ما فيه، ففيه تقييد حرية المريد في الشيء الذي تملكه حتى لو عرضت له حاجة إلى التصرف فيه ببيع ونحوه لم يجز له ذلك. وفيه تضليل لعقيدة المريد بأن يوهم أن في الشيء الذي أعطاه شيخه سرّاً يعينه في الدارين ويقربه إلى الله. وإن وجد فيه سرٌّ فإنما هو دفع المريد إلى الغلو في الشيخ وإعدادُه لقبول ألوهيته.

١٠ - ومن آداب المريد أن يسلب اختيار نفسه باختيار شيخه في جميع الأمور كلية كانت أو جزئية عبادة أو عادة، ومن علامة المريد الصادق أنه لو قال له شيخه ادخل التنور دخل^(١).

أقول: هكذا يجب أن يكون المريد أداة طيعة في يد شيخه يسلبه اختياره ويختار له من العبادة والعادة ما يشاء هو.

لكن الأمر في ميزان الشرع الثابت في الكتاب والسنة يختلف تماماً عما في ميزان الصوفية. فقد ورد في الحديث انه لما أمر رسول الله ﷺ أميراً على عدد من المسلمين

(١) تنوير القلوب.

في سرية قال هذا الأمير لأصحابه: ألسـت أميركم؟ قالوا: بلى. قال: ألم يأمركم الرسول بطاعتي؟ قالوا: بلى قال: فأني أعزّم عليكم إلا أن تواتبوا في هذه النار وكان قد جمع حطباً وأشعله فقال بعضهم: والله ما أسلمنا إلا فراراً من نار الآخرة فكيف ندخل النار الآن؟ وهم البعض الآخر بدخولها فأوقفهم وقال إني كنت أمتح، ولما أخبر رسول الله ﷺ بهذه الواقعة قال ﷺ «وَاللّٰهُ لَوْ دَخَلُوا فِيهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١).

فكيف يتفق هذا الذي ورد في الحديث مع الأدب الصوفي الذي يطالب المريـد بدخول التنور إن طلب منه شيخه ذلك الأدب الذي إن أخل به المريـد لم يصل إلى نهاية الطريق؟

أيريدون أن يقولوا: هذه شريعة وتلك طريقة أو هذا ظاهر وذاك باطن؟

١١ - ومن آداب المريـد اللازمة الضرورية أولاً حفظ قلب شيخه ومراعاته في الغيبة والتواضع له ولذريته وأقاربه وثبوت القدم على خدمته وأوامره كليها وجزئها وربط القلب به واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات واستمداد همته والفناء فيه وأن يكون ملازماً له لا يفتر عنه طرفة عين ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريـد. كما وقع لبعضهم انه دخل على شيخه فرأى عنده امرأة جميلة يلاعبها ويعانقها ويجامعها فخرج منكراً على شيخه فأخذ منه حالا ما استفاده من شيخه ومع ذلك إن المرأة إلا امرأة الشيخ وزوجته"^(٢).

أقول: نأخذ مما ذكر ضمن هذا الأدب من الأمور الغريبة الرهيبة نقطة واحدة والباقي نتركه إلى تعليق القارئ وهي أن الشيخ العارف بالله يلاعب زوجته ويجامعها أمام مريده ولم يغلق بابه حتى لا يدخل عليه أحد ولم يشعر بدخول مريده عليه أو شعر ولكن لم يبال بدخوله عليه ونظره إليه، أنقول: إنما فعل ذلك ليختبر مريده؟ أم نقول إنه شيطان أفضى إلى شيطانة على مرأى من الناس؟ ولكن أي بأس عليهم؟ مشايخ الصوفية لا يُسألون عما يفعلون! ولا تعترض فتتطرد!! وسلم تسلم!! هذا بالنسبة للشيخ

(١) رواه مسلم.

(٢) قلادة الجواهر: ٢٧٨.

ولكن بالنسبة للمريد ما أسوأه أدباً!! يدخل حيث يجامع الشيخ زوجته بدون استئذان، هلا تعلم أولاً أدب الشرع أدب الاستئذان!!!.

١٢ - ومن آداب المريد إذا زار شيخاً في قبره أن لا يعتقد أنه ميت لا يسمعه بل الأدب أن يعتقد حياته البرزخية لينال بركته فإن العبد إذا زار ولياً وذكر الله عند قبره فلا بد أن ذلك الولي يجلس في قبره ويذكر الله معه كما شهدنا ذلك مراراً^(١).

أقول: هذا الأدب لا مستند له من الكتاب والسنة، أما اعتقاد كونه حياً بالحياة البرزخية فهذا أمر عام لجميع الناس فلا وجه لتخصيص مشايخ الصوفية بذلك وأما أن تنال بركته فشيء لم تثبته الصوفية إلا مزاعم، وأما أن يجلس الولي في قبره إذا ذكر الله عنده فهذا قول على الله بلا علم لأن ما يتعلق بالحياة البرزخية مُعَيَّبٌ عنا والقول فيه قول على الله بلا علم وقد أنكر الله على من يقول على الله ما لا يعلم بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]. ويقول تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

١٣ - ومن آداب المريد أن يبادر بإتيان ما أمره به الشيخ بلا توقف ولا إهمال ولا استراحة ولا سكون قبل تمام ذلك الأمر.

يقول أبو يزيد البسطامي: "إذا أمر الأستاذ التلميذ أمراً من أمور الدنيا وبعثه في إصلاحه فيقيم مؤذن في بعض طرقاته على مسجد من المساجد فيقول أدخل أولاً المسجد وأصلي ثم أكون وراء ما بعثني إليه فقد وقع في بئر لا يتبَيَّرُ أسفلها يعني ليس لها مقر"^(٢).

أقول: مثل هذا الكلام ومثل هذا الأدب أظن لا يحتاج إلى تعليقنا فالكل واضح بين والهدف الذي يهدف إليه الصوفية من خلال هذه الآداب أيضاً واضح بين وهو تأليه مشايخ الصوفية وتعبيد مريديهم لهم وتسخير أمواهم وأنفسهم لهم بلا حدود، فالله المستعان.

(١) الأنوار القدسية ١/١٦١.

(٢) شطحات الصوفية: ١٨٢.

١٤ - ومن آداب المريـد عند زيارة شيخه الجُتُّو على الركب أمامه وتقبيل يده ورجله وان لا يوطأ على حصيره أو سجاده وان لا ينظر من جسده ما فوق سـرته والخروج من عنده قَهْقَرَى.

يقول ابن عَجِيبة: "للقوم في لقاء المشايخ آداب: منها أنهم إذا قدموا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية... ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله إن جرت بذلك عادة الفقراء (يعني الصوفية) فهو من أحسن التعظيم ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار خافضين أصواتهم ناكسين رؤسهم غاضين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالكلام"^(١).

ويقول أيضاً: "... فإن تعذر عليه (أي على المريـد) الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليشخص شخصه بين عينيه بصفته وهيئته ويشكو له فإنه يبرأ بإذن الله وان كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه"^(٢).

أقول: عندما أسمع ما يلزم أن يفعل بزاوية الشيخ يتبادر إلى الذهن السؤال الوقح: أيهما أفضل الكعبة أم زاوية الشيخ؟ فإن قالوا بل الكعبة أفضل قلنا: فما بالكم تفعلون بالزاوية أكثر مما تفعلون بالكعبة؟

وأما بالنسبة للشكوى فالأنبياء ما شكوا إلا إلى الله، فني الله يعقوب عليه السلام شكاً إلى الله فقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. ونبينا محمد ﷺ شكاً إلى الله فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَشْكُو ضَعْفِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ...»^(٣) وما شكأ أحد منهم إلى مخلوق مثله.

وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: إن شيخ الصوفية إن لم يكن إلهاً هنا فمتى يكون؟ وإن لم يكن هذا شركاً فما هو الشرك؟ أجيبونا.

١٥ - ومن آداب المريـد وواجباته إزاء شيخه أن يقف عند كلام شيخه ولا يتأوله ويلفعل ما أمره به شيخه وإن ظهر أن شيخه أخطأ^(٤).

(١) الفتوحات الإلهية: ٣٠٨.

(٢) الفتوحات الإلهية: ٣٣٩.

(٣) ذكرته كتب السيرة.

(٤) الأنوار القدسية: ٣٦/٢.

يقول علي اليشُرطِيُّ: "إياكم أن تقولوا كلامي فإن كلامي صريح لا يؤول فاسمعوا ما أقول لكم" (١).

أقول: سبحان الله! كلام الله وحديث رسوله ﷺ يؤولان ليتفقا مع كشفهم كما يقول حجة الإسلام وكما يفعلون كلهم أما قول الشيخ المتصوفة فلا يجوز تأويله؟ أحقاً ما يقولون؟

أعود فأقول: ألا يخطر ببال أحد أن معظم مصائب المسلمين وتفرق شملهم وتشتت كلمتهم إنما هي نتيجة انتشار الصوفية بينهم؟

١٦- ومن آداب المريـد أن لا يقبل في حق شيخه لوم لائم ولا عدل عاذل.

يقول الشعراني: "... وأجمعوا علي أن من شرط الحب لشيخه أن يُصمَّ أذنيه عن سماع كلام أحد في الطريق غير شيخه فلا يقبل عدل عاذل حتى لو قام أهل مصر كلهم في صعيد واحد لم يقدرُوا على أن ينفروه من شيخه ولو غاب عنه الطعام والشراب أياماً لاستغنى عنهما بالنظر إلى شيخه لتخيله في باله، وبلغنا عن بعضهم انه لما دخل هذا المقام سَمِنَ وَعَبَّلَ من نظره إلى أستاذه" (٢).

أقول: التعليق أتركه إلى القارئ، ولكن عملاً بالحديث «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» (٣) أنصح لمن أراد السِّمْنَ وَالْعَبَالََ بدون طعام وشراب أن يدخل المقام الذي دخله بعضهم.

١٧- ومن آداب المريـد أن ينتظر كل شيء سوى المغفرة من شيخه.

يقول عبد القادر الجيلاني: "... وينبغي له (أي للمريـد) أن لا ينتظر من الله مطلوباً سوى المغفرة... والتجيب إلى الشيخ من الأولياء والأبدال سبب لدخوله في زمرة الاحباب..." (٤).

(١) نفحات الحق فصل «إرشاد وهداية».

(٢) الأنوار القدسية: ١٦٨/١.

(٣) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث تميم الداري.

(٤) الغنية: ١٦٤/٢.

أقول: سبحان الله!! هذه دعوة صريحة إلى نبذ الله واستبدال الشيخ الصوفي بالله!! فكيف ينتظر كل مطلوب من شيخه والرسول ﷺ يقول: «لَيْسَ أَلْأَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتُهُ كُلُّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شَيْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ»^(١).
ويقول أيضاً: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(٢).
إن لم يكن هذا شركاً فما هو الشرك؟

١٨- ومن آداب المريـد مع شيخه انه لا يجوز له أن يتحرك أو يسكن أو يتصرف في نفسه أو ماله أو زوجته، ولا يسافر ولا يقيم ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه، وأنه لا يجوز له أن يجلس في مجلسه إلا بإذنه، وانه لا يجوز له أن يرفع صوته فوق صوته أو يسأله من عند نفسه؛ لأن الشيخ في زعمهم أعلم بما في نفس مريده فلا يجوز له أن يبدأ بالسؤال أو يستفسر عن إشكال وإنما ينتظر في كل ذلك ما يوجد به شيخه، فإن علم شيخه أن سؤاله يستحق الجواب أجاب الشيخ دون أن يسأل المريـد، يقول صاحب الرائية:

وَلَا تَجْهَرُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ * وَلَا تَجْهَرُوا جَهْرَ الَّذِي هُوَ فِي قَفْرِ

أقول: في هذا الأدب عدد لا بأس به من الآداب لو علقنا على كل واحد منها لحصلت رسالة سميكة ولكننا نقتصر على واحد منها، وهو أن لا يرفع المريـد صوته فوق صوت شيخه، أن هذا الأدب وارد في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٣] ولكن وجوبه خاص بالنبي ﷺ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ إذ معناه أن المسلمين من شأنهم أن يجهر بعضهم في الكلام لبعض، وأما النبي ﷺ فيجب أن يكون للمسلمين معه أدب خاص في معاملتهم له، فمطالبة أحد على سبيل الوجوب بشيء لم يطالب به الشرع غلو في الدين وقد نهى الله عن

(١) رواه الترمذي ، وابن حبان في صحيحه، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، وضعفه في ضعيف الترمذي.

(٢) هو جزء من حديث رواه أحمد والترمذي وغيرهما.

الغلو في الدين فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

١٩ - ومن آداب المريد مع شيخه وهو أهم أحواله كلها أن يجعل رأس ماله الصدق في الجد في طلب الشيخ فإن الشيوخ أجمعوا على أن المريد لو صح له كمال الانقياد مع شيخه ربما وصل إلى ذوقه حلاوة معرفة الله في مجلس واحد من أول اجتماعه به.

أقول: إلى هنا ذكرت بعض آداب المريد وواجباته مع شيخه، وهناك لو نتتبع كتب القوم من حقوق الشيخ على المريد وآدابه معه الشيء الكثير، فإذا تأملناها كلها نجدها لا تستند في شيء إلى الكتاب والسنة، ولا تستدل بآية أو حديث.

إن نبينا محمداً ﷺ ترك لنا للعمل الكتاب والسنة من تمسك بهما اهتدى ومن تركهما ضل، فقال ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ» ^(١) فهما المصدران الوحيدان لنا نحن المسلمين للعمل والاهتداء وتلقي العلوم فشهادتنا بأن محمداً رسول الله تفرض علينا أن لا يكون لنا مصدر آخر غير هذين المصدرين لتلقي الآداب والأخلاق والعقائد والعبادات وسائر الأحكام فمن يفعل غير ذلك فقد أخل بشهادته، فأين الصوفية من هذا؟

ثم إذا تأملناها ثانية نجدها كلها أو مثلها في الأديان الباطلة التي أخذت في عصرنا تنتشر بقوة كالكرِيشْنَا واليُوجَا والقَادِيَانِيَّةِ وَالشَّيْعَةِ الرَّافِضِيَّةِ وَالْحَبَشِيَّةِ وغيرها إذن فالصوفية أختها أو إحداها وقد ألبست لبسة الإسلام وإذا تأملناها كلها ثلاثة نجدها تهدف إلى هدم الإسلام هدماً كاملاً والقضاء على الشخص المؤمن القوي الموحد بحيث يصبح ميتاً بين الأحياء بقلبه شيخه كما يقلب الغاسل ميتة. وذلك من خلال تذليل المريد لشيخه تذليلاً كاملاً وإلغاء عقله وإلغاء تأما وجعله أداة سهلة القيادة في يد الشيخ وتحريم الاعتراض عليه ولو زنى وشرب الخمر وفعل كل محرم، وإيجاب طاعة الشيخ طاعة عمياء ولو أمره بقتل والديه أو أمره بإحضار زوجته له ليختلي بها، وهذا كله باسم الإسلام والتقرب إلى الله وباسم الطريقة والحقيقة والمعرفة.

(١) سبق تخريجه.

ولقد تم لهم للأسف بعض ما أرادوا فخذروا المسلمين وأضعفهم وابتزوا أموالهم ورفقوا كلمتهم وجعلوهم شيعاً وأطمعوا العدو الكافر فيهم فتدخل في شؤونهم وتحكم في رقابهم ومصائرهم فانظر فيما يسمى بالدول الإسلامية في العالم لمن تطيع؟ وأي سياسة تنتهج؟ ومع ذلك كله يتساءل المتسائلون: ما سبب انهيار المسلمين وذلمهم؟ وما سبب انحطاط المسلمين وفسادهم؟ وما سبب تشتت المسلمين وتقاتلهم؟ يتساءلون؟ والجواب ماثل أمام الناظرين الذين ينظرون بنور القرآن والسنة لا بأعين الصوفية لأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

(٤٠) الْعُلُومُ الدُّنْيِيَّةُ

الصُّوفِيَّةُ: تزعم أن لديهم علوماً لدنية لا يطلع عليها إلا هم ولا يصل إليها إلا من سار على طريقهم، وأنهم يتلقونها مباشرة عن الله بدون واسطة الرسول أو يتلقونها عن الخضر عليه السلام أو يتلقونها عن اللوح المحفوظ في السماء.

وهذه التسمية اختلقوها من كلمة "لَدُنْ" الواردة في القرآن في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] فقالوا إن هذا العلم الذي أعطاه الله الخضر إنما كان علماً خاصاً باطنياً ولذا قيده الله بـ "لَدُنَّا" فهو إذا علم لَدُنِّيَّ.

يقول أبو يزيد البسطاميُّ مخاطباً لعلماء الحديث والشرعية: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أحدكم: حدثنا فلان عن فلان وأين فلان؟ قالوا: مات، وأما أحدنا فيقول: حدثني قلبي عن ربي" (١).

وقال ابن عربي: "علماء الرسوم (يطلقون هذا الاسم على علماء الشريعة ازدراء لهم) يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربه" (٢). يعني أن أتباع الشريعة إنما يأخذونها عن أناس طواهم الموت، أما الصوفية فلهم الصلات المباشرة مع الله يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو رسول.

أقول: بهذا كفروا بشرية محمد ﷺ ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعته.

ويقول ابن ضيف الله: إن أبا المواهب الشاذلي اجتمع عليه جماعة من الفقهاء فطرحوا عليه سبع عشرة مسألة مشككة فأجاب عليها «ثم يعلق ابن

(١) الطبقات الكبرى: ٥/١، الفتوحات المكية: ٣٦٥/١.

(٢) الكواكب الدرية: ٢٤٦.

ضيف الله على هذا بقوله: "فمن ذلك اليوم أيقنوا أن علمه يغترفه من اللوح المحفوظ" (١).

وكثيراً ما يحتقرون ما عند الرسل من العلوم بجانب ما عندهم من العلوم اللدنية يقول كبيرهم أبو يزيد البسطامي: "خُضْنَا بَحْرًا وَقَفَّ الْأَنْبِيَاءُ بِسَاحِلِهِ" فإن معناه إنا أخذنا من العلوم ما لم يأخذه الأنبياء، وإن حاولوا حين ضَيَّقَ عليهم الحَنَاقُ أن يؤلوه إلى معنى أن الأنبياء خرجوا من البحر ووقفوا بالساحل، لكن من عنده أدنى علم بأسلوب اللغة العربية يفهم جلياً أن أسلوب اللغة العربية لا يتحمل هذا التأويل، إذ معنى وقوف الأنبياء بالساحل أنهم وقفوا به ولم يستطيعوا خوضه، بينما البسطامي وأضرابه خاضوه وبلغوا أعماقه، وإنما فعلوا ذلك طلباً للخروج من المأزق.

استدل الصوفية على وجود العلوم اللدنية بقصة الخضر الواردة في القرآن وقد ذكرنا بطلان استدلالهم هذا وعقيدتنا في الخضر في فصل "الخضر" وفصل "إباحة الخروج عن شريعة محمد".

الْجَمَاعَةُ: تنكر وجود ما يسمى بالعلوم اللدنية التي تخالف القرآن والسنة، وتنكر أن تأتي إلى الناس من الله شريعة أو حكم إلا عن طريق الرسل، فمن قال إن هناك طريقاً غير طريق الرسل يأتي إلى الناس عنه الشريعة والحكم والعلوم الدينية فهو كافر يقتل ولا يستتاب، فما أضل الصوفية عن الطريق وما أبعدهم عن الحق!!!

ثم إننا نسأل البسطامي ومن على شاكلته: من هم الأموات الذين أخذ أهل الحديث عنهم العلم؟ أليس قد أخذوه عن التابعين والتابعون عن الصحابة والصحابة عن النبي ﷺ؟ كيف يطيب لكم ويسوغ في أذهانكم ازدراء هؤلاء السلف الذين جاء عن طريقهم إلينا علوم الشريعة ولولاهم ما جاءنا من العلوم شيء؟؟

ثم انظروا ما حكم من يقول: إنه يعطي من العلوم ما لم يعط النبي ﷺ؟ أيستحق أن يُصَدَّقَ؟ أم يستحق أن يتبع؟ أم يستحق أن يحسب في عداد المسلمين؟.

وبماذا نعرف صدقه من كذبه؟ أبكونه تظهر على يديه المخاريق؟ إنَّها والله ليست دليلاً على شيء لأنَّها تظهر على أيدي الدجالين والمشعوذين وأصحاب يوجا والديانة البوذية أكثر مما تظهر على أيدي هؤلاء المشايخ، وستظهر على أيدي المسيح الدجال أمور خارقة حتى يدعي الألوهية ويصدق على ذلك كثير من الناس.

لا يا إخواني ليس هذا معياراً لمعرفة الصادق من الكاذب إنما المعيار هو كتاب الله وسنة رسوله اللذان تركهما الرسول ﷺ بعد وفاته لأُمَّته، من يتمسك بهما فلا يضل أبداً، ومن تنازع في شيء فيرده إليهما، قال تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وقد أكد الله ضرورة رد الأمر المتنازع فيه إلى الله والرسول بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فيكون مفهومه: أن من لم يفعل ذلك لم يكن مؤمناً بالله واليوم الآخر.

وأسأل الآن: ما حكم الصوفية في ميزان الإسلام إذا طبقت هذه الآية عليهم وهم الذين يخالفونها ولا يردون الأمور إلا إلى مشايخهم؟ أجيئونا.

(٤١) تَقْسِيمُ الدِّينِ إِلَى شَرِيعَةٍ وَحَقِيقَةٍ (أَوْ إِلَى ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ)

الصُّوفِيَّةُ: تزعم أن الدين ينقسم إلى شريعة وحقيقة أو إلى ظاهر وباطن والمقصود لذاته عندهم هو الحقيقة أو الباطن وهو بمنزلة اللب، أما الشريعة التي يسمونها بالظاهر عندهم فكالقشرة، ويزعمون أن هذا التقسيم جاء عن النبي ﷺ واختص بالباطن بعضا من أصحابه وكنمه عن البعض الآخر.

يقول ابن عَجِيبَةَ الفاطمي الصوفي: "وأما واضع هذا العلم (يعني التصوف) فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام فنزل جبريل أولاً بالشريعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن البصري" (١).

الْجَمَاعَةُ: تقول: إن تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة أو إلى ظاهر وباطن بحيث يختلف أحدهما عن الآخر ويكون لكل منهما أهل فهذا من أهل الباطن وهذا من أهل الظاهر أو هذا من أهل الحقيقة وذاك من أهل الشريعة، إن هذا والله لقول باطل، وهي وسيلة تَدْرَعُ بها أصحاب هذا الفكر الصوفي إلى إباحة إسقاط التكاليف عن بعضهم والخروج عن الأحكام الشرعية.

وأما إدعاء أن النبي ﷺ خص بالحقيقة بعضاً من أصحابه دون بعض ففرية على رسول الله ﷺ وبغت له بجرمة ملعونة، جريمة كتمان العلم، أفيكتم الرسول الحق وعلمه عن خير أصحابه وهو الذي توعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله فقال ﷺ: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ أَلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» (٢).

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة: ٥/١.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.

أفيكنم الرسول الحق وعلمه والله يأمره بتبليغ ما أنزل إليه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].
 أم تقول الصوفية إن علوم الحقيقة والباطن لم تنزل إليه من ربه والآية لا تشمل إلا ما كان كذلك؟ ويشهد علي نفسه رضي الله عنه لما سئل: هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْبَيْتِ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ، شَهِدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَخْصَّهُ وَلَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الدِّينِ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ.

ثم وراء هذا البهتان واختصاص علي بالحقيقة والعلم اللدني اتهام صريح لأبي بكر وعمر وعثمان ومعهم سائر العشرة المبشرين وخيار الصحابة بأنهم كانوا جاهلين بأسباب توصل إلى محبة الله، لأن محبة الله لا تحصل على فرض صدق كلام الصوفية إلا لمن تجرد عن الشريعة ومارس الحقيقة، وفي هذا الاتهام محاولة خفية حقود لتجريد الجماعة الإسلامية سلفها وخلفها من صفة الإيمان والعلم الحق، وفيه دليل على الصلة الوثيقة بين الصوفية وبين الشيعة التي تؤله أئمتها وتبغض الخلفاء الثلاثة وسائر الصحابة، فانظروا أين تذهب جذور الصوفية؟

قد يأتي في كلام بعض العلماء استعمال كلمتي "الظاهر والباطن" في المواضيع الدينية، كان يقول أحدهم: "إذا صلح باطن الإنسان صلح ظاهره" ونحوه، فالمراد بالباطن هنا القلب وما يتعلق به مما لا يرى ولا يظهر للناس كصدق النية وخلوص القصد إلى الله وصفاء السر بين العبد والرب، وبالظاهر ما يظهر للناس من أقواله وحركاته، وعلى هذا يكون لكل قول وعمل ظاهر وباطن فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه ما يقوم من معانيه بالجنان، وظاهر العمل حركات الأبدان، وباطنه ما يقوم بالقلب من مقاصد الإنسان، وهذا الظاهر والباطن لا بد أن يتوافقا ويصدق بعضهما البعض فإن لم يتوافقا كان هذا القول أو العمل نفاقاً.

أما أن يكون الباطن يختلف عن الظاهر ويكون لهذا أهل ولذاك أهل وأن يكون أهل الباطن أعلى بما لا يقاس مقاماً من أهل الظاهر ويكونوا هم دون الآخرين أهل معرفة الله ولبي الدين بينما أهل الظاهر أهل الرسوم وأهل القشرة فهذا مفهوم بعيد عن الإسلام بعد المشرقين لا يقول به من عنده ذرة إيمان وأدنى فقه في الدين، يقول ابن

تيمية رحمه الله: "... ومن ادعي باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق؛ بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان فلا بد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان"^(١).

(١) رسالة في علم الباطن والظاهر ٢٥١/١.

(٤٢) الْفَنَاءُ

الصُّوفِيَّةُ: يدعون "الفَنَاءَ" ومعناه عند الصوفية فناء عن البشرية واستغراق في الألوهية، أو كما يقولون فناء عن الخلق وبقاء بالحق، وبعبارة أخرى اضمحلال الذات بالذات أي ذات الإنسان بذات الله عز وجل.

و"الفناء" هي الحالة التي يصل فيها الصوفي من الغيبوبة والذهول عن نفسه حداً يدعي عنده التلقي من الغيب والإحاطة بالعلم اللدني والتصرف في الكون والاتصال بالله بلا واسطة وهي المرحلة التي تسقط عن الصوفي فيها التكاليف، والفناء هو نهاية مطاف الصوفيين وآخر مرحلة من مراحل الطريق والهدف الأسمى للعمل الرياضي الشاق والذكر القلبي الدائب المستمر وهجر الأطعمة والملذات.

ويبدأ الفناء بنكران الصوفية أنفسهم فلا ينسبون إلى أنفسهم قولاً ولا فعلاً بل يرون جميع حركاتهم وسكناتهم كلها أفعال الله، وينتهي بهم الحال إلى أن يرى الواحد منهم نفسه إلهاً ولا يرى شيئاً غير ذلك، عند ذلك يتوهم هذا "الْفَانِي" أنه صار والإله شيئاً واحداً، وقد صرح بها كثير من الصوفية في أقوالهم وأشعارهم فَالْبِسْطَامِيُّ مثلاً يقول: "أنا هو وهو أنا وأنا أنا"، والحلاج يقول: "أنا الحق"، ويقول: "ما في الجبة غير الله".

وقد جاء في كتاب (مصرع التصوف): "إن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله وهو الذي يسمونه الفناء في التوحيد"^(١). وأول من تكلم بالفناء في الإسلام من الصوفية: الجنيد بن محمد ويعرف عنده بفكرة "الميثاق" وعند كثير من الصوفية يعرف بـ"مقام عين الجمع" وعند ابن عربي

(١) مصرع التصوف: ٨١.

بـ"وحدة الوجود" وعند متأخري الصوفية بـ"الوصول" وهي أسماء لمسمى واحد وان ميزوا بينها بفروق بسيطة.

وبعض الصوفية في حالة الفناء بما أنهم يرون أنفسهم هي الإله يسبحون أنفسهم ويدعون الناس إلى عبادتهم، فكان الحلاج مثلاً يطالب أتباعه بالسجود له، وكان البسْطَامِي يقول لهم: "لا إله إلا أنا فاعبدوني" ويقول أيضاً: "سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَأْنِي" وغيرها من الأقوال الكفرية.

الْجَمَاعَةُ: ينكرون عقيدة الفناء ويرونها عقيدة يكفر معتقدها، لأن الله في عقيدة أهل السنة والجماعة غير الخلق والخلق غير الله وهما متباينان، ولا يمكن أن يفنى الخلق عن طبيعته ويستغرق في الألوهية أو تضحل ذاته في ذات الله، على حد تعبير الصوفية. وعقيدة الفناء غير معروفة عند سلفنا الصالح، فما كان رسول الله ﷺ يَقْنِي، وما كان أصحابه يَقْنُونَ، وما كان التابعون والأئمة من بعدهم يفنون وتضحل ذواتهم في ذات الله تعالى، فلا نجد فيما نقل عنهم كلمة تدل على أنهم كانوا يصابون بهذا الداء أو بهذا الجنون أو بهذه الهلوسة وهي غريبة على الإسلام.

وعقيدة الفناء كانت موجودة قبل الإسلام في الديانات القديمة في الهند كالبرهْمِيَّة والبُودِيَّة، فالفناء لدى البوذيين هي غاية الغايات ومنتهى الآمال، ويسمى عندهم "النِّيرَفَانَا" أو الفناء المطلق، والسعادة الدائمة الأبدية، وجاءت إلى الصوفية من تلك الديانات كما جاء غيرها من العقائد الكفرية الفاسدة.

(٤٣) وَحْدَةُ الْوُجُودِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد "وحدة الوجود" بل هي آخر مراحل السالك التي ينتهي إليها وأعلى مقاماته التي إذا بلغها يفني في الذات الإلهية ويتلاشى عن الوجود لكنهم يكتمونها من غير أهلها ويتواصون بكتمتها.

و"وحدة الوجود" كما تدل عليه نفس الكلمة هي أن لا يرى في الوجود غير الله بل أن يرى الوجود كله عينَ الله فكل شيء في الوجود هو الله ومظاهر الله وأجزاء الله، وبعبارة أخرى الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق، وبناء على ذلك فالأصنام هي الله، والكلاب والخنازير هي الله، ودورات المياه وأماكن القاذورات هي الله، والذين عبدوا الأصنام ما عبدوا إلا الله، بل هؤلاء العباد أنفسهم ما هم إلا الله، والعبادة مهما كانت ولمن كانت ليست إلا لله، فالعابد إله والمعبود إله، وما ثمة شيء إلا إله، وإليك بعض عبارات الصوفية المصرحة بعقيدة "وحدة الوجود".

يقول أبو زيد البسطامي: "طلبت الله ستين سنة فإذا أنا هو" (١).

أقول: هذا يعني أنه قضى يترقى في المقامات حتى بلغ هذا المقام بعد ستين سنة، وما اطلع على هذا السر وهذه العقيدة إلا عند ذاك.

وكان أبو يزيد البسطامي يقول دائماً (طبعاً بعد أن بلغ مقام "وحدة الوجود") "سبحاني سبحاني ما أعظم شأني" (٢).

وجاء رجل إلى أبي يزيد البسطامي فدق بابه، فقال: من تطلب؟ قال الطارق أبا يزيد. فقال: ما في البيت غير الله!!! (٣).

(١) البدء والتاريخ للمقدسي: ٩/٥.

(٢) المواهب السرمدي: ٤٨.

(٣) المواهب السرمدية: ٤٧.

ومن ذلك قول ابن عربي المدفون بدمشق المتوفى سنة: ٦٣٨:

العبد رب والرب عبد * يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك حق * أو قلت رب أنى يكلف

ومنه قول ابن عربي أيضاً: "فإن العارف من يرى الحق (أي الله) في كل شيء بل يراه عين كل شيء" (١).

أقول: أيها القارئ من الآن اجعل معنى "العارف" عند الصوفية نُصَبَ عَيْنِيكَ .

ويقول ابن عربي أيضاً: "ما في الوجود مثل فما في الوجود ضد فإن الوجود حقيقة واحدة والشيء لا يضاد نفسه" (٢).

ويقول الشيخ حسن رضوان: "إنما الوجود حقيقةً هو ذات الحق تعالى وليس لتلك الأعيان والماهيات الظاهرة وجود حقيقي ذاتي لها" (٣).

وقال صاحب كتاب (هتك الأستار في علم الأسرار): "العالم موجود بوجود الحق وهو منقطع النظر عن الحق غير موجود في عينه، إذ لا وجود له من ذاته ولا وجود لظل بلا وجود شخص".

ويقول التُّسْتُرِيُّ: أنا المحب والحبيب ما ثمَّ ثانٍ (٤).
ومنه قول بعضهم:

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه عينه

ويقول الشيخ عبيد الله أحرار: "كمال الحمد أن يحمده العبد ويعرف أنه لا حامد إلا هو تعالى وأنه (أي العبد) عدمٌ محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل وإنما يبتهج سرورا بكونه تعالى جعله مظهرًا لصفاته" (٥).

(١) الفصوص: ١٩٢.

(٢) الفصوص: ٩٢/١.

(٣) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق: ١٧٩، ١/٢٦٠.

(٤) معراج التشوف إلى حقيقة التصوف: ٣٩.

(٥) الأنوار القدسية: ١٦١.

وقال أبو سليمان الداراني: "... إنك لا تكون مخلصاً في عملك حتى لا ترى في الدارين أحداً غير ربك" (١).

وقال الغزالي: "والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه..." (٢). ويقول الغزالي: "العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق" (٣).

أقول: تذكر معنى "العارف" عند الصوفية وقد ذكرته في هذا الفصل قبل قليل. ويقول أبو بكر بن مَشَّادَ الدِّينَوْرِيِّ: "حضر عندنا الدِّينَوْرَ رجل ومعه مخللة فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخللة فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه: "من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان..." فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه، فقال: هذا خطي وأنا كتبتة فقالوا: كنت تدعي النبوة فأصبحت تدعي الربوبية؟ فقال: ما أدعي الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله واليد فيه آلة؟ فقليل: إن هذا كان سبب صلبه.

أقول: مصطلح "عين الجمع" من مرادفات "وحدة الوجود"، كما سبق في باب "الفناء".

ولعل أسوأ ما قيل في هذا المقام قول محمد بهاء الدين البيطار في (النفحات القدسية):

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا * وما الله إلا راهب في كنيسة
هذا غيض من فيض أو قطرة من بحر من أقوال رجال الصوفية الأقطاب المعترين
لدى جميع الصوفية والمشهود لهم بأنهم بلغوا درجة اليقين والعرفان، وكلها تدل على عقيدة وحدة الوجود عندهم، ولقد اخترت أيسرها وأسهلها على الفهم وعندهم فيها من الكلمات والعبارات ما يَحَارُّ في فهمها العوام ويفقدون فيها الصواب ولا يفهمها إلا الخواص كما يزعمون، ولو جمعت كلها في كتاب لحصل منها عدة مجلدات.

(١) علم القلوب: ١٥٧.

(٢) إحياء علوم الدين: ٢٤٣/٣.

(٣) مشكاة الأنوار: ٥٧.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن عقيدة "وحدة الوجود" هي عقيدة كفر وإلحاد وزندقة وأجمع العلماء على تكفير القائل بها، فالخالق في عقيدة أهل السنة والجماعة غير المخلوق والمخلوق غير الخالق وهما متباينان ولا يتشابهان قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] تعالى الله عما تقول الصوفية علواً كبيراً، تعالى الله عن أن يكون الكلب والخنزير والأصنام وعباد الأصنام ودير الرهبان ودورات المياه ذات الله أو جزء الله أو مظهرها من مظاهر الله!!!

أما بطلان هذه العقيدة فأمر بديهي لا يشك فيه أحد ولا يحتاج إلى دليل ومع ذلك نأتي دليلاً عليه بعدة نصوص قرآنية:

(١) يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥] فالآية واضحة كل الوضوح، وتقرر على الذين جعلوا لله من عباده جزءاً كما هو عقيدة "وحدة الوجود" الحكم بالكفر المبين، فهل في هذا لبس أو غموض؟

(٢) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٥٨] من المعلوم أن الجنة في الآية سواء أريد بها الملائكة أو الجن بعض خلق الله، ولو كان كل مخلوق هو عين الخالق كما تقتضيه عقيدة "وحدة الوجود" لدخلت فيه الجنة أيضاً، وما نفى الله النسب بينه وما نزه نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

(٣) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النحل: ٧٣]. المراد بما يعبدون من دون الله هي الأصنام والأوثان وهي مخلوقة، إذن فالأصنام هي غير الله وليست هي جزء منه وليست هي هو.

(٤) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ؟﴾ [الزمر: ٦٤] من المعلوم أنهم كانوا يأمرونه أن يعبد أصنامهم وأوثانهم والآية تقرر أنها غير الله فالخلق إذن غير الله والله غير الخلق، ومن عبدها كان بموجب الآية عابداً غير الله.

هذه بعض آيات من عشرات الآيات في القرآن التي تقرر أن الخلق غير الله وأن الله غير الخلق وهي كافية للرد على كل مؤمن بـ "وحدة الوجود".

وسئل الإمام عبد الله بن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: "نعرف بأنه فوق السماء على العرش بائن من خلقه" هذه هي عقيدة أحد أكابر العلماء من التابعين وصف الله بأنه "بائن من خلقه" فكيف يتفق هذا مع "وحدة الوجود" القائلة بأن الله عين خلقه؟!

والعقل السليم بل البدهة تحكم على "وحدة الوجود" بالبطلان، فكيف لا وهي تسوي الديانات كلها - كما سيأتي في الكتاب مفصلاً - النصرانية واليهودية والبوذية والهندوسية والزَرَادَشْتِيَّة والشيعية والإسلام؟ فكلها في عقيدة "وحدة الوجود" صحيحة، لأن العبادة مهما كانت ولمن كانت ليست إلا لله، اتستوى هذه الديانات كلها؟ فلمن خلقت الجنة إذن؟ ومن أصحابها؟ ولمن خلقت النار ومن أصحابها؟ إنها تسوي عبدة الله وحده مع عبدة الأصنام والكواكب والنيران والحيوانات والإنسان، هذه الطواغيت التي جاء الإسلام لمحاربتها وهدمها والتي شرع الجهاد لمحاربتها وهدمها، وكيف يستنون والله تعالى يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٢٦ - ٢٧].

إن القول "بوحدة الوجود" يسوي بين النبي ﷺ وبين أبي جهل وبين موسى وفرعون، وبين آدم وإبليس، بل من الصوفية من يجعل فرعون أفضل من موسى ويجعل إبليس أكمل من آدم، حتى قال بعضهم: "من لم يتعلم التوحيد من إبليس فليس بموحد أمراً أن يسجد لغير الله فأبى".

إن القول "بوحدة الوجود" يجعل الثواب والعقاب أمراً مشكلاً؟ فمن الذي يثيبنا حين نحسن ويعاقبنا حين نسيء؟ ومن نحن حتى نحسن أو نسيء السنا جزءاً من الله؟ أيثيب الله جزءاً من نفسه ويعاقب جزءاً آخر؟ هل اختلفت أجزاؤه؟ فمن يتلذذ حين يثيب؟ ومن يتألم حين يعاقب؟

إن القول "بوحدة الوجود" يبطل معنى الحق والباطل ويجعل إرسال الرسل وإنزال الكتب عبثاً، لماذا أرسلت الرسل؟ ولماذا أنزلت الكتب؟ أعبثاً؟ تعالى الله أن توصف أفعاله بالعبث.

إن القول "بوحدة الوجود" تقلب الديانات كلها إلى أوهام وخرافات ويجعل الإنسان متحلاً من قيود الشرائع كلها فلا حرام له ولا حلال ولا مكروه ولا سنة ولا فرض، وكل شيء أمامه سواء، فانظروا كيف ينبغي للعقل أن يحكم على إنسان مثل هذا؟

صدقوني هذه هي حالة الصوفي الذي بلغ المنتهى وترقى المقام الأعلى ففنيته ذاته في ذات الله وأصبح هو الله !!!

صدقوني إن الصوفي الحق هو الذي يبطن "وحدة الوجود" ويظهر التمسك بالشرعية وهو منافق حقاً وليكن مطمئناً "من مقام الطمأنينة" إن مقامه الحقيقي هو في الدرك الأسفل من النار ولن تجد له نصيراً.

نعود فنقول: إن عقيدة "وحدة الوجود" كفر مبين ومعتقد كافر مبين حسب الشريعة وكافر حسب الحقيقة الحقة التي هي الشريعة الإسلامية، له في الدنيا عقوبة المرتد وله في الآخرة عذاب أليم إلا أن يتداركه الله بلطفه فيتوب.

ولقد حكم علماء الشريعة على من أظهر عقيدة "وحدة الوجود" بالردة والزندقة ووجوب القتل فقتلوا، فمنهم حسين بن منصور الحلاج الذي صلب، وقال فيه الشَّيْبِيُّ: "كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت" (١)

وعندما صلب الحلاج ليقتل أرسل الشَّيْبِيُّ امرأة متصوفة وأمرها أن تقول للحلاج: "إن الله ائتمنك على سر من أسرارهِ فأدعته فأذاقك طعم الحديد" (٢).

(١) من كتاب الحلاج لطفه عبد الباقي سرور: ١٠٤.

(٢) الفكر الصوفي: ٦٢.

(٤٤) وَحْدَةُ الْأَدْيَانِ

الصُّوفِيَّةُ: أو بالأحرى من بلغ المقام الأعلى منهم هو مقام وحدة الوجود يقولون بوحدة الأديان كاليهودية والنصرانية والوثنية والشيوعية والزرادشتية والبوذية والإسلام وغيرها من الأديان، فمهما كان من دين عندهم فهو عين الأديان الأخرى، والإيمان والتوحيد عندهم عين الشرك والكفر والإسلام عين الدين المجوسي والأديان مهما اختلفت صورها ومهما تباينت معبوداتها فكلها صحيحة يقول ابن عربي:

عقد الخلائق في الإله عقائدا * وأنا اعتقدت جميع ما عقده^(١)

ويقول أيضاً:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي * إذالم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة * فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف * وألواح تورا ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت * ركائبه فالدين ديني وإيماني^(٢)

وها هو ابن عربي يحذر أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص ويكفروا بما سماه فيقول: "فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه فكن في نفسك هيولي لصور المعتقدات كلها فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد فالكل مصيب وكل مصيب مأجور وكل مأجور سعيد وكل سعيد مرضي عنه"^(٣).

(١) فصوص الحكم.

(٢) ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق لابن عربي : ٣٩.

(٣) فصوص الحكم

أَلْجَمَاعَةُ: تعتقد أن الدين الصحيح هو دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وغيره من الأديان كلها باطلة، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهذه الآية تدل بصراحة أن الأديان منها ما يقبل ومنها ما لا يقبل فالدين الذي يقبل هو الإسلام والذي لا يقبل سائر الأديان غير الإسلام، وهذا يعني أنها غير صحيحة إذ لو كانت صحيحة لقبولها الله وما كان صاحبها في الآخرة من الخاسرين، فكيف يتفق هذا مع العقيدة القائلة بوحدة الأديان وبصحة الأديان؟

لقد حارب رسول الله ﷺ وأصحابه ضد الوثنية وعبادة الأصنام، وحطم الأصنام الموجودة داخل الكعبة وخارجها وعند قبائل شتى، ولماذا؟ أكان يحاربها لو أنها كانت صحيحة مساوية للإسلام؟ الجواب واضح بين نسأل الله أن لا يطمس بصائرنا كما طمس بصائر الصوفية.

وخلاصة القول: إن عقيدة "وحدة الأديان" عقيدة كفر والحاد وزندقة يكفر قائلها لا ريب.

(٤٥) التَّوْحِيدُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يفسرون "التوحيد" على غير ما يفسره أهل السنة والجماعة، فكثيراً ما تسمع كلمة "التوحيد" من أفواه الصوفية وتقرؤها في كتبهم فتحسبهم يتكلمون في التوحيد وتفرح بذلك ولكنهم يتكلمون فيه بمفهومهم الخاص بهم، وهو توحيد الخالق بال مخلوق وأن جميع الأشياء إنما هي أجزاء أو مظاهر لله، إذن: فالتوحيد عندهم هو اعتقاد "وحدة الوجود" واعتقاد "وحدة الأديان". وكلمة "لا إله إلا الله" تعني عند الصوفية أن لا يرى في الوجود إلا الله وكل ما يرى هو الله، كما سبق بسط الكلام عليه في فصلي "وحدة الوجود" و "وحدة الأديان".

فإذا رأيت كتاباً صوفياً قد استعمل فيه كلمة "التوحيد" فلا تفرح به ولا تظنَّ أنهم يَعْنُونَ به المعنى الذي يعنيه أهل السنة والجماعة، بل يعنون "وحدة الوجود" و "وحدة الأديان".

أما الْجَمَاعَةُ: فمعنى التوحيد عندهم هو توحيد الله في ذاته وأفعاله وصفاته، وأن لا يجعل لله شبيه أو شريك فيها، وإفراده بالعبادة وأن لا يشرك معه أحد فيها، فانظر ما أعظم الفرق بين التوحيد بين الصوفي وتوحيد أهل السنة والجماعة.

ومعنى "لا إله إلا الله" عند أهل السنة والجماعة أن لا معبود بحق إلا الله، فلا يستحق أحد أو شيء أن يُعبد من دون الله أو يُشرك في عبادة الله، وانظر الفرق العظيم لمعناها بين الصوفية وأهل السنة والجماعة.

وهل بعد هذا إذا سمعنا صوفياً يذكر كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" نراه رجلاً مؤمناً موحداً معتبراً في عداد المسلمين؟

(٤٦) الْجَنَّةُ وَالنَّارُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد في الجنة والنار عقائد مختلفة كلها تخالف عقائد أهل السنة والجماعة، فبعضهم يرون أن عذاب النار يعود عذوبة ونعيماً لا يقل عن نعيم الجنة، والبعض الآخر يرون أن عذابها يزول بزوال الإحراق عنها.

يقول عبد الكريم الجيلي في خلق الجنة والنار: "إن الله تعالى خلق الصورة المحمدية من نور اسمه البديع القادر ونظر إليهما باسمه المنان القاهر ثم تجلى عليها باسمه المنان الغافر فعند ذلك تصدعت لهذا التجلي صدعين فصارت كأنها قسمت نصفين فخلق الجنة من نصفها المقابل لليمين وجعلها دار السعادة للمُنْعَمِينَ ثم خلق النار من نصفها المقابل للشمال وجعلها دار الأشقياء أهل الضلال"^(١).

والنار في رأي الجيلي زائلة آخر الأمر لذلك يقول: "اعلم أنه لما كانت النار غير أصلية في الوجود زالت آخر الأمر... وإن زوالها ذهاب الإحراق عنها"^(٢). وأهل النار في رأي الجيلي يلتذون لذلك فهو يقول: "ثم اعلم أن لأهل النار لذة فيها تشبه لذة المحاربة والمضاربة عند من خلق لذلك، فإننا قد رأينا كثيراً من الناس يلتذون بالمحاربة والمضاربة وهم عارفون أنهم يتألمون بذلك، ولكن الربوبية الكامنة التي هي في النفس تحملهم على خوض ذلك، ثم إن لهم لذة أخرى تشبه لذة من به جرب فيحكه فهو وإن كان يقطع من جلد نفسه يتلذذ بذلك الحك فهو بين عذاب ولذة، ولهم لذة أخرى تشبه لذة الجاهل المستغني برأيه"^(٣).

(١) الإنسان الكامل: ١١٦.

(٢) الإنسان الكامل: ١١٦.

(٣) الإنسان الكامل: ١١.

ويرى ابن عربي أن النار ليست بعذاب ولا نعيم لذلك فهو يقول: "فالحكم في النار خلاف الحكم في الجنة فيقرب حكم النار من حكم الدنيا فليس بعذاب خالص ولا نعيم خالص ولهذا قال تعالى ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾" (١).
 ويزعم ابن عربي في (الفصوص) أن عذاب نار جهنم سيكون عذوبة ومن أقواله في ذلك:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده * وما لوعيد الحق عين تعاین

يعني بالوعد نعيم الآخرة وبالوعيد عذاب الآخرة يريد بهذا نفي العذاب مطلقاً في الآخرة حتى للمشركين.

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم * علي لذة فيها نعيم مباین
 نعيم جنان الخلد فالأمر واحد * وبينهما عند التجلي تباین
 يسمى عذاباً من عذوبة طعمه * وذلك له قشر والقشر صائن (٢).

الجماعة: تعتقد أن الجنة هي دار النعيم المقيم خلقها الله لمن أطاعه من عباده وأن النار هي دار العذاب الأليم جعلها الله لمن عصاه وفسق عن أمره، فأهل الجنة فيها مخلدون وأهل النار فيها أيضاً مخلدون، وهذا أمر واضح صريح في القرآن.
 أما خلودهم في النار فقد قال تعالى فيه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

وأما عدم تخفيف العذاب عنهم فقد قال تعالى فيه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابٍ كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْيَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوْ لَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩ . ٥٠].

(١) الفتوحات المكية: ٣٨٤/١.

(٢) الفصوص: ٩٤/١.

هذه الآية تقول صراحة أن الذين في النار يسألون أن يخفف عنهم يوم واحد من العذاب فلو كان عذابهم هنا نعيماً عليهم كنعيم الجنة أكانوا يسألون التخفيف عنهم؟ ثم نرى كيف أجاب الله لهم بالرد والرفض فأبى أن يخفف عنهم.

ويخبر الله تعالى عن حال أهل النار فيقول: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] وهنا نتساءل: هل الاصرار وطلب الإخراج من النار من شأن أهل اللذة والنعيم؟

وكيف يجترئ أحد أن يقول على الله شيئاً لم ينزل به سلطاناً وهو يقول: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وهنا نتساءل: هل إحراق الجلد حتى ينضج ثم تبديله بجلود أخرى لكيلا لا يخف عنها العذاب من أنواع النعيم؟

ويصرح القرآن بأن أهل النار يتمنون الموت ليتخلصوا من عذاب جهنم والموت أحب شيء إليهم فقال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُوثٌ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨].

وهنا نتساءل هل يتمنى الموت من في اللذة والنعيم المقيم؟ وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وهنا نتساءل: كيف يسأل من نفسه في اللذة والنعيم أن يعطى شيئاً من الماء أو من الرزق وكيف لا يكتفي بالنعيم الذي هو فيه وهو لا يقل عن نعيم الجنة؟

إن القرآن كله دليل على بطلان قول الصوفية وعقيدتهم، لكن المهتدي من هداة الله وهل نملك شيئاً لمن أضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة؟

إن عقيدة الصوفية هذه عقيدة خطيرة جداً على الدين والأخلاق والمجتمع لأنه إذا كان الإيمان يستوي مع الكفر وكان نعيم الجنة عين عذاب النار وكانت الفضيلة عين الرذيلة والخير قرين الشر وكان جزاء المسلمين كجزاء المجرمين فأى قضاء على الدين والأخلاق والمجتمع أشد من هذا؟ وهل يبالي الإنسان بما عمل بعد هذا؟ اين الصوفية

من قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:

٢٦-٢٧]. نعم، ما لكم، أيها الصوفية، كيف تحكمون؟

يقول محمد فهر شقفة وهو يبين خطر هذه العقيدة الصوفية على المجتمع والأخلاق

والدين:

"فانعدام شعور الناس برهبة العذاب وشدة الآلام وجسامة العذاب يوم القيامة يجعلهم أكثر استهتارا بالأوامر الشرعية والقيود الأخلاقية والاجتماعية فيقدمون على الإجرام واقتراف الفواحش والموبقات وتفسد الأخلاق ويتضاعف المجرمون وتضعف الذمم ويضطرب نظام المجتمع ويفقد الوازع الديني قوته الالزامية ... " (١).

(١) التصوف بين الحق والخلق: ١٠٨.

(٤٧) إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: أو قل: من بلغ المقام الأعلى منهم تعتقد أن إبليس أكمل العباد وأفضل الخلق توحيداً لأنه لم يسجد إلا لله عز وجل بزعمهم وأن الله قد غفر له ذنوبه بل لم يكن أذنب وأدخله الجنة، وكذلك فرعون عندهم أفضل الموحدين لأنه قال ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. فعرف الحقيقة وهي عند الصوفية أن كل موجود هو الله، ثم هو في زعمهم من آمن ودخل الجنة.

يقول الحلاج: "وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس" (١).

ويقول الحلاج أيضاً: "فصاحبي واستاذي إبليس وفرعون، إبليس هُذِدَ بالنار وما رجع عن دعواه وفرعون أغرق في اليمِّ وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة" (٢).

ويحكم ابن عربي أيضاً بنجاة فرعون وإبليس يقول معقباته قوله تعالى ﴿قَرَّتْ عَيْنِي لِـ وَلَئِكَ لَا تَفْتَلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ [القصص: ٩]. "فبه قرت عينها (أي: امرأة فرعون) بالكمال الذي حصل لها، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق فقبضه طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث" (٣).

ويقول عن فرعون أيضاً: "فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه ونجى بدنه فقد عمته النجاة حساً ومعنى" (٤).

وينسب لأحمد البدوي قوله: "من لم يتعلم التوحيد من إبليس فليس بموحد أمر أن يسجد لغير الله فأبى".

(١) الطواسين: ٤٢.

(٢) الطواسين: ٥١ - ٥٢.

(٣) فصوص الحكم: ٢٠١.

(٤) فصوص الحكم: ٢١٢.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن قول الحلاج وابن عربي وأمثالهما من كبار الصوفية المشهود لهم بالعرفان الكامل كذب وهراء وهذيان، وأن إبليس عدو الله الأكبر وفرعون أحد رؤوس الضلال الذي أفسد في الأرض وادعى الألوهية والربوبية بقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. وبقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] الواردين في القرآن كما تعتقد أنهما من أصحاب النار وما نَجُوا.

وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة كيف يكون إبليس رأس الموحدين وكيف يكون قد نجا والله يحكي في القرآن خطابه لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]؟

أيتوعد الله بالنار رأس الموحدين وأتباعه؟ أم يتوعدة مؤكدا وعيده بالقسم ثم يخلف وعيده فينجو؟ إن في هذا لتناقضا عجيباً ومخالفة للمنطق !!

ويقول تعالى وهو يحكي في القرآن ما يكون من مجادلة إبليس لأتباعه في النار: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].
أليس هذا الكلام يكون بعد أن قضى الأمر واستقر هو وأتباعه في النار؟ أم يكلمهم من خارج جهنم من وراء جدار؟ أو من فوق الجنان؟ أليس قول إبليس في الآية ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ يدل صريحاً أنه يشترك مع أتباعه في عذاب جهنم؟ فإن كان الأمر كذلك فكيف ينجو؟ ومتى ينجو؟ ومن ينجيه ويصرخه؟ وهل معناه ما أنتم بمصرخي بل مصرخي الله؟ هذا ما يتعلق بإبليس، وأما فرعون فشهد الله عليه أيضاً بأنه ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذَّخَّرُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

هذه شهادة من الله على فرعون بالسوء، وأن حكم الله وشهادته على أحد بشيء يبقى على ما هو عليه لا يعقبه أحد حتى يأتي من الله ما ينسخه، ترى في أية آية نسخ الله قوله فيه؟ ثم يخبرنا الله تعالى بحالته عند الغرق فقال: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩١].

أحكم الصوفية على فرعون بالنجاة لقوله عند الغرق "آمَنْتُ" أم يقولونه استناداً إلى مكاشفتهم وعلمهم اللدني الذي لا سبيل لنا نحن إلى الاطلاع عليه؟ فنقول في جوابهم: أما استنادهم إلى العلم اللدني إن زعموا ذلك فقد علمنا في غير موضع أن ليس ثمة ما يسمى بالعلم اللدني المخالف لظاهر الكتاب والسنة، وأما قوله "آمَنْتُ" في تلك الحالة فليس بنافع له ولا يقبل منه لأنه إيمان عند رؤية البأس، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥]. هكذا سنة الله انه لا يقبل إيمان من آمن عند رؤية البأس وحلول العذاب فإيمان فرعون إن كان هناك إيمان أصلاً من هذا القبيل.

ويدل على عدم قبول إيمان فرعون سياق الآية وورود السؤال الإنكاري في الآية التي تليها وهي ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٢].

ويصف الله لنا ما يكون عليه حال فرعون يوم القيامة أيضاً فيقول تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٨ - ٩٩]. ومعناه أنه يكون في مقدمتهم ويقودهم إلى النار ليشاركهم فيها ينالهم، وليس معناه انه يقدمهم ويقودهم حتى يوصلهم إلى النار ثم يرجع هو ليدخل الجنة مع موسى عليه السلام ومن آمن معه بل كما قلنا يناله ما نالهم ويرد هو نفسه حيث أوردهم بل له في ذلك الحظ الأوفر من العذاب الأكبر.

هذا وإذا تأملت مختلف كلام الصوفية في مختلف مراحلهم ومقاماتهم رأيت تناقضاً عجيباً فعقيدة السالك المبتدئ غير عقيدة السالك المتوسط أو المنتهى، وكذلك عقيدة السالك المتوسط تختلف عن عقيدة قسيميه، بل تصبح عقيدة السالك المنتهى نقيض عقيدة المبتدئ كما قال الحلاج:

كفرت بدين الله والكفر واجب * علي وعند المسلمين قبيح.

فتارة يقولون بالنار وعذابها والنجاة منها كما قال ابن عربي في فرعون هذا، وتارة يقولون بأن النار برد وسلام على أصحابها وأنهم لا يقلون نعمة وتلذذاً عن أصحاب الجنة، شيء والله يبعث على الحيرة والارتباك!!!

ولعل ما أثبتناه هنا من عقائد الصوفية المتعلقة بإبليس وفرعون والجنة والنار أيضاً مما ينكره عامة الصوفية في ديارنا دَاغِسْتَانِ وَالشَّيْشَانِ، وعسى أن يقولوا: ما قرأنا مثلها في كتبنا وما سمعنا بهذه من مشايخنا بل هي من بهتانكم وتقولاتكم علينا نحن الصوفية؟ فأقول لهم: لا والله، أبداً والله، معاذ الله أن نقول ما لم نتبينه وان نرمي أحداً بشيء هو بريء منه، بل هو خلاصة عقائدهم ومنتهى إيمانهم ونهاية مطافهم، فمن أراد معرفة ذلك فعليه بالبحث والتحري وأنا في عونته ان استعان بي في ما أقدر عليه.

وإن قال قائل منهم: ما لنا ولما كتب في كتب الصوفية وما لنا ولأقوال الحلاج وابن عربي وأمثالهما إنما نذكر الله وليس لنا هم غير ذلك، نقول له: لماذا إذن تبنون أنتم ومشايخكم عقيدتكم وعباداتكم وآدابكم وأورادكم على كتبهم وتعتبرونها الكتب المعتمدة لديكم؟ لماذا كلما ذكرت أسماءهم تقدسون أسرارهم وأرواحهم؟ لماذا تدافعون عنهم باستماتة وتحاولون تأويل مقالاتهم الكفرية وتبحثون لها عن وجه شرعي للصحة؟ لماذا...؟ ولماذا...؟ ولماذا...؟

(٤٨) هَلْ إِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ سَقَطَتْ عَنْهُ التَّكَالِيفُ؟

الصُّوفِيَّةُ: تدعي انه إذا بلغ العبد معرفة الله سقطت عنه التكاليف ورفعت عنه العبادة ولا يضره ما فعل، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩١]. قالوا إنك تعمل حتى يحصل لك العلم والمعرفة فإذا حصل العلم اللدني الخاص سقط عنك العمل.

يقول علي الخواص: "وإن من عباد الله من تقودهم المعرفة به إليه وهم يجولون في ميادين المخالفات" (١).

وروى أبو نعيم بإسناده إلى المشايخ: "عجبت لمن عرف الله كيف يعبد؟" (٢). وقال أيضاً: "اطلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة" (٣).

الْجَمَاعَةُ: تؤكد على نقيض الصوفية أن الذي يقول هذا القول فانه كافر مرتد باتفاق أئمة المسلمين، فانهم متفقون على أن الأمر والنهي وسائر الأحكام الشرعية جارية على كل بالغ عاقل لا ترفع عنه إلا أن يموت، وأن العبد كلما ازداد معرفة الله ازداد عبادة له إذ ليس خلق الجن والإنس إلا لعبادته تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعارف بالله وبحقوقه وبكل ما يرضيه أو يسخطه لا بد ان يكون من أكثر الناس عبادة له، أما أن يكون العارف بالله مشغولاً عن عبادة الله فهذا يخالف المنقول والمعقول، ولو كان أحد بعلو مرتبته في العرفان يستغنى عن عبادة الله ويُعَمِّي عنها لكان رسول

(١) الجواهر والدرر: ١٧٥.

(٢) الحلية: ٣٧/١٠.

(٣) الحلية: ٣٩/١٠.

الله ﷺ أولى الناس بذلك، لكن رسول الله ﷺ كان أعبد الناس مع انه كان أعرف الناس بالله.

أما آية: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩١]. فقد حرفت الصوفية معناها وخالفوا فيه سائر المفسرين ليوافق أهواءهم ويتوصلوا به إلى تقويض الدين وإبطال الشريعة فإن المفسرين اتفقوا على أن المراد باليقين هنا الموت وما بعده لا بلوغ مقام العرفان وحصول العلم اللدني كما تقول الصوفية فيكون معناه الصحيح: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الموت.

وجاء لفظ "اليقين" في القرآن في آية أخرى بنفس المعنى قال تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٧]. يقوله المجرمون حين سئلوا وهم في النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟﴾ [المدثر: ٤٢].

ومما جاء لفظ "اليقين" بهذا المعنى قول الرسول ﷺ لما مات عثمان بن مظعون: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ»^(١).

بهذا بطل قول الصوفية وثبت تحريفهم لمعنى الآية وتقرر أن الله يأمر النبي ﷺ بالدوام على العبادة حتى يأتيه الموت. فهل يُعقل أن يكون لأحد مقام أعلى من مقام النبي ﷺ في المعرفة حتى يعطى ما لم يعط النبي ﷺ ويرفع عنه ما لم يرفع عن النبي ﷺ؟؟

(١) رواه البخاري.

(٤٩) طَلَبُ الْجَنَّةِ وَالْفِرَارُ مِنَ النَّارِ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن طلب الجنة منقصة عظيمة وأن الفرار من النار لا يليق بالصوفي الكامل لأن الفرار منها طبع العبيد وليس الأحرار وأن عبادة الله ينبغي أن تكون لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته ولكن حباً له ولوجهه الكريم. وإليك أمثلة من أقوالهم في ذلك: تقول رابعةُ العَدَوِيَّةُ: "اللهم إن كنت أعبدك خوفاً من نارك فأحرقني فيها وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها".

ويقول عبد الغني النَّابُلُسيُّ: "من كان يعبد الله خوفاً من ناره فقد عبد النار ومن عبد الله طلباً للجنة فقد عبد الوثن".

وذكر أبو بكر الكَلَابَازِيُّ أن جماعة دخلوا على رابعةٍ يعودونها من شكوى فقالوا: ما حالك؟ قالت: والله لا أعرف لعلتي سبباً غير أنني عرضت على الجنة (هكذا) فملت بقلبي إليها فأحسب أن مولاي غار علي فعاتبني فله العتبى" (١).

ومعنى هذا أن مجرد ميل القلب إلى الجنة تعتبره الصوفية ذنباً يُعاقبون عليه: ويقول الشيخ محمد الكردي:

أحبك لا أرجو بذلك جنة * ولا أتقي ناراً وأنت مراد
إذا كنت لي مولى فأية جنة * وأية نار تتقى وتراد؟ (٢)

أما الْجَمَاعَةُ: فيعبدون الله على نقيض الصوفية خوفاً من ناره وطمعاً في جنته وحباً لوجهه لانه هو ما ينبغي ان يكون عليه المؤمن، لأن الله عز وجل قد مدح الانبياء

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف: ١٥٥.

(٢) تنوير القلوب: ٤٨٦.

الذين يدعونه خوفاً من ناره وطمعاً في جنته فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ^(١) كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكذلك وصف تبارك وتعالى أكمل المؤمنين إيماناً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦].

وأمر الله المؤمنين بقوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الاعراف: ٥٦] وفي القرآن آيات كثيرة في هذا المعنى.

وأما السنة فلا حصر للأحاديث في هذا المعنى، فمن أبلغها دلالة على هذا الأمر قول أحد الأعراب للنبي ﷺ لما سأله بماذا تدعو الله؟ فقال الأعرابي: والله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ وإنما أقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال ﷺ «حَوْهَا نُذْنِدُنْ»^(٢).

وشرع النبي ﷺ ذكراً ودعاءً يقوله المصلي بعد صلاة الصبح والمغرب سبعاً وهو «اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ» و «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ»^(٣)، وهذا أيضاً دليل واضح على أن الصوفية على غير سبيل النبي ﷺ.

نقول أخيراً: إذا كان الله يصف أنبياءه بأنهم يدعونه خوفاً وطمعاً، ويأمر عباده أن يدعوه خوفاً وطمعاً، وكان الرسول ﷺ يدندن بدعائه حول الجنة والنار، وشرع بعد الصلاة أدعية تتضمن سؤال الجنة والاستجارة من النار فهل يتصور عقلاً وجود رجل أو امرأة أكمل منه ﷺ فيدعو الله ويعبده لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره بل حباً له؟ فتبين من هذا أن عقيدة الصوفية في العبادة غير صحيحة إذ هي مخالفة للكتاب والسنة كما عرفت.

(١) أي: الأنبياء.

(٢) رواه أبو داود، وابن ماجه وأحمد وصححه إسناده الألباني.

(٣) رواه أحمد وأبو داود.

(٥٠) التَّثْلِيثُ فِي دِينِ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: وقعوا في التثليث الذي وقع فيه الأمم من قبلنا وحذر منه النبي ﷺ فيقول الصوفية: إذا وقعوا في بلية أو نزل بهم ضُرٌّ أو أهدق بهم خطر أو رأوا سبعاً يهجم عليهم، يقولون: يَا إِلْيَاسُ يَا خَضِرُ يَا أَلَهُ، يستغيثون بالثلاثة معتقدين في إلياس وفي الخضر الحياة وأنهما يأتيان لإغاثة من استغاث بهما.

ويقول أتباع الطريقة القادرية في الشَّيْشَانِ وفي دَاغِسْتَانَ وهم يطلبون من أحد عمل شيء: أسألك بالله وبالرسول وبالأستاذ، وكما يقولون أيضاً: رضي الله عنك ورضى الرسول ورضى الأستاذ.

الْجَمَاعَةُ: يرون التثليث شركاً وعملاً حذرنا منه النبي ﷺ وقد كفر الله في القرآن من ثلث الله حيث قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وهذا التثليث وقع فيه النصاري قبلنا فكفرهم الله تعالى.

وحذر النبي ﷺ من الوقوع في مثل ما وقع فيه الأمم من قبلنا وذلك في الحديث الذي رواه أبو واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْنٍ ونحن حُدَثَاءُ عَهْدٍ بكفر وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عندها وَيَتَوَطَّوْنَ بها أسلحتهم يقال لها: "ذاتُ أنواطٍ" فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا هُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(١).

(١) رواه الترمذي وصححه.

وقال ﷺ يخبر أمته أنهم سيفعلون كل ما فعله الأمم من قبلهم لا يتركون من ذلك شيئاً قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوُ الْقَدَّةِ بِالْقَدَّةِ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ»^(١).
إن قول الصوفية عند نزول البلاء "يَا إِيَّاسُ يَا خَضِرُ يَا اللَّهُ" إنما هو إشراك بالله غيره في دعائه والاستغاثة به وهو شرك أكبر يخرج الإنسان من ملة الإسلام، وهو أيضاً تثليث للآلهة، حتى إنهم يدعون الله أخيراً ويقدمون عليه دعاء إلياس ودعاء الخضر، أين إلياس؟ وأين الخضر؟ ومن رآهما؟ وكيف يتفق دعاؤهما مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠].

وأذكر حين كنت صغيراً كيف أن جدتي أو أُمِّي علمتني جهلاً منها هذا الدعاء عند نزول البلاء أو مهاجمة الكلب: "يا إلياس يا خضر يا الله" فكنت أقوله وأنا لا أعقل شيئاً، وأنا أرجو أن تكون أُمِّي أو جدتي تابت من هذا القول، أو أنه صدر منها جهلاً وتقليداً لمن وجد قبلها فيغفر لها الله ويعفو عنها، ولم تكونا صوفيتين.
إن النبي المصطفى ﷺ حمى جناب التوحيد وسد كل الطرق المؤدية إلى الشرك، فمن ذلك ما قال ﷺ «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»^(٢).

ولما قال له أحد أصحابه: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، غضب النبي ﷺ وقال: «أَجَعَلْتَنِي نِدَاءً لِلَّهِ؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٣).

هكذا التوحيد وهكذا الشرك، وهكذا يعلمنا النبي ﷺ التوحيد ويبين لنا طرق الشرك حق نَحْذَرُهَا، فإذا لم يجوز هذ القول، وإذا اعتبره النبي ﷺ جعلاً لله ندّاً فكيف يجوز ما هو أسوأ منه بكثير، من أمثال قول: "يا إلياس يا خضر يا الله" وكيف يجوز "رضي الله عنك ورضي الرسول ورضى الأستاذ"؟
أليس هذا تثليثاً محضاً؟ اللهم سلم.

(١) رواه الشيخان.

(٢) صحيح رواه أحمد وغيره.

(٣) رواه النسائي بإسناد حسن.

(٥١) اَلْخُلُوَّةُ

الصُّوفِيَّةُ: يدعون للعزلة ويدعون لاتخاذ الخلوات ويقولون: إن النفوس إذا خلت بنفسها وسكنت الظلمة وقللت الأكل والنوم وامتنعت عن أكل كل ذي روح صفا روحها وتنور قلبها وصدقت فراستها وكشف الحجاب أمامها وحدثت الكرامات لها وأصبحت مستعدة لرؤية الله في الدنيا واستقبال ألطافه وفيوضاته وتلقي أسرارهِ.

يقول ابن عربي: "فإن المتأهب إذا لزم الخلوة والذكر وفرغ المحل من الفكر وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربه حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلوم والأسرار الإلهية والمعارف الربانية التي أثني بها سبحانه على عبده الخضر عليه السلام فقال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقيل للجنيد رضي الله عنه: بِمَ نَلْتَمَا مَا نَلْتَمَا؟ فقال: بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة" (١).

وقال سهل بن عبد الله التستري: "ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال: إخلاص البطون، والسهر، والصمت، والاعتزال عن الناس" (٢).

والخلوة كما يقول الغزالي لا تكون إلا في بيت مظلم، فإن لم يكن له مكان مظلم فيلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال الحضرة الربوبية" (٣).

(١) الفتوحات المكية: ٣٧/١.

(٢) إحياء علوم الدين: ٦٥/٣.

(٣) الإحياء: ٦٦/٣.

وعند الصوفية خلوة تسمى: (الأربعينية) وهي خلوة محدودة بالزمن وهو أربعون يوماً وهي أقل مدة لمن شغلته نفسه وأولاده عن أن يجعل عمره كله خلوة، وقيل: "إن سهل ابن عبد الله كان يأكل في جميع أيام هذه الخلوة أي أربعين يوماً أكلة واحدة" (١). ويرجع الصوفية فكرة الأربعينية إلى داود عليه السلام ويقولون: إنه لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجداً أربعين يوماً وليلة حتى أتاه من ربه الغفران (٢).

ويستدلون على شرعيتها بحديث يروونه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ظَهَرَتْ يَتَابِعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ" (٣).

الْجَمَاعَةُ: تقول: لا خلوة ولا عزلة ولا أربعينية على ما تفعله الصوفية في الإسلام وليس لها أصل من الكتاب والسنة، وما كان الرسول ﷺ يفعلها ولا أحد من الصحابة ولا أحد من كبار الأئمة، وهي بدعة محدثة في الإسلام بعد السلف الصالح، وإن ما ورد عن رسول الله ﷺ هو الاعتكاف في المسجد ولكنه لا يشبه خلوة الصوفية ولا عزلتهم في شيء. إن خلوة الصوفية تخالف روح الإسلام الذي يجعل الفرد قوياً ويجعل الجماعة قوية مترابطة متماسكة متعاونة، إنها تجعل الرجل يفارق الجمعة والجماعة وتقطعه عن عبادة المريض وشهود الجنازة ومخالطة أهل العلم وزيارة الإخوان، وكل هذا خير يُحَرِّمُهُ الرجلُ بسبب الخلوة الصوفية.

إن الرسول ﷺ ما رَعَبْنَا في الخلوة وما حَثَّنَا عليها بل حَثَّنَا على مخالطة الناس فقال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» (٤).

ثم اشتراط الصوفية أن يكون مكان الخلوة مظلماً فالسر فيه واضح وهو أن الظلمة والمكان المظلم تألفه الجن والشياطين وتنشط بالليل أكثر منها بالنهار فاشتراطوا الظلمة للخلوة حتى تتم صلتهم بهم.

(١) عوارف المعارف.

(٢) عوارف المعارف.

(٣) حكم ابن الجوزي على هذا الحديث بالوضع وأقره عليه.

(٤) رواه ابن ماجه عن ابن عمر.

أما قول الغزالي المار: "ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية" يقول محمد فهر شقيقة تعليقاً عليه: "انظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم؟ ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق وأن الذي يشاهده جلال الربوبية؟ وما يُؤمُّنُهُ أن يكون ما يجده من الوسوس والخيالات الفاسدة؟ وهذا الظاهر ممن يستعمل التقليل في المطعم فإنه يغلب عليه المالمخوليا..."^(١).

أما ما يحتج به بعض الصوفية على مشروعية الخلوة من تحنث الرسول في غار حراء فإن ذلك كان قبل البعثة، ولم ينقل أن الرسول ﷺ عاد إلى تلك الخلوة أو رغب فيها بعد البعثة، وما فعله النبي ﷺ قبل البعثة ولم يعد إليه بعدها فلا يكون شرعاً لنا، وهذا ما اتفق عليه علماء الأمة.

إن العزلة والخلوة عند الصوفية ترجع إلى أصول الديانات القديمة المبنية على رياضة الجسم كالنصرانية والبوذية واليوجا. فنظام الجوع الشديد الذي يتبعه الصوفية اثناء خلواتهم مأخوذ عن أصحاب تلك الديانات لما يروون أن زهادهم يطوون مدداً طويلة دون طعام وأحياناً دون شراب.

وإذا أمعنا نظرنا في مثل هذه الأشياء الصوفية نجدها أسباباً تُهْمُ لهدم الفرد الإسلامي القوي الصحيح ولهدم المجتمع الإسلامي القوي الصحيح، فإن في الخلوة مثلاً إضعافاً للجسم وقطعاً عن الكسب يؤدي إلى الفقر، وعدم اهتمام بالأهل والولد، وتمكيناً للشيطان في الاستحواذ على الشخص، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد كما جاء في الحديث الصحيح.

ونحن بحاجة إلى مجتمع إسلامي قوي صحيح يملك من القوة والطاقة والعلم والمال ما يقاوم به الشيطان الخبيث الماكر والعدو القوي الكافر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وقال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ...»^(٢). حتى إن رسول الله ﷺ ما رخص في صوم الدهر وما رخص في

(١) التصوف بين الحق والخلق: ١٧٥.

(٢) رواه مسلم.

وصال الصوم وأقصى ما ورد عنه انه سمح بصوم يوم وإفطار يوم، وذلك للمحافظة على قوة جسم المسلم وصحته.

وأخيراً نقول: إن كانت الخلوة خيراً فعلى جميع الناس أن يفعلوها ويدخلوها، فإذا فعلوا ذلك فتصوّر من يبقي في ميدان العمل؟ وتصوّر إلام يثول أمر المجتمع في مثل هذه الحالة؟ فأني هدم للمجتمع الإسلامي أشدّ من هذا؟.

(٥٢) الْخَمْرُ وَالسُّكْرُ فِي كَلَامِ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: تذكر اسم الخمر والسكر والكؤوس في كلامهم بل ينشدون بها أشعارهم ولا يستحيون من ذكرها في بيوت الله التي أنشئت لذكر الله لا لذكر الأسماء المتعلقة بالفجور والعصيان وإذا قيل لهم في ذلك تعللوا بأن لها تأويلاً وان لها معاني مجازية لا يفهمها إلا أهل الوجد وأرباب الأحوال. يقول شاعرهم عمر بن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مُدَامَةً * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

ويقول صوفي آخر:

هات كأس الراح * واسقنا الأفداح

ويقول عبد الغني النَّابُلُسيُّ:

علينا الخمر قد دارت * بها ألبابنا حارت

وأطيار الهوى طارت * بترتيب وأسلوب

الْجَمَاعَةُ: تحل ما أحل الله وتحرم ما حرم الله ولا تخلط الحرام بالعبادة، والخمر حرام بإجماع الأمة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

والسكر بأي شيء كان حرام بل نهى الله أن يقرب الإنسان الصلاة وهو سكران فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

وإذا نظرنا في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام سلفنا الصالح لا نجد فيها شيئاً يشبه كلام الصوفية مما يحتاج إلى تأويل أو إعطائه معاني مجازية، فكيف تفعل الصوفية ما لم يفعل أولئك وكيف يجوز لهؤلاء ما لم يجوز لأولئك؟. إذا جاز لكل شخص أن يفعل ما يشاء أو يقول ما يشاء مما يخالف الشرع أو قد يكون كفراً ثم يبرره بأن له تأويلاً أو له معنى مجازياً فنقره على ذلك فكيف نعرف الجائز من غير الجائز؟ وما هو حد الصحيح وغير الصحيح؟ وكيف تجرى عليه أحكام الشرع؟ إن هذا والله هروب من الشرع وتعطيل له فإذا تعطل الشرع وأجزنا لكل واحد ما تجيزه الصوفية لأنفسهم فكيف نقيم كلمة الله؟ وكيف نقيم دولة الله؟ أجيئونا.

(٥٣) عِبَادَةُ الْعَوَامِّ وَعِبَادَةُ الْخَوَاصِّ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن الصلاة والصوم والزكاة والحج هي عبادات العوام، وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة أو خاصة الخاصة ولذلك فإن لهم عبادات مخصوصة، ولقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم كالذكر المخصوص بميئات مخصوصة، والخلوة والأطعمة المخصوصة والملابس المخصوصة والحلقات المخصوصة.

وإذا كانت العبادات في الإسلام لتركية النفس وتطهير المجتمع والتعبير عن عبودية الإنسان لله فإن العبادات في التصوف هدفها ربط القلب بالله حسب زعمهم للتلقي عنه مباشرة دون وساطة النبي ﷺ ودون استناد إلى الكتاب والسنة. يقول أحدهم "حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي" والهدف الأعظم والأخير من عبادات الصوفية هو الفناء في الله واستمداد الغيب منه والاتصاف بصفات الله وأن يصبح الصوفي أخيراً هو الله أو قل مظهراً من مظاهر الله، فيفعل الصوفي كل ما يفعل الله، فيهدي ويضل ويشفي ويمرض ويقول للشيء "كن فيكون" ويطلع على أسرار الوجود وينظر في الملكوت ويتصرف في الكون بل لا تقوم الساعة إلا بمشيئته.

ولا يهم في التصوف أن تخالف الشريعة الصوفية ظاهر الشريعة المحمدية الإسلامية، فالخشيش والخمر وإتيان الحمير والتعري أمام أنظار الناس واختلاط النساء بالرجال في الموالد وحلقات الذكر كل ذلك لا يهم لأن للولي شريعته تلقاها من الله مباشرة فلا يهم أن لا يوافق ما شرعه الرسول محمد ﷺ لأن كل واحد له شريعته فشريعة محمد للعوام وشريعة الشيخ الصوفي للخواص!!!^(١)

بمثل هذا التقسيم أوهموا بسطاء الناس أن للصوفية سراً وأن لهم علوماً لدنية وللبسوا على الناس بإدعاء أنها لا تدرك إلا بالذوق، ومن أنكرها نسبوه إلى فساد الذوق.

(١) انظر الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص: ٦١.

الْجَمَاعَةُ: لا تقسم الناس إلى عوام وخواص كما لا تقسم العبادات إلى عبادات العوام وعبادات الخواص فنحن جميعاً الكبير والصغير والوضيع والشریف والعالم والجاهل والسيد والعبد والرجل والمرأة والخاصة والعامة كلنا نعبد عبادة كان يعبدها رسول الله ﷺ وهو مرسل إلى جميع من ذكر بعبادة واحدة ودين واحد وشریعة واحدة، ولقد كان يحضر مجلس رسول الله ﷺ ومسجده كل أنواع الناس بدأً بأقرب الصحابة إليه وانتهاءً بالأعرابي الغليظ الجافي الذي يراه مرة واحدة في حياته، فلا يخص النبي ﷺ أحداً بشيء من العبادة دون آخر بل يقول تعميماً: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي" (١). ويقول: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» (٢).

وما قال لأحد يوماً: أنت من الخواص أو خواص الخواص فعليك أن تعبد كذا، أو أنت من العوام فعبادتك كذا، ولو كان الأمر كذلك لكان في القرآن دلالة عليه وكانت كتب التفسير تُفَصِّلُ أمره، وَلَنْقُلَ إلينا في السنة ما نتمسك به. أفأنزل على الصوفية قرآن غير قرآننا؟ أم أتتهم سنة غير سنة رسولنا ﷺ؟ كلا وحاشا فمن قال ذلك كفر يقينا، ومن شك في كفر قائله كفر أيضاً. والعياذ بالله.

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٥٤) الْإِكْثَارُ مِنَ الْعِبَادَةِ

الصُّوفِيَّةُ: تقول: إنه يجوز الإكثار من العبادة مهما شئت بل ينبغي فليس هناك حد محدود يجب الوقوف عنده ولا يجوز تجاوزه حتى لو ختمت القرآن كل يوم عشر ختمات، وصمت الدهر كله، وقمت طوال الليالي ما كان إلا خيراً.

الْجَمَاعَةُ: ترى الوقوف في كل عبادة حيث حد رسول الله ﷺ فلا ترى الجماعة صيام الأبد لأن الرسول ﷺ قال: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ» مَرَّتَيْنِ (١).

وها هو عبد الله بن عمرو بن العاص يقول له رسول الله ﷺ «صُمْ يَوْمًا وَأُفْطِرْ يَوْمًا» فيقول ليّ أطيق أفضل من هذا فيقول له: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ» (٢).

وورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ يَقَالُوهَا فَقَالُوا وَائِنْ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (٣).

هكذا يسن المصطفى ﷺ لنا سنة في كل شيء لا يحسن بنا أن ننقص عنها ولا يجوز لنا أن نزيد عليها، أفتركها ونأخذ بأقوال الصوفية؟ أفنرغب عن سنة الرسول ﷺ إلى بدعة الصوفية فنصبح لسنا منه ﷺ، وبحق علينا قوله ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»؟ نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري وأحمد والبيهقي.

فانظر عظيم الفرق بين الفريقين الصوفية وأهل السنة والجماعة، وأي الفريقين أتبع لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

إن الله خلق الإنسان واستخلفه في الأرض ليؤدي رسالته فيدخل في رسالة الإنسان كل جوانب الحياة فمنها الأكل والشرب والنوم والراحة والزواج والنكاح وولادة الأولاد وتربيتهم وغير ذلك من أعمال كثيرة، فكان هذا المقدار الذي فرضه الله على الإنسان من العبادة هو الأوفق والأصلح لحاله والأنفع لصحته والأكثر لنشاطه والأعون لأداء رسالته، فإذا جعل الله سبحانه وتعالى لعبادة ما حدًّا يوقف عنده فلا يكون في زيادته خير يعود على الإنسان فمحاولة الإنسان لإبطال هذا التحديد الذي جاء من الله تجهيل لله في حكمته وإن لم يصرح بذلك. فواجبنا إزاء الله والرسول ﷺ هو قبول ما جاء عنهما عملاً أو تركاً زيادة أو نقصاناً ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: ١٤].

فماذا تفعل الصوفية بعد كل هذا؟ فما أبعد الفرق بين الفريقين!

أما ما لم يجيء من الله والرسول تحديد فيه فموقف الجماعة منه: العمل بمضمون حديث: «لَا يَرَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ» ^(١) ، وحديث: «لَا يَشْبَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةُ» ^(٢).

(١) رواه أحمد، والترمذي ، وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان.

(٥٥) غَرَائِبُ أَقْوَالِ الصُّوفِيَّةِ

١ - قال الشيخ محمد المعصوم: "رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبلني باشتياق تام... ولما فرغت من طواف الزيارة جاءني ملك بكتاب قبول الحج من رب العالمين"^(١). أقول تعليقا: كتاب قبول الحج أو غيره من أنواع العبادات من الله لم نسمع أن جاء أحداً من الناس لا نبياً ولا صحابياً ولا غيرهما، ووددنا أن كان جاء لو نراه بأي حبر كتب وعلى أي ورق؟ هل هو ورق الجنة أم من نوع ما يوجد في الأرض؟ وهل ما يزال على الأرض؟ وأين هو الآن؟ وكان من المفروض أن يحفظ كأنفس شيء ليتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل حتى ينظره الناس بأب عيونهم فيزدادوا بصيرة ويقيناً وتصديقاً لقول محمد المعصوم من الذنوب، أما بالنسبة للتقيل والمعانقة فلا عجب أن يلهج الرجل بكلمات غلبت على ذهنه وعقله، ولو ازداد الرجل في الوقاحة درجة واحدة أخرى فوق التي فيه لذكر الشيء الثالث، أما باقي التعليق على القصة فأتركه للقارئ.

٢ - وقال الشيخ محمد المعصوم أيضاً: "أرى نفسي نوراً سارياً في كل ذرة من ذرات العالم والعالم يتنور به كالشمس"^(٢).

أقول: ثرى هل كانت ذرات العالم قبل أن يولد محمد المعصوم في ظلمة ليس لها نور؟ وإذا مات هل بقي هذا النور من بعده أو زال بزواله؟!!

٣ - حينما توفي حبيب الله جان جانان المظهر قيل إنه ارتفع نصف القرآن إلى السماء ووقع في الدين فتور^(٣).

أقول: لقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وفسره المفسرون: بأن معناه إن الله نزل القرآن وهو حافظه من التغيير

(١) المواهب السمرديّة: ٢١٣ جامع كرامات الأولياء: ٢٠٤/١، الأنوار القدسيّة: ١٩٦.

(٢) المواهب السمرديّة: ٢٠٣، الأنوار القدسيّة: ١٩٢.

(٣) الأنوار القدسيّة: ٢٠٧، المواهب السمرديّة: ٢٣١ - ٢٣٢.

والتبديل، فهل أخطأ المفسرون في تفسير الآية؟ وإن كان قد ارتفع نصفه فهل مُجِي هذا من المصاحف الموجودة في عصره؟ أم ما يكون معناه؟.

٤ - قال الشيخ أحمد الفاروقي: "كثيراً ما كان يُعْرَجُ بي فوق العرش المجيد، ولقد عُرِجَ بي مرة فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه رأيت مقام الإمام شاه نقشبند رضي الله عنه ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ وذكر أسماء عديدة". ثم قال "وأعلم أنني كلما أريد العروج يتيسر لي"^(١).

أقول: أشك في أن هذا العرش هو عرش الله المجيد ولعله عرش إبليس فانظروا وحققوا.
٥ - وقال الشيخ أحمد الفاروقي أيضاً: "رأيت الكعبة المطهرة تطوف بي تشریفاً منه تعالى وتكريماً لي"^(٢).

أقول: إذا جاز للكعبة أن تقبل وتعانق فما المانع من أن تطوف بآخر وهو أقل منهما؟

٦ - أفى الحلاج بأن الإنسان إذا أراد الحج ولم يتمكن فليعمد إلى غرفة من بيته فيطهرها ويطيّبها فيكون كمن حج البيت"^(٣).

٧ - كان الحلاج يقول لأتباعه: "من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات أجزأه ذلك عن صوم رمضان"^(٤).

أقول: الحلاج هذا واسمه حسين بن منصور صلب وقتل، فأرسل إليه الشَّيْبَلِيُّ وهو مصلوب امرأة متصوفة تقول له: "إن الله ائتمنك على سر فأذعته فأذاقك طعم الحديد" هكذا يفشى بعضهم أحياناً أسرار العلوم الدنية عندهم، فهذا وما قبله بعض منها، وقس الباقي عليهما.

٨ - قال أبو يزيد البسطامي: "إن لله علي نعماً منها أي رضيت أن أحرق بالنار بدل الخلق شفقة عليهم"^(٥).

(١) المواهب السرمدية: ١٨٤، الأنوار القدسية: ١٨٢.

(٢) المواهب السرمدية: ١٨٥.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١٧٠١٦/١.

(٤) البداية والنهاية: ١٤٠/١١.

(٥) الأنوار القدسية: ١٠٣، تلبس إبليس: ٣٤١.

أقول: بالله عليكم قولوا: ما الفرق بين هذا القول وقول النصارى إن المسيح رضي أن يصلب على الخشبة ليخلص الناس من خطاياهم، إذا جمع القولان قول النصارى وقول أبي يزيد أصبح للبشرية مخلصان، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

٩ - وقال أبو يزيد البسطامي أيضاً: "اطلع الله عز وجل على قلوب أوليائه فرأى منهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغله بالعبادة" (١).

أقول: هذا الكلام يفهم أن العارف بالله ليس عابداً له والعابد ليس عارفاً ولا تجتمع المعرفة والعبادة في شخص. فهل الأمر هكذا؟ أحقاً هو؟

١٠ - وقال البسطامي أيضاً: "إن في الطاعات من الآفات ما يحتاج إلى أن تطلبوا المعاصي" (٢).

أقول: إن كان يريد بآفات الطاعات الرياء والعجب فهل يطالبنا الشرع لكشفهما وإزالة التهما بفعل المعاصي أم لذلك طريق آخر؟

(١) المواهب السمرمية: ٦١، الأنوار القدسية: ١٠٤.

(٢) المواهب السمرمية: ٥٠.

(٥٦) أَقْوَالُ الصُّوفِيَّةِ الْكُفْرِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يقولون أقوالاً يكفر قائلها ولا تأويل لها إلا الكفر، وإذا سئلوا عن ذلك قالوا: إن هذه شطحات وكلمات صدرت عن مشايخهم في حال غيبتهم وتواجدهم وفي غلبة سكرهم فلا يؤخذون بها لأنها صدرت عن غير وعي، أو أن لها تأويلاً لا يفهمه إلا من أوتي حظاً من العلوم الدنيوية.

وفيما يلي أذكر لك بعض أقوالهم الكفرية:

١ - يقول التِّلْمَسَانِيُّ وهو من كهان الصوفية "القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا" (١).

أقول: تذكر معنى (التوحيد) عند الصوفية فيصبح كل شيء واضحاً عندك (٢).
٢ - خطر ببال أحد المريدين أن الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي رجل متكبر فقال: "كبرياؤنا من كبريائه تعالى" (٣).

أقول: كيف التوفيق بين هذه المقالة والحديث القدسي المروي عن رسول الله ﷺ قال: قال تعالى: «أَلْعَزُّ إِزَارِي وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَارَعَنِي مِنْهُمَا شَيْئًا عَذَّبْتُهُ» (٤). يستفاد من تلك المقالة الكفرية انه يعلم خواطر مريديه كما يستفاد منه أنه يرى نفسه الإله فلا يناله الوعيد الذي توعد الله به في الحديث القدسي المذكور.

٣ - سمع الحلاج (وهو من أقطاب الصوفية) رجلاً يتلو آيات من كتاب الله فقال: "يمكنني أن أولف مثله وأن أتكلم به" (٥).

(١) هذه هي الصوفية: ١٩.

(٢) انظر فصل «التوحيد عند الصوفية» ص

(٣) المواهب السرمدية: ٢١٥، جامع كرامات الأولياء: ٢٠٤/١.

(٤) أخرجه مسلم وأبو داود

(٥) الرسالة القشيرية: ١٥١، المنتظم: ١٦٢/٦، تاريخ بغداد: ١٢١/٨.

أقول: إن كان الحلاج قاله حقاً فقد كذب وكفر، وصدق الله حيث قال: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

٤ - قال الحلاج:

كفرت بدين الله والكفر واجب * علي وعند المسلمين قبيح

أقول: إذا أطلق كلمة (الكفر) هل يفهم غير المعنى المعهود المتعارف الذي يقابل الإسلام والإيمان؟ لا سيما إذا أكدّه بكونه قبيحاً عند المسلمين، فانظروا حكم شهادة الإنسان على نفسه بهذا الكفر؟ وانظروا مكانة الرجل بين أقطاب الصوفية؟

٥ - قال جامع مناقب الشاه نقشبند (الشيخ صلاح): "كان سيدنا البهاء قدس الله سره مع أصحابه فقال: "إن التعلق بالسوي حجاب عظيم للسالك..."، قال الشيخ صلاح: فخطر ببالي ساعته أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً كذلك فالتفت بالحال إلى وتبسم ثم قال: أما سمعت قول الحلاج قدس الله سره وروحه:

كفرت بدين الله والكفر واجب * علي وعند المسلمين قبيح

أقول: العالم كله سوى الله ونبينا محمد ﷺ سوى الله، وهل التعلق بمحمد ﷺ حجاب عظيم يمنع السالك من وصوله إلى الله؟ إذا كان الأمر كذلك لماذا لا يكون التعلق بالشيخ حجاباً عظيماً للسالك؟ أليس الشيخ سوى الله؟ هل الشيخ هو الله؟ وما معنى ما خطر ببال الشيخ صلاح أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً حجاب فصدقه على ذلك الشاه نقشبند بالتفاتته إليه وتبسمه في وجهه؟ هل يعني أن الإسلام والإيمان في حد ذاتهما حجاب يمنع وصول السالك إلى الله فلا بد له من تركهما والتخلي عنهما؟ أم ماذا يكون معناه؟

تنبهوا يا أخوة الإيمان، وكونوا علي حذر من الوقوع في شرك الصوفية، وانظروا إلى عباراتهم الملتوية وكلما تم الغامضة، كيف تنفت في عقول بسطاء المسلمين نفايات وحدة الوجود.

إن رفع الحجاب الذي يأتي كثيراً في كلام الصوفية والذي يسعى إليه السالك في آخر المطاف إنما يعني بالمفهوم العادي رؤية الله جهرة، ولكنه بالمفهوم الصوفي أن يفني السالك وتلاشى ذاته في ذات الله تعالى ويتحد بالخالق.

٦ - قال ابن سبعين أحد الفلاسفة المتصوفة "لقد حَجَّرَ ابْنُ أَمِنَةَ وَاسِعاً حيث قال: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١).

ولذا كان يجاور بغار حراء يرتجى أن يأتيه وحي كما أتى النبي ﷺ بناء على ما اعتقده من استمرار النبوة وانها مكتسبة^(٢).

أقول: لعله كان في بداية أمره قبل وصوله إلى "وحدة الوجود" وقبل أن يصبح إلهاً إذ الواصل إلى "وحدة الوجود" والذي أصبح إلهاً لا يحتاج إلى نبوة أو غيرها لأنه إله والكل عنده آلهة وأرباب.

٧ - أرسل الحلاج رسالة إلى أحد أصحابه قال له فيها: "ستر الله عنك ظاهر الشريعة وكشف لك حقيقة الكفر فإن ظاهر الشريعة كفر خفي وحقيقة الكفر معرفة جليلة"^(٣).

٨ - ذكر الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) هذه القصة: "قال أبو تراب لصديقه يوماً: لو رأيت أبا يزيد؟ فقال له صديقه: إني عنه مشغول قد رأيت الله تعالى فأغثناني عن أبي يزيد، فقال أبو تراب: ويلك تغتر بالله عز وجل، لو رأيت أبا يزيد (البِسْطَامِيَّ) مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة... ثم قال الغزالي: فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن".

أقول: للغزالي ولمن يقرأ كتب الغزالي: بل يجب على المؤمن أن ينكرها لأنها كذب وكفر تخالف القرآن والحديث والعقل.

٩ - يقول ابن عربي في كتابه (الفصوص): "إن الرجل حين يضاجع زوجته إنما يضاجع الحق" ويشرح النابلسي ذلك بقوله: "إنما ينكح الحق".

(١) العقد الثمين: ٣٢٩/٥.

(٢) البداية والنهاية: ١٦١/١٣.

(٣) أخبار الحلاج: ٣٥.

أقول: بنس الشارح التَّابُلُسِيُّ وبنس المشروح ابن عربي، هكذا كلما مضينا قدما ظهرت لنا نتائج "وحدة الوجود" فإن الرجل إذا لم يكن يرى في الوجود سوى الله فالزوج عنده إله والزوجة إله وإذا ضاجع الزوج الزوجة فإنما يضاجع عنده الإله الإله!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، سبحانه اللهم. هذا والله كلام يخاف من النطق به ولو على سبيل الحكاية، ولكننا مضطرون لذلك لكشف فضائح الصوفية.

١٠ - قال أبو يزيد البسطامي: "رفعني أي الله مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك!! فقلت: زيني بوحدايتك وألبسني أنايتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأيي خلقك، قالوا: رأيك فتكون أنت ذلك ولا أكون أنا هنالك" (١).
أقول: لماذا هذه الكلمات الكثيرة والعبارات المعقَّدة؟ لو قال: اجعلني إلهاً مثلك لكان أخصر وأوضح.

١١ - مر أبو يزيد يوماً بمقبرة للمسلمين فقال: "مغرورون و... لليهود: معذرون" (٢).
١٢ - ونقل عن أبي يزيد البسطامي انه قال: "ضربت خيمتي بإزاء العرش" (٣).
١٣ - وجاء رجل إلى أبي يزيد فدق بابه فقال: من تطلب؟ قال الطارق: أبا يزيد، فقال: "ليس في البيت غير الله" (٤).

١٤ - سئل الشَّبْلِيُّ واسمه دُلْفُ بْنُ جَحْدَرٍ عن أبي يزيد البسطامي وعرض عليه بعض ما قاله البسطامي مما نقلناه آنفاً، فقال الشبلي: "لو كان أبو يزيد ههنا لأسلم على يد بعض صبياننا" وقال: "لو أن أحداً يفهم ما أقول لشدت الزنانير" (٥).

١٥ - وكان الشبلي يقول: "لو خطر ببالي أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة واحدة لكنت مشركاً" (٦).

(١) اللع للطوسي: ٤٦١.

(٢) اللع: ٤٦٣.

(٣) اللع: ٤٦٤.

(٤) المواهب السرمدية: ٤٧.

(٥) اللع: ٥٠ والزنانير جمع زنار، وهو ما يربطه النصارى في وسطهم في بلاد المسلمين تمييزاً لهم عن المسلمين.

(٦) اللع: ٤٩٠.

١٦ - وذكر عن الشبلي أيضاً أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية: ﴿قَالَ اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فقال الشبلي: "ليتني كنت واحداً منهم" (١).

١٧ - وذكر عن الشبلي أيضاً أنه قال: "إن لله عبداً لو بزقوا على جهنم لأطفئوها" (٢).

١٨ - ويقول عدي بن مسافرٍ: "لا تنتفع بشيخك إلا إذا كان اعتقادك فيه فوق كل الاعتقاد" (٣).

أقول: هذا يعني طبعاً أن اعتقاده فيه ينبغي أن يكون فوق الاعتقاد في الله فضلاً عن الرسول ﷺ وإلا فآين الاستثناء؟
وأقول أخيراً: ما أكثر هذه المقالات الكفرية الصادرة على السنة أقطاب الصوفية والمنقولة في كتب القوم المعتمدة.

أنقول لتبرير ساحتهم إحساناً للظن: "ياخواننا" الصوفية أنها مدسوسة عليهم أم نقول إنها ليست كفراً إلا في ظاهر الشرع أما حقيقة فإن لها معاني لا يعلمها إلا أصحاب العلوم الدنية والخواص من المحققين أم نقول إنها تصدر عنهم في حال غيبتهم وتواجهدهم فلا يشعرون بما يأتون وما يذرون ولا ينبغي أن يؤخذوا بذلك أم نتوقف ونتركها لا نحكم عليها بشيء من هذا أو ذاك؟

الجماعة تقول: إن هذه المقالات لا يشك أحد ممن له أدنى إلمام بالشرع في أنها كلمات ومقالات كفرية، يكفر قائلها مختاراً واعياً لها، ولا نجد لها تأويلاً يسوغها لأن التأويل لا بد وأن يكون في حدود ما تتحمله أساليب اللغة العربية، فكلماتهم هذه قد خرجت عن حد التأويل، إذ كيف نؤول قولهم: "إن فرعون كان أعلم بالله من موسى؟". أما زعمهم أنها تصدر عنهم في حال غيبتهم وتواجهدهم وفي غلبة سكرهم فنقول رداً عليهم:

(١) اللمع: ٤٩٠.

(٢) اللمع: ٤٩٠.

(٣) الحقيقة التاريخية: ٣٤٣.

أولاً: كيف جاز لهم أن يتعاطوا ما يذهب عنهم العقل ويفقدهم الوعي ويسكرهم ويجعلهم لا يشعرون بما يأتون وما يذرون؟ أليس تحريم الخمر إنما كان من أجل اسكارها ومخامرتها العقل؟ ونهى الله المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى لا يعلمون ما يقولون فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

ثانياً: لا نسلم بأنها صدرت عنهم في حال غيبتهم وتواجدتهم وفي غلبة سكرهم وذلك لما يلي:

١ - أولاً: إنها ليست شطحات وعبارات خرجت في حالة هذيان وغيبة عقل بل هي عبارات واضحة لها معان محدودة تدل على عقيدة عند صاحبها وليس كلاماً غير منضبط ككلام السكران والغائب عن الوعي.

٢ - ثانياً: إن هذه العبارات قد تلقاها تلاميذ التصوف بالقبول واعتقدوا معانيها ودونها في الكتب وشرحوها وشرحوا العقيدة التي تدل عليها والعقيدة هذه هي: أن الأديان جميعاً دين واحد وأن الخلق جميعاً هم عين الخالق وأنه لا موجود إلا الله. وهنا نسأل الصوفية: إذا كانت هذه العبارات تسمونها شطحاً وهذياناً فلماذا تعمدون إلى تدوينها وتفسيرها وتأويلها ونسبتها إلى العلوم الدنيوية وإخراج معانيها الغالية الخفية، بل وجعلها من مناقب قائليها وعلامة وصولهم إلى الحقيقة؟

٣ - ثالثاً: إن الكلمات التي تخرج من فم إنسان في حالة السكر وغلبة الحال إنما تكون عبارة أو عبارتين أو جملة أو جملتين ثم تكون لغواً ولا يلقي لها بال ولا تدون في كتاب ولا تشرح ولا يلتبس لها تأويل، أما هؤلاء فقد ألفوا بهذه الكلمات عشرات بل مئات الكتب ثم يزعم أصحابها أنهم تلقوها من الغيب بالوحي الإلهي أو مقابلة النبي ﷺ يقظة. إن الرسول ﷺ الذي جعله الله تعالى قدوة لنا في كل شيء كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]. هذا الرسول العظيم ﷺ كان أعبد الناس وأخشاهم لله وأتقاهم له، ومع ذلك فلم يصدر عنه من الكلمات ما ظاهره كفر ويحتاج إلى تأويل، وكان من بعده صحابة أجلة وائمة كبار ولم يصدر عنهم من الكلمات ما ليس له مسوغ إلا التأويل المتكلف أو نسبته إلى العلوم الدنيوية.

ولقد كان للنبي ﷺ حالات في العبادة وعند تلقي الوحي وبكاء عند قراءة القرآن ومع ذلك فلم ينقل عنه أنه حصل له تواجد وغيبة وفقد شعور فصدر منه من الكلام ما ظاهره كفر، بل كلام النبي ﷺ في جميع الحالات عذب وحلو وطيب ظاهراً وباطناً لا كفر ولا إحداد ولا زندقة.

ومن المفيد هنا ان نتذكر قول الجنيد البغدادي سيد الطائفة الصوفية لنعرف مدى صدقه فيه ومطابقته لواقع حالهم والقول هو: "علمنا (اي التصوف) مضبوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث فلم يتفقه فلا يقتدي به"، فانظر أيها القارئ اللبيب، هذا قولهم في حالة وذلك قولهم في حالة أخرى، وهذا قولهم وذاك فعلهم، فأقل شيء في حالهم انهم منافقون يقولون ما لا يفعلون، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً.

(٥٧) هَلْ خُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن الله خلق العالم لأجل محمد ﷺ ولولاه ما خلق الله شيئا، ويقولون: إن الله قال لآدم لما اقترف الخطيئة: «... يَا آدَمُ إِنَّهُ أَيُّ مُحَمَّدٍ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ أَدْعُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ»^(١).
كما يزعمون أن الله تعالى قال لمحمد ﷺ: "لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ".
يقول البوصيري مؤكِّداً لهذا المعنى في قصيدة البردة:

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضُرُورَةً مَنْ * لَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

وقال آخر:

لَوْلَاهُ مَا كَانَ أَرْضٌ لَا وَلَا أَفُقٌ * وَلَا زَمَانٌ وَلَا خَلْقٌ وَلَا جَبَلٌ

الْجَمَاعَةُ: تؤكد أن عقيدة الصوفية القائلة بأن الله خلق العالم من أجل محمد ﷺ ولولاه ما خلق الله شيئاً عقيدة باطلة لا تستند إلى دليل من الكتاب والسنة كما لا يستند غيرها من عقائدهم إلى دليل منهما.

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق العالم من أجل محمد ﷺ بل خلق الله العالم وخلق محمداً نفسه من أجل عبادته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. بل إن الله يأمر محمداً ﷺ أن يعبدته حتى الموت فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. ولو كان محمد ﷺ من أجله خلق كل شيء ما كان الله ليأمره بعبادته وليسويه بسائر المخلوقات في المطالبة بالعبادة، فدل ذلك على أن محمداً ﷺ نفسه خلق لعبادة الله تعالى.

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

ويدل على أن الأمر كذلك بوضوح أكثر قوله تعالى لمحمد ﷺ في القرآن ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. وقوله تعالى له ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]. لأنه ليس من المعقول أن يخلق الله كل شيء من أجل محمد ﷺ ثم يقول له ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ويجعله لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولا ضراً ويجعله لا يملك أن يهدي أحداً إلا أن يشاء الله. أما بالنسبة لحديث الحاكيم فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث فهذا مما أنكره عليه ائمة العلم بالحديث وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة" (١). وقال الذهبي: "إنه موضوع وباطل" (٢). والحديث الضعيف فضلاً عن الموضوع لا ينهض دليلاً لإثبات أي عقيدة لا سيما إذا كان بالمقابل آيات وأحاديث تبطلها.

(١) القاعدة الجلية: ١٦٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٥٠٤/٢.

(٥٨) هَلْ نُورُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ؟ وَكُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ نُورِهِ؟

الصُّوفِيَّةُ: تزعم ان الله خلق محمداً من نوره وأن نوره أول مخلوق وخلق من نوره جميع الأشياء.

يقول عبد الكريم الجيلي: "خلق الله وهم محمد من نور اسمه الكامل" وخلق الله عزرائيل من نور وهم محمد ﷺ" (١).

ويقول أيضاً: "لما خلق الله العالم جميعه من نور محمد ﷺ كان المحل المخلوق منه إسرافيل قلب محمد ﷺ" (٢).

ويقول الدباغ: "اعلم أن أنوار المَكُونَاتِ كُلِّهَا من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وُجِدَتْ بعضاً من نور النبي وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ولو جمعت المخلوقات ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت" (٣).

ويقول التجاني: "لما خلق النور الحمدي جمع في هذا النور الحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحدياً قبل التفصيل في الوجود العيني، وذلك في مرتبة العقل الأول" (٤).

ويقول أبو طالب المَكِّي: "قال بعض أهل المعرفة: خلق الله الجنة بما فيها من نور المصطفى ﷺ فلما اشتاقت إلى رسول الله ﷺ كان شوقها إلى المعدن والأصل وصار شوق المشتاقين إلى الجنة شوقهم إلى النبي ﷺ لأنها من نوره خلقت" (٥).

(١) الإنسان الكامل: ١٠٢.

(٢) الإنسان الكامل: ١٠٤.

(٣) الإبريز: ٨٤/٢.

(٤) الرماح ١٤/١.

(٥) قوت القلوب: ٣٠. ٣١.

ومن صلواتهم الواردة في كتاب دلائل الخيرات: "اللهم صل على محمد بحر أنوارك... إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك". و"اللهم صل على سيدنا محمد نور الذات وسره الساري في جميع الأسماء والصفات". ومن صلواتهم: "اللهم صل على محمد الذي خَلَقَ من نوره كلَّ شيء" والشيء يشمل آدم وإبليس والقردة والخنازير والذباب والبعوض والبول والغائط، فيكون معناه: إن هذه الأشياء كلها خلقت من نوره، فهل يقول به عاقل؟

الْجَمَاعَةُ: تقول: إن ما تعتقده الصوفية وتزعم في محمد ﷺ من أنه خلق من نور الله وأن نوره أول مخلوق وأن جميع الأشياء خلقت من نوره فهي كذب وافتراء وهراء يكذبها القرآن والحديث اللذان هما مصدر تلقي علومنا.

إن رسول الله محمدًا ﷺ كغيره من الرسل السابقين إنسان وبشر كسائر البشر ولد بين أبوين كما يولد سائر البشر وأنه من بني آدم الذي خلق من تراب فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة وهي العقيدة الصحيحة الثابتة في القرآن والحديث، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١١]. وغيرها من الآيات كثير.

وآدم خلقه الله من تراب قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٣]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]. والمراد بالإنسان والبشر في الآيتين هو آدم عليه السلام.

وأما المخلوق من نور فهم الملائكة: قال رسول الله ﷺ «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(١).

هكذا يتحدث الرسول ﷺ عن النور وعَمَّنْ خُلِقَ من النور فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور كما ذكر عن الملائكة وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية

(١) أخرجه مسلم.

وعن خلقه وأنه خلق مما ذكره الله في القرآن يعني من طين لازب ومحمد ﷺ ابن آدم.

لقد أثبت الرسول ﷺ بشريته في غير حديث فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ: قَالَ اللَّهُ فَلَئِنْ أَكْذَبَ عَلَى اللَّهِ»^(١). وقال ﷺ «إِنِّي فِيمَا لَمْ يُوحَ إِلَيَّ كَأَحَدِكُمْ»^(٢).

هنا نسأل الصوفية: لماذا يكذبون هذه الحقيقة ويفترون على النبي ﷺ الكذب؟ أيريدون مدحه؟ أم يرفعون قدره؟ فوالله لا يكون مدحه ولا رفع قدره بوصفه بما ليس فيه، أم هم أعلم بحقيقة محمد ﷺ من محمد نفسه؟ لقد كان إبليس أعلم من الصوفية بخلقهم وخلق آدم حين قال كما حكى القرآن: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» [ص: ٧٦]. فهذه الآية تكذب كلام الصوفية فآدم عليه السلام هو أول المخلوقات من البشر خلقه الله من طين، وأول ما خلق الله من غير البشر فهو القلم بعد العرش والماء لقوله ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ فَقَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ فَكَتَبَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»^(٣).

ولا نشك في أن رسول الله ﷺ أفضل الخلق ولكن فضله في أنه نبي أوحى إليه ورسول أرسل إلى كافة الناس، وليس فوق الرسالة منزلة أعلى منها. أما الحديث الذي يوردونه لاثبات عقيدتهم وهو: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ..." فقد قال عنه علماء الحديث: إنه لا سند له، وأنه موضوع وباطل.

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وابن شاهين في السنة؛ قال الهيثمي في المجمع: قال الهيثمي: وفيه أبو العتوف ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٣) رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح.

(٥٩) هَلْ أُعْطِيَ النَّبِيُّ ﷺ عُلُومَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ؟

الصوفية: تدعي أن النبي محمداً ﷺ أعطى علم اللوح والقلم فلا شيء في العوالم السفلية والعلوية يخفى عليه، بل جعلوا علم اللوح والقلم جزءاً من علم محمد ﷺ. يقول الشاعر محمد البوصيري في قصيدة البردة يخاطب الرسول ﷺ:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا * وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

الجماعة: تؤكد أن هذا كذب محض، ما كان محمد ﷺ أوتي علم اللوح والقلم كله، بل أوتي من العلم ما لا بد منه لتعليم الناس أحكام دينهم وإرشادهم إلى أمور دينهم ودنياهم، وأظهره الله على بعض الْمُعَيَّنَاتِ في الماضي وفي المستقبل معجزة له وهداية للناس، أما أن يقال: كان قد أوتي علم اللوح والقلم فهذا غلو فيه وإطراء له بما لا يجوز؛ إذ معناه انه كان يعلم كل ما كان وما يكون فهذا وصف لا يليق بغير الله.

ووددنا لو نعرف إن كان قد أوتي تلك العلوم كلها متى أوتي؟ أقبل الهجرة أم بعد الهجرة؟ أم ليلة المعراج؟ ومهما كان الأمر فقد كان تحدث معه حوادث كان يبقى فيها متحيراً لا يدري ماذا يصنع؟ وكيف وجه الصواب فيها؟ نقول على سبيل المثل؟ لما رُميت عائشة رضي الله عنها بالإفك بقي شهراً متحيراً لا يترجح عنده أحد شيئين أصدق خبر الإفك أم يكذبه ولا يأتيه الوحي يخبره بواقع الأمر، هنا نتساءل أكان الرسول ﷺ يبقى في حيرة طوال شهر كامل هو وأصحابه لو كان عنده علم اللوح والقلم؟.

وهناك بعض حوادث جاء تصرف النبي ﷺ فيها بعد اجتهاد منه على خلاف الصواب فعاتبه الله على ذلك كعبوسه في وجه الأعمى وتولييه عنه حين جاء يطلب منه العلم، وكأخذه الفداء من أسرى بدر وإطلاقه سراحهم بعد ذلك، فتساءل: أكان الرسول ﷺ يتصرف هكذا ويتعرض لعتاب الله لو كان عنده علم اللوح والقلم؟ ولعل الجواب على هذه التساؤلات واضح عند كل من كان لديه عقل ومنطق سليم.

(٦٠) هَلْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَعْرِفُ الْقُرْآنَ قَبْلَ نُزُولِهِ عَلَيْهِ؟

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن النبي ﷺ كان يعلم القرآن قبل أن ينزل عليه فمن ذلك ما يحكون... إِنَّ جَبْرِيلَ عَجَبَ حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا يَتْلُو الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَسَأَلَ جَبْرِيلَ: فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ: أَرَفَعَ السِّتْرَ مَرَّةً حِينَ يَلْقَى إِلَيْكَ الْوَحْيَ ففعل جبريل فرأى محمدا ﷺ هو الذي يوحى إليه فصاح مسبحاً: منك واليك يا محمد؟!!!^(١) ومنه ما يقول ابن عربي مفسراً قول الله سبحانه وتعالى تفسيراً باطنياً: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤]. يقول: "اعلم أن رسول الله أعطى القرآن مجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقليل له: لا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقه على الأمة مجملاً فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله"^(٢).

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن العقيدة الصوفية في هذا الأمر باطلة وأن محمداً ﷺ ما كان يعلم القرآن قبل أن ينزل عليه وقبل أن يعلمه جبريل عليه السلام فإن القرآن والسيرة النبوية يكذبان الصوفية في دعواهم هذه.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥٤]. والمراد بشديد القوى هو جبريل عليه السلام فهذه آيات بينات تهديك إلى أن الذي علّم رسول الله القرآن هو جبريل وإلى أنه ﷺ لم يكن على علم به لا مفصلاً ولا مجملاً قبل أن ينزل جبريل عليه.

ويقول تعالى في آيات أخرى بما لا يدع مجالاً للشك فقال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. كيف

(١) هذه هي الصوفية: ٨٩.

(٢) الكبريت الأحمر للشعراني.

يصح قول الصوفية: إن محمداً كان يعلم القرآن قبل نزوله عليه إذا كان الله يقول له: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ...﴾؟

ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]. فكيف التوفيق وكيف الجمع بين قول الصوفية وبين قول الله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ...﴾؟

أولاً يذكر الصوفية أن رسول الله ﷺ حين فجأه الوحي في غار حراء وقال له جبريل عليه السلام "إِقرَأْ" وغطَّه غَطَّةً تكاد تزهق روحه كان يقول له: «مَا أَنَا بِقَارِي؟». وأنه عاد إلى زوجه خديجة رضي الله عنها خائفاً من أن يكون جبريل الذي ظهر له جَنِيًّا فطبيت له خاطره وقالت له قولتها المشهورة: «وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا...؟» وأن خديجة لما لم تعلم تفسير ما حدث معه ذهبت إلى ابن عمها وَرَقَّةَ بنِ تَوْفَلٍ الذي كان علي علم بالكتب السابقة، فقال له: أنت نبي هذه الأمة، وإن قومك سيخرجونك من بلدك حتى تعجب النبي ﷺ كيف يخرجونه وهو المحبَّب إليهم والصادق الأمين لديهم فقال: «أَوْخْرِجِي هُم؟».

هذه الحقائق التاريخية الثابتة لدى الأمة الإسلامية الظاهرة الدلالة على أن محمداً ﷺ ما كان عنده علم بالقرآن قبل نزوله عليه كيف تتفق مع قول الصوفية إن محمداً ﷺ كان يعلم القرآن قبل نزوله عليه؟. أفكان يحدث هذا أو بعضه لو أنه ﷺ كان على علم بالقرآن؟ كيف يقول لجبريل: «مَا أَنَا بِقَارِي؟» يكررها ثلاثاً إذا كان يعلم القرآن قبل ذلك وكان يقرأه؟ أيكذب النبي؟ أم يلبس على الناس؟

سبحان الله هذا بهتان عظيم! إذن لا بد أن يكون أحد القولين كاذباً، إما قول الله ورسوله وإما قول الصوفية.

(٦١) رُؤْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَمُقَابَلَتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ يَقْظَةً

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن النبي ﷺ لم يمُت وان مشايخهم وأولياءهم يقابلونه يقظة لا مناماً ويأخذون عنه العلم ويسألونه عما أشكل عليهم. وإليك نصوصاً تدل على هذه العقيدة عندهم: يقول أبو العباس القصاص: "لم يمُت محمد وإنما الذي مات استعدادك لأن تراه بعين قلبك" (١).

حتى إن الصوفية يذكرون أساليب يسلكها الصوفي حتى تتأتى له رؤيته في اليقظة فينقل القُوتِي عن عبد الكريم السَّمَانِ قوله: "وأوصيك بدوام ملاحظة صورته ومعناه، ولو كنت في أول الأمر متكلفاً في الاستحضار فغن قريب تألف روحك فيحضرك ﷺ عياناً وتحديثه وتخطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم" (٢).

أقول: معنى ذلك أنه يمكن أن يرى النبي ﷺ عن طريق عملية رياضية نفسية بتركيز الفكر على صورته حتى تألف الروح تلك الصورة فيحضر النبي ﷺ ونظيره قول الدباغ: "لكل شيء علامة، وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبي ﷺ في اليقظة: أن يشتغل الفكر بهذا النبي الشريف، اشتغالاً دائماً، بحيث لا يغيب عن الفكر، ولا تصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل، فتراه يأكل وفكره مع النبي ﷺ، ويشرب وهو كذلك، ويخاصم وهو كذلك، ... فإذا دام العبد على هذا مدة رزقه الله تعالى مشاهدة نبيه الكريم ورسوله العظيم في اليقظة، ومدة الفكر تختلف فمنهم من تكون له شهراً ومنهم من تكون له أقل ومنهم من تكون له أكثر" (٣).

(١) تذكرة الأولياء: ١٥٨/٢.

(٢) الرماح: ٢٢٦/١.

(٣) الإبريز: ١٧٢/١.

ويحكي الشعراني في ترجمة الشيخ عبد الله بن أبي جَمْرَةَ الأَنْدَلُسِيِّ: "أنه ابتلي بالإنكار عليه حين قال: إنه يرى رسول الله ﷺ يقظة ويشافهه وقام عليه بعض الناس فانقطع في بيته إلى أن مات" (١).

وفي ترجمة إبراهيم المَتَّبُولِيّ يقول الشعراني: "وكان يرى النبي ﷺ كثيراً في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول: يا ولدي إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة فلما صار يجتمع به في اليقظة ويشاوره على أموره قالت له: الآن شرعت في مقام الرجولية" (٢).

وعنه أيضاً قال: سمعت الشيخ عبد القادر الدَّشْتُوطِيّ... يقول: "ليس أحد من الأولياء له سباط يمد فوق سد الاسكندر ذي القرنين غير سيدي ابراهيم المتبولي... ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضوره فيجلس النبي ﷺ صدر السباط والأنبياء يمينا وشمالا على تفاوت درجاتهم، وكذلك الأولياء، ونقباء ذلك السباط: المقداد بن الأسود رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه وجماعة" (٣).

وفي ترجمة الشيخ محمد الصوفي أحد مشايخه قال الشعراني: "وكان يخبر أنه يجتمع بالنبي ﷺ يقظة أي وقت أراد". ثم علق عليه الشعراني بقوله: "وهو صادق لأنه ﷺ سائر في كل مكان وجدت فيه شريعته وما منع الناس من رؤيته إلا غَلَطُ حجابهم" (٤).

أقول: هل يعني أن الصحابة رضي الله عنهم منعهم من رؤيته ﷺ بعد موته غلظ حجابهم؟ وأن هؤلاء الصوفية أرق حجاباً منهم أو رفعت حجبهم؟

وقال الفوتي في رماح حزب الرحيم: "ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة..." (٥).

ويقول الفوتي أيضاً نقلاً عن الشُّبُوطِيّ: "عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فَرَوَى ذلك الفقيه حديثاً فقال له الولي: هذا باطل. فقال الفقيه من أين

(١) الطبقات الكبرى: ١/١٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٢/٧٥.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢/٧٧.

(٤) الطبقات الكبرى: ٢/١٦٠.

(٥) الرماح: ١/١٩٩.

لك هذا؟ فقال الولي: هذا النبي ﷺ واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث" (١).

وتحدث الفوتي عن شيخه التجاني فقال: "إن النبي ﷺ أخبره بقوله ﷺ بعزة ربي يوم الاثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيها من الفجر إلى الغروب ومعني سبعة أملاك وكل من رآك في اليومين تكتب الملائكة اسمه في ورقة ويكتبونه من أهل الجنة" (٢).
وينقل ابن ضيف الله: "إن الشيخ حُوجلي يرى النبي ﷺ كل يوم أربعة (هكذا) وعشرين مرة يقظة".

أقول: معنى هذا أن النبي ﷺ بينما يرافق الشيخ التجاني وهو بفاس بالمغرب يوم الاثنين ويوم الجمعة ولا يفارقه فيهما نجده يقابل الشيخ حُوجلي بالسودان كل يوم أربعاً وعشرين مرة أي مرة في كل ساعة ليلاً أو نهاراً ومدى معرفة النحو وقواعده إذا نظرنا في كلام هؤلاء نجده "قوياً" جداً.

أقتصر من هذه الحكايات والقصص على ما ذكرت وسأحوي على أن أطلت وإلا ففي كتبهم منها ما لا يأتي عليه الحصر وكل منها أعجب من الآخر.

الجماعة: تقول: إن النبي ﷺ فارق الدنيا ومات وانتقل إلى الرفيق الأعلى وبعد الموت لم يقابله أحد ممن على الأرض ولم يره يقظة ولم يكلمه مشافهة ولم يسأله عما أشكل أو اشتبه عليه.

أما موته فأمر متفق عليه بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وبدليل الأحاديث الكثيرة التي وردت في موت النبي ﷺ منها:

١ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قَبَضَهُ اللَّهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيَّنَّ نَحْرِي وَسَحْرِي" (٣)
(أرادت أنه مات في حضنها).

(١) الرماح: ٢٠٨/١.

(٢) الرماح: ٢٩/٢.

(٣) رواه البخاري.

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لَمَّا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ كَرْبِ الْمَوْتِ مَا وَجَدَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها وَكَرَّ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ أَبِيكَ مَا لَيْسَ بِتَارِكٍ مِنْهُ أَحَدًا، الْمُوَافَاةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (١).

ومعنى (الموافاة يوم القيامة) الملاقاة حاصلة يوم القيامة.

هنا لم يقل النبي ﷺ لأحب أهله إليه فاطمة الزهراء: "لَا أَمُوتُ وَلَا أَفَارُقُ، ائْتِنِي متى شئتِ وأسأليني ما شئتِ وعما شئت" بل قال: (الموافاة يوم القيامة).

٣ - خرج أبو بكر رضي الله عنه يوم موت النبي ﷺ إلى الناس يخطبهم وهم في حيرة من أمرهم لا يدرون ما يفعلون أيصدقون خبر موته أم لا فقال: "مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ فِي السَّمَاءِ لَا يَمُوتُ" (٢).

وبدليل وجود القبر في المدينة المنورة الذي دفن فيه جسده الشريف لا يختلف في

هذا أحد من المسلمين.

أما القول بأن أحدا يقابله ﷺ ويشاوره ويسأله عن بعض الأمور فقول باطل لم يقل به أحد من الأئمة والعلماء ولم ينقل إلينا أن أحداً من الصحابة رأى الرسول ﷺ يقظة حتى أهل بيته وأقرب الناس إليه لم يروه، فهل الصوفية أفضل من الصحابة؟ وهل أعطوا ما لم يعط الصحابة؟

وكم حصل بعد موت النبي ﷺ بين الصحابة خلافات ونزاعات في أمور كثيرة كانوا في أمس الحاجة إلى من يحلها ويفصل فيها ولكن لا نعلم أن أحداً من أهل بيته أو من سائر الصحابة ذهب إلى قبره الشريف أو التقى به يقظة فسأله عما اختلف فيه. لقد حصل خلاف بين المهاجرين والأنصار بعد موت النبي ﷺ وقبل أن يدفن فيمن يجعل خليفة على الأمة الإسلامية فاجتمعوا تحت سقيفة الأنصار واشتد النزاع بين الفريقين حتى قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وقال المهاجرون منا أمير ومنكم وزير حتى شغلهم عن دفن النبي ﷺ ثم حلوا قضيتهم فيما بينهم ولم يذهبوا إلى النبي ﷺ الذي مات، ولم يقابلوه ولم يسألوه، ولم يخرج هو إليهم من بيت عائشة الذي

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

هو فيه ليقول لهم: لا تتنازعوا فإن الخليفة فلان. ألم يكن سؤاله أسهل عليهم وعليه لو كان هذا بالإمكان وأقطع للخلاف بينهم وأهم من حضور سماط إبراهيم المتبولي. كما حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في خلافة علي حروب ونزاعات قتل فيها ألوف من الصحابة فما ذهبوا إلى قبر النبي ﷺ على قبره منهم، وما قابله يقظة وما سأله عما اختلفوا فيه حتى إن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وأقرب الناس إليه كانت إلى جانب معاوية ضد علي فلم تقابل النبي ﷺ يقظة وما سأله عما هم فيه من الفتن والنزاعات حتى اعترفت أخيراً بخطئها.

ونجد النبي ﷺ حين قارب الوفاة لم يقل للناس: سوف يكون فيكم من بلغ الكمال مقام العرفان فيجتمع بي يقظة فيسألني عما أشكل عليكم فأجيبه؛ بل قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ» (١).

وقال ﷺ أيضاً: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ مَا تَمَسَّكْتُمَا بِهِمَا فَلَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ» (٢).

فلو كان النبي ﷺ لا يموت أو كان يقابلهم بعد الموت يقظة وعياناً فكيف يصح له أن يقول «تَرَكْتُ فِيكُمْ...» وهل يكون الترك إلا من رجل يذهب ولا يعود؟ ويلزم من قول الصوفية برؤية النبي ﷺ يقظة أن مشايخهم صحابيون كما صرح الفوتوي وأن الصحبة لم تنقطع إلى يوم القيامة لأن الصحابي هو من اجتمع في حياته بالنبي ﷺ يقظة وآمن به ومات على ذلك، فيكون مشايخ الصوفية داخلين تحت هذه القاعدة أريدون حقاً أن يقولوا أن مشايخهم صحابيون؟ ولئن قالوا ذلك فقد قالوا أكبر من ذلك، ولئن قالوا ذلك فلم يقله أحد من المسلمين كما يلزم من قولهم إن النبي ﷺ يخرج من قبره لتوافه الأمور كحضور سماط المتبولي وإحياء مولد السيد البدوي ونحوهما ولا يخرج لمهمات الأمور كفض النزاع بين الصحابة وحقن دماء ألوف منهم وإرشاد الضال والمخطئ منهم.

(١) حديث صحيح رواه أحمد.

(٢) رواه مالك وصححه الألباني.

وأكبر رد على من يدعي رؤية الرسول ﷺ أو رؤية غيره ممن مات يقظة بعد موتهم قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. أي من وراء من مات حاجر بينهم وبين رجوعهم إلى الدنيا إلى يوم القيامة. ذكره الطبري.

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز في هذه القضية مَا نَصُّهُ: "ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي ﷺ في اليقظة أو أنه يحضر المولد أو ما شابه ذلك فقد غلط أقبح الغلط... وخالف الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِعَدِّ ذَلِكَ لَكَايِتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥ - ١٦]. فاخبر سبحانه أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كاذبا بينا أو غلط مُلَبَّس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح" (١).

إذا علمت هذا فقد علمت أن الذين يقولون: رأيت رسول الله يقظة، أو اجتمعت برسول الله، أو قال لي رسول الله ﷺ أو ما شابه ذلك فقد كذب علي رسول الله ﷺ وافترى اثماً مبيناً وهو واقع تحت حكم قوله ﷺ «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٢).

(١) التحذير من البدع: ١٨.

(٢) متفق عليه.

(٦٢) هَلْ يُعْطِي النَّبِيُّ ﷺ التَّشْرِيعَاتِ وَيُعَلِّمُ الْأَذْكَارَ بَعْدَ مَوْتِهِ؟

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد أن النبي ﷺ ما زال يعطي التشريعات الجديدة بعد موته لمن يشاء من أمته وَيُلْقِنُهُمُ الْأُورَادَ والأذكار كذلك، بل قالوا: إن العلم علمان علم ظاهر يعطيه العوام، وعلم باطن يعطيه الخواص، فعلم الظاهر أعطاه أمته عامة في حياته الدنيا وعلم الباطن أعطاه وما يزال يعطيه خواص أمته ومشايخ الصوفية وأولياءهم بعد ما تَوَفَّى وصار إلى الدار الآخرة.

يقول صاحب جواهر المعاني: "فلما انتقل إلى الدار الآخرة وهو كحياته ﷺ في الدنيا سواء صار إلى أمته الأمر الخاص للخاص" (١).

ويقول الشيخ التجاني: "سألت سيدنا رسول الله ﷺ هل أذكر الاسم الأعظم بالتميم للمرض إذا أصابني ولم أقدر على الوضوء؟ فقال لي: لا إلا أن تذكره بالقلب دون اللسان" (٢).

أقول: النهي عن ذكر اسم الله الأعظم باللسان إلا بالطهارة لم يرد في الشريعة التي جاءت عن صاحب الشريعة محمد ﷺ فلم يبق إلا أن يكون تشريعاً جديداً أخفاه النبي ﷺ عن جميع الأمة منذ عهد الصحابة حتى جاء الشيخ التجاني فعلمه إياه.

ويخبر صاحب (جواهر المعاني) أيضاً:

١- إن الورد المعروف بحزب البحر أملاه ﷺ على الشيخ أبي الحسن الشاذلي (١٤٩/١).

(١) جواهر المعاني: ١٤١/١.

(٢) جواهر المعاني: ١٣٢/٢.

٢- و "أن النبي ﷺ أذن للشيخ التجاني يقظة لا مناماً بترية الخلق على العموم والإطلاق وعين له الورد الذي يلقيه في سنة ١١٩٦هـ) (١).

٣- و "أن النبي ﷺ هو الذي أمر بتأليف كتاب "جواهر المعاني" (٢).
ويقول صالح محمد الجعفري الذي كان إماماً لمسجد الأزهر لمدة طويلة في كتابه الذي سماه (مفاتيح كنوز السموات والأرض المخزونة التي أعطاها ﷺ لشيخ الطريقة الإدريسية المصونة) يقول:

قال سيدي أحمد رضي الله عنه: اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي ﷺ الخضر أن يلقيني أذكار الطريقة الشاذلية فلقيني إياها بحضرته ثم قال ﷺ للخضر عليه السلام "يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثواباً وأكثر عدداً" فقال: أي شيء هو يا رسول الله؟ فقال ﷺ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفْسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّهِ". فقاها وقتها بعدهما وكررها ﷺ ثلاثاً ثم لقنه ﷺ الصلاة العظيمة والاستغفار الكبير، يقول أحمد: فقلت بعدهما وقد كُسيْتُ أنواراً وقوة محمدية ورزقت عيوناً إلهية، ثم قال ﷺ "يا أحمد، أعطيتك مفاتيح السموات والأرض وهي الذكر المخصوص والصلاة العظيمة والاستغفار الكبير المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة وما فيهما أضعافاً مضاعفة" واستطرد قائلاً: قال سيدي أحمد رضي الله عنه وقدس سره . ثم لقيتها لي ﷺ من غير وساطة فصرت ألقنُ المريدين كما لقيني به ﷺ.

ومرة قال له رسول الله ﷺ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفْسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّهِ" خزنتها لك، يا أحمد، ما سبقك بها أحد، عَلِمْتُهَا أصحابك يسبقون بها. وكان رضي الله عنه يقول: "أملئ عليّ رسول الله ﷺ الأحزاب من لفظه حتى استشكل بعض أصحابه من العلماء مرة كلمة في الحزب الخامس فقال: يا أخانا هكذا قال لي رسول الله ﷺ" (٣).

(١) جواهر المعاني: ٥١/١.

(٢) جواهر المعاني: ٥٣/١.

(٣) مفاتيح كنوز السموات والأرض ... الخ: ٩٠٨.

الْجَمَاعَةُ: تقول: إن مزاعم الصوفية كلها أكاذيب وافتراءات وخزعبلات، والتشريع انقطع بانقطاع الوحي إلى النبي ﷺ والوحي انقطع بموت النبي ﷺ والدين قد كمل في حياة النبي ﷺ وأخبرنا الله سبحانه وتعالى بكماله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أقول للصوفية هنا: إن أذكركم التي تؤدونها والتي يلقتها مشايخكم لمريديهم لم يرد شيء منها في الكتاب والسنة ومع ذلك فمعظم اعتمادكم عليها، وكثيراً ما تفضلونها على القرآن وتذكرون لها أسراراً لا تكتب ولا تطاق وفضلاً لا يفي بذكره لسان العرب، أقول لكم: أخبرونا بالله هل تعتبرونها شيئاً من الدين أم لا؟ فإن قلت إنها ليست من الدين فلا كلام بيننا لأنكم حكمتكم على أنفسكم أنكم تشتغلون بشيء ليس من الدين، وإن قلت إنها من الدين قلنا لكم: إن الدين قد كمل في حياة النبي ﷺ ولم يترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً ينفع أمته إلا وبينه لهم قبل موته، وأخبرنا الله بكمال الدين في القرآن فكيف يتفق هذا مع قولكم ذاك؟ أحيبونا بالله على هذا السؤال؟.

أقول هنا لسائر المسلمين: احذروا أن يصدق أحدكم كلام الصوفية فإن صدقهم ففي تصديقهم تكذيب لله تعالى، وفيه اتهام للنبي ﷺ بعدم تبليغ ما أنزل إليه وقد كان التبليغ واجباً عليه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]. وفيه تخوين للنبي ﷺ بإخفائه عن أقرب الناس إليه أهله وصحابته ما ينفعهم، اذ كيف يعقل أن يُخْفِيَ عنهم تلك الأذكار والصلوات وصيغ الاستغفار ويلقنها طائفة من الصوفية ظهروا بعد موته بقرون؟ إنها والله عقيدة كفر وزندقة لا يعتقدها ولا يصدقها إلا من طُمِسَتْ بصائرهم.

يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه (الفكر الصوفي) وهو يذكر كيفية تلقي الأذكار عند الصوفية: "يخطئ من يظن أن الصوفية أتباع للرسول ﷺ في هديه في الذكر حيث شرع لنا ﷺ أن نذكر الله سبحانه وتعالى بأذكار مخصوصة في أوقات معلومة، والنبي ﷺ عندما أخبرنا أن من قال كذا وكذا فله كذا وكذا من الأجر إنما يتكلم بالوحي لأن الأجر أمر غيبي يقدره الله ويعلمه، ولكن مشايخ الصوفية أراد كل منهم أن يُصَيَّبَ من نفسه مُشْرِعاً لمجموعة من المريدين وإلهاً يعبد الأتباع الجاهلون. وكان باب الأذكار هو الباب الذي دخل منه هؤلاء للتشريع للأتباع والمريدين فوضع كل منهم

لأتباع طريقته منهجاً خاصاً بالذكر وأذكّاراً مخصوصة، وكان لا بد لكل واحد منهم أن يضيفي على ذكره الخاص هالة من التقديس (أقول: فضلاً يفوق سائر أذكّار الآخرين) وأن يحاول جذب المريدين إليه بشتى الطرق والوسائل، فمنهم من زعم أن ذكره الخاص قد أخذه من الرسول مناماً، ومنهم من ادعى أنه أخذه من الرسول يقظة، ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي أوحى إليه بالذكر، ومنهم من تنازل فنسب ذكره إلى شيخ طريقة ميت، ومنهم من تنازل عن ذلك فأخبر أتباعه أنه جمع لهم هذا الذكر من آيات القرآن وأحاديث الرسول وتأليفاته وأنه مجرب وأن من فعله حصل له كذا وكذا من الخير فقد فعله فلان فحصل له كذا وكذا وفعله فلان فحصل له كذا وكذا^(١).

(١) الفكر الصوفي: ٤٤١-٤٤٢.

(٦٣) حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ

الصُّوفِيَّةُ: يزعمون حب النبي ﷺ ويظهرونه بإقامة المواليد له وإنشاد الأشعار والقصائد في مدحه، وإطرائه، ووصفه بما يصف به العاشق معشوقته ونسبة أوصاف لا تليق بجلالة قدره إليه، ووصفه بأوصاف الألوهية كعلمه الغيب وتصرفه في الأكوان وإغائته للمستغيث به وشفاعته للمستشفع إليه، واعتقاد كونه أصل المخلوقات وأن نوره أول المخلوقات، ومن نوره خلق كل شيء، ومن أجله خلق كل شيء، ولولاه لما خلق الله الأكوان والأفلاك، ورفعهم الأدبار عند ذكر اسمه دون الصلاة عليه، وشد الرحال لزيارة قبره إلى آخر ما يفعلونه للتعبير عن حبهم له.

أما أن يقتدوا به في كل أعماله، ويتبعوا سنته، ويصدقوه في كل ما أخبر، ويطيعوه في كل ما أمر وينتهوا عن كل ما نهى وزجر ويتخذوه قدوة في كل شيء فلا يفعلونه إلا نادراً.

أَمَّا الْجَمَاعَةُ فيحبونه بطاعته واتباع أمره، والمحافظة على سنته والإكثار من الصلاة عليه، والاقتراء به والتشبه به وإحياء سنته ومحاربة البدعة المخالفة لسنته والصلاة عليه كلما ذكر اسمه، ويرون أن حب الرسول ﷺ من أصول الإيمان ومن معاني الشهادتين، وإن حبه مقدم على حب النفس. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

إن محبة الله ومحبة الرسول ﷺ لها شروط لا بد من توفرها حتى تكون صادقة فإذا لم تتوفر هذه الشروط فيبقى مجرد زعم وكلاماً باطلاً منها:

(١) متفق عليه.

- (١) موافقة المحبوب فيما يحبه ويرضاه أي فعل كل ما يحبه ويرضاه.
 - (٢) رفض ما يكره المحبوب ويسخطه.
 - (٣) القيام بنصرته والسير على طريقته والدعوة إليها.
- فمن عكس هذه الأمور فهو غير صادق في محبته يصدق عليه قول الشاعر:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ * هَذَا لَعْمَرِي فِي الْقِيَّاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ * إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

يبدو لمن له أدنى بصر أن حب الصوفية للنبي ﷺ حب مزعوم، ولا يحبونه على الوجه الذي ينبغي.

نسألهم: اذا كانوا يحبون النبي ﷺ فلماذا لا يتبعون سنته ولا يهتمون بإحيائها؟ ولماذا لا يُعْفَوْنَ اللحية التي أعفاها وأمر بإعفائها؟ ولماذا يسبلون الإزار الذي نهي عنه؟ ولماذا يكرهون الجهاد الذي حرض النبي ﷺ عليه المؤمنين؟ ولماذا يقللون من أهمية الجهاد بإيراد كلمة "رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ" على أنها حديث وليس بحديث أصلاً؟ لماذا كلما ذكر اسم الرسول ﷺ يرفعون أذبارهم ولا يصلون عليه؟ أيرضى النبي ﷺ بالقيام لذكر اسمه وما كان يرضى بالقيام له عند دخوله؟ فقال: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُوا الْأَعَاجِمُ»^(١). لماذا يتشبهون بالكفار وقد نهي رسول الله ﷺ عن التشبه بهم فقال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢). لماذا يحتفلون بأعياد الكفار؟ لماذا يوالون الحكومة الكافرة ويرضون بسلطتهم عليهم؟ لماذا...؟ لماذا...؟ لماذا...؟ عشرات لماذا لن يجيبوك عليها.

إن أشد الناس حباً للنبي ﷺ وأولاهم به أهله وصحابته الذين كانوا من حوله في حياته ففعالوا ننظر كيف كان حبهم للنبي ﷺ وكيف كانوا يُعَبِّزُونَ عنه، أكانوا يقيمون الموالد له ويحتفلون بعيد ميلاده؟ أم كانوا يرفعون أذبارهم عند ذكر اسمه؟ أم كانوا يجتمعون لإنشاد الأشعار والقصائد في مدحه وإطرائه؟ أم كانوا يصفونه بأوصاف لا

(١) رواه أحمد وأبو داود.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٦١٤٩.

تليق به؟ حتى إن بعض الجواري اللاتي كن يغنين عند دخوله ﷺ على الرُّبْعِ بَنَتْ مُعَوِّذَ عقب زفافها إذ قالت: "وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ" أنكر النبي ﷺ عليها قولها وقال: «دَعِيَ هَذَا الْقَوْلَ وَقُولِي بِالَّتِي كُنْتَ تَقُولِينَ»^(١)، فلم يرض النبي ﷺ بوصفه بعلم ما في غد لأن علم ما في غد هو علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله، أما قصائد الصوفية جميعها فمتضمنة لهذه المعاني ولأكثر منها.

ومن المفاهيم الثابتة عند الناس أن الشخص إذا كان يحب أحداً أكثر من ذكره ويزوره في حياته ويزور قبره بعد مماته، حتى هنا لم يطلب النبي ﷺ من أحد أن يزور قبره بعد مماته تعبيراً عن حبه له، بل طلب منه الصلاة عليه حيث كان فقال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيداً وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^(٢).

ما أعظمك يا رسول الله!! وما أحرصك على هداية أمتك!! حتى صححت مفاهيم الناس في زيارة قبرك!

إذا نظرت إلى مفاهيم الصوفية اليوم تجد زيارة قبر الرسول وشدة الرحال إليه عندهم من أعظم العبادات ومن أعظم بل أعظم علامات حب الإنسان للرسول ﷺ لكن الرسول ﷺ يقول: «صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^(٣) أي: صلوا عليّ حيث كنتم ولا تتحملوا عناء السفر إلى قبري للزيارة.

لا أجنب الحق إن قلت: إن معظم الصوفية الذين يحجون اليوم إلى بيت الله الحرام إنما يحجون وأعظم نيتهم زيارة قبر الرسول ﷺ بينما زيارة قبر الرسول ﷺ لا علاقة لها بأي وجه من الوجوه بالحج أو العمرة، ولا تتوقف صحتهما ولا كمالهما عليها، بل زيارة قبر الرسول ﷺ عمل مستقل له حكم خاص به مذكور في كتب الفقه لا أدخل هنا في ذكر تفاصيله.

هكذا الفروق بين الصوفية وبين أهل السنة والجماعة، يُحْيَلُ لكل واحد في أول وهلة أن لا فرق كبير بينهما ولا مانع من اتحادهما، فإذا وقفت على حقيقة ما هنالك رأيت

(١) رواه أبو داود، ورواه ابن ماجة بمعناه.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٧٢٢٦.

(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فَجَوَّةٌ كبيرةٌ تحول دون اتحادهما إلا أن تتوب الصوفية مما هم عليه من الشرك والبدعة والمنكر والله الموفق للصواب.

(٦٤) الإِحتفالُ بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

الصُّوفِيَّةُ: يحتفلون بالمولد النبوي ويُعَدُّونَ لذلك طعاماً ويزينون البيت ويدعون الناس له، ولهم قصائد ومنظومات مخصصة لقراءتها في احتفال المولد، وكان أصل هذه القصائد باللغة العربية، ثم وضع العجم منظومات في المولد النبوي بلغات العجم المختلفة تشبه المنظومات العربية في مضمونها ومعناها، وما زال بعض الناس يقرأونها في ديارنا **دَاغِسْتَانَ** وَ**الشَّيْشَانَ** بالعربية أما البعض الآخر فيقرأونها بلغتهم العجمية، وكيفية قراءتها تختلف من قرية إلى قرية ومن قوم إلى قوم، فعند بعضهم يتقدم واحد أو اثنان فيأخذ الكتاب الذي فيه المولد فيقرأه يتغنى به وباقي الناس يستمعون، وعند البعض الآخر مجموعة كاملة يقرأونها في **جَوْقَةٍ** عن ظهر قلب لأنهم تعلموها وحفظوها.

وكتاب المولد هو عبارة عن قصيدة طويلة نُظِمت في سيرة النبي ﷺ بدءاً بكونه نوراً وذرة في عالم الأرواح وانتهاء بوفاته فتارة تكون طويلة تشتمل على تفاصيل أكثر وتارة تكون قصيرة شأنه في ذلك شأن كتاب السيرة.

وتحتفل الصوفية بالمولد النبوي في مناسبات مختلفة، فأكثر ما يحتفلون بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة النبي ﷺ لا سيما الثاني عشر منه، كما يحتفلون بمناسبة الزواج ومناسبة ولادة المولود، ومناسبة ختان الولد، ومناسبة قدوم المسافر، ومناسبة شفاء المريض وغيرها من المناسبات وبدون مناسبة أصلاً عندما يخطر ببال أحدهم.

وإذا نظرنا في تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي وجدناه لم يكن في القرون المفضلة قرون السلف الصالح بل أحدثه الملك المظفر ببلاد الشام، وذلك أنه لما رأى النصارى يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام سألهم عن ذلك فقالوا: نحتفل بعيد ميلاد نبينا ونظهر فرحنا وسرورنا فقال الملك: نحن أحق منكم أن نحتفل بعيد ميلاد نبينا وبإظهار فرحنا وسرورنا، ومنذ ذلك الوقت أصبح الناس يحتفلون بالمولد النبوي في ثاني عشر ربيع الأول من كل سنة هجرية.

لكن الاحتفال في الزمن الأول كان مرة واحدة في السنة وعلى مستوى الدولة، ولم تكن بعد عند الناس قصائد ومنظومات مخصصة لذلك، ومع مرور الزمن تطور المولد النبوي من صورة إلى صورة ومن كيفية إلى كيفية حتى أصبح في أيامنا هذه يختلف تماماً عما كان عليه في الزمن الأول.

إن قراءة المولد النبوي والاحتفال به وإعداد الطعام وجمع الناس له تعتبره الصوفية عبادة جليلة وقربة تقرهم إلى الله والرسول ﷺ وعملاً عظيماً يعطيهم السعادة ويدفع عنهم المصائب والبلايا، وإذا سئلوا عن ذلك أجابوا بكلمات تبرر عملهم وتريه حسناً فيقولون: "نمدح نبينا ﷺ ونصلي عليه، ونذكر سيرته وأوصافه، ونحتفل بيوم ولادته، ونعبر عن حبنا له. ونأكل الطعام بعد ذلك فما المحذور في كل هذا؟"

أما الْجَمَاعَةُ: فموقفهم من الاحتفال بالمولد النبوي يختلف عن موقف الصوفية، وذلك أن الجماعة يزنون كل قول وكل عمل يعمل في المولد بميزان الكتاب والسنة وبمقاصد الشريعة فيرون فيها مخالفات كثيرة تجعل الاحتفال بالمولد النبوي محرماً ومحظوراً شرعاً وبدعة منكرة، وان زخرفوا القول لتبريره وزينوه. من تلك المخالفات:

١ - إن الاحتفال بيوم ولادة أحد أو قل بعيد ميلاده على ما هو متعارف بين الناس عندنا بأن يفرد هذا اليوم بإظهار الفرح فيه واتخاذ عيداً من كل سنة وإعداد الطعام فيه ودعوة الأصدقاء والخلان إليه وحمل الهدايا إلى صاحب الميلاد وتقديم التهاني له وغيرها من الأعمال التي يرونها مناسبة لذلك اليوم بدعة لم يشرعها الإسلام، سواء في ذلك الملك والعبد والشريف والوضيع والعالم والجاهل والبطل والنبي المرسل وعامة الناس ولقد أتى على نبينا ﷺ بعد بعثته ثلاث وعشرون سنة فكان من حقه لو كان مشروعاً أن يحتفل بعيد ميلاده في كل سنة مرة أي ثلاثاً وعشرين مرة، لكنه لم يحتفل ولا مرة واحدة ولم يقل لأحد من أصحابه: هذا الثاني عشر من ربيع الأول يوم ولادتي فاحتفلوا به وأبدوا فيه فرحهم وسرورهم وأفردوه من بين سائر الأيام بعمل كذا وكذا. ولم ينقل هذا عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم فعلم من هذا أن الاحتفال بعيد الميلاد ليس من الدين ولو كان من الدين لكان النبي ﷺ والصحابة أول من يفعله.

ولا يقول أحد أن النبي ﷺ لم يفعله تواضعاً وهضمًا لنفسه فهذا ليس بصحيح فإن أمور الدين يجب على النبي ﷺ أن يبلغها ولا يكتهما لتواضع أو غيره كما فعل بالصلاة عليه فقال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

٢ - إن يوم ولادة النبي ﷺ وإن اتفقوا أنه كان في شهر ربيع الأول لكنهم لم يتفقوا أنه كان الثاني عشر فمن العلماء من يقول أنه التاسع أو غيره، ولكن الناس والعلماء اتفقوا على أن الثاني عشر من ربيع الأول هو يوم وفاة النبي ﷺ فالذي يحتفل بيوم ولادة النبي ﷺ ظناً إنما يحتفل بيوم وفاته يقيناً، وهنا أسأل: هل يوم الوفاة يوم الاحتفال ويوم إظهار الفرح والسرور؟

٣ - إن إقامة الموالد عشرات ومئات المرات ليس في يوم ولادته في شهر ربيع الأول فحسب بل في كل الأيام على مدار السنة امتهان للنبي ﷺ فهل ولد النبي ﷺ بعدد مرات موالدهم أم مرة واحدة؟ فأني مناسبة بين هذا الاسم وبين عملهم؟

٤ - لو خلت الموالد التي يقيمها الناس والأعمال التي يعملونها فيها من كل بدعة لكان المولد نفسه بدعة، فكيف إذا اشتمل على شركيات وبدع ومنكرات ومحظورات، فالموالد كلها تكاد تتفق بل اتفقت على أن النبي ﷺ هو أصل الكائنات كلها، وأن أول مخلوق هو نوره، وأن العرش والكرسي والسموات السبع والأرضين السبع وما فيها من المخلوقات كلها خلق من نور محمد، وأن كل شيء خلق من أجل محمد وأن الله قال له: "لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك"، وفي الموالد كلها توسل بجاهه، بل استغاثة به ودعاء له من دون الله وطلب المدد منه والتجاء إليه، فبعضهم يقول:

يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوِّثْنَا وَمَدِّدْ * يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّكَ الْمُعْتَمِدُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَزِّجْ كَرْبِنَا * مَا رَأَى الْكَرْبُ إِلَّا وَشَرْدُ

وبعضهم يقول: خذ بأيدينا يوم تزل فيه الأقدام، والبعض الآخر يقول: أظلنا في ظل لوائك وأجزنا على الصراط.

وكل هذا الكلام الموجه لغير الله شرك وكفر فلا يجوز التوجه بمثله إلى الرسول ﷺ فالذي يغيث الداعي ويجيب المضطر ويفرج كرب المكروب هو الله وحده.

ولو سمع الرسول ﷺ هذا الكلام لحكم على قائله بالكفر قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى يأمر رسوله أن يقول للناس: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]. وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ مَّلَاجٍ يَوْمِنِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّنْ تَكْوِينٍ﴾ [الشورى: ٤٧].

٥ - إن جميع الموالد فيها إطرء للنبي ﷺ ومبالغة في مدحه ووصف له بما لا يليق به، وقد نهي الرسول ﷺ عن إطرائه بقوله: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١).

٦ - إن الاحتفال بالمولد النبوي بل وكل احتفال بعيد الميلاد فيه تشبه بإلهود والنصارى لأن المولد إنما نقل إليها عنهم فعملنا له متابعة لهم تشبه منا بهم، وقد حذر النبي ﷺ عن التشبه بالكفار فقال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢).

٧ - في حفلات الموالد يختلط الرجال بالنساء فتكون النساء فيها سافرات كاشفات شعورهن وأيديهن وأرجلهن وهو محرم شرعاً.

٨ - إذا عُملَ المولد على مستوى الدولة فتتفق على تزيين البلاد دورها وشوارعها وأسواقها وإضاءة الأنوار فيها أموال طائلة لا تدخل تحت حصر لو أنفقت في خير لكفت جانباً من حياة الناس، فهو إذاً إضاعة للمال وهو محرم شرعاً ففي الحديث: "تَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قِيلٍ وَقَالَ وَكَثُرَ السُّؤَالُ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ"^(٣).

٩ - يذكرون حول المولد أحاديث باطلة مكذوبة فيقولون: إن من قرأ المولد في بيته مرة واحدة في سنة لا يصيبه أي مكروه في نفسه أو ولده أو بيته أو ماله فيغتر بسطاء الناس بمثل هذا الكلام ويعتقدون فيه ويهتمون به مزيد الاهتمام.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود وصححه.

(٣) هو جزء من حديث رواه مسلم وغيره.

١٠ - إذا نظرنا في بلادنا إلى من يقيم الموالد في بيوتهم وجدنا غالبهم أصحاب ثروات وغنى وأكل لأموال الناس بالباطل ومنهم من لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا يطعم المساكين ولا ينفق في حاجات الفقراء والأيتام ولا يقرأ القرآن وإنما يدعو من يقرأ المولد مرة واحدة في السنة إما رياءً وسمعةً وأما جهلاً منه واغتراراً بمثل ما مر من الكلام من أن المولد يحميه وأهله من كل مكروه.

١١ - وما نلاحظ في موالدنا في ديارنا أن الذين يُدْعَوْنَ لقراءة الموالد إنما هم طائفة من الرجال قد تعودوا على ذلك وحفظوا من المنظومات والقصائد ما يلزم وحسنوا أصواتهم وتمرنوا على الترم والغناء فيها وأصبحت بطونهم من كثرة ما استطابوا من أطايب الطعام غليظة عريضة سميكة، وألفوها حتى أصبحوا لا يحلو لهم طعام في بيوتهم غير طعام الموالد وكلما كان صاحب المولد شريفاً غنياً معروفاً بشروته يرجون هداياه كان مكثهم في المولد أطول وصوتهم أعلى وأزين ويختارون من القصائد ما يناسب مقامه، أما إذا كان صاحب المولد فقيراً فتَقَصُرَ مدة مكثهم فيه، ويقل ما يقرأونه والصوت ليس على المستوى المطلوب من التحسين والتزيين وكثيراً ما لا يلبون دعوة فقير أصلاً.

وهكذا أصبحت موالد الموالد مرتعاً طيباً لطائفة من الناس تفرغوا من كل عمل غير ارتياد الموالد وقد يحضرون في اليوم الواحد عدة موالد فيرجعون من كل مولد وقد تذوقوا ألواناً من الطعام ونالوا هدايا ثمينة.

وأذكر أنا حين كنت في مدينة حَسْوَئُورْت أن فناء المسجد فيها كان مكاناً يتجمع فيها المَوْلِدِيُّونَ وأصبحت فيها مجموعتان منهم وعلى كل مجموعة مشرف أو نقيب، وكانت المجموعتان تتنافسان فيما بينهما فتحاول كل أن تسبق الأخرى إلى الأغنياء ممن يقيمون الموالد، ويحاول كل مشرف أن لا يأخذ إلا أعضاء مجموعته. فإذا ترك عضو المجموعة الأخرى ساءه هذا وأضمر في قلبه حقداً على ذاك المشرف وأخبر مشرفه بما فعل الآخر، فيفعل الآخر مثل فعله وهكذا. وكان المَوْلِدِيُّونَ يقعدون ساعات في فناء المسجد في انتظار مجيء من يدعوهم إلى المولد، فإن مضى اليوم ولم يدعهم أحد وهذا لا يكون إلا نادراً عادوا إلى بيوتهم خائبين محزونين.

كنت مرة في محاج قلعة عاصمة داغستان في حديث مع عَدْلُو عَلِيُوف الشاعر والكاتب الأواري ودار حديثنا حول ما أثير في الناس من شبهة الوهاية وفتنتها، وما

انتشر بين الناس من الشرك والبدع إذ تطرقنا إلى الحديث عن المولد النبوي فأخبرني أنه حضر مرة قراءة المولد في مدينة حَاجَ قَلْعَة فيمن حضرها فراحه ما رأى فيه من الجشع والطَّمع وقال إنهم بعد أن تناولوا الطعام بدءوا يحشرون في جيوبهم ما بقى على المائدة من أنواع الفواكه والحلويات والملبسات فكره هذا منهم فلما رجع إلى بيته أخبر زوجته بما رأى وأوصاها أن لا تقرأ بعد موته مولدا يدعى إليه أمثال هؤلاء الأكالين البطانين.

هذا ما نشاهده بعيوننا حولنا في بلادنا وإذا نظرنا في الكتب وقرأناها نجد نفس الصورة في البلاد الأخرى أيضاً من العالم الإسلامي، فهذا أبو يوسف عبد الرحمن عبد الصمد يذكر في كتابه (أسئلة طال حولها الجدل) قصة على حد قوله طريفة شوهدت وقائعها في مدينة حلب في الجامع الأموي في جامع زكريا عليه السلام:

جاءت امرأة إلى رجل كفيف البصر يجلس في صحن المسجد يتزَيَّ بزى المشايخ وقالت له بالعامية: "شيخي اقرأ لي موالد" فقال لها: "نصف ليرة سورية" فشكت له حالها وأنها فقيرة ونذرت أن تعمل مولداً ولا تملك سوى ربع ليرة سورية وبعد رفض وأخذ ورد وافق الشيخ أن يعمل لها مولداً فقراً لها أقل مما اعتاد أن يقرأ لأهل نصف الليرة فلاحظت المرأة ذلك منه فرجته وألحت عليه أن يزيد لها، فما كان منه إلا أن قال لها على الفور وبلا توانٍ: "على قدر فلوسك" فيا لَغَرِبَةِ الإسلام!!

لقد أصبح المولد باباً للرزق على مسمع ومرأى العلماء وصار مدح النبي ﷺ فيه يقدر بقدر الفلوس ويُقيَّم بقيمتها، فرحماك يا الله!! (١)

وبهذا أصبح طعام المولد يخاف عليه أن يكون شر الطعام يدعى إليه الأغنياء ويمنع الفقراء، وقد قال النبي ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ وَيُمْنَعُهَا الْفُقَرَاءُ» (٢).

١٢ - إذا كان المولد جماعياً لا لشخص واحد فانهم يقيمونه عادة في المسجد فيحملون في داخله الطعام ويفتتونه على سجاده ويقذرونه ويكثر من اللغو والصياح

(١) أسئلة طال حولها الجدل: ١١٦-١١٧.

(٢) رواه الشيخان.

وكثرة الكلام فيه وهكذا ينتهكون حرمة المسجد ويصرفونه عن الغرض الذي بنى له ويأخذون على ذلك ساعات طويلة من الليل والنهار فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر الدينية في مسجد يعمل فيه مولد.

١٣ - من الجلي الواضح عندنا في ديارنا أن صاحب البيت الذي يقيم المولد بينما يقيم المولد من جانب يدعو إليه الشيوخ وكبار السن يقيم من جانب آخر في غرفة أخرى أو قبل المولد أو بعده بيوم وليمة فيها أنواع الخمر والمسكرات يدعى إليها الشباب وصغار السن، فلا يخفى على أحد أن شيئاً من هذين العاملين ليس لله ولا في سبيل الله بل هما رياء وسمعة لإرضاء أصحاب السنين من الناس، وهل يحق أن يسمى هذا أمراً من الدين ويندبوا إليه ويحمدوا عليه؟ أبداً.

١٤ - من أخطر ما في الاحتفال بالمولد أن أوهمو الناس أن قراءة المولد عبادة جلييلة وقربة إلى الله وأنها تزيد في بركة الأهل والبيت والمال وأن لها فضائل جمّة حتى انصبت اهتمامات الناس عليه أكثر من اهتمامهم بصلاة الجمعة والجماعة وسائر الفروض.

١٥ - ومن المنكرات القبيحة والبدع السيئة في المولد ما جرت به عادتهم من قيامهم وقوفاً عند بلوغهم موضعاً يقال له "محل القيام" وهو الموضع الذي فيه ذكر الولادة النبوية وخروجه من عالم الأجنة إلى عالم الدنيا، فبعضهم يفسرونه بأنه استقبال له وترحيب به وقيام له كما يقوم الجالسون للداخل إليهم، والبعض الآخر يفسرونه بأنه مبنى على اعتقاد أن النبي ﷺ يحضر مجلس ذكره وحضوره يقتضي من الجالسين القيام. ومهما يكن من تفسير له فهذا القيام غير مشروع لأنه إن كانوا يعتبرونه عبادة فهي عبادة لم يعرفها النبي ﷺ ولا أصحابه وما لم يكن يومئذ ديناً فلن يكون اليوم ديناً، لأنه حتى لو فرضنا أن النبي ﷺ يحضر مجلس ذكره فلا يلزم من حضوره أن يقوم له الجالسون لأن ذلك منهى عنه، وكان مكروهاً عنده في حياته فيجب احترامه واتباع أمره واجتناب نهيه حياً وميتاً، فهذا أنس رضي الله عنه يقول: "لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لِذَلِكَ" (١).

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

وقال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

هذا بالنسبة للقيام له حتى لو فرضنا جدلاً أنه يحضر.

وأما اعتقاد حضوره فهو اعتقاد باطل وكذب محض إذ لا شيء في الكتاب والسنة يدل ولو بإشارة خفية على أنه يحضر مجلس ذكره بعد موته، بل في القرآن ما يدل على عكسه فقال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. أي من ورائهم حاجز بين الدنيا والآخرة يمنعهم من الرجوع إلى الدنيا، وهذه الآية تشمل الأموات جميعاً، ولقد بينا هذه النقطة في موضع آخر من هذا الكتاب^(٢).

١٦ - اتخذ الثاني عشر من ربيع الأول عيداً رسمياً تعطل فيه الدوائر الرسمية ويتبادل فيه الناس التهاني مخالفة للشريعة، فالإسلام لم يقرر إلا ثلاثة أعياد: عيد الأضحى وعيد الفطر والعيد الأسبوعي عيد يوم الجمعة وما سواها من الأعياد كعيد رأس السنة وعيد أول أيار وعيد الاستقلال وعيد يوم النساء وغيرها من الأعياد المعروفة عند غير المسلمين فليست بأعياد لنا نحن المسلمين، فمن عيّدناها واحتفل بها وتبادل التهاني بمناسبتها وتعطل عن العمل من أجلها أو عمل عملاً آخر له علاقة بإجلالها كان متشبهاً بغيرنا والرسول ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا»^(٣).

أما قولهم لتبرير عمل المولد: إنهم يمدحون النبي ﷺ ويصلون عليه ويذكرون سيرته وأوصافه ويعبرون عن حبهم له، ثم يأكلون ما قدم لهم بعد كل ذلك فما المحذور في هذا؟ فلا نسلم به، بل نقول: انه كلام مُنَمَّقٌ وزخرف من القول يوحيه بعضهم إلى بعض غروراً وخداعاً.

أما ما يقولون من أنهم يمدحونه فليس بصحيح لأنهم لو مدحوه بما مدحه به الله ومدحه به الصحابة ونسبوا إليه كل وصف كان به وجعلوه في كل ذلك أسوة حسنة لكان هو المطلوب ولكنهم يمدحونه على وجه غير مشروع ولجحد المدح لا للاقتداء به، ويقولون إنه شمس فلا يستضيئون بضوئه ويقولون انه بطل شجاع مجاهد فلا يجاهدون

(١) رواه أبو داود.

(٢) انظر: الفصل ٦١.

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٥٤٣٤.

مثل جهاده، أو يبلغون بمدحه إلى حد الإطراء والغلو الذي نهي عنه النبي ﷺ. وأما ما يقولون من أنهم يصلون عليه فهذا أيضا ليس صحيحاً لأنهم إن صلوا عليه فإنما يصلون بصلوات مختزعات قد تكون فيها الشريكيات، وفوق ذلك أي ضرورة لهذه المجموعة الكبيرة من الأعمال والمقدمات لمجرد الصلاة على النبي ﷺ فقد كانت الصحابة أكثر الناس صلاة على النبي ﷺ ولكنهم ما احتاجوا لذلك إلى جمع الناس وعمل المولد وضرب الدف والعزف على الناي والرقص والتصفيق، ثم الصلاة على النبي ﷺ يجب أن تكون كلما جرى ذكر اسمه على الأقل فهل ننتظر مجيء يوم ولادته للصلاة عليه، أو ننتظر انعقاد مجلس المولد؟

وأما ما يزعمون من أنهم يذكرون سيرته وتاريخ حياته فلا نسلم أيضاً أنهم يفعلون ذلك. لأنهم كان يلزمهم على ذلك أن يقتدوا به ويتشبهوا به في أفعاله وأخلاقه وحركاته وسكناته لكننا لا نجد أحداً ممن يحضر الموالد تغير عما كان عليه من أفعاله وأخلاقه بعد سماعه لسيرة النبي ﷺ فمن كان يدخن فلا يزال يدخن ومن كان يشرب الخمر فلا يزال يشرب الخمر ومن كان طعاناً لعاناً فاحشاً يرفث في كلامه فهو مستمر علي ما كان عليه قبله، إذن فما الفائدة من ذكر وسماع تاريخه إلا زدياة الحجة عليهم إذا كانوا يسمعونها لمجرد التلذذ والاستئناس كما نسمع أساطير شهرزاد في ألف ليلة وليلة.

لكني مقتنع أنهم لا يذكرون سيرته ولو على سبيل التلذذ لأن من شأن من يذكر سيرة أحد أن يأتي في كل مرة تالية بشيء جديد لم يسمع به من قبل، ولكن هؤلاء إنما يتلون أناشيد سمعها الناس مئات المرات وأصبحت كالشريط القديم ولذلك إذا راقبت وتتبع تصرفات من يحضر الموالد تجد أكثرهم لا ينصتون إليها بل تجمعوا مجموعات انطوا على أنفسهم يتحدثون فيما بينهم في شيء لا يمت بالصلة إلى المولد وأناشيده وهم الوحيد تعجيل الانتهاء من قراءة الموالد وتقديم ما لذ وطاب من الأطعمة.

وأما ما يدعون من أنهم يحبون النبي ﷺ ويعربون عن حبه بهذه الطريقة فهذا كذب سمج لا يصدقه الواقع ونفاق ظاهر وزعم باطل، فالذي يحب الشيء لا بد أن تظهر عليه آثار الحب، إن المحبة في القلب لكن آثارها لا بد أن تظهر في الأخلاق والأفعال والأبدان، لقد كانت الصحابة رضوان الله عليهم أشد الناس حباً للرسول ﷺ فعلياً أن

ننظر كيف كانوا يعبرون عن حبهم له وكيف كانت آثاره عليهم، فإذا نظرنا وجدناهم يعبرون عن ذلك باتباع هديه واتباع ما جاء به وطاعة ما أمر به وترك ما نهي عنه والتمسك بسنته وتطبيق تعاليمه، والإكثار من الصلاة عليه، لا بالاحتفال بيوم ولادته ولا بنصب الزينة لذلك ولا برفع المقعدة عند ذكر اسمه، ولا بإنشاد الأناشيد التي ملؤها شرك وبدعة ولا بغيرها من البدع.

قال الشاعر وأحسن:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ * هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ * إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وجملة القول: إنه لا يعتبر محباً للرسول من خالف أمره وخرج عن اتباع سنته ولجأ إلى الابتداع وإن زعم وأكد أنه يحبه، فهذا لسان مقاله وذاك لسان حاله ولسان الحال أنطق من لسان المقال.

فهذه خلاصة ما أردت أن أقول في الفرق بيننا وبين الصوفية في أمر الاحتفال بالمولد النبوي وأظن أن فيه كفاية وبلاغاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومن لم يستضيء بمصباح لم يستضيء بإصباح.

(٦٥) صِيغُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

الصوفية: لا يتقيدون في الصلاة على النبي ﷺ بالصيغ الواردة عنه بل ابتدعوا صلوات فيها شرك صريح وفيها دعاء الرسول ﷺ من دون الله وفيها وصف للرسول بأسماء وصفات لا تليق إلا بالله عز وجل، ويذكرون لهذه الصلوات ثواباً وفضلاً يفوق ختم القرآن بمئات المرات.

ومن أكثر الكتب ذكراً لهذه الصلوات "دَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ" التي جعلتها الصوفية ورداً لها بدلاً من القرآن ويختمونها في الأسبوع ختمة واحدة، وإليك بعض نماذج من صلواتهم: (١) من صيغهم المبتدعة قولهم: "الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ضاقت حيلتي فأدركني يا حبيب الله".

أقول الجزء الأول من هذه الصلاة مقبول ولكن الخطر والشرك في الجزء الثاني وهو قوله: "أدركني يا حبيب الله"، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]. ولقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]. والرسول نفسه إذا أصابه هم أو غم كان يقول: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ»^(١).

فكيف يجوز لنا أن نقول له: أدركننا ونجنا؟ فهذه الصيغة متضمنة للشرك ومخالفة لقوله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(٢).

(٢) ومن صيغهم في الصلاة: "اللهم صل على محمد حتى تجعل منه الأحدية القيومية". فالأحدية والقيومية من صفات الله الواردة في القرآن قد جعلوها في هذه الصلاة لرسول الله ﷺ

(١) رواه الترمذي وقال حسن.

(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

(٣) ومن صيغهم المبتدعة: "اللهم على صل محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء وارحم محمداً حتى لا يبقى من الرحمة شيء".

هذه الصيغة جعلت الصلاة والرحمة وهما من صفات الله تنتهي وتنفذ والله يرد عليهم قائلاً: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

(٤) ومن صيغهم المبتدعة: "اللهم صل على محمد ما سَجَعَتِ الحمايم وما نفعت التمايم".

أقول: التيممة هي الخرزة أو الخيط ونحوهما التي تعلق على الأولاد وغيرهم للحماية من العين والجن والسحر، وتعليقها حرام وهي لا تنفع مُعَلِّقَهَا وَلَا مِنْ عُلِّقَتْ عَلَيْهِ بَلْ هِيَ مِنْ أَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ. قال ﷺ: «مَنْ عُلِّقَ تَمِيمَةٌ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١)، فهذه الصيغة تخالف الحديث وتثبت للتمايم النفع وتجعل الشرك والتيممة قرينة إلى الله.

(٥) لقد أعطى الصوفية في الصلوات الواردة في دلائل الخيرات للرسول أسماء كثيرة لا تليق معانيها إلا بالله فمنها (الحيي، والمنجي، والناصر، والغوث، والغيث، وصاحب الفرج، وكاشف الكرب والشافي) فهذه الأسماء والصفات لا تليق معانيها إلا بالله فوصف الرسول بها مخالفة للقرآن وتسوية للرسول ﷺ بالله، وهذا مما يتبرأ منه الرسول ﷺ ولو سمعه لحكم على قائله بالشرك، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال له: "مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ" فقال: «أَجْعَلَنِي لِلَّهِ نِدًا قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٢).

(٦) ومن الصلوات المبتدعة عن الصوفية "صلاة الفاتح" وهي التي شرعتها الصوفية وفضلوها على جميع الصلوات وَرَبُّوْا عَلَيْهَا مِنَ الثَّوَابِ مَا لَمْ يُرْتَّبْ عَلَيْهَا مِنْ الصَّلَوَاتِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي حَفَظَهَا الْخَفَازُ الثَّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَلْ فَضَلُوهَا عَلَى كُلِّ ذِكْرٍ قُرِئَ فِي الْأَرْضِ، وجعلوا قراءتها مرة واحدة أفضل من قراءة القرآن الكريم بستين ألف مرة وهو لا يعدو سطرين ونصّها:

(١) صحيح رواه أحمد.

(٢) رواه النسائي بسند حسن.

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْحَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقٌّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ".
أَقُولُ: لا يخفى على عالم بالعربية ركافة لفظ هذه الصلاة وما فيها من المجاهيل، فما هو الذي أغلق وفتح الرسول؟ وما هو الذي سبق وختمه الرسول؟ وكيف يكون هذان الشطران أفضل من كل ذكر قرئ في الأرض ومن القرآن الْمُعْجَزِ بِآلاف المرات؟.

أما من أين جاءت "صلاة الفاتح" وما فَضَّلُهَا فنترك الحديث عنها إلى من اخترعها:

يقول صاحب كتاب (الدرة الخريده): "ويعتقد المصلي أنها (أي صلاة الفاتح) في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمرو بل هي من كلامه سبحانه وتعالى" (١).

ويقول صاحب (الجواهر): "إنها لم تكن من تأليف البكري ولكن توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة المكتوبة في صحيفة النور... ثم قال الشيخ: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة. قال الشيخ: وقد أخبرني ﷺ عن ثواب الاسم الأعظم فقلت: إنها أكثر منه؟ فقال ﷺ بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة" (٢).

ويذكر التجاني فضل (صلاة الفاتح) بقوله: "واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية، لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة وجمع ثواب ذلك كله ما بلغ مرة واحدة من (صلاة الفاتح لما أغلق)!!!، فإن كنت تريد نفع نفسك في الآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك فإنها كنز الله الأعظم" (٣).

(١) الدرة الخريده: ١٢٨/٤.

(٢) الجواهر: ٩٦.

(٣) جواهر المعاني: ١٨٣/٢.

أقول: هكذا تعلم الصوفية أتباعهم ما ينفعهم في الآخرة مما لم يَعْلَمُهُ النبي ﷺ وسائر السلف الصالح، ولاحظ قوله "فإنها كنز الله الأعظم" نعم، إنها كنز الله الأعظم يخفيه عن نبيه ومصطفاه وعن الجيل الأول خير القرون حتى يأتي شخص اسمه محمد البكري فينزله عليه ويعطيه بدوره للشيخ التجاني لينشره بين المريديه!! هذا هو دين الصوفية وأذكارهم وصلواتهم.

ويتحدث التجاني أيضاً عن فضل هذه الصلاة فقال: "... فأخبرني أولاً (أي الرسول) بأن المرة منها تعدل من القرآن ست مرات ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة" (١).

أقول: ما أوسع خيال الرجل، إنه لم يترك لشيخ صوفي يأتي من بعده مجالاً يفوقه فيه ثم لاحظ كيف أن رسول الله ﷺ أخبره أولاً بأن "صلاة الفاتح" يفضل القرآن ست مرات وأخبره ثانياً أنها تفضله ستة آلاف مرة، يبدو مما صنع أنه تجدد عند رسول الله ﷺ عِلْمٌ بفضل هذه الصلاة فأخبره المرة الثانية مضروباً في ألف، وليس من المستبعد أنه إن أخبره المرة الثالثة سيضرب الحاصل كله في الألف مرة أخرى، فحاشوبُ التجاني يتحمل كل الأعداد مهما علا وارتفع.

ويستطرد التجاني قائلاً: "من صلى بها أي بالفاتح لما أغلق مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وأنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها" (٢).

ويقول أيضاً: "فلو قُدِّرَتْ مائة ألف أمة في كل أمة مائة ألف قبيلة في كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم كل يوم ألف صلاة على النبي ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق وجمع ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح" (٣).

(١) جواهر المعاني: ١/١٣٥-١٣٦.

(٢) جواهر المعاني: ١/١٣٧.

(٣) جواهر المعاني: ١/١٣٩.

أَقُولُ: لقد غطى هذا الأخير على كل ما مر، فلا يسعني إلا أن أقول للصوفية: ما أوسع خيالكم أيها الصوفية فليس لسعته ورحابته حدود، إن أمهر الكتاب الخياليين عالة عليكم فخيالهم نقطة في بحر خيالكم ألا تستحيون من ضميركم الذي بين جنبيكم؟ ألا تخافون أن تُكذَّبوا في قولكم الذي هو على طريقي نقيض من النقل والعقل والمنطق؟ أي حاجة بالناس إلى أن يَجْهَدُوا أنفسهم بقراءة صلوات وأذكار وأدعية أخرى وقراءة قرآن إذا كان بين يديهم ثلاثة أسطر تفوق كل ما ذكر بأضعاف أضعاف؟.

وأعتذر إلى القارئ من إطالتي في ذكر "فضائل صلاة الفاتح" عند الصوفية لکني فعلت ذلك عمداً ليتبين لكم مدى وقاحة الصوفية، ولتصبح عندكم فكرة كاملة ناضجة عن الصوفية أن ما ذكر في "صلاة الفاتح" نموذج واحد فقس عليها سائر أقوالهم واعتقاداتهم فإن كل شيء عندهم من قبيل واحد.

الْجَمَاعَةُ: تعتقد أن كلامهم في ذكر فضائل صلواتهم المختلفة كذب محض وافتراء صريح وتصديقه تكذيب لله سبحانه وتعالى وتخوين للرسول ﷺ فإن الرسول ﷺ إن كان قد علم صلاة الفاتح وكنمها عن أصحابه وحرّمهم خيرها فقد خان أقرب الناس إليه أهله وصحابته وعصى الله فإن الله يقول له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]. وهذا باطل بدهة، وإن لم يكن ﷺ قد علمها بل علمها البكري فهذا يعني أن البكري أوحى إليه وأن الدين قد كمل على يديه ما لم يكمل على يدي النبي ﷺ وهو تكذيب لله في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

إن تشريع هذه الصلوات المتداولة بين الصوفية والتي لم تكن واحدة منها معروفة للنبي ﷺ والصحابة إنما هو تشريع في دين الله بما لم يأذن به الله، والتشريع حق خالص لله تعالى لا يملكه أحد من دون الله، فمن شرّع فقد نصّب نفسه إلهاً وأصبح طاغوتاً ومن اتّبع تشريعه وصدقه عليه فقد عبده وأشرك بالله لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وما يَحُلُو للصوفية من ترتيب أجرٍ ما على أي ذكر أو أي عمل كأن يقولوا من عمل كذا وكذا فله أجر كذا وكذا أو من رأيي أصبح من أهل الجنة إنما هو قول على

الله بلا علم أذ لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بإخبار الرسول ﷺ وقد حرم الله علينا ان نقول على الله ما لا نعلم قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. كما أخبرنا أن من فعله فقد أطاع الشيطان واتبع خطواته فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

(٦٦) الأولياء

الصُّوفِيَّةُ: يصفون الأولياء بصفات لم ترد في الكتاب والسنة، فبين أولياء الصوفية وأولياء الشريعة فرق كبير بل لا تشابه بينهما.

فأولياء الصوفية هم مشايخهم، وكل من ادعى علم الغيب فهو عندهم ولي، ومن ظهرت على يده خوارق العادات أو جاءته المكاشفة فهو عند الصوفية ولي، ومن شدَّ عن الحال المعتدل وأتى بالغرائب في أخلاقهم وأفعالهم أيضاً عندهم ولي، والمجانين والمجاذيب والمغفلون البُلهُ أولياء عند الصوفية، ومن اعتزل الناس ودخل الخلوة والظلمة أو سار في القفار والصحاري وسكن في المغارات والكهوف وألف الوحوش والسباع أولياء عند الصوفية. وإذا رأى الناس قبراً بنيت عليه قبة اعتبروه ولياً وكل ضريح أو مشهد أو قبر في المسجد فصاحبه عند الصوفية ولي.

إن دائرة الأولياء عند الصوفية أوسع بكثير مما ذكرتُ وسأذكر إن شاء الله في الباب بعد هذا نماذج من أولياء الصوفية، وكتاب "طبقات الأولياء" للشعراني كفانا مؤنة قصصهم وأخبارهم وأنواعهم.

وإذا قرأنا في كتب الصوفية نراهم سلكوا في سلك الأولياء من يأتي المحرمات ويرتكب المخالفات ومن يشرب الخمر جهاراً ومن يزني ويلوط عياناً بيانا وإذا اعترضَ عليهم في ذلك قالوا: إن هذا ظاهر غير مراد وإنه نوع من التخيل للعباد، أو إن الولي الصادق لا تضره معصية أبداً، والخمر التي رأيتموها إنما تتحول في بطنه إلى لبن خالص. لقد بالغت الصوفية في وصف الأولياء وتعظيمهم فأنزلوهم فوق منازل النبيين والصديقين والشهداء فقالوا إن للأولياء في حياتهم قوة قدسية ينالون بها العلوم من غير تعلم، فعندهم سر اسم الله الأعظم وعلم اللوح والقلم وتحتبط إليهم الملائكة فتطلعهم على الغيب وتنبئهم بما في الضمائر وأن الأرزاق والنعم توزَّع على الناس عن طريقهم ولذلك تجب طاعتهم وطلب المدد منهم ولا يجوز الاعتراض عليهم. ويقولون إنهم معصومون من

الذنوب فإن أذنبوا احتجوا بالقدر أو اعتذروا بأن الشرائع لم تنزل من أجلهم فعندهم شريعتهم أو قالوا إنها ذنوب في أذهاننا وتصورنا أما في الحقيقة ففيها حكمة بالغة وسر عظيم، لم تكتف الصوفية بهذا بل وصفوا الأولياء بما يصفون به ربهم ولم يتركوا صفة من صفات الله إلا أعطوها أولياءهم، فقالوا إنهم يعلمون الغيب ويطلعون في اللوح المحفوظ ويتصرفون في الأكوان ويقولون للشيء كن فيكون ويهدون ويضلون ويشفون ويعرضون ويحفظون العالم من الخراب والدمار.

قسمت الصوفية الولاية إلى درجات ومراتب بعضها فوق بعض أعلاها مرتبة: "القطب" أو "الغوث" لا يكون منه بالزمان إلا واحد ومنهم "الأوتاد" وهم أربعة في كل زمان يحفظ الله بأحدهم المشرق وبالثاني المغرب وبالثالث الجنوب وبالرابع الشمال والتقسيم من الكعبة ومنهم "الأبدال" وهم سبعة يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، ومنهم "النقباء" وهم اثنا عشر في كل زمان على عدد بروج الفلك ومنهم "التجباء" و "الحواريون" و "الرجبيون" وغير ذلك، وقد تجد هذا التقسيم يختلف في بعض تفاصيله وفي الأعمال المسندة إليهم من كتاب إلى آخر ونعرض عليك الآن نصوصاً من مصادرهم لتكون برهاناً على أن الصوفية جعلوا أولياءهم آلهة:

(١) يقول الشعراني: "إن الشيخ محمد الحضري كان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي أكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم" (١).

(٢) وقال أبو العباس المُرسي: "لو كشف عن حقيقة الولي لعبد" (٢).

فعلق الشيخ التجاني على هذه الكلمة بقوله: "لأن أوصافه من أوصاف إلهه ونعوته من نعوته لأنه ينسلخ من جميع الأوصاف البشرية كما تنسلخ الشاة من جلدها" (٣). أقول تعليقاً على التعليق: لماذا التعقيد في الكلمات بل معناه: "لو كشف عن حقيقة الولي لعلم الناس أنه خرج عن البشرية وأصبح إلهاً" لكان أوضح لأنه لا يعبد إلا الله.

(١) الطبقات الكبرى: ٩٤/٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ١٢/٢.

(٣) جواهر المعاني: ٦٧/٢.

(٣) ويقول التجاني: "... فإن حقيقة العارف الإحاطة بجميع الملائكة وبجميع الموجودات من العرش إلى الفرش يراها في ذاته فردا فردا حتى إنه إذا أراد أن يطالع غيباً في اللوح المحفوظ ينظر إليه في ذاته ويفتش فيه" ^(١).

(٤) وقال التجاني أيضاً في وصف العارف: "ففي النظر أنه ينظر الوجود كله من عرشه إلى فرشهِ من حيث أنه لا يخفي منه ذرة واحدة ويستوي أمرها فيما كان خلفه وأمامه ويمينه وشماله وفوقه وتحتَه يرى ذلك في الآن الواحد دفعة واحدة ويراه كالجواهر الفرد الذي لا يقبل القسمة فلا تختلط عليه المرئيات وإن اختلفت أوضاعها وحركاتها وألوانها كلها يراها على ما هي عليه دفعة واحدة في الآن الواحد في كل جهة من جهاته فلا تختلط عليه ذرة واحدة" ^(٢).

أقول: سبحان الله إن هذا الوصف للولي لو طوّل صوفي أن يصف الله بأكثر من هذا أو أن يبحث في كتبهم أكثر من هذا ما فعل وما قدر.

(٥) ويقول التجاني أيضاً: "إن لله صفة السمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة كل صفة من هذه الصفات تحيط بجميع الوجود في آن واحد لا تختلط عليه اختلاف الوجود بذواته أو بألفاظه أو بحركاته فإنه يميز كل فرد من ذلك على حدة تمييزاً لا يختلط بغيره لا في سمعه ولا في بصره ولا في صفة من باقي صفاته. وهكذا العارف إذا رفعه إلى محل القرب يصير سمعه يسمع كسماع الحق باتساع دائرته... فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد ولا تختلط عليه ذوات الوجود في الآن الواحد ولا تختلط عليه حركات الوجود في الآن الواحد سمعاً وبصراً" ^(٣).

أقول: انظر أيها القارئ هذه المقارنة بين صفتي الرب والولي الصوفي العارف هل ترى بينهما فرقاً؟.

وتقول الصوفية: إن الولاية اختصاص أي هي أمر وهي يعطيها الله من يشاء ويختص بها من يشاء دون سبب ولا حكمة ولا معقولة كالنبوة التي يختص بها الله من

(١) جواهر المعاني ٨/٢.

(٢) جواهر المعاني: ٥١/٢.

(٣) المصدر السابق: ٥٩-٤٩/٢.

شاء ولا تنال بالاكْتساب ولكنهم رغم ذلك يجعلون لكبار الأولياء الحق في أن يدخلوا من يشاءون في سلك الأولياء ويجعلوهم أولياء إما بكلمة تقال في أذنه أو بشربة ماء أو لبن يعطيها إياه أو مجرد نظر إليه.

يقول الدبّاع: "يقدر الولي على أن يكلم أحداً في أذنه ولا يقوم عنه حتى يكون هو والولي في المعارف على حد سواء" (١).

ويقول ابن ضيف الله في ترجمة موسى ولد يعقوب: "كان يهدي الخلق ويوصلهم إلى درجات الأولياء بمجرد النظر، وكان إذا نظر إلى الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة وأرشد خلقاً كثيراً بمجرد النظر" (٢)!!!.

ويقول ابن ضيف الله أيضاً: "إن الشيخ مُحَمَّد النَّحْلَانْ قضى في خلوته اثنين وثلاثين شهراً من غير أكل أو شرب فلما خرج من خلوته أتى بماء، يقول عنه ابن ضيف الله: فجميع من شرب منه وقع مغشياً عليه وصار ولياً من أولياء الله" (٣)!!!.

وجاء بعض الصوفية إلى الشيخ حسن ود حسونة يطلبون سلوك الطريقة فقعدوا ينتظرون خروجه يوماً كاملاً فلما خرج قال لبعض أتباعه: خذوا هذه الدواية لأولئك الفقراء فأرشدوهم فيها فلما شربوا صاروا من أولياء الله تعالى" (٤).

هكذا نجد الولي الكبير يتصرف في ولاية الله كيف يشاء فيعطيها من يشاء، ويحرمها من يشاء. يعطيها بكلمة يهمسها في أذن المرید، أو شربة يسقيها للمرید، أو نظرة يلقيها على المرید فينقلبون في الحال أولياء الله.

وهكذا نجد أولياء الصوفية قد أعطوا ما لم يعط أشرف الخلق، وأكرم الرسل محمد ﷺ فكم كان حوله من المشركين واليهود والمنافقين يلقي عليهم نظرات كثيرة كل يوم فلا يصبحون بذلك أولياء الله بل لا يهتدون إلا أن يهديهم الله، هذا عم النبي محمد ﷺ أبو طالب قضى معه نحواً من خمسين سنة يحوطه ويقوم له مقام الوالد الرؤوف الرحيم فلم يهتد ولم يصبح ولياً لله بنظرات النبي ﷺ بل مات على كفره وقال الله تعالى

(١) الإبريز: ٥٧١.

(٢) طبقات ابن ضيف الله: ٣٢٥.

(٣) طبقات ابن ضيف الله: ١٦٢.

(٤) طبقات ابن ضيف الله: ١٤٢.

لنبيه ﷺ في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

أقول: إن قول الصوفية إن الولاية أمر وهي يهبه الله لمن يشاء من عباده ثم إعطاؤهم الحق لكبار الأولياء أن يجعلوا من يشاءون أولياء لأكثر دليل على أنهم يرفعون أولياءهم إلى مقام الألوهية ويجعلونهم آلهة وإلا ففي الكلام تناقض.

هؤلاء هم أولياء الصوفية فمن أراد مزيداً من البيان في هذه المسئلة فعليه بكتاب الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني وجامع كرامات الأولياء ليويسف النبهاني وغيرها من الكتب.

أما الجماعة: فإن معنى الأولياء عندهم يختلف تماماً عما عند الصوفية فلا يقولون إنهم الذين يعلمون الغيب ولا من تظهر على يديه خوارق العادات، ولا من تأتية المكاشفات ولا من شذ عن الحال المعتدل فيصرخ في الأسواق ويبول في الطرقات ولا يقولون إنهم المجانين والمُعَقَّلون والبُتْلُ، ولا من فارق الأهل والولد ودخل الخلوة والظلمة أو سكن الكهوف والصحارى، ولا من دفن في المسجد أو بني على قبره القبة أو المسجد أو جعل ضريحه مزاراً يُزار من المسافات الشاسعة ولا من ربط على قبره الخرق والأقمشة ولا من طار في الهواء أو مشى على الماء أو كانت النار عليه برداً وسلاماً فلم يحترق فيها فليس شيء مما ذكر وصفاً لازماً للأولياء.

إنما الولي في عقيدة أهل السنة والجماعة هو العبد الذي آمن بالله واتقاه وسار في مرضاة ربه حسب شريعته قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣ - ٦٢].

تفيد الآية أن الصفة اللازمة لكي يكون العبد ولياً لله هي الإيمان والتقوى فكل من آمن بالله واتقاه فهو ولي لله تعالى، فنصيب الولاية في كل واحد بقدر ما فيه من الإيمان والتقوى، فبناء على هذا فأفضل الأولياء هم الرسل لأنهم الأكثر إيماناً وتقوى من سائر الخلق يليهم سائر الأنبياء ثم صحابة النبي ﷺ ثم سائر الأولياء.

وليس من شرط الولي حتى يكون ولياً أن تأتية المكاشفة أو أن تظهر على يده الكرامة كما تشترطه الصوفية فقد تأتية المكاشفة وقد تحدث له الكرامة، وقد لا

تأنيانه حتى لو حدثت معه كرامة لم تكن دليلاً على قوة ولايته، كما أنه ليس من شرطه أن يطير في الهواء أو يمشي على الماء أو يعمل شيئاً آخر من خوارق العادات فإن القرآن لم يشترط ظهور هذه العلامات في الولي بل اشترط الإيمان والتقوى فقال (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يونس: ٦٣. على هذا جميع العلماء وأئمة الإسلام.

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في رسالته:
 "وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ".
 وأما ما تعرف بين الناس من أن المجانين والبله هم أولياء الله فليس بصحيح أيضاً لأن الله لم يخبر أن المجانين أوليائه، بل قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقال أيضاً: ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ولقد أجاب على هذا شارح العقيدة الطحاوية فأحسن، قال:
 "من اعتقد في بعض البله أو الموهَّين مع تركه لمتابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله ويفضله على متبعي طريقة الرسول ﷺ فهو ضال مبتدع مخطئ في اعتقاده. فإن ذلك الأبله إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو متحيداً أو مجنوناً معذوراً. فكيف يفضل على من هو من أولياء الله المتبعين لرسوله؟ أو يساوى به؟ ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر فإن هذا خطأ أيضاً. بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً".

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: (اطَّلَعْتُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْبَلَّةَ) فهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ ولا ينبغي نسبته إليه فإن الجنة إنما خلقت لأولي الألباب الذين أرشدتهم عقولهم وألباهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه فلم يذكر في أوصافهم البَلَّةَ الذي هو ضعف العقل، وإنما قال النبي ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ»^(١).

(١) صحيح الجامع الصغير: ١٠٣ ولم يقل البله. انظر التصوف بين الحق والخلق.

ويقول ابن تيمية في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ما حاصله: وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]. ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض لقول الله تعالى في الحديث القدسي: "وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ" رواه البخاري، فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله، وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغهم الدعوة... فلا يكونون من أولياء الله إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين فمن لم يتقرب إلى الله بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله وكذلك المجانين والأطفال...

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان والتقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل وامتنع أن يكون ولياً لله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله... فإن كونه مجنوناً يناقض أن يصح منه الإيمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله. ومن كان يُجَنُّ أحياناً ويفيق أحياناً إذا كان في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله ويؤدي الفرائض ويحْتَنِبُ المحارم فهذا إذا جُنَّ لم يكن جنونه مانعاً من أن يثبته الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه فان الله يثبته ويأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله. والقلم مرفوع عنه في حال جنونه. وإن كان الرجل قبل جنونه كافراً أو منافقاً ثم طرأ عليه الجنون فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل عنه حال إفاقته من كفر أو نفاق. انتهى مُلَخَّصاً.

وقال القرطبي: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: ومن أظهر الله على يديه من ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دالاً على ولايته خلافاً لبعض الصوفية والرافضة حيث قالوا: إن ذلك يدل على أنه ولي إذ لو لم يكن ولياً ما أظهر الله على يديه ما أظهر. ودليلنا: أن العلم بأن الواحد منا ولي لله تعالى لا يصح إلا بعد العلم بأنه يموت مؤمناً وإذا لم يعلم أنه يموت مؤمناً لم يمكننا أن نقطع على أنه ولي لله تعالى لأن الولي لله تعالى من علم الله تعالى أنه لا يوافي إلا بالإيمان. وكما اتفقنا على أننا لا يمكننا

أن نقطع على أن ذلك الرجل يوافي بالإيمان، ولا الرجل نفسه يقطع على نفسه أنه يوافي بالإيمان علم أن ذلك ليس يدل على ولايته لله" (١).

ويقول عبد الرحمن عبد الخالق بصدد أولياء الصوفية: "ولا يشك مسلم يعلم شيئاً من الكتاب والسنة ولا عالم قد اطلع على علوم الكتاب والسنة أن ما قاله الصوفية بهذا الصدد هراء وكذب لا أساس له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولكن الصوفية أرادوا أن يؤسسوا لهم دولة في الباطن تحكم وتنفذ وتتحكم في شؤون الناس فبنوا هذه الدولة العجيبة الباطنية التي يتحكم فيها هؤلاء الذين سموهم بالغوث والأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد..."

ويتعجب الإنسان وهو يطالع الفكر الصوفي في هذا الصدد كيف أن المتصوفة أحكموا خططهم للسيطرة على عقول الناس ولإدخالهم إلى دينهم العجيب حيث أوهموهم أن التصريف في الأرض والسماء والخلق أجمعين إنما هو لدولتهم الخفية التي يتحكم فيها أولياء الصوفية. هؤلاء الأولياء الذين قد يكونون أحياناً أميين لا يعرفون قراءة ولا كتابة وأحياناً مجاذيب يصرخون ويبولون في الطرقات وأحياناً زناة وشاربي خمر وأحياناً مجانين قد رفعت عنهم التكاليف الظاهرة، وأن منهم من يعيش طيلة عمره قدراً وسخاً لا يتطهر بماء قط أو صابون ليوفر الماء للفقراء، ومع ذلك فهؤلاء الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعجزهم شيء ولا يقف أمام إرادتهم أحد أبداً..." (٢)

إن الصوفية في ديارنا تلقب أهل السنة والجماعة باللوّهابيين وتتهمهم بأنهم ينكرون أولياء الله ويكرهونهم، وبما تقرر يتضح لنا أن الجماعة لا ينكرون الولاية الحقّة ولا ينكرون أولياء الله ولا يكرهونهم، ومن ينكرهم وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم؟ ولكنهم ينكرون أولياء الصوفية الذين يجعلونهم آلهة ويعبدونهم من دون الله كما ينكرون أن تختص بالولاية فئة من الناس دون أخرى وأن تكون الولاية على غير أساس الإيمان والتقوى.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٩٧-٢٩٨.

(٢) الفكر الصوفي: ٣٥٨.

أعود فأقول: أن ولي الله عند الجماعة هو من كان مؤمناً تقياً متمسكاً بالكتاب تابعاً للسنة بينما هو عند الصوفية كل من فيه جنون أو شذوذ أو ظهرت على يده خوارق الأمور. ولا تقول الجماعة لشخص بعينه إنه من أولياء الله لأن علم ذلك كما قال القرطبي يتوقف على علم ما إذا كان مات أو يموت على الإيمان، وعلم ذلك غيب لا يعلمه إلا الله تعالى فقول على أحد بأنه ولي الله قول على الله بلا علم.

ومن الخطأ الواضح إذن أن نقول لبعض القبور إنه قبر الولي فلان أو ضريح الولي فلان لمجرد أن الناس اتخذوه مزاراً وبنوا عليه قبة أو ربطوا عليه خرقة كما جرت به العادة في الناس.

نسأل الله أن يتولى أمرنا ويثبت أسمائنا في أوليائه لا في أولياء الصوفية أولياء الشيطان.

(٦٧) نَمَازُجُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الصُّوفِيَّةِ

١ - ولي تعانقه الكعبة وتقبله ويتسلم رسالة من الله.

قال الشيخ محمد المعصوم: "رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبلني باشتياق تام... ولما فرغت من طواف الزيارة جاءني ملك (من الملائكة) بكتاب قبول الحج من رب العالمين" ^(١).

أقول: المفروض والمشروع أن يقبل الحاج الحجر الأسود، أما أن يتبادل الحاج الأدوار مع الكعبة فمثل هذا لا يكون إلا في عالم الصوفية.

٢ - ولي يحيي العظام وهي رميم.

يقول عبد الرؤوف المناوي: "إن الشيخ الكيلاني وضع يده على عظم دجاجة أكلها وقال لها: قومي بإذن الله فقامت" ^(٢).

٣ - ولي صوفي يجر الشمس.

أهل مصر المسلمون كانوا يعتقدون أن الأولياء يكلفون بجر الشمس، وكان يصح للصوفي أن يعتذر عن تخلفه عن الميعاد بأن دوره حل في جر الشمس ^(٣).

٤ - ولي تكلمه الأعشاب.

روي أن الشيخ أبا عبد الله الغزالي بينما كان سائراً بالأحرش بطريق الصمادية إذ رأى أعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة أو النجم خذني أنفع لكذا أو أدفع من المضار كذا حتى ذهل وبقي حائراً ^(٤).

٥ - ولي يمنع زوجته من الزواج بعده.

(١) المواهب السرمدية: ٢١٣. جامع كرامات الأولياء: ٢٠٤/١.

(٢) صوفيات: ٥٦.

(٣) الفتوحات المكية: ٤٣/١.

(٤) الفتوحات المكية: ٢٩٧/١.

وقد بلغنا أن زوجة سيدي محمد الشومبي مات عنها وهي بكر وقال لها لا تتزوجي بعدي أحداً فأقتله. فاستفتت العلماء في ذلك فقالوا لها: هذه خصيصي برسول الله ﷺ فتزوجي وتوكلي على الله، ففعلوا لها على شخص فجاءه تلك الليلة وطعنه بحربة فمات من ليلته وبقيت بكرّاً إلى أن ماتت وهي عجوز^(١).

أقول: هذا الولي الصوفي الذي مات ولم يمس زوجته ولم يزل بكارتها وخالف سنة نبيه عذبها وهو حي ويعذبها وهو ميت ويحرم عليها ما أحل الله لها ويقتل الرجل الذي يتزوجها دون حقٍ ما حكم كل هذا في الإسلام؟ وما حكم هذا القتل؟ هل يقتص المقتول منه يوم القيامة؟ أم هو معذور وصنيعه هذا مستند إلى ما لديهم من العلوم الدلنية؟ وهذا كله على فرض صحة الحكاية ولكن العهدة على الحاكي وما أنا إلا ناقل.

٦ - أولياء لو أرادوا لم تقم الساعة.

يقول الحجتان المكي والغزالي: (...) ولما دخل الفرنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا: لو سألت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال: إن لله عبادة في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون. قيل: لم؟ لأنهم لا يحبون ما لا يحب الله، ثم ذكر من إجابة الله لهم أشياء لا يستطيع ذكرها. حتى قال: ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقيمها^(٢).

أقول: كل هذا من الكشف والعلوم الدلنية ومن علوم الأولياء لذلك فلا تعترض.

٧ - ولي يرفع رجله وهو قاعد بالبصرة فيضعها على جبل قاف.

قيل لأبي يزيد البسطامي: بلغت جبل قاف؟ فقال: جبل قاف أمره قريب. الشأن في جبل كاف وجبل عين وجبل صاد. قيل: وما هذا؟ قال: هذه جبال محيطة بالأرضين السفلى حول كل أرض جبل بمنزلة جبل قاف المحيط بهذه الأرض الدنيا وهو أصغرهما وهذه أصغر الأرضين. وقد كان أبو محمد يخبر أنه صعد جبل قاف ورأى سفينة نوح

(١) طبقات الشعراني: ١٠٣/٢.

(٢) قوت القلوب: ٧١/٢، الإحياء: ٣٠٥/٤.

مطروحة فوقه وكان يصفه ويصفها وقال: لله عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف^(١).

ملاحظة: لقد عرف علماء الجغرافيا سطح الأرض وعرفوا مساحته بدقة وعرفوا مواقع الجبال وأسماءها ودرسوا كل شيء. والسؤال: أين يقع جبال قاف وكاف وعين وصاد؟ ثم إن القرآن يخبرنا عن سفينة نوح أنها استوت على جبل (الجودي) لا على جبل قاف ترى من جرها إلى جبل قاف؟ وأيهما أصدق هل كشف البسطامي أم القرآن الكريم؟ أم إنهما اسمان لمسمى واحد؟ أم إنه أيضاً من العلوم اللدنية التي لا يجوز لنا إلا التسليم لها؟

٨ - ولي صوفي لا يشرب ولا ينام طيلة سنة كاملة.

قيل لأبي يزيد البسطامي: حَدِّثْنَا عن رياضة نفسك في بدايتك؟ فقال: نعم. دعوت نفسي إلى الله، فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة، ولا أدوق النوم فوفت لي^(٢).
أقول: ما لنا أن لا نصدقها فهناك في عالم الصوفية ما هو أعظم منها. وكلها من العلوم اللدنية ومن يعتز ينطرد، ومع ذلك نقول: لعل دعوته نفسه إلى الله إنما كانت قبل أن يبلغ مقاماً عرف فيه أن نفسه هي الإله، فإنه القائل: (طلبت الله ستين سنة فإذا أنا هو). وإلا فأني حاجة إلى أن يدعو نفسه إلى نفسه؟

٩ - ولي رؤيته أنفع من رؤية الله بسبعين مرة.

حكى أن أبا تراب النخشي كان معجباً ببعض المريدين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجهته فقال له أبو تراب يوماً لو رأيت أبا يزيد؟ فقال: إني عنه مشغول. فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله: "لو رأيت أبا يزيد" هاج وجد المريد فقال: ويحك ما أصنع بأبي يزيد؟ قد رأيت الله فأغواني عن أبي يزيد. قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت: ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة^(٣)

(١) قوت القلوب: ٦٩/٢.

(٢) قوت القلوب: ٧٠/٢، الاحياء: ٣٠٤/٤.

(٣) الاحياء: ٣٠٥/٤.

أقول: الكفر في هذا الكلام واضح جلي فهل يجوز مقارنة رؤية العبد برؤية الله فضلاً عن تفضيلها عليها. فأبي تأويل يسوغ هنا؟ ولكن ما دام أن هذه القصة يوردها حجة الإسلام الإمام الغزالي الذي هو العمدة لجميع الصوفية لا يسعنا إلا السكوت الحزين.

١٠ - ولي عبر الأرض كلها بخطوة واحدة.

إن ولياً لله خطا خطوة واحدة خمسمائة عام ورفع رجله على جبل قاف والأخرى على جانب الجبل الآخر فعبر الأرض كلها ^(١).

المناقشة: محيط الأرض أربعون ألف كيلومتر ونصف المحيط (أي عشرون ألف كيلو متر) هي أبعد مسافة بين نقطتين عليه. وعندما يتحدثون عن مسافة خمسمائة عام فانهم يعنونها بسرعة القوافل في ذلك الوقت وكانت سرعتها الوسطى حوالي ٣٥ كم يومياً، حيث كانت تقطع في الشهر حوالي ألف كيلو متر وبذلك يكون محيط الأرض حسب حساباتهم أربعين شهراً (فقط لا غير) أي ثلاث سنوات وثلاث. وتكون مسافة الخمسمائة عام أطول من نصف محيط الأرض بـ (٣٠٠) مرة، على أقل تقدير بل وأبعد من المسافة بين الأرض والقمر بـ (١٥) مرة. فهل نقول هنا: إن كشفهم يجهل هذه الحقائق أم نقول: إن الجغرافية أيضاً لها ظاهري وباطني فما ذكرنا نحن فهو في الجغرافيا الظاهرة وما ذكرنا هم فهو في الجغرافيا الباطنة. والتحقيق في الأمر نتركه للقارئ اللبيب.

١١ - ولي لا يسأل الله.

ضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يرده عليك؟ فقال: اعتراض فيما قضى أشد على من ذهب ولدي ^(٢).
هنا نسأل صاحبي (القوت) و(الإحياء) ما معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؟ وما معنى قول الرسول ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ» ^(٣)؟.

(١) قوت القلوب: ٢/٧٠.

(٢) القوت: ٢/٤٣، الإحياء: ٤/٢٩٩.

(٣) رواه الترمذي.

١٢ - ولي يختم في الطواف (١٢) ألف ختمة.

محمد بن علي الكتاني البغدادي ختم في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة (١)!!!

١٣ - ولي لم يدخل الحمام قط.

ومنها (طبعاً من أولياء الصوفية) عبد الله بن عون رضي الله عنه كان يخلو في بيته صامتاً متفكراً وما دخل حماماً قط (٢).

أقول: الحمام فيما نعلم مكان يتطهر فيه الإنسان ويزيل عن نفسه الأوساخ والقذر وعدم دخوله يكون لأحد معنيين: إما أنه لا يتطهر ولا يتنظف ولا يزيل عن نفسه الوسخ أي لا يعمل عملاً يحبه الله؛ لأن الله يحب المتطهرين، فكيف يكون هذا ولياً والأولياء هم الذين يحبهم الله؟ وإما أنه لا يدخله خوفاً من أن يبصر عورة الآخرين ويبصروا عورته فهذا المعنى صحيح.

١٤ - ولي اجتمع بالمهدي إمام آخر الزمان.

يقول الشعراني: "الشيخ حسن العراقي رضي الله عنه ذكر لي أنه اجتمع بالمهدي إمام آخر الزمان عليه السلام بدمشق، وأقام عنده سبعة أيام وعلمه ورده كل ليلة خمسمائة ركعة وصيام الدهر" (٣).

أقول: آخر الزمان لم يدخل بعد فكيف يجتمع بالمهدي الذي لم يولد بعد؟ وإذا كان يريد أنه اجتمع في عالم الذرة فما معنى أنه اجتمع به في دمشق؟ هل ذرة المهدي في دمشق؟ وكيف أقام عند الذرة سبعة أيام؟ وما علمنا أن للمهدي ورداً كأوراد الصوفية؟

وأعجب منه أن ورد المهدي الذي يملأ الأرض ديناً وتقوى وصالحاً مخالف للشريعة لأن صيام الدهر منهي عنه شرعاً قال رسول الله ﷺ: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ أَبَدًا» (٤).

(١) اللمع: ٢٥٥ طبقات ابن الملقن: ١٤٨.

(٢) طبقات الشعراني: ٦٤/١.

(٣) الأنوار القدسية.

(٤) صحيح الجامع الصغير: ٧٥٠٦.

أسئلة تلو أسئلة نفق أمامها مكتوفي الأيدي ولا نجد لها جواباً إلا أن نخيلها إلى الكشوف والعلوم الدنية.

١٥ - ولي صوفي تسجد الملائكة له.

يقول عبد القادر الجيلاني: "من الأولياء من تسجد الملائكة له وتكثف أيديها إلى ورائها"^(١).

ونحن أيضاً نفق هنا مكتوفي الأيدي لا ندري ما نعلق عليها؟ إلا أن نقول: إن السجود عبادة والعبادة لا تكون إلا لله فمعنى قولهم إذن: إن بعض الأولياء يصبح إلهاً!!!.

١٦ - ولي يمنع خادمه من الصلاة ويضربه إذا صلى.

"... ومنهم طبعاً من الأولياء: الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلي رضي الله عنه وكان ينادي خادمه وهو في الصلاة فإن لم يجئه مشى إليه وصكه ومشى به وقال: كم أقول لك لا تعد تصلي هذه الصلاة المشئومة فلا يستطيع أحد أن يخلصه منه"^(٢). أقول: بالطبع؛ له عند الصوفية تأويل، لا سيما وصف الصلاة بالمشئومة، أو هو بعض من العلوم الدنية.

١٧ - ولي صوفي جبّ نفسه تقريباً إلى الله.

"... ومنهم سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه (وهو من السلسلة الشاذلية) كان رضي الله عنه من الأولياء الأكابر... وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه أوائل جذبه، وكان جالساً على الرمل صيفاً وشتاءً وإذا جاع أو عطش يقول: أطعموه أسقوه..."^(٣).

١٨ - ولي صوفي ذو كرامة غريبة.

"... ومنهم سيدي سويدان المدفون بالخانكاه رضي الله عنه... ووقع له وقائع وكرامات وكان فمه لم يزل فيه نحو الخمسين حبة من الحِمَصِ ليلاً ونهاراً يقال: إنها حملات الناس"^(٤).

(١) الفتح الرباني: ٣٧٥.

(٢) طبقات الشعراني: ١٤١/٢.

(٣) طبقات الشعراني: ١٤١/٢.

(٤) طبقات الشعراني: ١٤٤/٢.

أقول: هذا الولي يحمل عن الناس ماذا؟ أذنوبهم وخطاياهم؟ فإن قالوا: نعم. قلنا: ولكن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِمْلَتِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]. أم نحسب هذا أيضاً من العلوم الدنية التي لا يعلم تأويلها إلا أرباب الصوفية.

١٩ - ولي صوفي يتغوط مأمونية.

وحكى لي خادم سيدي أبي الخير الكلبي أن شخصاً أتاه وأخبره أنه قال للشيخ: إن زوجتي حامل وقد اشتهدت مأمونية حموية ولم أجدها فقال له الشيخ: اتني بوعاء فأتاه به فتغوط له فيه مأمونية سخنة!!! فقال الخادم: وأكلت منها لعدم اعتقادي أنها غائط^(١).

أقول: لقد راج شعوزة الصوفية بين بسطاء المسلمين حتى بلغ أمرهم أنهم أقنعوهم بأكل غائط مشايخ الصوفية، فالله المستعان. أم نقول: إنه أيضاً كرامة صوفية وجزء من العلوم الدنية فلا تعترض؟ أم إن هذا نوع خاص من الأولياء؟ ووددنا لو نعرف هل يفعل أتباع سعيد التشركي وتاج الدين العسلي بشيخهم مثل هذا؟

٢٠ - ولي يخطب عرياناً ويضطر ضرورة مقدسة ويحلف عليه كاذباً.

"... ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رضي الله تعالى عنه ورحمه وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً فيقول: السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طولون: الحمد لله رب العالمين فيحصل للناس بسط عظيم... وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: هذه ضرورة فلان ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه^(٢).

أقول: لعل العري أمام الناس المحرم في الإسلام والضرورة بحضرة الناس والحلف الكاذب لعلها من صفات الولي الصوفي وشروط الولاية عندهم إذ لم يدخل صاحبها في سلك الأولياء إلا بوجود هذه الصفات الشاذة فيه.

وهنا يخطر ببالنا السؤال الآتي: أيهما أفضل هذا الولي الذي فيه هذه الصفات الثلاث "المقدسة" أم الذي يتغوط المأمونية؟ لكن الجواب اليقيني تجده في العلوم الدنية فراجع أهلها ومن جربها، واحذر الاعتراض فتحرم الوصول إلى الله.

(١) الأنوار القدسية: ٤٤/٢.

(٢) طبقات الشعراي: ١٤٢/٢.

٢١ - ولي صوفي يرحم الجيفَ والحيوانات الميتة.

"... ومنهم سيدي بركات الخياط كان رضي الله عنه من الملامتيّة^(١) وهو شيخ أخي أفضل الدين وشيخ الشيخ رمضان الصائغ الذي بنى له الزاوية... وكان دكانه منتناً قدراً؛ لأن كل كلب وجدته ميتاً أو قطعاً أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده^(٢).

أقول: انظر أيها القارئ الكريم هذه الشذوذات، ثم انظر هل ترى بين أولياء الصوفية إلا من خالف الشريعة وشذ عن الحال المعتدل، ولا نجانب الحق إن استتجنا من كل هذا أن كل شذوذ كرامة عند الصوفية، وما على أحد أراد أن يصبح ولياً عند الصوفية إلا أن يبدي شذوذاً أو جنوناً أو بلكهاً أو خرفاً أو مخالفة شرعية. أما الإيمان والتقوى والصلاح والعبادة فلا صلة لها بالولاية عند الصوفية ولا وزن لها عندهم.

٢٢ - ولي يأكل كل يوم زبينة واحدة فقط.

"... ومنهم الشيخ مرشد رضي الله عنه، كان رضي الله قادي الخرقه وكان يطوي الأيام والليالي وأخبرني أنه مكث نحو أربعين سنة يأكل كل يوم زبينة واحدة حتى لحق بطنه على ظهره"^(٣).

أقول: من المعلوم أن هذا الولي إن لم يكن كاذباً لم يقتد في هذا العمل بسنة نبينا محمد ﷺ لأن الاقتصار على زبينة واحدة في مدة أربعين سنة ليس من سنة النبي ﷺ ولا من هدى الإسلام. إذن فبسنة من اقتدى؟ أبسنة البراهمة؟ أم بسنة البوذيين أم اليوجا الهندية الذين يستخدمون الأساليب المماثلة لهذا للوصول إلى الأحوال الغريبة. أم اقتدى بسنة الرهبان أم الآخرين الذين يتقربون إلى الله بالجوع والسهر والرياضة الشاقة؟ وعلى كل فالإسلام برئ من هذا، وهذه الصفات ليست صفات أولياء الله إنما هي صفات أولياء الشيطان.

(١) الملامية: فرقة من الصوفية يتعمدون فعل ما يلام عليه إخفاء لحالهم عن الناس.

(٢) طبقات الشعراني: ١٤٤/٢.

(٣) طبقات الشعراني: ١٤٨/٢.

٢٣ - ولي صوفي يشهد بأن إبليس إله.

"... ومنهم الشيخ محمد الحضري رضي الله عنه... وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلدا... وكان يرى في كذا وكذا بلداً في وقت واحد.

وأخبرني الشيخ أبو الفضل المُرسِّي أنه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة فقال: باسم الله فطلع المنبر فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام. فقال الناس: كفر، فسلَّ السيف ونزل فهرب الناس كلهم من الجامع فجلس عند المنبر إلى أذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم، قال: فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة. هذا ونحن نراه جالساً عندنا في بلدنا...

وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكان يقول الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم، توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانئة رضي الله عنه" (١).

٢٤ - ولي لا يتخلى إلا مرة خلال ثلاثة أشهر.

"... ومنهم الشيخ علي الدُّوَيْبُ رحمه الله تعالى أمين... وكان رضي الله عنه يمشي على الماء في البحر... وكان لا يدخل بيت الخلاء لقضاء الحاجة إلا في كل ثلاثة أشهر مرة واحدة" (٢).

أقول: هذا معقول وله تفسير لأنه؛ إذا كان لا يأكل في يوم واحد إلا زبينة واحدة فماذا يتغوط؟

٢٥ - ولي يستشفع به الملائكة ويقوم للكلاب.

"... ومنهم أبو محمد عبد الرحيم المغربي القُتَّائِي رضي الله عنه... وحكي أنه نزل يوماً في حلقة الشيخ شَبَّح من الجو لا يدري الحاضرون ما هو فأطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشبح إلى السماء فسألوه؟ فقال: هذا ملك وقعت منه هَفْوَةٌ فسقط علينا يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع!!

(١) طبقات الشعراني: ١٠٧/٢.

(٢) جامع النبهاني: ٣٦٦/٢.

وكان الشيخ إذا شاوره إنسان في شيء يقول له: أمهلني حتى استأذن لك فيه جبريل عليه السلام فيمهلهم ثم يقول له: افعل أو لا تفعل على حسب ما يقول جبريل.

ومر مرة عليه كلب فقام له إجلالاً فقبل له في ذلك؟ فقال: رأيت في عنقه خيطاً أزرق من زي الفقراء^(١).

أقول: لقد شطب هذا الولي عقيدة الإسلام في عصمة الملائكة وقوله تعالى فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

ثم إن ما تزعم الصوفية من أنهم يقابلون الملائكة ويشاورونهم، وتنزل عليهم الملائكة وتأتيهم فليسوا بملائكة أصلاً وإنما الذين يأتونهم ويتنزلون عليهم هم الشياطين كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

وقد لا يعلم هذا "الولي" الصوفي أن الذي يأتيه شيطان لأنه يأتيه بصفة ملك ويزعم أنه ملك ويقول له: أنت ولي وما ألقى عليك هو وحي من الله فيصدقه الولي على ذلك ويقبله على أن الأمر كما قال قَيْضِلٌ وَيُضِلُّ.

٢٦ - ولي صوفي يدخل البحر في إبريق صغير.

"... ومنهم الشيخ محمد الشَّريبي... ولما ضعف ولده أحمد وأشرف على الموت وحضر عزرائيل لقبض روحه قال له (أي لملك الموت) الشيخ: ارجع إلى ربك فراجعه فإن الأمر نسخ فرجع عزرائيل وشفى أحمد.

وكان رضي الله عنه . يقول للعصا التي كانت معه: كوني إنساناً فتكون إنساناً ويرسلها تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت...

وكان من عاداته أنه يأمر مريديه بالشحانة على الأبواب دائماً في بلده... وله ذرية بأرض الغرب وذرية في بلاد العجم وذرية في بلاد الهند وذرية في بلاد التكرور فكان في ساعة واحدة يطوف على عياله في هذه البلاد ويقضي حوائجهم، وكل أهل البلاد يقولون إنه مقيم عندهم...

(١) طبقات الشعراء: ١٥٧/١.

وكان إذا أراد أن يُعَدِّي في البحر يقول له المُعَدِّي: هات كراء (أي أجره التعدي)... فقال الشيخ (ها الله) وطأطأ الإبريق فأخذ ماء البحر كله فيه ووقف المركب على الأرض فاستغفر المُعَدِّي وتاب فصب الإبريق في البحر ورجع الماء كما كان" (١).

أقول: لو أراد أحد أن يجد في أساطير ألف ليلة وليلة أغرب من هذا ما استطاع ذلك. فقُدُرات الجن المردة الموجودة وراء جبال قاف وواق لن تبلغ قدرة هذا الشيخ الذي جمع ماء البحر كله في إبريق واحد صغير، ليت شعري أين كانت سائر مراكب البحر في هذه اللحظة؟ هل نزلت إلى قاع البحر؟ وماذا كانت تفعل الأسماك والحيتان وقد أصبحت على اليابسة؟ أم إنها والمراكب كلها دخلت الإبريق مع مياه البحر؟ وعدا ذلك فالشيخ خالف الشريعة حيث منع المعدي أجره تعديته وأخافه بإدخال ماء البحر في إبريقه؟ أسئلة تلو أسئلة لا يجد عليها الجواب إلا من درس العلوم الدنية واطلع على التأويلات الصوفية.

٢٧ - ولي صوفي يكتحل بالميل المُحَمَّى بالنار.

ومنهم أبو بكر جحدر الشبلي رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول: "اكتحلت بالملح كذا وكذا ليلة لأعتاد السهر ولا يأخذني النوم فلما زاد عليَّ النوم حَمَيْتَ المِيلَ واكتحلت به" (٢).

أقول: هنا يظهر جلياً عمل الهندوس ويوجا ورياضتهم الشاقة المبنية على السهر والجوع والصمت والخلوة ودورها في نيل الولاية الصوفية، فأين هذا من قول النبي ﷺ القائل: «لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ وَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ» (٣)؟

إن الإسلام برئ من أسلوب إرهاب النفس الذي هو أحد طرق الصوفية إلى الولاية.

٢٨ - الولي الصوفي الذي إذا وقع بصره على كلب جعله ولياً يزار قبره.

"... ومنهم سيدي يوسف العجمي الكوراني... ولقد وقع بصره يوماً على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب إن وقف وقفوا وإن مشى مشوا فأعلموا الشيخ بذلك فأرسل خلف الكلب وقال: "إِحْساً" فرجعت عليه الكلاب تعضه حتى هرب منها...

(١) طبقات الشعراني: ١٣٦/٢، جامع النبهاني: ٢٩٦/١.

(٢) طبقات الشعراني: ١٠٤/١.

(٣) رواه الشيخان.

ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب وصار الناس يهرعون إليه (أي الكلب) في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب ليكون ويظهرون الحزن عليه فلما مات أظهروا البكاء والعيول وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا^(١).

٢٩ - ولي صوفي احتفظ بالوضوء وهو نائم سبع عشرة سنة.

"... ومنهم سيدي عيسى بن نجم... يقول على المَرْصَفِي رضي الله عنه مكث سيدي عيسى بن نجم بوضوء واحد سبع عشرة سنة!! فقلت (والقائل الشعراني): يا سيدي كيف ذلك؟ فقال: توضأ يوماً قبل أذان العصر واضطجع على سريره وقال للنقيب: لا تمكن أحدا يوقظني حتى أستيقظ بنفسي فما تجرأ أحد يوقظه فانتظروه هذه المدة كلها فاستيقظ وعينه كالدَّم الأحمر فصلى بذلك الوضوء الذي كان قبل اضطجاعه ولم يجد وضوءاً وكان في وسطه منطقة فلما قام وحلها تناثر من وسطه الدود رضي الله عنه"^(٢).

٣٠ - ولي صوفي وصل إلى الولاية بواسطة القذارة.

"... ومنهم الشيخ محمد السروي أحد الرجال المشهورين في الهمة والعبادة وكان يغلب عليه الحال فيتكلم بالأسن العبرانية والسريانية والعجمية وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء...

وجاءه الشيخ علي الحَدِيدِي يطلب منه الطريقة فرآه ملتفتاً إلى نظافة ثيابه فقال: إن كنت تطلب الطريق فاجعل ثيابك مُمْسَحَةً لأيدي الفقراء فكان كل من أكل سمكاً أو زَفَرًا يمسح في ثوبه مدة سنة وسبعة أشهر حتى صارت ثيابه كثياب الزياتين أو السماكين... فلما رأى ثيابه لقنه الذكر وجاء منه في الطريق.

وكان يغلب عليه الحال ليلاً فيتكلم بالأسن غير عربية من عجم وهند وثُوبَةٍ وغيرها وربما يقول: (قاق قاق) طوال الليل ويزعق ويخاطب قوماً لا يُرَوْنَ وإذا قال شيئاً في غلبة الحال نفذ"^(٣).

(١) طبقات الشعراني: ٦٦/٢

(٢) طبقات الشعراني: ١٠٧/٢ وجامع النبهاني: ٤٢٨/٢

(٣) طبقات الشعراني: ١٢٦/٢

أقول: هنا يبرز جلياً دور الشيطان الذي يتكلم على لسان إنسان. وغلبة الحال عند الصوفية ليست إلا نَؤْبَةً جنون، فويل لمن يلعب هذا الدور وويل لمن يصدقهم!!

٣١ - ولي صوفي ينفث الطعام الحرام دخاناً وناراً.

"... ومنهم أبو سعيد القلوري... ودعي مرة إلى طعام هو وأصحابه فمنعهم من أكل ذلك الطعام وأكله وحده، فلما خرجوا قال لهم: إنما منعكم من أكله لأنه كان حراماً ثم تنفس فخرج من أنفه دخان أسود عظيم كالعمود وتصاعد في الجو حتى غاب عن أبصار الناس. ثم خرج من فمه عمود نار وصعد إلى الجو حتى غاب عن النظر ثم قال: هذا هو الطعام الذي أكلته عنكم^(١).

أقول: هذا الولي يقول صاحب الكتاب عنه: "هو من أكابر العارفين والأئمة المحققين، صاحب الأنفاس الصادقة، والأفعال الخارقة، والكرامات والمعارف". نعم، إن نَفَثَ الدخان والنار من المَنخَرَيْنِ والفم هي أفعال خارقة حقاً لا يقدر عليها إلا المشعوذون والسحرة ولكننا نشك في أنها أنفاس صادقة وكرامات ومعارف.

٣٢ - ولي صوفي يتطور في الحلقة.

"... ومنهم الشيخ حسين أبو علي رضي الله عنه ورحمه الله كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كُتَمَل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الأوقات فتجده جندياً ثم تدخل فتجده سبعاً ثم تدخل فتجده فيلاً ثم تدخل فتجده صبيّاً، وهكذا..."^(٢).

أقول: وهنا دور الشيطان واضح أيضاً ولكن مما يبعث على العجب أنه عد من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى.

٣٣ - ولي صوفي يبيع الجنة بثلاثين ديناراً.

"... ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني... كان من أكابر العارفين وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها..."

(١) طبقات الشعراني: ١/١٤٨.

(٢) طبقات الشعراني: ٢/٨٧.

وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت: هذه ثلاثون ديناراً، وتضمن لي على الله الجنة؟ فقال لها الشيخ - رضي الله عنه مباسطاً لها: ما يكفي فقالت: لا أملك غيرها فضمن لها على الله دخول الجنة! فماتت. فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون الثلاثين ديناراً من الشيخ وقالوا: هذا الضمان لا يصح فجاءتهم في المنام وقالت لهم: اشكروا لي فضل الشيخ فاني دخلت الجنة فرجعوا عن الشيخ^(١).

أقول: الإنسان لا يجوز له في الشرع أن يبيع إلا ما يملك ولا يصح بيعه إلا فيما يملك ومعنى هذا أن الجنة في شريعة الصوفية ملك الأولياء يدخلونها من يشاؤون ويمنعونها من يشاءون، لكن النبي ﷺ ما باع أحداً الجنة بثمن يأخذه هنا.

فإن صح قول الصوفية فما على المسلمين الذين يريدون الجنة إلا أن يفتشوا عن هؤلاء الأولياء مُلأَك الجنان ويشترؤا منهم ما ييغون من قصورها ورياضها وبساتينها.

٣٤ - ولي صوفي يهب من عمره من يشاء ويدفع الموت عمن يشاء.

".. ومنهم سيدي محمد الشومعي... كان من أرباب الأحوال العظيمة... ومرض سيدي مدين الأشموني رضي الله عنه مرة وأشرف فيه على الموت فوهبه من عمره عشر سنين!! ثم مات في غيبة الشومعي رضي الله عنه، فجاء وهو على المعتسل فقال كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضراً ما خليتكم تموت! (٢).

أقول: فيما نعلم أن الصوفية يدعون علم الغيب والتصرف في البعد كما يتصرفون في القرب فالغيبية والحضور والقرب والبعد عندهم سواء، فكيف خلى صاحبه يموت معتذراً بأنه كان غائباً وأكد اعتذاره بالقسم؟ وقد كان وهبه قبل ذلك عشر سنين من عمره فأين الهبة؟

٣٥ - ولي صوفي يشرب القيء.

محمد المسمى بقمر الدولة أحد أكابر أصحاب سيدي أحمد البدوي... جاء من سفر في وقت حر شديد فطلع يستريح في طندتا (طنطا) فسمع بأن سيدي أحمد رضي الله عنه ضعيف فدخل عليه يزوره... فوجد سيدي أحمد قد شرب ماء بطيخة

(١) طبقات الشعرا: ١٠٢/٢، وجامع النبهاني: ٤٦٣/٢.

(٢) طبقات الشعرا: ١٠٣/٢، جامع النبهاني: ٢٨٤/١.

وتقيأه ثانياً فيها فأخذه سيدي محمد المذكور وشربه فقال له سيدي أحمد أنت قمر دولة أصحابي^(١).

أقول: يستنتج من هذا مع ما مر في الرقم (١٩) أن كل ما خرج من منافذ أولياء الصوفية دواء وشفاء وطعام شهى وأكسير ولالية، فليكثر منه من شاء ما شاء، ولا ندري أيهما خير ما خرج من المنفذ العلوي أم ما خرج من المنفذ السفلي فمن شاء معرفة ذلك فعليه بذوقه أو بمراجعة العلوم اللدنية، أو بسؤال من جربه.

٣٦ - ولي صوفي يعلم ما في الأرحام ويمس ذكر الجنين.

أحمد بن جعد الأبيتي... وأتته امرأة وقالت: ادع لي أن يرزقني ولداً ذكراً فقال: سترزقين ذلك! فوضعت أنثى، فقالت له فيه، فقال: والله ما قلت لك إلا بعدما مَسِسْتُ ذكره بيدي هذه، ولكن أراد أن يكذب هذه اللحية!!^(٢).

أقول: لا تعليق لي إلا أن نذكر قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، والضمير في قوله: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ راجع إلى الله لا إلى أحمد بن جعد.

٣٧ - ولي أسرع من الصاروخ.

على البدوي الشاذلي تلميذ سيدي ياقوت العرشي قال رضي الله عنه: وكثيراً ما كان الشيخ ياقوت يوجهني في الحاجة من الإسكندرية إلى بلاد الأندلس فأذهب إليها وأرجع في يوم واحد بسرعة خطاي من غير أن تطوي لي الأرض^(٣).

أقول: لو كان هذا الولي حياً اليوم لكان بطل العالم في العدو الرياضي؛ بل كان ضارب الرقم القياسي فيه الذي لن يغلبه أحد من بعده.

٣٨ - ولي صوفي ذو كشوفات جمّة.

علي بن أحمد خضر المطوعي المشهور بين الناس بحشيش الحمصاتي... أحد أكابر الأولياء العارفين... وأخبر بأنه اطلع على بحر الظلمات، وأن به بلداً لا تبصر أهلها إلا في الظلمة! وأنه رأى خلف جبل قاف أرضاً تتحرك بنفسها تسمى الرجراج ليس بها

(١) جامع النبهاني: ٢٨٤/١.

(٢) جامع النبهاني: ٥٢٣/١.

(٣) جامع النبهاني: ٣٤٩/٢.

ساكن وأنه رأى إرم ذات العماد وأنه اجتمع بالخضر عليه السلام فوجده يظهر في صور مختلفة، وبالقطب فوجده يلبس كل يوم لباساً غير اللون الآخر^(١).

أقول: لا حدود لهلوسات الصوفية ولا نهاية لخيالاتهم الرحبة الفسيحة ويا ليتهم يفعلون ما يشاءون ويحكون ما يشاءون ولكن دون أن يتكلموا باسم الإسلام ولا يلبسوها لبسة الإسلام، إذن لسلم الإسلام وارتاح المسلمون من أكاذيبهم وأخاديعهم.

٣٩ - ولي صوفي يقتل بإشارة من يده الأعداء.

مسلمة بن نعمة السروجي، شيخ المشايخ، وسيد الأولياء ورئيس الأصفياء... قال السراج: إنه لما قصد الكفرة من الفرنج والأرمن مدينة سروج وقتلوا وأسروا ثم قصدوا زاويته ووصل الخبر إلى مريديه فقالوا: يا سيدي جاءنا العدو فقال: اصبروا، ثم كرروا القول إلى أن قالوا: بيننا وبينهم قدر رشقة حجر فخرج وأشار بيده الكريمة برجعهم فرجعت بهم الخيل قهراً لا يستطيعون ردها بوجه فقتل منهم خلق عظيم وكذلك من الخيل، وتكسرت العدد وصاروا بأسوا حال^(٢).

أقول: كان من المفروض أن يذكر التاريخ هذا الحدث العظيم المثير ولكنه لم يذكر وإلى القارئ اللبيب نترك علم السبب في ذلك، والحكاية إن دلت على شيء فإنما تدل على أن دماء المسلمين التي أريقَت لا قيمة لها عند الولي الصوفي إذ لم تثر همّة الشيخ ومريديه إلا الزاوية فقط.

٤٠ - ولي صوفي يبلع المتاليك ويتغوط الدنانير.

الشيخ حسن سكر الدمشقي .. (قالوا له): لا بد أن تظهر لنا كرامة. فقال: هاتوا لي مائة من المتالكات (المتاليك عملة عثمانية صغيرة القيمة) وهي قطع صغيرة من الفضة المغشوشة فجاءوا له بمائة متاليك فأخذها وألقاها في فمه وابتلعها وفي الحال جلس بصورة من يقضي حاجة الإنسان فأخرجها من أسفله دنانير من الذهب فأخذوها وكانت هي السبب في غنى أبي ليبي المذكور^(٣).

(١) جامع النبهاني: ٣٧٩/٢.

(٢) جامع النبهاني: ٤٧٠/٢.

(٣) جامع النبهاني: ٤٢/٢.

أقول: اذا صح للولي أن يتغوط المأمونية الحموية ولخّادامه أكلها فلا عجب أن يتلغ الفضة ويتغوط الذهب ومن يدري لعل الله أنشأ في جوفه الواسع ورشة أو مختبراً يقوم بعمليات تحويل المعادن من بعضها إلى بعض ولكن السؤال في الثاني: ما هو حكم الشرع في هذا الغائط الذهب؟

مشعوذو عصرنا سيغبطون مشعوذي الصوفية حقاً.

٤١ - ولي صوفي يصدر مرسوماً بترحيل الفئران.

يحكى أن أحد الأولياء شكّا إليه أهل بلده كثرة الفئران فأصدر مرسوماً بترحيل الفئران فرحلت ولم ير بعد ذلك اليوم هناك ولا فأراً واحداً^(١).

٤٢ - ولي صوفي يهدد ملك الموت إن لم يطعه.

يحكى أن ولياً من المجاذيب تبعه جماعة من الصبيان يضحكون عليه فقال مهدداً ملك الموت: يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين^(٢).

أقول: ملك الموت ليس له من الأمر شيء ويقبض الأرواح بأمر من الله ولا يخضع تصرفاته لتهديدات المجاذيب وماذا نقول لمن يعتقد صحة هذا الكلام إلا الجاهل الأحمق المغرور فجميع الصوفية هم هؤلاء.

٤٣ - أبو يزيد البسطامي غوث الأولياء.

قيل لأبي يزيد: دخلت إرم ذات العماد؟ قال: دخلت ألف مدينة لله في ملكه أدناها إرم ذات العماد، ثم ذكر عدداً من المدن التي دخلها فذكر (البيث) و (تاريل) و (باريس) و (جابر) و (مسك) إلى أن قال: فذات العماد مدينة عاد في اليمن بين أبتّر والشحر يقال: لها سور له ألف باب ما بين البابين فرسخ^(٣).

أقول: من تأمل هذه القصة لم يشك في أنها من نسج الخيال الصوفي الرحب.

(١) طبقات الشعرا: ١٢٦/٢.

(٢) جامع النبهاني: ٢٨٦/٢.

(٣) قوت القلوب: ٧٠/٢.

أما أولاً: فلأن الله تعالى وصف إرم ذات العماد بقوله ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨] فنفى الله أن يكون هناك في البلاد بلدٌ أكبر من إرم ذات العماد، أما أبو يزيد فيدعى أن هناك ألف مدينة أكبر من إرم ذات العماد فعلم بالضرورة بطلان دعواه.

وأما ثانياً: فلأن وجود مدينة يبلغ سورها ألف فرسخ غير معقول لأن الفرسخ طوله قريب من خمسة كم فيكون طول السور قرابة خمسة آلاف كم، ولا يخفى بطلان وجود مدينة بهذه السعة لأن سوراً طوله خمسة آلاف كلم كاف لتسوير اليمن كلها بما في ذلك أتر والشحر ويبقى منه بقية.

هذه القصة شبيهة بقصة الجواب الذي قال: لقد نزلت في أثناء سفرنا في البحر على جميع مرافئ العالم فأنا أعرفها جميعاً، فقال صديقه: أنت إذن تعرف الجغرافية جيداً؟ قال الجواب: نعم، فقد رسونا عليها مرة لنأخذ فحماً.

٤٤ - ولي صوفي يُحوّل الزبل إلى أطايب الأطعمة.

قال جماعة لأحد الأولياء واسمه شجاع الكرمانى: نريد أن نأكل حلوى دمشقية فأخذ الجوالق والمجارف وخرج مع جماعة إلى المزبلة فيها زبل وشقف وحجارة وغير ذلك فملأوا الجوالق وأتوا المسجد وهم يضحكون ففرغه بين أيديهم فإذا هو من أصناف أطايب الحلوى فأكلوا وازدادوا إيماناً^(١).

أقول: ازدادوا إيماناً، بماذا؟

٤٥ - ولي صوفي يستحي من الله أن يدخل المسجد.

حكى أنه رأى رجل خارج المسجد فقيل له: لم لا تدخل المسجد فتصلي؟ فقال: أستحي منه أن أدخل بيته وقد عصيته^(٢).

أقول: إذا كان عدم دخول المسجد حياءً من الله من صفات الولي فما لنا نحن لا نستحي أن ندخل المسجد وليس فينا من لا يعصي؟ ألا نحب أن نكون أولياء؟
أقول جواباً على هذا السؤال:

(١) جامع النبهي: ١١٤/٢.

(٢) نشر المحاسن الغالية: ٢٠٣.

أولاً: لم يكن بين الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح من لا يدخل المسجد بحجة الحياء من الله.

وثانياً: نعم، لا نحب أن نكون أولياء الصوفية إنما نحب أن نكون أولياء الله الذين قلوبهم معلقة بالمساجد والذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما ورد في الحديث.

٤٦ - ولي صوفي عرج إلى السماء قبل نبينا محمد ﷺ.

يحكى في الشَّيشَانِ أن النبي ﷺ لما عرج إلى السماء وفي صحبته جبريل عليه السلام فبلغا مقاماً لا يحق لجبريل عليه السلام أن يجاوزه فلما توقف عنده قال له النبي ﷺ كنت إلى الآن صاحبي وكنت مستأنساً بك، فمن يصحبني من الآن ومن أستأنس به؟ فقال له جبريل عليه السلام ادع أحد الأولياء ليصحبك في عروجك أعلى، فدعا النبي ﷺ عبد القادر الجيلاني فجاء في الحال فصعدا معاً وبقي جبريل في مكانه، فبينما هما يصعدان إذ داخل قلب عبد القادر شيء من الفخر إذ اختاره النبي ﷺ لصحبته من بين سائر الأولياء في معراج، وفجأة سمع صوتاً من أعلى يشبه صوت الزاجر فلما رفع بصره إلى فوق رأى هناك (كُنْتُ حَاجِي) فقال له: مَهْ يا عبد القادر لا تفتخر كثيراً فلست بأفضل الأولياء وهناك من هو فوقك، وأخرج ما داخل قلبك من شعور الفخر (نشر هذا في جريدة شيشانية).

التعليق: كُنْتُ حَاجِي وقد يقال له (كِشَى حَاجِي) شيخ من كبار مشايخ القادرية ظهر أمره في الشيشان في عهد الحروب الشاملة مع روسيا القيصرية، ظهرت على يده خوارق العادات فأصبح له أتباع معظمهم من الشَّيشَانِ ولحق بهم بعض البلاد المجاورة كداغستان وإنغوشيا وكانت أذكاه وأوراده مصحوبة بالرقص والتصفيق والدوران، ولا يبالون باختلاط الرجال بالنساء في الدوران.

وما كان كُنْتُ حَاجِي شيشانياً؛ قال لي هذا سلمان غازيوف من أُورُوسْ مَارْتَانِ رحمه الله الذي قتله الظلمة غيلة، قاله نقلاً عن أجداده جاء كُنْتُ حَاجِي إلى الشَّيشَانِ من قرية عُومَحَا من ولاية عُنْدٍ في دَاغِسْتَانِ واستقر به المقام في إِيْلَاسْحَانَ يُورْتِ وأصله على قول من بَشْكِيرِيَا أو من مُولْدَاوِيَا وهناك قول بأنه من غَاغَاوُسْ والله أعلم.

وعلى كل فهذا لا يهم، المهم أنه جاء إلى الشَّيشَانِ مبعوثاً من قبل روسيا ومخابراتها ليثبِّطَ الناس عن الجهاد مع الإمام شَمُويلَ وَلِيْشَلَّ الحركة التجديدية والتحريرية في وقته، فلما أدى مهمته أخذته حكومة عصره في صورة أسير وليخفوا عن أتباعه مصيره ليحيكوا حوله أساطير خلوده، وقد تم لهم ما أرادوا فترى أتباعه اليوم في الشَّيشَانِ وغيرها يعتقدون عدم موته وينتظرون مجيئه من جديد لتجديد طريقته، وهذا ما يؤكده المؤرخون. ولقد زعم آدم الخليفة الأَوْتَرِيُّ الشَّيشَانِي بعد رجوعه من العراق وقد أصبح شيخ الطريقة الكَسَنَزَائِيَّة، زعم أنه حضر ديوان الأولياء فالتقى فيه بالشيخ كنتا حاجي وعرض عليه الحجى إلى الشَّيشَانِ قائلاً: لقد أصبح لك في بلاد الشيشان وما جاورها أتباع كثيرون وهم معتقدون في حياتك ومنتظرون بفارغ الصبر مجيئك؟ فقال كنتا حاجي: لم يكن بعد. وبالفعل أصبح في الشيشان وفي داغستان لكنتا حاجي أتباع كثيرون وهم يصدقون بكل ما يحكى عنه وإن بلغ من الغرابة حدًا لا يستسيغه العقل ولا يجيزه الشرع، فإن قال أحد أمامهم أنه لا يصدق هذه الحكايات أصبح القائل عندهم وهابياً، أو قال أحد كلمة تنال منه أو تخط من قدره كادوا يقتلونه.

ومما يحكون عنه: أن الله عرض على كُنْتَا حَاجِي نصف ملكه قائلاً: أريد أن أقسم ملكي بيني وبينك مناصفة؟ فقال كُنْتَا حَاجِي: لا أرضى بذلك، لأنني أصبح عند ذلك شريكاً لك مساوياً وإنى أكره أن أكون مساوياً لك، ولكني أرضى أن تعطيني ثلث ملكك!!

إن أتباع كُنْتَا حَاجِي اليوم يعادوننا ويحاربوننا نحن الجماعة ويتعاونون في ذلك مع مَسْحَاذُوفَ رَئِيسِ الشَّيشَانِ ومع أَحْمَدَ قَادِيرُوفَ مفتي الشَّيشَانِ، لكننا مع ذلك لا نقابلهم بالمثل لأننا نعلم أنهم مساكين جهلة يجب أن يرشدوا ويعلموا قبل أن يعادوا ويحاربوا فإن لم يرشدوا هم أنفسهم لتأصلهم في الطريقة ولتمكن الشيطان من قلوبهم فعسى الله أن يخرج من أصلاهم من يرشُد من أولادهم والله على كل شئ قدير.

٤٧ - ولي يختم القرآن في اليوم (٣٦٠) ألف ختمة

ومن الأولياء من كان يختم القرآن ٣٦٠ ألف ختمة في اليوم والليلة ^(١).

(١) طبقات الشعراني: ١/١٢٨.

أقول: هذا الكلام لولا أن العقول قد خدرت فكراً وأن القلوب قد طبع عليها بطابع الجهل وقلة الحياء ما كان ليصدق فيدون في كتب الكرامات فإن اليوم والليلة زمن يمتد (٢٤) ساعة أي (١٤٤٠) دقيقة، و(٣٦٠) ألف ختمة مقسوماً على (١٤٤٠) دقيقة يساوي (٢٥٠) ختمة في كل دقيقة، فأين العقول؟ وهذا إذا تفرغ له ولم يعمل شيئاً آخر من أكل وشرب ونوم وخروج إلى الخلاء وصلاة ونحوها، فإذا اعتبرت هذه الأعمال التي لا يخلو منها أي إنسان زاد عدد الختومات في الدقيقة.

قد يقول هنا قائل: إنكم تقيسون كل شيء حتى أعمال الأولياء بمقاييسكم المادية وتخضعونها لقوانينكم الأرضية الظاهرة وتسقطون بالكلية حساب الكشف والعلوم الدنية؟ فنقول إنها ليست مقاييس مادية إنها مقاييس شرعية أخذت من القرآن والحديث وكان يقيس بها الرسول ﷺ ومن قاس بغيرها من المقاييس أخطأ الشريعة وخرج من دائرة الإسلام، والعياذ بالله.

٤٨ - ولي يعرف الجنة قصراً قصراً ورأى الشمس في العجلة يجرها ملكان.

هذا الولي هو أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد... (وقال في وقت: والله أني لأعرف الجنة قصراً قصراً وأعرف النار حانوتاً حانوتاً وأعرف أصحابها في الدنيا واحداً واحداً).

وقال أيضاً كُشِفَ لي عن الشمس فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على العجلة في الفلك من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قال الراوي فقلت له: صف لي الملكين فقال: ملكان عظيمان هما كذا وكذا من مَحَلِّ لو نظر إليهما أهل الأرض لماتوا...^(١).

أقول: قارن بين قول الصوفي هذا وبين قول الرسول ﷺ: ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]. أما بالنسبة لجر الشمس فارتبط بين ما ذكر هنا وما ذكر في رقم .

٤٩ - ولي نسخ القرآن والسنة والإسلام.

قال الفقيه محمد بن الحسين البجلي رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: وقوفك بين يدي ولي لله كحلب شاة أو كشّي

(١) نشر المحاسن الغالية: ٧٦.

بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع أرباً أرباً!!! فقلت له حياً كان أو ميتاً؟ فقال: حياً أو ميتاً.

٥٠ - ولي صوفي تربى على خدمة الكلاب.

يروى صاحب "المواهب السرمدية" أن محمد بهاء الدين شاه نقشبند مؤسس الطريقة النقشبندية وصاحب مدرستها قال: صحبت الدرويش خليل... ثم أمرني بخدمة الحيوانات... حتى كنت إذا لاقاني كلب في الطريق وقفت حتى يمر هو أولاً لئلا أتقدم عليه ولم أزل كذلك سبع سنين ثم بعد ذلك أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الأمداد وقال (أي شيخه) إنك ستصل إلى كلب منهم تنال بخدمته سعادة عظيمة فاعتنمت نعمة هذه الخدمة ولم آل جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبة بشارته حتى وصلت مرة إلى كلب فحصل لي من لقائه أعظم حال فوفقت بين يديه واستولى عليّ بكاء شديد فاستلقى في الحال على ظهره ورفع قوائمه الأربع نحو السماء فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوهاً وحنيناً فرفعت يدي تواضعاً وانكساراً وجعلت أقول: آمين حتى سكت وانقلب.

ثم يذكر بعد هذا أنه وجد كذلك حرباءً فخطر له أن يطلب الشفاعة منها فرفع يديه فاستلقت على ظهرها وتوجهت إلى السماء وهو يقول (آمين) ^(١).

أقول: يا سبحان الله!! بخدمة الحيوانات بل الحيوانات النجسة التي يجب غسل الإناء من ولوغها سبع مرات إحداهن بالتراب وخدمة الحيوانات الزخّافة والمثلونة التي يضرب بها المثل على كثرة تقلب الإنسان وعدم ثباته على وعد وحالٍ يتقرب الإنسان إلى الله ويبلغ مقامات عالية وينال ولاية الله!!!؟؟؟

أي دين هذا؟ أو أي سر هذا؟ أو أي علم لديني هذا؟ يا عجباً لماذا لا نجد مثل هذا في الكتاب والسنة حتى يكون هذا "الخير العظيم" عاماً لكل من يعمل بالكتاب والسنة؟

يا سبحان الله! من سمع بأن الكلب والحرباء يستلقيان على ظهورهما ويرفعان قوائمهما عندما يريدان الدعاء؟ أو عندما يؤمّنان على دعاء إنسان؟ ولماذا لا نراها نحن

(١) المواهب السرمدية: ١١٨-١١٩، الأنوار السرمدية: ١٣٠.

الآن في عصرنا وفي ديارنا تفعل هذا؟ هل هذا نوع خاص من الكلاب فانقرض أو إن الكلاب بينها أيضاً مشايخ ومريدون وعامة وأولياء وغير أولياء؟
ثم هذه الوسيلة التي يتقرب بها إلى الله أعني وسيلة خدمة الكلاب والتي لقنها الدرويش خليل لشاه نقشبند فتوسل بها بضع سنوات تثرى هل هي في جميع الطرق الصوفية أم هي في الطريقة النقشبندية فقط؟ لكننا لا نكاد نراها تستخدم عند النقشبنديين في ديارنا ديار شمال القافقاس، أنسخت ووجدت وسيلة أخرى أفضل منها أم نسيت؟ أم إن النقشبنديين لدينا لم يبلغوا هذا المقام بعد؟ أم عرفوا بطلانه؟ وكيف يبطل أفعال المعصومين الذين تقدست أسرارهم؟ ثم كيف وجدوا من بين سائر الحيوانات للخدمة الكلاب التي هي أنجس الحيوانات شرعاً؟ وإذا نظرنا إلى ما يروى شاه نقشبند نرى كيف أنه كان إذا لاقاه كلب وقف حتى يمر هو أولاً حتى لا يتقدم عليه؟ وهنا يرد سؤال: أي خدمة للكلب في هذا الوقوف، حتى لا يتقدم عليه؟ أما كان أفضل وأنفع للكلب لو أنه أطعمه اللحم والخبز وسائر أنواع الطعام؟ إنها والله تناقضات وتساؤلات عديدة لا نجد عليها جواباً فمن يجب عليها؟ وبماذا نعرف صحة الجواب لو وجدنا بين الصوفيين من يجب؟

وأما بالنسبة لطلب الشفاعة من الحبراء فلو أن شاه نقشبند هذا طلب (المدد) و(الشفاعة) من بشر وهو من هو بمقامه العالي الذي يستطيع معه على حد زعمهم الإحياء والإماتة لكان ذلك غير لائق بحاله وغير جائز في شرع الله، فكيف وهو يطلبهما من كلب وحرباء؟

وأما بالنسبة للكلب فيراه الجماعة في ميزان الشرع حيواناً مخلوقاً كسائر الحيوانات خلقه الله لخدمة الإنسان لا لكي يخدمه الإنسان حسب زعم شاه نقشبند وينفرد عن سائر الحيوانات بأنه نجس يجب غسل الإناء من ولوغه سبع مرات إحداهن بالتراب كما جاء في الحديث، ولا يجوز للمسلم اقتناء الكلب إلا لحاجة كالحراسة والصيد ونحوهما فقد جاء في الحديث: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبٍ صَيْدٍ وَلَا مَاشِيَةٍ وَلَا أَرْضٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ»^(١).

(١) رواه مسلم.

أما أن يدخل البيت ويتخذ فيه فمَنْهِي شرعاً قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(١).

بعد كل هذا انظروا يا أخوتنا في الإيمان هل يمتاز دين الصوفية الذين تسربلوا بسربال الإسلام عن دين الهندوس الذين يؤلهون البقر ويخدمونها كما يخدم هؤلاء الكلاب بل قد يكون حال أولئك أحسن ودينهم أنقى من هؤلاء لأن معبودهم بقر يؤكل لحمه ويشرب لبنه ويظهر جلده بالدباغ، أما معبود هؤلاء فكلب لا يؤكل ولا يشرب لبنه ولا يظهر جلده بالدباغ ويمنع وجوده في البيت دخول الملائكة.

ولعل مفسري الصوفية للقرآن أدخلوا هذا النوع من الوسيلة في عداد الوسائل التي يتقرب بها إلى الله عند تفسير الآية ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. فإن لم يدخلوه كانوا غاشين لطريقتهم غير ناصحين لها، فما الذي يمنعهم من ذلك إذا كان محمد بهاء الدين شاه نقشبند مؤسس الطريقة النقشبندية توصل إلى ما وصل لاتباعه لهذه الوسيلة؟

وأقول خطاباً للنقشبنديين فينا: لقد أخطأتم في اختيار الطريقة حيث اخترتم طريقة تَرْبِيٍّ مَوْسِسُهَا على الكلاب والحرباء، ففكروا في أنفسكم قبل أن تُعْرِضُوا فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وطهر أمة الإسلام من خبث الصوفية آمين.

٥١ - الولي المضخة.

ولي تحده الناس أن يشرب بركة مملوءة بالماء (على سبيل كرامة تثبت ولايته) فقال املئوها ماء فملأوها فقام وقد أخذه الحال فوضع فمه في البركة وأخرج إحليله يخرج منه الماء يقول النبهي: "ولم يزل كذلك يدخل الماء في فمه ويخرج من إحليله إلى أن فرغت البركة وهي من أعظم كراماته فاعتقده الولي وغيره اعتقاداً عظيماً"^(٢).

(١) رواه الشيخان.

(٢) جامع النبهي: ٢/٢٢١.

أقول: قال رسول الله ﷺ: «مَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١)، وَقُلْ مَا شِئْتَ.

٥٢ - ولي يتعري أمام خطيبته وأبويها.

قال عبد الوهاب الشعراي في ترجمة أحد الأولياء: "... وكان يتكلم بما يستحي منه الناس عرفاً، وخطب مرة عروسة فرآها فأعجبته فتعري لها بحضرة أبيها وقال: انظري أنت الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك: بدنه خشن أو فيه برص أو غير ذلك ثم مسك ذكره وقال: انظري هل يكفيك هذا؟ وإلا فرما تقولي هذا ذكره كبير لا أحتمله أو يكون صغيراً لا يكفيك فتقلقي مني وتطلبي زوجاً أكبر آلة مني"^(٢).

يقول محمد أحمد لوح معقّباً على مثل هذه الكرامات: "لولا أنه يوجد في الأمة الإسلامية إلى اليوم جماهير غفيرة تدافع عن هذا الفكر الصوفي وتدعو إليه بحماس ما كنا لننقل مثل هذه السخافات والوقاحات، ولعل الواقف على هذا الفسق يعرف قيمة هذا الفكر الذي حقه أن يدفن ولا ينشر"^(٣).

٥٣ - ولي يرى مريده وهو يجامع زوجته.

قال الشيخ إسماعيل التونسي رحمة الله عليه خرجت أنا وجماعة من التونسية إلى زيارة الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه فلما وصلنا سلمنا عليه وجلسنا نتحاور في كرامات الأولياء ودرجاتهم فقال الشيخ: كل شيخ لا يعلم مريده كم ينقلب في الليل قلبه ما هو بشيخ، ولو أنه في مشرق الأرض أو مغربها فقلت في نفسي: هذا أمر صعب أنا أجامع زوجتي والشيخ ينظر إلي؟ فلما رجعت إلى بيتي هجرت زوجتي شهراً كاملاً فعلم الشيخ عدي بما أنا عليه، فوصى جماعة من الفقراء إنكم إذا توجهتم إلى منازلكم يتوجه أحدكم إلى التونسية ويقول لإسماعيل يحيى إلى عندي (هكذا)... فلما وصلت وسلمت عليه زجرني وانتهرني وقال: يا إسماعيل أيهما أحب؟ الشيخ

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) طبقات الأولياء: ١٥٩/٢.

(٣) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي.

يصر مريده على حلال أو على حرام؟ لا تعد إلى مثلها فقابلت أمره بالسمع والطاعة وانصرفت راجعاً^(١).

ملاحظة: "عدي بن مسافر هذا له أتباع هم اليزيديون عبدة الشيطان المقيمون في سنجار وما حوله وقد مضى على المسلمين قرون وهم يتخبطون في ظلمات هذه الأوهام الشيطانية أو الهذيانية، ولم يزل هؤلاء الكهان يعملون كهانتهم وسحرم لإبقاء هذه الأمة بعيدة عن إسلامها وعن وعيها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"^(٢).

٥٤ - ولي يؤدب بإحليله خدامه.

شيخنا الشيخ العمري الشاذلي الطرابلسي (مات سنة ١٣٢٢) أشهر أولياء هذا العصر وأكثرهم كرامات وخوارق عادات....

ومن كراماته رضي الله عنه ما أخبر به الحاج إبراهيم المذكور (إبراهيم الحداد من اللاذقية) قال: دخلت في هذا النهار إلى الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري ومعنا خادمه محمد الدبوسي الطرابلسي وهو أخو إحدى زوجات الشيخ، ولم يكن في الحمام غيرنا فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق العادات وأغربها، وهي أنه أظهر الغضب على خادمه محمد هذا وأراد أن يؤدبه، فأخذ الشيخ إحليل نفسه بيديه الاثنتين من تحت إزاره فطال طويلاً عجيباً بحيث انه رفعه على كتفه وهو زائد عنه وصار يجلد به خادمه المذكور والخادم يصرخ من شدة الألم فعل ذلك مرات ثم تركه وعاد إحليله إلى ما كان عليه أولاً ففهمتم أن الخادم قد عمل عملاً يستحق التأديب فأدبه بهذه الصورة العجيبة، ولما حكى ذلك لي الحاج إبراهيم حكاه بحضور الشيخ وكان الشيخ واقفا فقال لي الشيخ: لا تصدقه ثم أخذ بيدي بالجبر عني ووضعتها على موضع إحليله فلم أحس بشيء مطلقاً حتى كأنه ليس برجل بالكلية... فرحمه الله ورضى عنه ما أكثر عجائبه وكراماته^(٣).

أقول: حقاً ما أكثر عجائبهم ولكن ليست كرامات بل ضلالات وخرافات. وعلى القارئ اللبيب أن يبحث في كتب السيرة وقصص السلف الصالح عما يماثل

(١) جامع النبهاني: ٢/ ٢٩٩.

(٢) الكشف عن حقيقة التصوف: ٤٦١.

(٣) جامع النبهاني: ٢/ ٣٩٦.

هذه من الحكايات حتى نقول أن للصوفية أسوة في السلف الصالح وأن كل شيء عندهم مضبوط بالكتاب والسنة، أو يجد لها التأويل المناسب وإلا فقد ارتكب الشيخ عدة مخالفات:

- (١) كشف العورة واللعب بها بمنزلة سوط التأديب.
 - (٢) الكذب لأنه إما أن يكون الخادم كاذباً أو يكون الشيخ كاذباً وذلك عندما قال (لا تصدقه).
 - (٣) جعل الآخر يلمس مكان عورته.
- ٥٥ - ولي يحسس على مقعدة امرأة أجنبية.**

ومنهم الشيخ علي أبو حُوْدَّة... وكان من أرباب الأحوال وكان من المَلَامَتِيَّة... وكان يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصداً... وكانت حُوْدَّة سيدي علي من الحديد وكانت زنتها قنطاراً وثلاثاً، لم يزل حاملها ليلاً ونهاراً... وما رآه أحد يصلي مع الناس إلا وحده، وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه وحسَّسَ على مَقْعَدَتِهِ سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس^(١).

أقول: مثل هذه الأشياء الوقحة والمخالفات تقول الصوفية: إنها خيالات وصور لا حقيقة، ومن أراد التحقيق من غير الصوفيين فليفعل ذلك، أما تعاطي أسباب الإنكار قصداً فهذا من سلوكيات الصوفية، وأحد أساليب الوصول إلى الله عندهم، ومن سأل لم؟ أو اعترض حرم الوصول وحرم الخير كله والعياذ بالله.

ولكن ليس العجب من أنهم يفعلون هذه الوقاحات بل العجب كل العجب من أن كُتِّبَ الصوفية حسبوها كرامات وحسبوا أصحابها أصحاب كرامات وأولياء الله، إلى هذا الحد انقلب المعروف عندهم منكراً والمنكر معروفاً، اللهم سلم آمين.

٥٦ - ولي يؤيد اللواط ويدافع عنه.

إبراهيم النَّبَّيْتِيُّ المجذوب الصاجي... من كراماته... قال الحمصاتي: وقفت أصلي في جامع المرأة فدخل علي رجل من الجند ومعه أمرد وقصد به جهة المراحيض

(١) طبقات الشعرائين: ١٣٥/٢، وجامع النبهاني: ٣٧٢/٢.

فتشوشت في نفسي وقلت: ضاقت عليه الدنيا وما وجد إلا الجامع (يعني: ليعمل فيه الفاحشة مع الغلام الأمرد)، ولم أنطق بذلك فقال لي إبراهيم المذكور: ما فضولك؟ وما أدخلك يا كذا وكذا؟ وسبني وشتمني وقال: لا تعترض!! ومالك وذاك؟ إلى غير ذلك^(١).

أقول: لعل القارئ يتأمل أسباب انحطاط الأمة الإسلامية، هل بعد مثل هذا يسعنا إلا أن نقول: وعلى الإسلام وعلى الكتاب والسنة السلام.

٥٧ - ولي يجز السفينة بخصيتيه.

ومنهم الشيخ عبيد... كان مثقوب اللسان لكثرة ما ينطق به من الكلمات التي لا تأويل لها، وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب فوَحَلَتْ فلم يستطع أحد أن يزحزحها فقال الشيخ عبيد: اربطوها في بَيْضِيَّ بجبل وأنا أنزل أسحبها فسحبها ببعضيته حتى تخلصت من الوحل.

مكث في خلوة بغيظ خارج باب البحر أربعين لا يأكل ولا يشرب وباب الخلوة مسدود وليس له إلا طاق يدخل منه الهواء، مات في مصر بعد سنة ٧٩٠هـ^(٢).

أقول: نَعَمْ القاطرة الشيخ لو كان في متناول كل واحد، وصنيعه هذا يدل على أن أقوى عضو في جسده هو البيض، ولكن يبقى سؤال هل ربطهما بنفسه أم ترك الآخرين بمسكونها ليربطوا بها الحبل؟ ثم من حله عنها؟ وأين قام برجليه حين جر السفينة؟

٥٨ - ولي صوفي فاق الأولياء جميعاً.

ومنهم سيدي علي وحيش من مجازيب النجارية رضي الله عنه كان رضي الله عنه من أعيان المجازيب أرباب الأحوال... وله كرامات وخوارق... وأخبرني محمد الطنخي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ وحيش رضي الله عنه يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطأ (أي دور العهارة) وكان كل من خرج (أي من دار العهارة) يقول له: قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج فيشفع فيه، وكان يحبس بعضهم اليوم واليومين ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعته...

(١) جامع النبهاني: ٤١٤/١.

(٢) جامع النبهاني: ٤٦/٢.

وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة ويقول له: أمسك رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبي شيخ البلد تَسَمَّرَ في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة. وقد أخبرت عنه سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه فقال: هؤلاء يُخَيَّلُونَ للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة^(١).

أقول: أكان رسول الله ﷺ يفعل هذه الأفعال ولو تخيلاً؟ أكان صحابته الكرام والأئمة الأجلة يفعلونها؟ لا، والله، ما كانوا يفعلونها بل كانوا مثلاً للطهر والعفاف والورع والتقوى ثم أية حاجة في هذه التخيلات؟ أليس أفضل وأليق بحال المسلم أن يتعد ويتنزه عن مواطن الريبة، وأفعال التهمة حتى لو كانت تخيلاً لا حقيقة؟ ومن يدري هل هي تخيل أم هي حقيقة؟ بل هي حقيقة وهي الإباحية التي هي مذهب الصوفيين الواصلين وإن سماها محمد بن عنان وأضرابه تخيلاً تبرئة لساحة زملائه وسترا لحالهم عن سائر الناس.

هذه نماذج قليلة لأولياء الصوفية نقلت من كتب القوم، وهي غيض من فيض وقطرة من بحر مما جاء في كتبهم من ذكر الأولياء وكراماتهم وكشفاتهم وعلومهم اللدنية، ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر ولو أردت لزدت حتى تصبح مجلدات ولكن رأيت فيها كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأقول: إن كان هؤلاء ومن على شاكلتهم هم الأولياء المُحَبَّبِينَ إلى الله وكانت هذه الشذوذات هي الطريق الموصول إلى الله وإلى الولاية الحقّة فلا يشكل على أحد لماذا أصيب المسلمون بهذا التأخر والانحطاط والفساد.

ويقول محمود عبد الرؤوف القاسم تعليقاً على هذه الحكايات: هذه الكشف والكرامات والعلوم اللدنية تكشف لنا عن سبب النكسة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية بعد أن بعثها الله تلك البعثة الرائعة لتكون سيدة التاريخ ولتقيم شريعة الله في الأرض حتى إذا ظهرت الصوفية وانتشرت ضربت على الأمة غشاء كثيفاً من الجهل والضلال والانحراف عن الإسلام... وسيقول لك المتصوفة: هذه القصص والكرامات والعلوم

(١) طبقات الشعراني: ١/١٥٠.

اللدنية لها تأويل فنجيبهم: هذه خدعة باطلة مأكرة تدل على أن القوم يكيّدون للإسلام ويضمرون له الشرور^(١).

(١) الكشف عن حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ: ٤٤٣.

(٦٨) خَتَمُ الْوَلَايَةِ

الصُّوفِيَّةُ: يعتقدون بختم الولاية، ومعناه انقطاع الولاية على شخص بحيث يكون هو آخر الأولياء وخاتمهم فلا يظهر ولي بعده تشبيها له بختم النبوة فكما أن خاتم الأنبياء هو آخر الأنبياء الذي لا نبي بعده، فكذلك خاتم الأولياء هو آخر الأولياء الذي لا ولي بعده.

إن ختم الولاية هو عقيدة مسلمة عند الصوفية من حيث المبدأ وبقي تعيين من هو الولي الخاتم.

لقد ادعت ختم الولاية مجموعة كبيرة من مشايخ الصوفية كل منهم يدعى أنه هو خاتم الأولياء ليطمئذ هو على الآخرين ويثبت فضله على سائر الأولياء كما تميز خاتم الأنبياء على سائر الأنبياء.

فأول من ادَّعى ختم الولاية هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي، ويسمونه بالحكيم الترمذي، كان في أواخر القرن الثالث الهجري وهو مجهول سنة الولادة والوفاة، وهو الذي اخترع كلمة (ختم الولاية) وألف فيه كتاباً أسماه: "ختم الولاية". ومنهم ابن عربي، ومن قوله في إثبات ختم الولاية لنفسه:

بِنَا خَتَمَ اللَّهُ الْوَلَايَةَ فَانْتَهَتْ * إِلَيْنَا فَلَا خَتَمٌ يَكُونُ هَا بَعْدِي

ويقول أيضاً:

أَنَا خَتَمُ الْوَلَايَةِ دُونَ شَيْءٍ * لَوِثْنِي الْهَاشِمِيُّ مَعَ الْمَسِيحِ (١).

ومنهم الشيخ محمد وفا حيث يذكر الشعراني أنه أخبره ولده أنه هو خاتم الأولياء (٢).

(١) الفتوحات: ٧١/٤.

(٢) الطبقات: ١٩/٢.

وممن ادعى أنه خاتم الأولياء الشيخ أحمد التجاني الفاسي المتوفي سنة ١٢٣٠هـ.
وممن ادعى ختم الولاية محمد عثمان الميرغني السوداني المتوفي سنة ١٢٦٨هـ.
ولو أنهم اقتصروا على مجرد هذا القول لكان الأمر ولكنهم قالوا: إن خاتم الأولياء
أفضل من خاتم الأنبياء من وجوه، وأن خاتم الأنبياء يقتبس من مشكاة خاتم الأولياء،
فالله المستعان.

الْجَمَاعَةُ: تقول إن ختم الولاية وخاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له ولا وجود له،
ولا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا ذكر في كتاب الله وسنة رسوله،
وهو ناتج من المفهوم الخاطئ للولاية والولي عند الصوفية.

أما المفهوم الصحيح لكلمة (الولي) فهو كل من كان مؤمناً تقياً وقد مر بيانه
مفصلاً في باب "الأولياء" برقم (٦٦)، فبناء على هذا يكون خاتم الأولياء آخر مؤمن
تقي من الناس، فإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا لم يجز لأحد أن يدعي
ختم الولاية لنفسه لأن الإيمان لم ينقطع بعد والمؤمنون لا زالوا متوفرين، والله وحده هو
العالم بمن يكون آخر مؤمن تقي فيكون هو خاتم الأولياء.

وإذا نظرنا في دعاوى أولئك المشايخ الكبار العارفين الأقطاب للصوفية رأينا أن كل
واحد منهم يكذب الآخر لأنه إذا ادعى الحكيم الترمذي في أواخر القرن الثالث الهجري
ختم الولاية كان هو على حد قوله آخر ولي، ثم إذا جاء بعده ابن عربي وادعى ختم
الولاية كان صنيعة تكديماً للحكيم الترمذي وإثباتاً لختم الولاية لنفسه وقس على هذا
من جاء بعدهما. فأأي هؤلاء الخواتم نصدق ونكذب الآخرين؟ وبأي دليل؟.

لا شك بعد كل هذا أن دعوى ختم الولاية هي من الكفر الصريح الذي لا يجوز
أن يماري فيه مؤمن يعي عن الله وعن الرسول ﷺ ولا سيما إذا انضاف إليه الزعم
بتفضيل خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

ونص ابن تيمية رحمه الله تعالى على كفر من زعم ذلك.

(٦٩) تَفْضِيلُ الْوَلِيِّ عَلَى النَّبِيِّ

الصُّوفِيَّةُ: أو بعضهم يفضلون الولي على النبي والرسول ويزعمون أن مرتبة الولي أعلى من مرتبة الرسول وأنه يعطى من العلوم ما لم يعط النبي. فمن نصوصهم في ذلك قول أبي يزيد البسطامي: "خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله" ومنها: قول شاعرهم:

مَقَامُ النَّبُوءَةِ فِي بَرَزَخٍ * فَوْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ

شرحه أبو المواهب الشاذلي فقال: يعني أن مقام النبوة يعطى الأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يعطى تبليغ ما أمر الله به العباد، ومقام الولاية يعطى الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص^(١).

عكس شاعرهم في هذا البيت مراتب الرسالة والنبوة والولاية فرتبها على خلاف ما عند أهل السنة والجماعة، فالرسالة عند أهل السنة والجماعة أعلى المراتب التي يعطى الإنسان تليها مرتبة النبوة وأما الولاية فهي أدناها، فعكس الصوفية هذه المراتب وجعلوا أدناها أعلاها وأعلاها أدناها.

وزعم ابن عربي أن الولي خير من النبي فقال: لأن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي يأخذ بواسطة عن الله، ولأن الولي قاعد في الحضرة الإلهية والنبي مرسل إلى قوم، ومن كان في الحضرة أفضل ممن يرسله صاحب الحضرة.

ويقول ابن عربي في تفضيل الولاية على الرسالة والنبوة: ان الله لم يَسَمِّ بالنبي ولا بالرسول ولكنه تسمّى بالولي، ولعله يقصد الآية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

(١) الطبقات الكبرى: ٦١/٢.

ويقول الجيلاني " أنتم معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب، وأوتينا أي نحن الأولياء ما لم تَقْتُوا..

ويقول التجاني: وقال الشيخ الأكبر يعني ابن عربي آتاني الله علماً لم يعلم به آدم فمن دونه ويريد بهم النبيين والمرسلين ^(١).

أقول تعليقاً على قول ابن عربي الأخير: لعله يقصد بهذا العلم الذي أوتي ان صحت تسميته علماً "وحدة الوجود".

الْجَمَاعَةُ: ترى عقيدة الصوفية في تفضيل الولي على النبي وأنه يؤتى من العلوم ما لم يؤت النبي كفراً وإلحاداً وزندقة وضلالة، فعقيدة أهل السنة والجماعة أن أفضل الناس على الإطلاق أَوْلَهُمْ وَآخِرُهُمْ هو نبينا محمد ﷺ، يليه باقي أولى العزم من الرسل وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويليهما في الفضل سائر الرسل ثم سائر الأنبياء الذين ليسوا برسول ثم سائر صحابة النبي محمد ﷺ، ويليهما جميعاً سائر الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ولا صحابة.

يقول أبو جعفر الطحاوي في رسالته:
(وَلَا تُفْضِلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَتَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ) يعني الذين ليسوا بأنبياء.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في الرد على أمثال هذه السخافات والحماقات:
"قد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المُنْعَمَ عليهم: أربع مراتب فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]" ^(٢).

فهؤلاء المراتب الأربع المذكورة في الآية النبيون والصدِّيقون والشهداء والصالحون كلهم أولياء الله ولكن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الذكر، فالنبي أفضل من الصِّدِّيقِ

(١) جواهر المعاني: ٢٤٦/١.

(٢) الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

وتأليته والصديق أفضل من الشهيد وتأليه الشهيد أفضل من الصالح الذي ليس
بشهادته، هذا ما عليه أهل العلم لا ما تقوله الصوفية.

(٧٠) الْكِرَامَاتُ

بين الصوفية وبين أهل السنة والجماعة فرق كبير في مفهوم الكرامة وفي تعريفها. **الصُّوفِيَّةُ**: يرون كل أمر خارق للعادة خارج عن طوق البشر كرامة كالسير على الماء والطير في الهواء وإبراء المرضى وإحياء الموتى وطي المسافات بلمح البصر والإخبار ببعض المغيبات ويدخلون في الكرامة كل فسق وكل فجور وكل قذارة وكل شذوذ عن الحال المعتدل، فدائرة الكرامات عند الصوفية واسعة جداً فكل هذه الأشياء عندهم كرامة دون قيد ولا ضابط وكل من ظهرت على يده فهو ولي دون قيد ولا ضابط. إن **الصوفية** يهتمون بالكرامات والخوارق أشد الاهتمام ويعولون كل التعويل عليها ويعتبرونها معياراً لمعرفة الولي من غير الولي فالكرامة والولاية عند الصوفية متلازمان فلا ولي عندهم بدون كرامة ولا كرامة بمفهومهم لغير الولي ويتهمون الجماعة بأنهم ينكرون الأولياء والكرامات وهم في ذلك كاذبون. وسأذكر موقف الجماعة من الكرامات والضوابط التي لا بد من توفرها لجواز اعتبار الخوارق كرامات.

أما **الْجَمَاعَةُ**: فالكرامة عندهم أمر خارق للعادة ظهر على يد رجل مسلم مؤمن تقي صالح إكراماً له من الله بشروط سوف تذكر، فليس كل خارق للعادة عند الجماعة كرامة ولا كل من جاء بأمر خارق ولياً لله إلا إذا توافرت شروطها، فلا تلازم بين الولاية والخوارق فقد يكون الشخص من أولياء الله المقربين وليس له من الخوارق شيء كما كان معظم الصحابة كذلك وقد تظهر على شخص خوارق الأمور وليس له من الولاية نصيب كشأن الدجالين والمشعوذين والسحرة والكهنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات لا ينقصه

ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه" (١). ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "ذكر تعالى أن أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم المؤمنون المتقون ولم يشترط أن يجرى على أيديهم شيء من خوارق العادة فدل على أن الشخص يكون ولياً لله وإن لم يجر على يديه شيء من الخوارق إذا كان مؤمناً تقياً" (٢).

وبهذا علمنا أن لا دور للخوارق في ثبوت فضل شخص عند الله وولايته له، فقد يكون الذي لا شيء له من الكرامات أفضل عند الله وأكرم عليه ممن له كرامات جمّة، والمُعَوَّل في ذلك على الإيمان والتقوى ومدى الاستقامة على طريق الحق. لقد قلنا أنه ليس كل أمر خارق للعادة يكون كرامة إلا إذا توافرت له شروط وهذه الشروط هي:

(١) أن لا يكون الخارق للعادة في نفسه معصية ككشف العورة والتغوط في الإناء على مرأى من الناس وضخ الماء بإحليله، وجر السفينة بالخصيتين، وإتيان الحمير والتحسس على مقاعد المرد والنساء ونحوها فهذه الأشياء وإن كانت بعضها خارقة للعادة فليست بكرامة لعدم توافر الشرط الأول.

(٢) أن يكون صاحب الكرامة مستقيماً على الحق سائراً على طريق الهدى بعيداً عن الدعاوى والكذب والتكلف وطلب الشهرة لأن ذلك كله يقدر في النية والقصد.

(٣) أن يكون الخارق ظهر لنصرة الدين وتأييد المسلم وللحاجة إليه، فلو حصلت على يد إنسان خوارق تشبه الكرامات ولم تكن الغاية من حصولها أمراً يحبه الله ويرضاه، أو كانت دون الحاجة إليها لم تكن له كرامة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك" (٣).

(١) مجموع الفتاوى: ٣٢٣/١١.

(٢) تيسير العزيز الحميد: ٣٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٧٤/١١.

وقال أيضاً: "وجميع ما يؤتیه الله لعبده من هذه الأمور يعني الخوارق إن استعان به على ما يحبه الله ورسوله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع درجته ويأمره الله به ورسوله ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله ورسوله وعلت درجته، وإن استعان به على ما نهي الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب" (١).

وهنا بعد قول ابن تيمية يقول محمد أحمد لوح: "وهذا الضابط مهم فإن كثيراً من أصحاب الخوارق إنما يستخدم خوارقه فيما لا يرضي ربه فيستعملها مطية للدهاء والمكر وكسب تقديس الناس له ورفعته فوق منزلته وإن كان ذلك الخرق مجرد خرق للعادة دون أن تتعلق به فائدة أصلاً" (٢).

وقال ابن تيمية: "إن الكشف والتأثير إما أن يكون فيه فائدة أو لا تكون فإن لم يكن فيه فائدة كالاطلاع على سيئات العباد وركوب السباع لغير حاجة والاجتماع بالجن لغير فائدة والمشى على الماء مع إمكان العبور على الجسر فهذا لا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو بمنزلة العبث واللعب" (٣).

وقال العلماء: من ظهر على يده خارق فإنه يوزن بميزان الشرع فإن كان على الاستقامة كان ما ظهر على يديه كرامة ومن لم يكن على الاستقامة كان ذلك فتنة كما يظهر على يدي الدجال من إحياء الميت، وما يظهر من جنته وناره، فإن الله يضل من لا خلاق له بما يظهر على أيدي هؤلاء، وأما من لم يتمسك بالشرع الشريف فإنه لو روي من هؤلاء من يطير في الهواء أو يمشي على الماء فإنه يعلم أن ذلك فتنة للعباد (٤). هذه هي شروط الكرامة وضوابطها عند أهل السنة والجماعة فإن توفرت كانت كرامة أكرم الله بها عبده الصالح وإن لم تتوفر لم تكن له كرامة بل هي فتنة أعطاها الله صاحبها ليفتن بها الناس أو هي شعوذة أو سحر وكهانة أو شيء يعمل به بمساعدة الجن فإنهم يساعدون من توغل في الضلال والكفر والشرك واستغاث بهم فيطير الإنسان

(١) مجموع الفتاوى: ٢٩٩/١١.

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: ٢٩٢/٢.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣٢٨/١١.

(٤) نقض المنطق: ١٥.

بمساعدة الجن، أو يمشي على الماء أو يطوى المسافات الطويلة بمساعدة الجن أو يخبر ببعض المغيبات بإخبار الجن، ومنه ما نرى من أن بعض الناس يضربون أبدانهم بالشيش فلا يتأثرون به أو يلتقمون النار ويقضمون الزجاج بأسنانهم ونحو ذلك فلا تضرهم فهذه الأشياء ليست من الكرامة في شئ فلا ينبغي للمؤمن أن يعتر بها فيحسبها كرامة ويحسب صاحبها ولياً من أولياء الله.

هذا وإن الجماعة لا تعتمد على الخوارق والكشوفات والكرامات ولا تجعلها الأمر الأساسي في دينهم كما جعلته الصوفية بأن ألفوا كتباً في ذكر كرامات أوليائهم ولا يجعلون همهم طلب الكرامات برياضات روحية وجوع وسهر وخلوات في الخربات والوديان والأماكن المظلمة، حتى لو ظهرت لهم كرامات وخوارق عادات أخفوها ولم يذيعوها ولم يستبشروا بها مخافة أن تكون مكرراً بهم من قبل الشيطان الخبيث أو استدراجاً من الله.

إذا تقرر هذا علم أن الجماعة لا تنكر الكرامات كما يتهمهم بذلك الصوفية بل هم معتقدون أن الكرامات ثابتة ولكن بشروط وضوابط ذكرناها، فالجماعة في أمر الكرامات وسط بين من ينكرها لغير الأنبياء كالمعتزلة ومن دار في فلکهم وبين من يعتقد أن كل خارق للعادة كرامة وكل من ظهر على يديه ولى الله دون شرط الإيمان والتقوى والصلاح، فظهر بطلان قول الصوفية وتهمهم للجماعة.

(٧١) الْحَضَرُ

الصُّوفِيَّةُ: تعتقد في الخضر عليه السلام عقائد غريبة مخالفة للكتاب والسنة ومناقضة للعقل. فقد زعموا أن الخضر حيّ إلى أبد الدهر وأنه صاحب شريعة باطنية وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة الظاهرية، وأنه ولي وليس بنبي، وأن علمه علم لدني موهوب له من الله بغير وحي الأنبياء وأن هذه العلوم تنزل إلى جميع الأولياء في كل وقت، قبل بعثة محمد ﷺ وبعد بعثته، وأن هذه العلوم أكبر وأعظم من العلوم التي مع الأنبياء بل علوم الأنبياء لا تضاهيها ولا تدانيها فكما أن الخضر وهو ولي فقط في زعمهم كان أعلم من موسى كذلك الأولياء من أمة محمد هم أعلم من محمد ﷺ (هكذا؟) لأن محمداً عالم بالشريعة الظاهرة فقط والولي عالم بالحقيقة الصوفية وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشريعة.

وزعموا كذلك أن الخضر يلتقي بالأولياء ويعلمهم هذه الحقائق ويأخذ لهم العهود الصوفية وأن الحقائق الصوفية تختلف عن الشريعة المحمدية ولذلك فلكل ولي شريعته المستقلة، فما يكون معصية في الشريعة كشرب الخمر والزنا واللواط قد يكون حقيقة صوفية وقربة إلى الله حسب العلم اللدني الباطني.

ومنهم من زعم أن الخضر لا يصلي لأنه على شريعة خاصة ومنهم من زعم أن الخضر يصلي ولكن على المذهب الشافعي لكن صوفياً آخر يزعم أنه رأى الخضر يصلي ولكن على المذهب الحنفي.

وأمام هذه الأقوال المتضاربة للصوفية نبقي في حيرة لا ندري أي الثلاثة نصدق؟ أمّن يقول إنه لا يصلي؟ أمّن يقول انه يصلي على المذهب الحنفي؟ أمّن يقول انه يصلي على المذهب الشافعي؟ ونزداد حيرة إذا تذكرنا أن علوم الصوفية علوم لدنية جاءت من لدن الله لأخص عباده ويستحيل أن تكون فيها شائبة كذب؟

ولم تكتف الصوفية بما قلنا بل جعلوا في كل مكان في الأرض تقريباً مكاناً زعموا أن الخضر جلس فيه أو رآه صوفي عنده، ولذلك أصبح له في كل أرض من أراضي الإسلام مقام ومزار تذبح فيه الذبائح وتقدم فيه القرابين وينتفع بذلك الغشاشون والكذابون. ويبدو أن أول من ألف في نسبة العلوم الصوفية المبتدعة إلى الخضر الحكيم الترمذي الذي عاش في القرن الثالث الهجري حيث ذكر في كتابه (ختم الولاية) أن الخضر كان منذ بدء الخلق قد عاين شأن الصوفية وأوليائهم فأحب من ذلك الحين أن يدركهم فأعطى الحياة حتى يبلغهم ويعيش معهم فيحشر في زمرتهم ويكون بذلك تبعاً لمحمد ﷺ

وذكر أن الخضر رجل من قرن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وذي القرنين وكان في مقدمة جنده حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاته وأصابها الخضر^(١).

ومنذ ذلك الحين أصبح الخضر رمز التصوف ومرجع القصص الصوفية وتشريعاتهم وصارت دعاوى لقيا الخضر مشهورة عندهم، وليس منهم صغير أو كبير ممن دخل في طريقهم إلا وادعى لقيا الخضر والأخذ عنه فما من صوفي يريد تشريع ذكر من الأذكار أو صلاة من الصلوات إلا ويدعي أنه لقي الخضر وأنه هو الذي أعطاه إياه، وما من أحد منهم يرتكب جريمة خلقية أو جنائية أو يهمل فريضة من فرائض الله فينتقده أحد إلا ويواجه منتقديه بأن صاحب الظاهر ليس من حقه أن ينتقد صاحب المقام الخصري، فمتى ما اشتهر شخص منهم بمخالفة الأوامر والنواهي الشرعية قالوا عنه كان خصري المقام أو كان يسير على سنن الخضر.

ففي ترجمة الشيخ على النبتيني يقول الشعراني: "كان يجتمع بالخضر عليه السلام وذلك أول دليل على ولايته فإن الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية"^(٢).

وقال الشيخ المذكور: "ولا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص الا إن اجتمعت فيه ثلاث خصال فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط ولو كان على عبادة الملائكة: الخصلة

(١) ختم الولاية: ٣٦٢.

(٢) طبقات الشعراني: ١٢٥/٢.

الأولى أن يكون العبد على سنته في سائر أحواله، والثانية: أن لا يكون له حرص على الدنيا، والثالثة: أن يكون سليم الصدر" (١).

ومن أطرف القصص ما ذكره أحمد الفاروقي السرهندي في كتاب (المنتخبات) أنه رأى الخضر والياس عليهما السلام حضر عنده في حلقة الدرس وأن الخضر قال له إنهما من عالم الأرواح وإنهما يتشكلان بما شاءا من الصور. وأنه (أي السرهندي) سأل الخضر هل تصلون بمذهب الشافعي فقال له الخضر: لسنا مكلفين بالشرائع (هكذا؟؟!!) ولكن لأن قطب الزمان شافعي فنحن نصلي وراءه على مذهبه الشافعي... ويعلق السرهندي على ذلك فيقول: إن كمالات الولاية مختصة بالمذهب الشافعي، وأما كمالات النبوة فهي من اختصاص المذهب الحنفي ولذلك عندما ينزل عيسى بن مريم فإنه يصلي ويعمل بالمذهب الحنفي!!!

ويبدو أن الكشف السابق لمن يسمونه بالعالم الرباني أحمد السرهندي لم يطلع على كشف الشعراني الذي زعم أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم بعد صلاة الصبح يتعلم منه الشريعة فلما مات (أي أبو حنيفة) سأل الخضر ربه أن يرد روح أبي حنيفة إلى قبره حتى يتم له علم الشريعة وأن الخضر كان يأتي إليه كل يوم على عادته يسمع منه الشريعة داخل القبر وأقام على ذلك خمس عشر سنة حتى أكمل علم الشريعة (٢).

فانظر أيها القارئ اللبيب هذا التناقض العجيب في كلام الصوفية، فهذا الخضر المزعوم الذي كان وما يزال ولن يزال حياً لماذا لم يأت إلى النبي ﷺ ولم يأخذ عنه الشريعة بدون واسطة؟ ولماذا لم يتلمذ على الخلفاء الراشدين وهم أعلم الناس بالشريعة؟ ولماذا توقف عن تعلم الشريعة وانتظر حتى يظهر أبو حنيفة بمذهبه وآرائه التي قد يصيب فيها وقد يخطئ، وقد قال أبو حنيفة رحمه الله: "دعوا قولي لقول أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أعلم بالتنزيل، فإذا كان أبو حنيفة يأمرنا أن نترك قوله لقول رسول الله ﷺ وقول أصحابه فكيف يترك الخضر المزعوم تعلم الشريعة عن الرسول ﷺ وأصحابه وينتظر قروناً

(١) الطبقات الكبرى: ١٠٩/٢.

(٢) معارج الألباب: ٤٤.

حتى يأتي أبو حنيفة ليتعلم منه الشريعة؟ وكيف أصبح محتاجاً إلى شريعته بعد أن كان في غنى عنها طوال حياته التي سبقت؟
ثم أي تلميذ بليد هذا الخضر الصوفي حتى يعمكث مع أبي حنيفة كل حياته ولا يستطيع أن يأخذ عنه كل علمه الظاهر الذي هو أهون وأقل بكثير من علم الباطن ويدعو الله أن يظل أبو حنيفة حياً في قبره ليستكمل الدراسة ويستمر في التردد على القبر يومياً لمدة خمس عشرة سنة ليتعلم علم أبي حنيفة عدا عشرات السنين قبل ذلك؟

وكيف يكون هذا الخضر الصوفي الذي لا علم عنده إلا أن يتعلمه على أبي حنيفة كيف يكون هو مُدِّ الأُولياء ونقييهم وأخذ العهود ومرشد الأنام وملقن الأذكار؟ وماذا كان يفعل هذا الخضر الصوفي لو لم يولد أبو حنيفة ولم يظهر بعلمه إلى الوجود؟

وأعجب منها ما زعم الحصفكي الحنفي في مقدمة كتابه (الدر المختار) أن الخضر أودع أوراق المذهب الحنفي في نهر جيحون إلى وقت نزول عيسى عليه السلام حتى إذا نزل أخذ هذه الصحائف وتعلم منها المذهب الحنفي حتى يحكم به في آخر الزمان. وهنا يتبادر إلى الأذهان السؤال: لماذا أودع الخضر الأوراق في نهر جيحون؟ أليس هو نفسه يبقى إلى نزول عيسى فيعلمه بنفسه؟ ولماذا في نهر جيحون؟ هل خزانته في نهر جيحون؟ أم هو مكان خزن الأوراق؟ وأي حاجة إلى إيداعها في نهر جيحون؟ أليست كتب الحنفية متوفرة كثيرة في الأرض؟ هل تطمس كلها إلى هذا الحين أم تزال؟ من يجيبني على هذه الأسئلة؟ ولا أرى هذا الكلام الذي ربط بين الخضر الصوفي وبين المذهب الحنفي وأوراقه اختلقه صاحبه إلا للرفع من شأن المذهب الحنفي الذي ينتسب هو إليه ويتعصب له.

الجماعة: تقول إن الخضر الصوفي المزعوم الذي ذكروا من شأنه ما ذكروا ونسبوا إليه كل العلوم الدنية وجعلوه أصل الكشوف والأذكار الصوفية واعتمدوا على قصته مع موسى عليه السلام في عقائدهم المنحرفة هذا الخضر إنما هو خرافة لا حقيقة، ويختلف تماماً عن الخضر الذي ذكره الله في القرآن وقص علينا النبي ﷺ قصته، فذاك نبي موحد

مؤمن كان على علم من علم الله بالوحي عاش لوقته ومات لحينه وفعل ما فعل موافقاً للحق والشرعية.

أما بالنسبة لما يقال إن الخضر ما يزال حياً فالصواب الذي عليه المحققون أنه مات وأنه لم يدرك الإسلام، لأنه لو كان حياً لوجب عليه أن يأتي النبي ﷺ ويؤمن به ويجاهد معه ويتعلم منه ويصبح من أتباعه وأنصاره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

ولقول على بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ لِمَنْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ" (١).

فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد شمله هذا الميثاق، فلو كان حياً في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون معه وبين يديه يؤمن به وبما أنزل عليه وينصره ويحميه من أن يصل إليه أحد بمكرهه ويجاهد معه علماً بأن كل الأديان وكل الشرائع التي كانت قبل بعثة نبينا محمد ﷺ نسخت وألغيت ببعثة نبينا محمد ﷺ فلم يرد في الكتاب والسنة ولا في الأثر: أن الخضر جاء إلى النبي ﷺ والتقى به أو أنه بايعه أو أنه صلى معه أو أنه انضم إلى صفه في الجهاد أو أنه أرسل إليه رسالة، ولو حدث شيء من ذلك لكان هذا الخبر أوضح وأظهر من الشمس في وضوح النهار، فلما لم يحدث عُلِمَ أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ حياً، فكم مر على النبي ﷺ من ساعات حرجة في حياته ومعاركه مع المشركين ولم يقل أحد أن الخضر جاءه بجند أوليائه ينصره ويؤيده أو يخفف عنه.

فهذه معركة بدر نصر الله فيها نبيه ﷺ بملائكة أنزلهم كما ذكر القرآن لا بالخضر وهذه غزوة الأحزاب نصر الله فيها نبيه ﷺ بجنود أرسلهم الله لنصرة نبيه ولم يرهم ولم ترد كلمة واحدة تذكر الخضر ولا غير الخضر من أولياء الصوفية ولو تعريضاً. وكم حل بالمسلمين عبر تاريخ الإسلام مصائب لا تحصى ولم يحضرهم الخضر ولا غير الخضر

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦٥/١.

ليردها عنهم أو ليكشفها عنهم أو ليخففها عنهم، فهذا شعب شيشاني مسلم نفي في عام ١٩٤٤م إلى شمال كازاخستان وسيبيريا حيث هلك منهم جوعاً وبرداً أكثر من نصفهم ولم يأثم الخضر ولا غير الخضر حتى الشيخ كُنْثَا حَاجِي الْمُحَبَّبُ إلى صوفيتهم لم يأثم ليخلصهم من هذه المصيبة.

أُغِيب الخضر عن هذه المواطن المهمة العظيمة ويظهر لبعض أشخاص صوفية مشبوهة في القفار والخلوات وفي الأماكن الموحشة الخالية؟... يقول أحدهم: رأيت الخضر على جبل كذا، ويقول آخر: التقيت بالخضر على ساحل بحر كذا. وهكذا. إن الخضر لو كان حياً لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله، ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة، وتعليمه العلم، وإرشاده الخلق إلى التوحيد، ونشره الإسلام في أقوام ليسوا مسلمين، واستخدامه كل طاقاته وكراماته في إعلاء كلمة الله في الأرض، أفضل له بكثير وأنفع لنا بما لا يقاس من سياحته بين الوحوش في القفار والخلوات. إن هذا من أعظم تنقيصه والطنن فيه والعيب له.

إن المسلمين اليوم بما لديهم من علوم الكتاب والسنة وكتب الأئمة لفي غنى عن أن يوجد بينهم الخضر الذي هو في حاجة حسب زعم الصوفية إلى تعلم علوم الشريعة من أبي حنيفة حياً وميتاً، فليس بهم أي حاجة إلى الخضر وأمثاله في دينهم ودنياهم فقد ترك لهم نبيهم ﷺ ما يستغنون به عن أي شيء آخر وهو الكتاب والسنة، وقال لهم مؤكداً وجوب متابعتة في كل شيء: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ»^(١).

وقال أيضاً ﷺ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ»^(٢).

إن الحكايات التي تروى عن الخضر، والتي شحنت بها كتب الصوفية معظمها كذب وافتراء وبعضها مبني على ظن رجال مثل شخص رأى رجلاً في قفر أو فلاة فقال له كلمة ثم غاب عن النظر في لحظة بصر فظنه الخضر، أو قال: إنه الخضر فقد يكون هذا الذي رآه وقال إنه الخضر جنياً، أو كذاباً مشعوذاً أو ساحراً، وكيف يجوز تصديق قائل

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٣)، وهو في صحيح الجامع رقم (٤٣٦٩).

(٢) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان، وغيرها.

ذلك بلا برهان من الله؟ وهل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وأين للرائي أن المخبر له صادق لا كاذب؟

ذكر أبو حيان أن ابن دقيق العيد كان يخبر عن شيخ له أنه رأى الخضر وحده فقيل له: من أعلمه أنه الخضر؟ ومن أين عرف ذلك؟ فسكت (١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر دليلين عدهما أقوى الأدلة على عدم بقاءه:

الأول: عدم مجيئه إلى رسول الله ﷺ وقد كان واجباً عليه.

الثاني: انفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي (٢).

وخلاصة ما سبق: إننا علمنا علماً لا يتطرق إليه شك ولا ريب أن الخضر نبي من أنبياء الله تعالى أوحى إليه بأحكام خاصة وعلوم خاصة لم يكن موسى على علم بها قبل تفسير أسبأها، وأنه مات منذ عهد بعيد، ودعوى مقابله إما كذب من المدعي أو هو ما يلقي الشيطان على ابن آدم ابتغاء تضليله وصرفه عن طاعة شريعة النبي ﷺ بغية هدم الدين.

فوصيتي للمسلمين أن يكونوا على حذر من الصوفية وزخرف كلامهم وتصديق حكاياتهم حتى لا يقعوا في شرك الشيطان فيصبحوا بذلك أتباع الشيطان ومكذبين لقول الله وقول الرسول ﷺ وهم لا يدرون.

(١) البحر المحيط: ١٤٧/٦.

(٢) الزهر النضر: ٨٢.

(٧٢) الدِّيَوَانُ الصُّوفِيّ^(١)

الصُّوفِيَّةُ: لها أسطورة تحتل المكان الأول في مجال الأساطير تؤكد هذه الأسطورة أن في الوجود ديواناً باطنياً يَحْكُمُ فيه القطب الأكبر بما يشاء ويصرف هو ومن معه من أقطاب صغار أقدار الوجود، إنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الأقطاب أقدار الله دون أن تستطيع أية قدرة إلهية نسخ حكم لها، وقد وصف الدباغ هذا الديوان وفصل مهامه فترك له الحديث عنه

مكان انعقاد الديوان ومذهب قضاته

يقول الدباغ: "الديوان يكون بغار حراء فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الايمن والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة الأخرى والوكيل أمامه ويسمى قاضي الديوان ومع الوكيل يتكلم الغوث".

أقول: ترى لماذا كان الوكيل والأقطاب الأربعة مالكي المذهب؟ والجواب هنا واضح؛ لأن الدباغ الذي يصف الديوان مغربي، ومذهب مالك هو الغالب في المغرب فكان لابد من هذه العصية التي جعلت الدباغ يختار الوكيل والأقطاب الأربعة من جملة سبعة من المذهب المالكي، ولم يجعل لكل مذهب من المذاهب الأخرى إلا قطبا واحداً، هكذا التوزيع الإداري في شريعة الصوفية قسمة ضيزى، ولو أن المتكلم كان حنفياً لانعكس الأمر فجعلهم حتما حنفيين.

(١) نقلت هذا من كتاب هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ببعض تصرف مني وزيادة ومن كتب أخرى.

وسؤال آخر: على أي مذهب كان أولئك الأقطاب قبل مالك؟
وسؤال ثالث: أي حاجة بهؤلاء الأقطاب أن يتقيدوا بمذهب مالك ويكونوا أتباعاً له، وقد أوتي كل واحد منهم حسب زعمهم علوم الأولين والآخرين بل وعلوم اللوح والقلم بحيث إن علم مالك وغيره من أئمة المذهب قطرة في بحار علومهم؟ لا سيما وعلم مالك والأئمة هو العلم الذي يحلو لهم أن يسموه علم الظاهر وعلم الرسوم؟

أهل التصريف

يقول الدباغ: "والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته".

من يحضر الديوان؟ (أعضاء الديوان)

يقول الدباغ: ويحضره النساء وصفوفهن ثلاثة ويحضر بعض الكمل من الأموات، ويكونون في الصفوف مع الأحياء، والأموات حاضرون في الديوان ينزلون إليه من البرزخ يطبرون طيرا بطيران الروح، وتحضره الملائكة والجن، وفي بعض الأحيان يحضره النبي ﷺ وكلامه مع الغوث.

وأما ساعة الديوان فهي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ والأنبياء يحضرونه في ليلة واحدة هي ليلة القدر فيحضره في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون، ويحضره الملائكة الأعلى من الملائكة المقربين، ويحضره سيد الوجود معه أزواجه الطاهرات.

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين أعضاء في الديوان. يقول الدباغ: "وإذا حضر سيد الوجود ﷺ مع غيبة الغوث فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء، تارة كلهم وتارة بعضهم رضي الله عنهم أجمعين".

أقول: إن الديوان الذي يضم النبي ﷺ وأبا بكر ومن بعده هو طبعاً ديوان شرف واحترام ووقار فكان لابد للصوفية من ادعاء حضور هؤلاء في ديوانهم لتزيينه والرفع من شأنه، ولكن مع عظم شأن هذا الديوان قال الدباغ يقول عن نفسه: أيش هذا الديوان؟

والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري، وإنما يقام الديوان في صدري والسموات والأرض بالنسبة إلي كالموزونة في فلاة من الأرض^(١).
وأمام هذا القول للدباغ نقف متحيرين أيها نصدق؟ أنصدق الدباغ في ذهابه إلى الديوان الذي ينعقد في غار حراء؟ أم في كون الديوان وأوليائه في صدره؟ أم أن الديوان كله في كيسه وخياله لا في الخارج؟ وهذا الأخير هو الأقرب.

لغة أهل الديوان

يقول الدباغ: "ولغة أهل الديوان هي السريانية لاختصارها وجمعها للمعاني الكثيرة التي لا يمكن أدائها بمثل ألفاظها في لغة أخرى، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة والسريانية هي لغتهم (!) ولا يتكلمون العربية إلا إذا حضر النبي ﷺ أدباً معه".
أقول: لا ندري لماذا اختار الصوفية السريانية لغة للديوان ألتلبس على الناس لأنها لغة منقرضة لا توجد الآن إلا في بعض قرى من قرى سوريا، والعراق، أم لأن هذه اللغة كانت لأقوام اشتهروا بعبادة الجن والأوثان والكواكب فاقتبست الصوفية لغتهم مع اقتباس عباداتهم أم هذا كيد خفي يكيدونه بالعربية لغة القرآن والحديث؟.
أما قوله: ولا يتكلمون العربية إلا إذا حضر النبي ﷺ أدباً معه. وهنا يتوالت سؤال: هل من الأدب مع النبي ﷺ أن لا نتكلم بالعربي إلا بحضرته أم من الأدب أن نتعلم جميعاً اللغة العربية ونتكلم بها دائماً ونجعلها لغة مشتركة بين المسلمين من شعوب وأمم شتى بدلاً عن السريانية والروسية والإنكليزية والفارسية؟ والجواب إلى القارئ المنصف غير الصوفي.

عدد أجساد القطب الكبير

يقول الدباغ: "إن الصغير من الأولياء يحضره بذاته وأما الكبير فلا تحجير عليه"، يشير رضي الله عنه إلى أن الصغير إذا حضر غاب عن محله وداره فلا يوجد في بلده

(١) الإبريز: ٨/٢.

أصلاً؛ لأنه يذهب إليه بذاته، وأما الكبير فإنه يدبر على رأسه فيحضر ولا يغيب عن داره؛ لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور لكمال روحه تدبر له إن شاء ثلاثمائة وستة وستين ذاتاً، أي بعدد أيام السنة الكبيسة فله كل يوم إذا جسد جديد.

تقاتل الأقطاب

"وقد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضاً فإن كان غالبهم اختاروا أمراً وخالف الأقل في ذلك فإن الأقل يحصل فيهم التصرف السابق فيموتون جميعاً.

وقد اختلفوا ذات يوم في أمر فقالت طائفة منهم قليلة إن لم يكن ذلك بالأمر فلنمت فقالت الطائفة الكثيرة: فموتوا إن شئتم فماتت الطائفة القليلة، فإن تكافأ الفريقان حصل التصرف فيهما جميعاً".

يقول محمد أحمد لوح تعليقاً على تقاتل الأقطاب: كان من المنتظر من هذه الزمرة الممتازة والنخبة المختارة التي تمثل أقطار الدنيا في ذلك المجلس النيابي الموقر كما يصوره الفكر الصوفي أن تكون على مستوى مسؤولياتها فتكون مثالية في أخلاقها وسلوكها غير أننا نجد أن هؤلاء لا يتحللون بمثل هذه الأخلاقيات، فبعض تصرفاتهم حتى أثناء انعقاد ديوانهم يدل على قلة صبرهم وعدم تحليهم بضبط النفس وأن من صفاتهم التعصب الأعمى والاستبداد بالرأي وعدم احترام آراء الآخرين ومصالحهم مما يؤدي بهم إلى التقاتل أثناء انعقاد مجلسهم وسفك الدماء وإزهاق الأرواح، وهذا أمر قل أن تقع من النواب العاديين في المجالس الدنيوية لأنهم على الأقل يحترمون أنفسهم ويقدرّون الاتجاهات المخالفة ولو صورياً ويحرصون على إبقاء هيئة المجلس^(١).

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: ١٣٠.

انعقاد الديوان في غير حراء

يقول الدباغ: "ويكون الديوان في موضع آخر من غير غار حراء مرة في العام لا غير وهذا الموضع يقال له: زاوية أسّا خارج أرض سوس بينها وبين أرض غرب السودان فيحضره أولياء السودان، ومنهم من لا يحضر الديوان إلا في تلك الليلة... ولما سئل الدباغ: هل ثم جمع آخر في غير هذين الموضعين؟ قال: نعم، يجتمعون ولكن لا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط إلا في الموضعين السابقين لأن الأرض لا تطيقهم لأنه تعالى أراد تفرقهم في الأرض وفي الخلق والله تعالى أعلم".

الغوث الصوفي دكتاتور كبير

وأما الغوث هذا فهو أخطر دكتاتور فإن أي أحد لا يستطيع أن يفتح فمه عنده يقول السلجماسي مؤلف كتاب (الإبريز) من أقوال الدباغ: "وسألته مرة فقلت: إذا حضر الغوث فهل يقدر أحد على مخالفته فقال رضي الله عنه لا يقدر أن يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلاً عن النطق بها، فإنه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الإيمان فضلاً عن شئ آخر والله أعلم".

أقول: أرجو القارئ أن يقارن بين الكلامين كلام الدباغ وكلام الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. هل بينهما توافق؟ وعند اختلاف الكلامين من كلام الله وكلام البشر فأيهما نصدق؟ فالحكم إليك أيها القارئ.

أولياء ينظرون في اللوح المحفوظ

يستطرد السلجماسي مبيناً مراتب الأولياء الذين يحضرون ديوانهم المكذوب فيقول: "وسمعتة رضي الله عنه يقول: ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته ويعرف ما فيه ومنهم من لا يتوجه إليه لعلمه أنه ليس من أهل النظر فيه، قال رضي الله عنه كاهلال فإن رؤية الناس إليه مختلفة".

فيم يتصرف الأقطاب

يقول الدباغ: "وأهل الديوان إذا اجتمعوا اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم الرِّقَّا وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس في خاطر أحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف وإذا كان هذا في عالم الرِّقَّا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم. وبضيف الدباغ: "إن القط لا يأكل الفأر إلا بإذنه هو" (١).

أقول: سبحان الله!! لم يكتفوا بالتصرف في العرش وفيما تحت العرش بل صعدوا أعلى للتصرف فيما فوق العرش لقد ابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً.. ومعنى ما قال الدباغ هو أن الله سبحانه وتعالى لم يبق له فعل يفعل له لأن مشايخ الصوفية قد نابوا عنه في إدارة شئونه والتصرف في كونه فلا ينسب شيء من الأقوال والأفعال حسناتها وقبيحتها إليه بل إلى حكام وموظفي هذه الحكومة الباطنية، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وأرجو القارئ أيضاً أن يقارن ويوازن بين قول الدباغ: "إن القط لا يأكل الفأر إلا بإذنه هو) وبين قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ففي هذه الآية نفى الله علم الغيب عن غيره، وما نسبه للدباغ ولا جرى ذكر الدباغ فيها فضلاً أن يكون كل شيء بإذن الدباغ، هكذا الدباغ يضفي على نفسه صفة انفراد بها الله سبحانه وتعالى، فمن يكون هو إذن غير الإله؟ أليس يدعي الألوهية دون أن يقول بصراحة إني إله؟

وانظر أيها القارئ إلى خيالات هؤلاء الخصيبة وكذبهم الذي لا يعرف الحدود وتحكمهم ليس في الأرض فقط بل وفي السماء وما فوق السماء من العرش وما فوق العرش من الحجب وعالم الرِّقَّا التي لم يعرف نبينا ﷺ بوجودها أصلاً. تَبَّتْ عقولٌ استساعت مثل هذا الكذب واعتقدت مثل هذا الهراء.

(١) الإبريز في صفحات شتى.

(٧٣) الذِّكْرُ

الصوفية لا تتقيد في الذكر بالكيفية التي وردت عن النبي ﷺ فقد ابتدعوا له من أنفسهم كيفيات غريبة مختلفة.

فمنهم من جعله ذكراً قلبياً اعتماداً على حديث (خَيْرُ الذِّكْرِ الْحَقِّيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي) وهو حديث غير صحيح كما جاء في أسنى المطالب، وسيأتي تفصيله في باب (الذكر القلبى . رقم ٧٦).

ومنهم من جعله صياحاً وصراخاً، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك، عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ...» الحديث (١).

ومنهم من جعله مقروناً بالرقص وحركات الأعضاء والاهتزاز من فوق رأسه إلى قدميه أو ضرب بدقنه على صدره والتصفيق والصفير.

ومنهم من أدخل عليه اللهو والموسيقى كالدف والطبل والشبابة والكمنجة وغيرها، أو أصواتاً بلهاء مثل (ها) و (هي) و (هو) و (عو).

الجماعة: ترى الذكر وكيفية الذكر عبادة والعبادة منها على النقل فلا يجوز إلا بالكيفية التي وردت عن النبي ﷺ فمن زاد فيها أو غيرها عن الكيفية التي وردت عن النبي ﷺ فقد ابتدع في الدين وأحدث فيها ما ليس منه، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

وجميع الكيفيات الصوفية للذكر سوى ما وردت بدعة منكرة وأمور غريبة عن الإسلام، وقد حذرنا رسول الله ﷺ البدع كلها، فقال: «... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

هذه التي تفعلها الصوفية بالذكر كلها أمور ابتعدت بالذكر عن جوهره وروحه وفوائده وآدابه والذين يعملون هذه الأعمال المنكرة ويذكرون الله بالكيفيات المخترعة حسب أهواهم كلهم داخلون تحت حكم آية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. كما يدخل بعضهم فيمن قال الله فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]. وفيمن اتخذوا آيات الله هزواً وسيقال لهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: "ما يقول سيدي الفقيه في مذهب الصوفية الذين يجتمع منهم جماعة فيكثر من ذكر الله وذكر محمد ﷺ ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شئ من الأديم ويقوم بعضهم ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه ويحضرون شيئاً يأكلونه..." فقال في الجواب:

"هذه الأشياء كلها بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما أخذ لهم عجلاً جسداً له خوار فقاموا يرقصون حوالبه ويتواجدون فهو دين الكفار وعِبَادُ العجل، وأما القضيب فأول من اتخذ الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله، وإنما كان مجلس رسول الله ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار"^(٢).

ومما يؤيد أن العبادة بالرقص والدف والغناء بدعة يهودية تسربت إلى المنتسبين إلى الإسلام ما جاء في أحد أسفار العهد القديم عند اليهود إذ جاء فيه: (هللوا يا غنا للرب ترنمة جديدة تسبيحة في جماعة الأتقياء ليفرح إسرائيل بخالقه ليبتهج بنو صهيون

(١) رواه أبو داود والترمذي وصحاه.

(٢) نور الإسلام: ٣٧٨/٥.

بملكهم ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود ليرثموا له لأن الرب راض عن شعبه... سبحوه
برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار) ^(١).
إن الذكر الجماعي والصلاة الجماعية على النبي ﷺ بحيث ينطقون بها في صوت
واحد ونغم واحد لم يكن معروفاً عند أصحاب رسول ﷺ بل كان الناس يذكرون الله
ويصلون على النبي ﷺ فرادى.

(١) العهد القديم - المزامير - المزمور: ١٤٩.

(٧٤) الذِّكْرُ بِالْإِسْمِ الْمُفْرَدِ أَوْ بِالضَّمِيرِ

الصُّوفِيَّةُ: كما قلنا من قبل تركوا ذكر الله بما ورد عن النبي ﷺ واخترعوا من أنفسهم أذكراً جديدة وطريقة جديدة لذكر الله.

فمن ذلك أنهم يذكرون الله بالاسم المفرد: (الله، الله، الله) أو بالضمير المفرد: (هو ، هو، هو) وتركوا الذكر بـ (لا إله إلا الله) وقد يدخلون على (هو) حرف النداء (يا) مخالفين لقواعد العربية، فيقولون (يا هو).

يقول محي الدين بن عربي: "اِسْتَعْلُ بذكر الله بأي نوع شئت من الأذكار، وليكن ذكرك الاسم المفرد الجامع الذي هو (الله الله) وإن شئت (هو، هو) لا تتعدى هذا الذكر"^(١). وإذا نظرنا في أورد النقشبندية اليوم في ديارنا وجدنا هذا الذكر بالاسم المفرد هو الذكر الأساسي ولا يقولون: (لا إله إلا الله) إلا في التشهد والأذان ونحوهما مما ليس وردا لأذكارهم.

وإذا سئلوا في ذلك أتوا له بحجج واهية، منها ما ذكر عن الشبلي أن شاباً سأله: يا أبا بكر لم تقول (الله) ولا تقول: (لا إله إلا الله)؟ فقال الشبلي أستحي أن أوجه إثباتاً بعد نفي، فقال الشاب: أريد حجة أقوى من هذه؟ فقال: أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار^(٢).

ومعناه أن يخاف إن قال لا إله إلا الله أن يموت بين النفي والإثبات فيموت منكراً لوجود إله أصلاً.

أما أتباع الطريقة القادرية في دَاغِسْتَانَ وَالشَّيْشَانِ فيذكرون الله بكلمات (عولا) أو (عالا) أو نحوهما، وإذا سئلوا عن ذلك، ومن أين لكم هذا الذكر؟ وما معناه؟ أجابوا:

(١) الحقائق الوردية: ٢٩١.

(٢) عوارض المعارف: ٢١٨/٢.

إن هذه الكلمة هي الاسم الموفي للمائة بعد تسعة وتسعين من أسماء الله الحسنى وهو الاسم الذي أخفاه عنده ففتحها لشيخهم كُنْثَا حَاجِي، فلقنه كُنْتُ لِمُرِيدِهِ، فنحن نذكر الله بهذا الاسم، كما يزعمون أن هذا الذكر موجود في القرآن أيضاً، في قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ [غافر: ١٤]، فإن هذه العبارة اذا حذفت من أولها (الفاء والألف والدال) بقى (عو الله) فهذا هو ذكرهم وهذا هو اسم الله المائة.

ومما يبعث على العجب والأسف أنهم يقدّمون هذه الأذكار المبتدعة التي شرعوها على الأذكار المشروعة التي جاء بها النبي ﷺ حتى قال المستشرق نيكولسن: "ولكن الصوفية اتخذوا رياضة تكرير اسم الله أو ترديد بعض العبارات الدينية... مصحوباً بتنظيم آلي وحشد تام لجميع القوى حول هذه الكلمة المفردة أو العبارة وهم يجعلون لهذه العبادة غير الموقوتة من الأهمية في وصلهم بالله وصلاً غير منقطع ما لا يجعلون للصلوات الخمس يؤديها في أوقاتها المفروضة بقية المسلمين" (١).

ولترويج هذا النوع من الأذكار وإيهام أنها من الله يوردون القصص والخرافات المختلفة، يقول القشيري: "كان من بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول: الله الله فوق يوماً على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط فاكتتب على الأرض الله الله" (٢).

الْجَمَاعَةُ: تقول إن الذكر كما قلنا غير مرة عبادة بل هو من أعظم العبادات أمر الله به في غير ما آية ووردت الأحاديث الكثيرة في الحض عليه، والنبي ﷺ علمنا كيفية الذكر وصيغته بل لم يترك مجالا من مجالات الذكر ولا موقعاً من المواقع التي يؤمر فيها بذكر معين إلا وبين صيغة الذكر المطلوب في ذلك الموقع فلا يجوز للمسلم اختراع أذكار من عنده واتخاذ أوضاع للذكر مخالفة للسنة وعمل الصحابة.

إن الذكر بالاسم المفرد (الله الله الله) أو بالضمير (هو هو هو) لم يعمله النبي ﷺ ولا الصحابة ولا الأئمة، فما لم يعملوا لم يكن شرعاً ولا ديناً لنا لأن الخير كله في اتباعهم لا في الابتداع.

(١) الصوفية في الإسلام: ٥١.

(٢) الرسالة القشيرية: ٤٦٨.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما الاختصار على الاسم المفرد مُظْهِراً ومُضْمِراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين) وقال أيضاً: "فأما الاسم المفرد مظهرًا مثل الله الله أو مضمرًا مثل هو هو فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلّال المتأخرين" (١).

أما تعليلهم للاقتصار على الاسم المفرد بأنهم يخافون الموت بين النفي والإثبات فهذا تلبيس على الجهال من المسلمين وبطلانه ظاهر من وجوه:

(١) أن النبي ﷺ هو الذي علم المسلمين الأذكار التي تتضمن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهو الذي علمهم الأذان والتشهد المتضمنين لكلمة التوحيد، فلو كان على المسلم خوف من الموت بين النفي والإثبات ما علمهم النبي ﷺ ذلك وما أقرهم عليه بل نقلهم من الذكر بالتهليل إلى كلمة (الله الله) أو (هو هو) فلما لا يفعل ذلك علّم أنه لا خوف على أحد مما يخاف منه الصوفية، فيكون الامتناع من قول (لا إله إلا الله) والتحول إلى الاسم المفرد استدراكاً على النبي ﷺ وإبطالاً لذكره وتخطئة له.

(٢) إن العبد لو أراد أن يقول: (لا إله إلا الله) ومات قبل كماها لم يضره ذلك شيئاً إذ الأعمال بالنيات بل يكتب له ما نواه (٢).

(٣) لقد ورد كلمة (لا إله إلا الله) في الآية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. فماذا تفعل الصوفية عند قراءة هذه الآية؟ أما يقرأونها؟ أم لا

يخافون عند قراءتها؟

(٤) إن النبي ﷺ قال: «لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (٣).

وقال لأبي طالب وهو على فراش الموت: «يَا عَمُّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (٤).

(١) مجموع الفتاوى في صفحات متفرقة.

(٢) مجموع الفتاوى.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

فلو كان الخوف من الموت بين النفي والإثبات موجبا لترك (لا إله إلا الله) لم يأمر ﷺ بتلقيه لمن هو مشرف على الموت داقُّ باب الموت لأن احتمال موته قائم في أي لحظة.

وأما زعم الصوفية القادرية أن (عولا) أو (عالا) الاسم المائة من أسماء الله الحسنى فإنه خرافة وهذيان كباقي الهذيان الصوفية وما أكثرها!!! ولو أنه مجرد هذيان لكان الأمر ولكنه تنقص للنبي ﷺ إذ معناه أنه ﷺ لم يعلم ما علمه كُنُتَا حَاجِي، وهو كذلك تكذيب لله حيث يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. هكذا يقول الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ وهؤلاء يقولون: لا، لم يكمل الدين على يد محمد ﷺ إذ لم يظهر الله في عهده الاسم المَخْفِي بل كمل في عهد كُنُتَا حَاجِي بأن أظهر الله له اسمه المَخْفِي (عولا)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٧٥) الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ

الصُّوفِيَّةُ: تقول بالذكر القلبي دون تحريك اللسان والشفتين وتفضله على الذكر باللسان والشفتين، ويوردون لإثبات ذلك والبرهنة عليه قصة عجيبة نورها إن شاء الله. "كان الشيخ عبد القادر العجْدُوَانِيُّ يقرأ القرآن عند الشيخ صدر الدين فوصل إلى قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، قال للشيخ: ما حقيقة الذكر الخفي وكيف طريقته؟ فإن العبد إذا ذكر بالجهر وبتحريك الأعضاء يطلع الناس عليه وإن ذكر بالقلب فالشيطان يطلع عليه لقوله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ فِي الْعُرُوقِ» الحديث؟ فقال الشيخ: إن هذا علم لدني وإن شاء الله تعالى يجمعك الله على أحد من أوليائه فيلقنك الذكر الخفي ... فكان ينتظر وقوع هذه البشارة حتى جاء الخضر عليه السلام إليه ولقنه الوقوف العددي والذكر الخفي وينغمس في الماء ويذكر بقلبه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فحصل له الفتح العظيم" (١).

ويقول الشيخ محمد مصطفى أبو العلا: "وأقرب التصفية الاشتغال بذكر الطريقة النقشبندية وهو أن يتلفظ الذاكر بلسان القلب لفظة (الله) لأن القلب كله لسان وكله سمع وكله بصر" (٢).

أقول: هذا كلام لا يصح فالقلب قلب والسمع سمع والبصر بصر واللسان لسان فكلها أعضاء مستقلة متغايرة ولا يطلق أحدها على الآخر.

ويدل على مغايرة اللسان للقلب قوله ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» (٣).

(١) المواهب السرمودية: ٧٧، الأنوار القدسية: ١١٢.١١١.

(٢) القصور العوالي.

(٣) رواه أحمد في مسنده والبيهقي في الشعب.

الْجَمَاعَةُ: تقول: إن هذا المصطلح المعروف بالذكر الخفي أو بالذكر القلبي الذي اذا أطلق عند الصوفية يراد به الذكر دون تحريك اللسان والشفيتين شئ غريب على الإسلام، لم يكن معروفاً لدى السلف الصالح، وقصتهم التي مرت تشهد بأن بدايته إنما كانت من عبد القادر العِجْذَوَانِي، بل الذكر المعتبر عند الجماعة هو ما تحرك به اللسان والشفتان دليلهم في ذلك ما ورد في الاحاديث الصحيحة:

(١) عن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَحْزِنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١).

(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»^(٢).

(٣) وقال ﷺ: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ»^(٣) فنسب الرسول الشكر للقلب والذكر للسان.

ويدل كذلك على أن الذكر المعتبر هو الذكر باللسان لا ما اقتصر فيه على القلب أن الصلاة لا تجزئ إذا أتيت فيها بالأركان القولية بقلبك فقط دون تحريك اللسان ودون إسماع نفسك، فالأركان القولية هي تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة والتشهد الأخير والصلاة على النبي فيه والتسليم الأولى فهذه الأركان كلها قولية والواجب فيها كلها أن تقرأها بلسانك وأن تسمعها نفسك على الأقل وإلا لم تكن صلاتك صحيحة مجزئة، كما أن الجنب والحائض لا يحرم عليهما قراءة القرآن بقلبهما لأنه غير معتد به، أما تحريكهما اللسان بقراءة القرآن فلا يجوز، ومثله رد السلام، فإذا سلم عليك أحد وأسمعك السلام فلا بد لك أن ترد عليه السلام باللسان ولا يجوز أن تقتصر على الرد بالقلب لأنه غير معتد به.

ومما يدل على ما للسان من دور هام وشأن في ميزان الشرع أن العلماء أجمعوا على أن من دخل الإسلام لابد له حتى يعتبر مؤمناً من النطق بالشهادتين باللسان ولا يكفي

(١) رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري وابن ماجه.

(٣) رواه ابن ماجه، انظره في صحيح الجامع الصغير: ٥٢٣١.

الإيمان بدون التلفظ بالشهادتين، حتى لو آمن بكل ما يجب الإيمان به وادعى انه تلفظ بالشهادتين بلسان قلبه ولكنه لم ينطق بالشهادتين بلسانه فلا يكون مسلماً مؤمناً. ولا يكفي نطقه بلسان قلبه على حد تعبير الصوفية، أفليس هذا دليلاً واضحاً على أن المعتبر هو النطق بلسان فمه لا النطق بلسان قلبه إن كان للقلب لسان، فإذا لم يعتبر النطق بالشهادتين ورد السلام وقراءة القرآن والإتيان بالأركان القولية في الصلاة أقول: إذا لم يعتبر كل هذه التي هي أهم الأذكار بلسان قلبه فكيف يعتبر غيرها مما يذكر به الله؟ إن أحاديث الرسول ﷺ الواردة في الأذكار المختلفة تدل على أن الذكر إنما يكون باللسان إذ أنها كلها تدور على (القول) كقوله ﷺ من قال كذا... (فالقول) لا يصح إلا باللسان الذي هو من وراء الشفتين لا بلسان القلب كما يزعم الصوفية المتفلسفون. إن للسان وزناً كبيراً ودوراً هاماً وسوف يكون يوم القيامة شاهداً بما نطق به يشهد على الكافر بالشهر ويشهد للمؤمن بالخير كسائر الجوارح التي تشهد بما عملت إن خيراً فخيئراً وإن شراً فشر فكيف يريد الصوفية إسكاته وتعطيله عن ذكر الله بصرفه إلى القلب على زعمهم أليس من المطلوب تكثير الشهداء بالخير للمؤمن؟ ما أجهلهم؟ بل ما أحببهم؟ إن مصدر التشريع عند المسلمين هو كتاب الله وسنة رسوله اللذان قال فيهما رسول الله ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا فَلَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(١). حتى الأنبياء والمرسلون السابقون بدءاً من آدم وانتهاء بعيسى لا يحق لأحد منهم أن يأتي فيزيد في الإسلام أو ينقص منه أو يغير منه شيئاً، حتى لو فرضنا جدلاً أن أحداً من الرسل أولي العزم غير محمد ﷺ جاءنا فاتبعناه لضللنا فقد قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مُوسَى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ ضَلَالاً بَعِيداً أَنْتُمْ حَظِي مِنَ الْأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»^(٢).

فإذا كان الأمر كذلك وكانت الشريعة محصورة في الكتاب والسنة ولا يحق لأحد حتى للرسل أولي العزم أن يأتوا فيغيروا في الإسلام شيئاً وكان الله يشهد للإسلام بالكمال حيث قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة: ٣٣]. فكيف صح للخضر

(١) سبق تحريجه.

(٢) أخرجه الدارمي وأحمد.

الصوفي بعد مضي قرون على موت النبي ﷺ أن يأتي العِجْدَوَانِيَّ فيغير طريقة الذكر التي درج عليها السلف الصالح إلى أوان العجدواني فيلقنه إياها ويفضلها على طريقة الذكر المعروفة في القرون المفضلة، إنها يا أخوة الإيمان لمحاولة مأكرة خبيثة لهدم صرح الإسلام لِبَنَّةً لِبَنَّةً فاحذروها.

إن الذكر وطريقته كما ذكرنا غير مرة من العبادات التوقيفية التي لا مدخل للإنسان فيها زيادة أو نقصاً أو تغييراً، ومع ذلك فمن العجب أن يفهم الشيخ صدر الدين أو الشيخ عبد القادر العجدواني من الآية المذكورة في القصة غير ما فهمه النبي ﷺ والصحابه والأئمة فإن قالوا إن أولئك كانوا يفهمونه هكذا قلنا فكيف احتاج العجدواني إذا إلى أن يأتيه الخضر فيلقنه؟ فهلا أخذه ممن كان قبله من الأئمة؟ وإن قالوا: ما كانوا يفهمونه فهذا ادعاء أن علم العجدواني ومن بعده وطريقة ذكره أعلى وأكمل ممن كان قبله أوليس هذا واضح البطلان؟ ومن يدري أن هذا الذي جاء العجدواني على أنه الخضر لم يكن شيطناً تمثل في صورة الخضر ليضلله؟.

فإن ادعى أحد اليوم نفس الشئ وأدخل في دين الله تغييراً آخر أفنصده لا سيما إذا كان يدعمه بأمور خارقة؟ فإن قلنا نعم فقد فتحنا باباً يدخل منه كل راغب لإفساد دين الله، وإن قلنا: لا نصدق، فما الفرق إذن بين العجدواني المذكور وآخر غيره من أولياء اليوم؟

إن مما يحسم في هذه القضية أن نقول: لا نقبل شيئاً إلا ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

ثم إن الذكر مع الانغماس في الماء لم يكن دين أحد من الأنبياء ولم يكن دين محمد ﷺ وإنما هو من رياضات (اليوجا) الهندية، وتمارينها التي يتوصلون بها إلى الأحوال النفسية المختلفة، فما لم يكن ديناً للنبي ﷺ لم يكن ديناً لأئمة، وإلا فما معنى المتابعة؟ وما معنى الحديث: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»؟ (١)

والآية المذكورة في القصة ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] لا يعنى أصلاً تعطيل التلفظ بالدعاء وقصره على القلب دون اللسان لأنه ليس معنى الخفية هنا

(١) رواه مسلم.

منع اللسان من الذكر وإنما نزلت هذه الآية لمنع الصياح ورفع الصوت في الدعاء، ففي تفسير ابن كثير والطبري: "قال ابن جريج: يُكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة".

هذا هو معنى الآية أن يكون الذكر والدعاء بخفض الصوت. ولو كان على ما يدعيه الغجدواني وصدر الدين في علومهما اللدنية لما خفي على كبار المفسرين. فعلم من هذا كله أن قصة الخضر مصوغة لتبرير البدعة المسماة (ذكراً خفياً) وأنها خرافة وكذب لا يجوز نسبتها إلى الخضر عليه السلام وأن الذي أتى الغجدواني متمثلاً بالخضر شيطان.

(٧٦) أَدَاءُ الْأُورَادِ وَالْأَذْكَارِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يتلقنون الأوراد والأذكار اليومية من مشايخهم ويؤدونها على أنها منهم لا على أنها من النبي ﷺ وبالصفة التي لقنوها لهم لا بالصفة التي وردت عن النبي ﷺ وكثيراً ما تكون هذه الأوراد لم ترد عن النبي ﷺ كما عرفتم ذلك بل لفقها مشايخ الصوفية فضمنها عبارات شركية كفرية صريحة لا وجه لها من التأويل أصلاً ويولونها اهتماماً أكثر من اهتمامهم بالفروض العينية في الصلاة والصيام والزكاة وغيرها وإذا ما فات أحدهم ورد صوفي ليوم واحد، حزن لذلك وتأسف وندم وتاب أن يعود لمثله بينما يترك فرض الصلاة فلا يهتم أمرها.

لقد كنا مرة أنا وصحبة لي في زيارة لِسُلْطَانٍ مُحَمَّدٍ الطُّوْحِيّ في قريته طُوَحَ وهو اليوم شيخ كبير في السن قد ناهض التسعين أو جاوزها ويعتبر من بقايا علماء دَاغِسْتَانَ السابقين ودار لنا معه كلام طيب في أحوال المسلمين اليوم وبعدهم عن الكتاب والسنة وفساد عقيدتهم وانتشار الصوفية بينهم فأخبرنا أنه كان مريضاً يتعالج في أحد المستشفيات وكان معه فيه بعض أتباع الصوفية فكان الصوفي إذا فاتته ورد يوم واحد قامت قيامته وكاد يهلك ويتأسف على ذلك كما لو أنه خسر الدنيا والآخرة، أما إذا فاتته الصلاة المفروضة فلا يهتم ذلك كثيراً بل يراه شيئاً هيناً فالله المستعان.

ثم إن الصوفية بعد أن ينتهوا من أداء أورادهم اليومية يهدون ثوابها لخلق كثير من الناس يبدؤون بنبينا محمد ﷺ ثم سائر الرسل، فالأنبياء، ويخصون بالذكر مشايخ طريقتهم، إن نقشبنديين فنقشبنديون، وإن قادريين فقادريون.. وهكذا.

ومن العجيب في الأمر أن الصوفية متيقنة حق البقين من أن الله قد تقبل أورادهم وأن لهم عليها ثواباً يكفي أن يوزع على جميع من ذكر كما يأملون ان لا ينقصوا لأنفسهم من ذلك شيئاً. ولو أن الأمر كان كما يظنون ما ساءنا ذلك لكن يقينهم

هذا لا يستند إلى دليل فكيف نعتمد على ذلك ونغر أنفسنا بما يحتمل أن يكون مجرد وهم وحلم.

الجماعة: ترى في أوراد الصوفية وطريقة أدائها مخالفات كثيرة، منها:
(١) إن تلقنهم الأوراد والأذكار من مشايخهم وأدائها على أنها منهم لا من الرسول ﷺ واعتقاد أن فيها وفي كيفية أدائها سرّاً باطنياً إعطاءً للمشايخ حق التشريع في العبادة والدين. فهذا كفر صريح يكفر به صاحبه إن فعله بعد العلم به، إذ لا مشرع إلا الله والرسول ﷺ، أما مجرد التلقن من أحد فلا مانع إذا كان ينقله له عن النبي ﷺ وكان يؤديها على أنها جاءت عن النبي ﷺ فيكون هذا الذي يلقيه معلماً له وأستاذاً ناقلاً عن النبي ﷺ لا مشرعاً ولا مخترعاً، لأن كل إنسان إذا لم يكن عالماً بنفسه فيحتاج إلى معلم وأما إذا كان قد تعلم وأصبح قادراً على قراءة الكتب بنفسه فلا لزوم لمن يلقيه شيئاً، فدور الشيخ حسب المفهوم الصحيح ينحصر في وساطته لنقل وتبليغ العلوم إلى من يأخذها عنه.

(٢) أداء الأوراد بالطريقة التي لم ترد عن النبي ﷺ كأن يكون مصحوباً بالرقص والدوران أو تحت إيقاع الآلات الموسيقية مخالفة، لأن الأذكار والأوراد كما أنها هي نفسها عبادة كذلك طريقة أدائها عبادة، وقد قلنا غير مرة أن العبادة مبناه على التوقيف والنقل ولا يجوز العدول عنها بحال من الأحوال وإلا كانت بدعة.

وأما اهتمامهم بأورادهم أكثر من الاهتمام بالفروض العينية كالصلاة وغيرها ففيه من معنى الشرك ما لا يخفى لأن كل واحد يعلم أن الصوفية يهتمون بها لا لشيء إلا لأنهم تلقوها عن شيخهم، وأما الصلاة والصيام والزكاة التي ما تلقوها عن شيخهم بل جاءتهم عن النبي ﷺ فلا يهتمون بها اهتمامهم بأورادهم ولا يخفى ما فيه من تقديم للشيخ على النبي ﷺ ورفع لمنزلته فوق منزلة النبي ﷺ سواء قصدوا ذلك أم لم يقصدوا. وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [الحجرات: ١].

وأما إهداؤهم ثواب ما قرءوها من الأوراد والأذكار إلى من ذكر فشيء لم ينقل عن النبي ﷺ وعن السلف.

(٧٧) عَدَمُ جَوَازِ الذِّكْرِ بِدُونِ إِذْنِ الشَّيْخِ

الصُّوفِيَّةُ: يشترطون الإذن الخاص لممارسة أورادهم بحيث أن من ذكرها بدون إذن لا يستفيد منها شيئاً، وربما يصيبه ضرر.

يقول الشيخ الفوتي: "اعلم أن جميع أذكار هذه الطريقة بل وغيرها لا ينال شيئاً من أسرارها المطلوبة منها إلا من كان له الإذن الصحيح" ^(١).

كما يشترطون فيمن يعطى الأذن أن يكون شيخاً مفتوحاً عليه حيث يقول الفوتي: اعلم أن الذكر المأخوذ عن غير شيخ أو عن شيخ غير مفتوح عليه عارِفٌ هلاكٌ صاحبه أقرب من سلامته لا سيما أسماء الله تعالى ^(٢).

وتعتقد الصوفية أن أسماء الله تعالى قد يضر ذكر هذا أو تضر في حال وتنفع في حال أخرى والخبر بما ينفع الذاكر أو يضره إنما هو الشيخ، لهذا لا يستطيع المريد أن يذكر (لا إله إلا الله) إلا إذا أمره بها شيخه، ولا ينادى ربه بـ (يا لطيف) وإلا أصابه مس أو خبال!!.

اسمع إلى القديس الصوفي ابن عطاء الله السَّكَنْدَرِيّ يفترى الإثم الأكبر: "اسمه تعالى: (العفو) يليق بأذكار العوام، لأنه يصلحهم وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره، اسمه تعالى (الباعث) يذكره أهل الغفلة ولا يذكره أهل طلب الفناء، اسمه تعالى (الغافر) يلحق لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب. وأما من يصلح للحضرة فذكر مغفرة عندهم يورث الوحشة. اسمه تعالى (المتين) يضر أرباب الخلوة وينفع أهل الاستهزاء بالدين.

(١) الرواح: ٨٢/٢.

(٢) الرواح: ١٧٥/١.

أَجْمَاعُهُ: تقول: هذا والله بهتان عظيم وتشريع في دين الله بمالم يأذن به الله وهو كفر صريح وشرك مبين لا يشك في هذا من عنده ذرة من إيمان. كيف يخصصون بعض أسماء الله تعالى بالذكر دون بعض والله تعالى يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

كيف لا يصلح اسمه (الغافر) إلا للعوام وقد كان صالحاً لخير البشر وأفضل الرسل محمد ﷺ فقد كان يستغفر في اليوم مائة مرة؟ أطواغيته معصومون من الذنوب؟ أم هم ملائكة؟ أم إن النبي ﷺ واحد من العوام ومشايخهم من الخاصة وخاصة الخاصة؟ إن الإسلام يجيز للعبد أن يأخذ كيفية الذكر وهيئات الصلاة وغيرها من أركان الإسلام من كل أحد عنده علم بذلك سواء كان مفتوحاً عليه أو غير مفتوح بالفتح الصوفي ومن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير قيد ولا شرط ولا طلب إذن من أحد فلم تضع الصوفية قاتلهم الله هذه العراقيل بين عباد الله وبين ذكر ربهم؟

(٧٨) كَثْرَةُ الطُّرُقِ إِلَى اللَّهِ

الصُّوفِيَّةُ: لها طرق كثيرة ومختلفة لا تدخل تحت حصر كالتقشبندية والشاذلية والقادرية والتجانية والرفاعية والعبودية والمولوية وغيرها، وكلما مر وقت زاد تشعبها وكثرت أسماءها، حتى الطريقة القادرية التي جاءت إلى الشَّيْشَانِ على يد كُنْثَا حَاجِي والتي كانت في عهده طريقة واحدة تشعبت اليوم في الشيشان إلى اثنتين وثلاثين طريقة.

وهذه الطرق كلها سميت بأسماء مؤسسيها فالتقشبندية سميت باسم مؤسسها محمد بهاء الدين شاه نقشبند والقادرية باسم عبد القادر الجيلاني والعبودية سميت باسم قرية عُبُودَا الأوارية الداغستانية التي كان منها مؤسس هذه الطريقة محمد حاجي العبودي والشاذلية سميت باسم أبي الحسن الشاذلي والرفاعية سميت باسم أحمد الرفاعي وهكذا إلى ما لا نهاية.

إن هذه الطرق ما كانت واحدة منها معروفة في عهد النبي ﷺ وفي القرون المفضلة بعده، يدل على ذلك أنه لا يوجد لواحدة منها ذكر ولا اسم فيما أثر عنهم بل ظهرت كل واحدة منها باسمها بظهور مؤسسها.

وأصحاب هذه الطرق يَسْمَوْنَ باسم الطريقة التي ينتسب كل منهم إليها، فأتباع النقشبندية نقشبنديون، وأتباع القادرية قادريون، وأتباع العبودية عبوديون وكل منهم يتميز عن الآخرين باسمه الخاص به.

وأصحاب كل طريقة على كثرتها يدَّعون أنهم على حق وأن طريقتهم متصلة بسلسلة من المشايخ تصل في النهاية إلى النبي ﷺ ومنه إلى جبريل عليه السلام ومنه إلى الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

أما بالنسبة لباقي الطرق فقد اختلفت مواقفهم فبعضهم يقول: إنها كلها على باطل سوى طريقتها التي هو عليها، والبعض الآخر يقول: إنها أيضاً طرق حقة لأن الطرق

إلى الله بعدد أنفاس الخلائق فأَيَّ طريق سلكت إلى الله وأي طريقة عبدت بها الله فقد أصبت ما صدقت نيتك، ولا يضر اختلاف الطرق والعبادات والأذكار والأوراد فكل شيخ له طريقة في التربية وذكر مخصوص وشريعة مخصوصة وكلها تؤدي إلى غاية واحدة وهي الله.

أما أَلْجَمَاعَةُ: فننكر كثرة الطرق في الإسلام وليس لها إلا طريق واحد وهو الطريق الذي سار عليه النبي ﷺ والصحابة من بعده وهو طريق الكتاب والسنة؟ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وعن ابن مسعود قال: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا» وَخَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ^(١).

إن كثرة الطرق والانتماء إليها تؤدي إلى تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب وتعصبيهم لمن انتسبوا إليه وهذا أمر بديهي معلوم، وقد نهى الإسلام عن التفرق وجعله من عمل المشركين قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢].

كيف يمكن أن يكون إلى الله طرق كثيرة بعدد أنفاس الخلائق والرسول ﷺ يقول: «... وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» ^(٢).

(١) رواه أحمد والنسائي.

(٢) رواه الترمذي وقال غريب.

وكيف يمكن أن يكون لكل شيخ ذكر مخصوص وشريعة مخصوصة والرسول ﷺ يقول: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»؟^(١).

ولو كان الأمر كما يقول الصوفية وكان يجوز لكل واحد أن يذكر الله ويعبده بما يراه ويستحسنه دون تقيد بما جاء عن النبي ﷺ فما الفائدة من تعليم النبي ﷺ كيفية العبادة والأذكار لأمته؟ ولماذا قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُوِي أَصَلِّي»؟^(٢).

أما التسمي بالأسماء المختلفة بحيث تمتاز كل طائفة عن الطوائف الأخرى باسم يخصها فهو أيضاً أمر تنكره الجماعة، فما تقبل للمسلمين اسماً غير ما سماهم به الله وسماهم به رسول الله ﷺ فقد سمانا الله في القرآن (المسلمين) حيث قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]. وسمانا الرسول ﷺ: (الجماعة) حيث قال: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَسَفَرَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»^(٣).

إن الجماعة ترى أن التسمي بأسماء مختلفة في الدين يسبب تفرق المسلمين في دينهم لأن كل واحد اذا كان ينسب نفسه إلى أحد هذه الأسماء المخترعة فلا بد أن يكون الاسم الذي ينسب نفسه إليه أحب إليه من سائر الأسماء، وبالتالي لابد أن يكون جميع المنتسبين إلى هذا الاسم أحب إليه ممن ينتسب إلى أسماء أخرى، فهذه هي بداية التفرق، ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتدرجون إلى أن يتعصبوا لطريقتهم وإخوانهم في الطريقة حتى يبلغ بهم الأمر أخيراً إلى أن يعادي بعضهم بعضاً وان يتقاتلوا على ذلك. كما هو واقع المسلمين اليوم وللأسف.

ومن الطرق الصوفية من يقول: إن طريقتنا ليست طريقة بمفهوم الصوفية المعلوم ولكنها طريقة تحافظ على السنة وتجتنب البدعة، وقد وقع بيني وبين أحد أتباع الطريقة

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري

(٣) هذا الحديث عده الكتاني من المتواتر [المتواتر المعنوي] فانظره في كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر: كتاب الإيمان.

الْعُبُودِيَّةِ فِي دَاغِسْتَانَ كَلَامٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، وَاسْمُ الرَّجُلِ أَبُو بَكْرٍ مِنْ قَرْيَةٍ عُرَاطًا قَالَ: إِنْ طَرِيقَتُنَا هِيَ الْمَحَافَظَةُ عَلَى السَّنَةِ لَا شَيْءٍ آخَرَ، أَفَلَا تَجُوزُ إِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكُمْ اسْمٌ يَخْصُكُمْ تَتَمَيِّزُونَ بِهِ عَنْ غَيْرِكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، نَحْنُ الْعُبُودِيُّونَ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكُمْ شَيْخٌ تَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ وَتُؤَدُّونَ أَوْرَادَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، هُوَ مُحَمَّدٌ حَاجِي الْعُبُودِيِّ، فَقُلْتُ لَهُ: إِذَنْ لَا يَجُوزُ، حَتَّى لَوْ حَافَظْتُمْ عَلَى السَّنَةِ وَاجْتَنَبْتُمْ الْبِدْعَةَ فَمَا دُمْتُمْ تَتَمَيِّزُونَ عَنِ الْآخَرِينَ بِاسْمٍ يَخْصُكُمْ فَهَذَا لَا يَجُوزُ، قَالَ: فَلِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَوَّلًا لِأَنَّكُمْ لَنْ تَقْدَرُوا عَلَى تَوْحِيدِ مُسْلِمِي الْعَالَمِ تَحْتَ هَذَا الْاسْمِ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَسَوْفَ تَظْهَرُ عِنْدَ الْآخَرِينَ أَسْمَاءٌ تَخْصُهُمْ دُونَكُمْ فَتَتَعَدَّدُ الْأَسْمَاءُ وَتَتَعَدَّدُ الشَّيْعَ وَيَنْطَبِقُ عَلَيْكُمْ حُكْمُ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وثَانِيًا: إِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ اسْمًا لِأَنْفُسِكُمْ لَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ طَرِيقَتَكُمْ لَيْسَتْ مُحَضَّ سَنَةٍ كَمَا تَزْعُمُونَ بَلْ هِيَ كغَيْرِهَا مِنَ الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ تَشْتَمِلُ عَلَى مَخَالَفَاتٍ لِلسَّنَةِ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ أَخْفَ مِنْ غَيْرِهَا وَذَكَرْتُ لَهُ بَعْضَ مَخَالَفَاتِ أَعْرَفِهَا مِنْ طَرِيقَتِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْحَصْرِ.

أَمَّا اشْتِهَارُنَا بَيْنَ النَّاسِ بِاسْمِ الْوَهَابِيِّينَ فَلَيْسَ مِنْ تَسْمِيَتِنَا نَحْنُ بَلْ هُوَ مِنْ تَسْمِيَةِ خُصُومِنَا الَّذِينَ يَرِيدُونَ تَشْوِيهَنَا وَيَخْتَرِعُونَ لَذَلِكَ أَلْقَابًا لَا نَرْضَاهَا، إِنَّمَا نَحْنُ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ نَأْبِي هَذَا الْاسْمَ: "الْوَهَابِي" وَلَا نَقْرَهُ وَلَا نَرْضَاهُ بِهِ.

هَكَذَا الصُّوفِيَّةُ يَلْقُبُونَنَا نَحْنُ وَيَلْقُبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَلْقَابٍ تَشْقُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَتَفَرِّقُ وَحَدَّثَهُمْ وَسَوْفَ تَلْحَقُ تَبَعَةٌ ذَلِكَ بِهِمْ لَا بِنَا لِأَنَّ حُكْمَ آيَةِ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١] يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ لَا عَلَيْنَا. اللَّهُمَّ بَصِّرْنَا بِالْحَقِّ وَاجْعَلْنَا أَتْبَاعَهُ.

(٧٩) أَلْفُ

الصُّوفِيَّةُ: إذا أرادوا عمل شيء تستخدم الفأل لعمل الاستخارة أي لمعرفة ما هو خير لهم من العمل أو الترك معرضين عن دعاء وصلاة الاستخارة الواردين عن رسول الله ﷺ وربما يستخدمون ما يسمونه بفأل القرآن، ويستندون في استحباب ذلك إلى حديث النبي ﷺ كان رسول الله ﷺ يحب الفأل ولا يحب الطيرة مفسرين الفأل في الحديث بأنه وسيلة لمعرفة ما قسم لنا من الخير أو الشر، فالفأل بهذا التفسير يكون بمعنى الاستقسام الوارد في القرآن وقد نهي الله عنه بقوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة: ٣].

أما الْجَمَاعَةُ: إذا أرادوا أن يعملوا شيئاً فلا يضربون الحصا ولا يخطون في الرمل ولا يستخدمون الفالات المعروفة عند الصوفية وعند العامة لأنهم يرون كل ذلك من نوع الاستقسام بالأزلام المنهى عنه في القرآن والذي أمرنا باجتنابه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وتفسير الصوفية معنى الفأل الوارد في الحديث بما مر تفسير غير صحيح، بل معناه الصحيح الاستبشار بشيء وتوقع الخير منه وهو ضد التشاؤم فبناء على ذلك يكون معنى الحديث أنه ﷺ كان يحب التفاؤل ولا يحب التشاؤم، لا أنه إذا أراد عمل شيء كان يعمل الفأل بمفهوم الصوفية كما يعمل العرافون والمُنَجِّمُونَ.

ولقد أبطل النبي ﷺ الاستقسام بالأزلام الذي كان في الجاهلية وما شابهه من زجر الطير والتطير به واستبدل به صلاة الاستخارة ودعائها وعلمها أصحابه كما كان يعلمهم السورة من القرآن عن جابر رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ:

«إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ...» إلى آخر الحديث^(١).

(١) رواه البخاري.

(٨٠) بَيَانُ الشِّرْكِ وَالتَّوْحِيدِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: لا يذكرون التوحيد والشرك ولا يهتمون ببيانهما ولا ينبهون الناس إليهما ولا يشرحونهما للناس فقلما تجد صوفياً إذا سأله عن معنى التوحيد والشرك عرف معناه وأجابك جواباً صحيحاً وإذا ذكرهما أحد من الناس وأخذ يشرحهما للناس اشمأزوا منه وسموه وهَابِيّاً واتهموه بأنه يجي من الدين بما لم يعرفه الآباء والأجداد.

أما الْجَمَاعَةُ: فأول ما يبدؤون به هو شرح معنى التوحيد والشرك وهو معنى (لا إله إلا الله) ولقد بدأ رسول الله ﷺ رسالته بـ (لا إله إلا الله) أي: بدعوة الناس إلى التوحيد وتحذيرهم من الشرك ودعا الناس إليها في الفترة التي قضاها في مكة وهي ثلاثة عشر عاماً ولم يفرض من العبادات إلا الصلاة بعد مضي عشر سنوات على بدء الرسالة أما بقية الفروض وبيان سائر الأحكام من الحرام والحلال فإنما تم في المدينة في السنوات العشر الأخيرة من الرسالة.

والجماعة أيضاً إن بدأوا ببيان التوحيد والشرك فلبدء النبي ﷺ بهما، وإن اهتموا بهما فلاهتمام القرآن بهما لأن معظم ما في القرآن إنما يدور حولهما لا سيما ما نزل في الفترة المكية منه، بل ما كانت بعثة الرسول ﷺ إلا لبيانهما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وإنما وجب الاهتمام بهما والبدء بهما لأن أي عبادة فعلت أو أي عمل فعل لا يكون نافعا لصاحبه ولا منجياً له يوم القيامة إلا إذا كان قد عمل على التوحيد وخلص من الشرك، أما إذا خالطه شيء من الشرك فلا ينتفع به صاحبه يوم القيامة مهما جد في عمله لأن الشرك محبط لجميع الأعمال قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

حتى لو تاب من الشرك وعاد إلى الإسلام ثانياً فلا يعود إليه ما كان قد عمله سابقاً وأحبطه الشرك بل يكون له ما عمله بعد التوبة.

إن الإنسان لا ينتفع بصلاته إذا كان يدعو شيخه لطلب النفع أو لدفع الضر ولا ينتفع بصيامه إذا كان يعلق صورة شيخه في مصلاه وكان يصلي وهو مستحضرٌ لصورته ولا ينتفع بقراءة القرآن إذا كان يعتقد أن شيخه يعلم الغيب في السموات والأرض ويقرأ ما في اللوح المحفوظ والقرآن يؤكد خلافه، ولا ينتفع بالصدقة إذا كان يعتقد أن كل خير وكل نعمة وكل سعادة إنما تأتيه من قبل شيخه، ولا ينتفع بالحج والطواف بالبيت إذا كان يشدُّ الرحال إلى قبور مشايخه ويطوف حولها ويتبرك بتربتها. لذلك وجب على الجميع الاهتمام بالتوحيد والشرك وبيانهما ومعرفة أنواع الشرك وأساليب الوقاية من الشرك.

إن الشرك أعظم ذنب على الإطلاق وهو الذنب الذي لا يغفر بينما سائر الذنوب يغفرها الله لمن يشاء قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وَلَمَّا سُئِلَ الرَّسُولُ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ»^(١).
والشرك هو الظلم العظيم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والشرك الأكبر إذا مات صاحبه عليه والعياذ بالله فلا طمَع له في الخروج من النار ودخول الجنة فهي عليه حرام وهو من الخالدين المخلدين في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فإذا كان الشرك من الخطورة والفضاعة بهذا المكان فكيف لا يستحق أن يذكر ويشرح وينبه الناس إليه، وهذا ما لا يُعْجِبُ الصوفية ولذلك تراهم إذا رأوا أحداً يذكر التوحيد ويدعو الناس إليه ويذكر الشرك وأنواعه ويحذر الناس منه يشمئزون منه ويسرعون في إطلاق ألقاب عليه؛ كالوهابي، والأصولي، والمتطرف، والإرهابي وغيرها، ولهذا ينطبق

(١) متفق عليه.

على هؤلاء حكم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].
وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾
[الإسراء: ٤٦].

(٨١) اَلْبِدْعُ وَمَا اسْتَحْسَنَتْهُ الْعُقُولُ

الصُّوفِيَّةُ: يعملون البدع ويؤيدونها وينشرونها ويقومون وراء كل بدعة ظهرت أو تظهر ولا تجد بدعة ظهرت أو تظهر إلا وهى عند الصوفية بل الصوفية أُسِّسَتْ على بدعة بل الصوفية نفسها بدعة، كما يعملون كلما استحسنته عقولهم ولم يروا فيه بأساً ولم يَحْسُوا فيه بضرر دون أن يعلموا هل عمله الرسول ﷺ أو هل عليه أَمْرٌ منه، وإذا كَلَّمُوا في ذلك قالوا لتبرير عملهم: انه بدعة حسنة وبذلك يقسمون البدعة إلى قسمين حسنة وقييحة فكل ما يعملونه إنما يعملونه بدعوى أنه بدعة حسنة.

الْجَمَاعَةُ: تتجنب البدع كلها ولا تقسمها إلى حسنة وقييحة بل كل بدعة عند الجماعة قبيحة وسيئة وليست حسنة لأن الرسول ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١).

فقد استعمل النبي ﷺ كلمة (كُلِّ) الدالة على الاستغراق وقال: «وَكُلَّ بَدْعَةٍ» ولو جاز أن يكون ثمة بدعة حسنة لكان معناه (ليس كل بدعة ضلالة بل بعضها) فيكون مناقضاً لقول الرسول ﷺ فإذا جاز أن يكون معناه كما قال الصوفية جاز نفس الشيء في كل كلام يشابهه فقد وردت كلمة (كُلِّ) في الحديث ثلاث مرات، فهل يُعْقَلُ أن يكون ليس كل محدثة بدعة وليس كل بدعة ضلالة وليس كل ضلالة في النار بل بعضها فهذا نقض للحديث وقلب لمعناه رأساً على عقب.

إن الصوفية يأتون في عباداتهم بأشياء غريبة كثيرة لم ترد عن النبي ﷺ فقد ناقشت كثيراً منهم وما وجدت أحداً منهم يستند إلى الكتاب والسنة وإذا لم يجدوا دليلاً برروا أفعالهم بعدم رؤيتهم الضرر فيها فقالوا: ما ضرره؟ وأي بأس فيه؟

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

مثال ذلك أن أحدهم يخرج في سفر فإذا صلى أتم صلاته ولم يقصر فيقال له: إن النبي ﷺ قصر الصلاة في السفر وما أتمها قط فيه لنا أسوة حسنة فيقول: عندي نشاط وعندي قوة وعندي متسع من الوقت فأني بأس في أن أصلي أربع ركعات بدل ركعتين؟ وأي ضرر في الزيادة؟ أليست أفضل؟ أليس الشيء الكثير يكون دائماً أنفع؟ فجوابه هذا ليس صحيحاً وهو جواب من لم يفقه الدين؛ لأن العبرة في العبادة بموافقتها لفعل النبي ﷺ وهو شرط في قبولها لا بكثرتها أو قلتها.

جاء رجل إلى الإمام مالك فقال لمالك: إني أريد العمرة فمن أين أُحْرِمُ؟ فقال: أحرم من حيث أحرم رسول الله ﷺ أي من ذي الحليفة، فقال: إني أريد أن أحرم من مسجد رسول الله ﷺ فقال: لا تفعل إني أخشى عليك الفتنة، فقال الرجل: أي فتنة في ذلك إنما هي أميال أزيدها؟ فقال الإمام مالك مُغَضَباً: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك عملت عملاً قَصَرَ عنه رسول الله ﷺ؟ ثم قرأ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

إن هذا الكلام لا يصدر إلا ممن ليس عنده فقه في الدين ولا يعرف معنى العبادة ولا يعرف معنى البدعة.

فالبدعة في الدين هي كل ما لم يعمل به النبي ﷺ أو لم يعمل به الصحابة والخلفاء الراشدون من بعده فمن أراد أن يزيد في الدين والعبادة شيئاً على ما فعلوه حتى لو استحسنه عقله ولم ير فيه بأساً فقد ابتدع في الدين وعمله مردود قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١). وقال أيضاً: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

إن الأشياء والأعمال التي تواجهنا تنقسم إلى دينية ودنيوية وبينهما اختلاف فمبنى الأمور الدينية وهي ما نسميها عبادة توقيفية على الحرمة، ومعناه: أن كل شئ في الدين والعبادة غير جائز إلا ما ورد الشرع بإباحته، وتعرف بإباحته من عمل النبي ﷺ كما أسلفنا ذكره، فما لم يعمل هو أو لم يعمل الخلفاء الراشدون من بعده لم يجوز لنا عمله حتى

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم في رواية أخرى.

لو استحسنته عقولنا ولم نر فيها بأساً، وأما الأمور الدنيوية فمبناها على الحل ومعناه: كل شيء منها جائز وحلال إلا ما ورد الشرع بتحريمه، فبناءً على هذا فعليك في الأمور الدينية أن تتوقف حتى تعلم حله، ولك في الأمور الدنيوية أن تعملها حتى تعرف حرمتها، فهما على طريقي نقيض.

وبهذا علمنا أن البدعة لا تكون إلا في الأمور الدينية، فلا يقال: لم يركب الرسول ﷺ ولا الصحابة السيارة ولم يطيروا في الطائرة فهذه أمور دنيوية لا يُتوقف في عملها على معرفة ما إذا كان النبي ﷺ عملها.

ولو عقل الناس هذه القاعدة لفهموا الشيء الكثير في دينهم، ولذهبت عنهم أسئلة كثيرة فالعقل في الدين ليس معياراً يقاس عليه جواز عبادة أو حرمتها، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالْعُقْلِ لَكَانَ أَسْفَلَ الحُفِّ أَوْلى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ".

لقد كانت الصحابة ينكرون كل بدعة تظهر في الدين ولا يجيزونها مجرد أنهم لا يرون فيها بأساً، فقد أنكر أحد الصحابة على آخر قوله: (الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله) عند العطاس فقال: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ وإنما علم (الحمد لله) دون زيادة (والصلاة والسلام على رسول الله) ^(١).

وأنكر ابن مسعود على جماعة تجتمعوا في المسجد في حلقة وأمام كل واحد منهم حصى وفي وسط الحلقة أحد منهم يقول: قولوا: لا إله إلا الله مائة فيقولونها بعدد الحصى أمامهم، ويقول: قولوا: الحمد لله فيقولونها كذلك، فشدد ابن مسعود عليهم النكير وقال: هلاً أحصيتم سيئاتكم فيني ضامن أن لا تضع من حسناتكم شيء... إلى آخر ما قال ^(٢)، فما أشبه حلقات الذكر عند الصوفية اليوم بتلك الحلقة التي أنكرها ابن مسعود وما أشبه مسابح الصوفية اليوم بحصى أولئك بل بدعة هؤلاء اليوم أشد وأدهى من بدعة أولئك فاعتبروا يا أولى الألباب.

(١) رواه الترمذي وقال حديث غريب.

(٢) رواه الدارمي في سننه بإسناد صحيح.

(٨٢) مَبْنَى الْأُمُورِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ عَلَى الذَّوْقِ

الصُّوفِيَّةُ: يبنون كل أحوالهم وأعمالهم وعباداتهم وأذكارهم على الذوق بل مبنى الصوفية كلها على الذوق، ويقولون لا سبيل إلى معرفتها وإدراكها وتذوق حلاوتها إلا عن طريق الذوق فيجعلون هذا الذوق الذي يحصل في نفوسهم وهذه الحلاوة والتلذذ الذي يشعرون به وهذا التغير الذي يطرأ على أحوالهم في نفوسهم يجعلونها هي الدليل على صحة مذهبهم واستقامة طريقته، ويعتبرون أنهم لو لم يكونوا على الطريق السليم لما حصل في أحوالهم هذا التغير وما شعروا في ذوقهم بهذا التلذذ الطيب، إنه من الله ومستحيل أن يكون من غير الله.

لقد قابلت بعض شبابٍ ممن دخل الصوفية ودار بيني وبينهم حوار فإذا كلٌّ منهم معتقد بصحة طريقته وأنه سائر على خط مستقيم وأنه عامل لما يُرضي الله، فإذا طلبت من كل منهم أن يأتي بدليل قالوا جميعاً: لسنا علماء ولم نقرأ القرآن والحديث وكتب العلم حتى نأتى بأدلة ولكننا يكفيننا دليلاً أننا بعد أن دخلنا الصوفية واتصلنا بالشيخ وتلقَّنا منه الأوراد تغير حالنا عما كان عليه قبل من شيء إلى حسن رأساً على عقب، إننا كنا من قبل فُسَّاقاً فجرة نسرق ونزني ونشرب الخمر وما كنا نصلي ونصوم إلا في بعض الأحيان، أما الآن فقد أصبحت نفوسنا تبغض هذه الفواحش والمحرمات وحُبَّبت إلينا الصلاة والصيام وقراءة القرآن وبدأنا نقوم الليل ونصوم النهار وإننا والله نحس في نفوسنا مما نعمل بلذة لا توصف وكلما أكثرنا من الزيارة إلى الشيخ ولو لمجرد إلقاء نظرة عليه تحسنت حالنا وزدنا صلاحاً وتقوى ولا نظن أن هذا حصل إلا ببركة اتصالنا بالشيخ وانخراطنا في سلك مريديه، أبعد حصول هذا التحسن والتغير الجذري في سلوكنا وأعمالنا ننكر الصوفية وننكر على الشيخ لمجرد أننا لا نعلم عليه دليلاً من الكتاب والسنة؟

ومثل هذا الكلام حصل بيني وبين حماقي أي أم زوجتي وكانت من أتباع الطريقة القادرية وشيخها كُنْتُ حَاجِي فلما أكثرْتُ عليها في ذلك قالت لي: كل شيء تقوله لي

من القرآن والحديث فأنا أقبله إلا ما يتعلق بطريقتي الصوفية القادرية فلا تكلمني فيها فإني لن أتركها ولن أتخلي عنها، وكيف أتركها وأنا لا أشك في صحتها، وكيف أشك في صحتها؟ وأنا أجد منها في نفسي حين أؤديها شعوراً كأطيب ما يكون من الشعور ولذة لا توصف؟ إنني أدخل في دائرة الذكر والرقص والتصفيق وأنا ضعيفة مريضة متعبة ولكن ضعفي ومرضى وتعبي ما يلبث أن يزول في أسرع وقت وإذا نفسي تنشط في تلك الحالة نشاطاً لا تنشط مثله في غيرها أبداً، حتى لو دمت على ذلك إلى الصباح ما أصبْتُ بكسل ولا فتور وما ازددتُ إلا نشاطاً فوق نشاط، أشك بعد كل هذا في صحة ما أعمل؟ وهل من المحتمل أن يكون كل هذا من الشيطان؟

لقد مكثت المسكينة على هذا برهة من الزمان ثم من الله عليها ففهمت أنها على خطأ وتركته. ولعبت الدور الكبير في تفهيمها ذلك ابتتها زوجتي وأصبحت بعد ذلك تشكر الله وتشكرني وتقول "واجهلى! وواسفاهتي! كيف قضيت أكثر من عشرين سنة من عمري في الشرك والعمل الشيطاني وما دريت معنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الذي أقرأه في كل ركعة من صلاتي؟ هل يغفر لي الله ما كان مني؟ فقلت لها: نعم إن صدقت نيتك وتبت إلى الله توبة نصوحاً، وقرأت آية من القرآن: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قد يستقبح البعض أني أذكر هنا قصة تتعلق بأهلي وبالمرأة لكنني فعلت ذلك لأن هذا السبب هو الموجود عند كل أحد يعمل مثل عملها حتى يعتبروها قياساً على أنفسهم.

الجماعة: تقول: ليس مبنى الدين وصحة العمل كما هو عند الصوفية على الذوق والإحساس النفسي إنما مبناه ومداره على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة فهو الصحيح الثابت وما خالفهما فهو الباطل الفاسد.

إن الله لم يجعل أذواق الناس ولا إحساساتهم النفسية ولا وجود اللذة أو فقدائها معياراً يقاس عليه الدين والعمل لمعرفة صحتها من بطلانها، إذ أذواق الناس تختلف من شخص إلى آخر ومن سنٍّ إلى سنٍّ ومن جنسٍ إلى جنسٍ فما يستلذه شخص

يعافه آخر، وما يتلذذ به الشاب يستهجنه الشيخ وما يستحسنه الرجل تستقبحه المرأة.

إننا إذا أسندنا الأمور إلى أذواق الناس واحساساتهم النفسية الداخلية اضطربت الأمور وعم الفساد. إن من الناس من يتلذذ بتعذيب الناس وإحراقهم بالنار فهم في ذلك يجدون ذوقاً طيباً وشعوراً لذيذاً، أنقُرُهُمْ على ذلك ونتبعهم فيه ونجعله جزءاً من الدين؟. إن أصحاب المخدرات حين يتعاطونها يجدون من اللذة والنشوة الطيبة ما لا سبيل إلى تذوقها إلا لمن جربها، أنقُرُهُمْ على ذلك ونجعلها جزءاً من الدين؟

وهواة الموسيقى السمفونية حين يستمعون إليها يتواجدون ويجدون من اللذة والنشوة الروحية والسكر النفسي ما لا يساويه شئ آخر، أنقُرهم على ذلك ونجعلها جزءاً من الدين؟

والذين يمارسون (اليوجا) الهندية يجدون عند أداء طقوسهم وتمارينهم وعباداتهم لذة ونشوة لا تقل عن نشوة صوفيتنا ولذتهم وربما تفوق أنقُرهم عليها ونعتبرها ديناً صحيحاً؟ من أعظم أسباب انحراف الإنسان جهله بالدين وجهله بالعلوم وبقوانين الله وسنته في خلقه، إن هؤلاء الصوفية الذين يتلذذون بدورائهم ورقصهم وتصفيقهم ويتلذذون بطريقة ذكرهم وعبادتهم ويجدون في ذلك نشاطاً عظيماً ويننون دينهم على هذا الذوق والنشاط واللذة، إنهم لا يعلمون أن مصدر لذتهم ونشاطهم ليس كونهم على الطريقة الصحيحة في الدين كما يشهد بذلك تلذذ أصحاب الباطل أكثر من تلذذ صوفيتنا وإنما هو من حالة نفسية خلقها الله في الإنسان فهي مركوزة في كل إنسان سواء كان مسلماً أو كافراً وسواء كان على حق أو باطل، فإذا عاجل الإنسان نفسه باستخدام الأساليب المعينة وتمرن في وجهة معينة ظهرت آثاره عليه وتلذذ بها فإذا كان صوفياً جاهلاً بدينه وجاهلاً سنن الله ظننها من الطواف الله وفتحها منه عليه.

انظروا إلى أتباع كَرِيشْنَا إن لديهم من المسابح والأوراد والأذكار مثل ما عند صوفيتنا سواء بسواء وأنهم تظهر عندهم الشطحات والأحوال مثل ما تظهر عند صوفيتنا، وأنهم يرددون على مسابحهم كلمات ذكرهم (كريشنا راما راما كريشنا) أو غيرها مثلما تردد صوفيتنا كلمة التوحيد أو كلمة (عولا) على مسابحهم والنتيجة لدى كلا الفريقين واحدة وقد تفوق أتباع كريشنا صوفيتنا نظراً لقوة إخلاصهم وصدق نيّتهم أو لشدة رياضتهم

وفعالية طريقتهم، أفنقول إذن إن دين كريشنا أيضاً دين حق وأن ما يأتيهم من الأحوال ليست إلا من الله؟

إن ما تفعل أصحاب ديانة كريشنا وما تفعله صوفيتنا إنما هو في واقع الأمر شيء واحد لكن كريشنا يتكلمون باسم دين مستقل ليس باسم الإسلام أما الصوفية فيتكلمون باسم الله وألبسوا على دينهم ثوب الإسلام وأوهموا الناس أنها من الإسلام بل ادعوا أنها حقيقة الإسلام ومعرفة الإسلام، قاتلهم الله أنى يؤفكون!

وأخيراً أقول لأولئك الشباب الذين خدعهم ذوقهم وإحساسهم وتلذذهم لا تغتروا بهذا الذي تجدونه في نفوسكم من الذوق والشعور فلعل كل ذلك من الشيطان ليؤهمكم أنكم على حق ويضلكم ضلالاً بعيداً، فقد أوتي من الحيل والمكايد مثل هذا وأكثر من هذا، روى أبو نعيم عن الحسن بن صالح قوله: "إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من السوء" ^(١) فمن يدري قد يكون ما تجدونه وتحسونه في نفوسكم من هذا القبيل؟ واعلموا أنكم مطالبون في أمر دينكم أن تكونوا على بصيرة وهذه البصيرة ليست إلا الكتاب والسنة ليس الذوق وليس الشعور والإحساس، وسوف تسألون يوم القيامة عندما تَمُتُّون بين يدي الله عن كل عمل عملتموه فإذا قلتم: إنما كنا نعمله لأن أذواقنا استحسنته لا يقبل هذا الجواب منكم كما لا يقبل لو أجبتهم إنما فعلنا هذا اتباعاً لآبائنا، واعلموا أن شهادة (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) التي تشهدون بها كل يوم عدة مرات إنما معناه انه مرسل إليكم بدينكم وبما يجب عليكم من العمل والذكر والعبادة لا الذوق مرسل إليكم ولا الشعور ولا اللذة ولا الآباء والأجداد، فتأملوا يا أولى الألباب في قوله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ^(٢).

(١) حلية الأولياء: ٢٣١/٧، ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣٦٩/٧.

(٢) رواه مسلم.

(٨٣) أدلة الصُّوفيَّة

الصُّوفيَّة: لا يأتون لشيء من أقوالهم وأفعالهم وعقائدهم بدليل من الكتاب والسنة فلا يقولون: قال الله تعالى في القرآن ولا يقولون: قال رسول الله ﷺ بل يقولون: قال فلان الشيخ، وقال فلان الأستاذ، وقال كُنَّا حَاجِي وقال حسن أفندي القَحِي، أو قال غيرهم، وحجتهم في ذلك قولهم إننا نحن البسطاء لا نفهم كلام الله ولا نفهم كلام رسول الله ﷺ بل فهم هذين الكلامين متروك إلى كبار المشايخ والأساتذة فهم يفهمونها بدلاً عنا ويشرحونها لنا وقد كَفَوْنَا مشقة فهمهما حتى لو حاولنا فهمهما ما بلغ فهمنا فهمهم ولا دانه. ولا يهمهم ما إذا كان قول شيخهم أو أستاذهم يستند إلى دليل من القرآن والسنة لأنهم يعتقدون فيهم العصمة وأنهم محفوظون من الخطأ وأنهم سائرون على نور وهدى من الله وعندهم العلم اللدني ومن أنكر ذلك أو ظن غير ذلك حُرِمَ بركتهم ولم يصب من نورهم وفيضهم.

أما الجماعة: فلا يقدِّمون قول أحد على قول الله ورسوله عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]. ولا يقولون: قال فلان العالم أو فلان الإمام إلا إذا علموا أنه يستند إلى دليل من الكتاب والسنة أو يستند إلى اجتهاد منه عند فقد دليل صريح من الكتاب والسنة، ولا يعتقدون في أحد العصمة إلا في النبي ﷺ لقوله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١)، والأنبياء في ما يبلغونه عن الله مُسْتَنَوُونَ من هذه القاعدة.

وقال ابن عباس: "أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ، أقول: قال النبي ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وقال عمر"^(٢).

(١) صحيح الجامع الصغير: ٤٥١٥.

(٢) رواه أحمد وابن عبد البر.

ألا ترى إلى قول ابن عباس كيف خاف عليهم الهلكة من قولهم: قال أبو بكر وقال عمر؟ ألا ترى إذا كان قول: قال أبو بكر وقال عمر بدلاً من قال الله وقال رسوله ﷺ مُرْعَباً إلى هذا الحد يخاف منه على قوم الهلكة فكيف إذا جعل مكانه (قال فلان الشيخ) الذي لا يعرف أصله ولا يعرف مصيره، فمن أبو بكر ومن عمر من مشايخهم؟ ومن مشايخهم من أبي بكر وعمر؟ وهل يقاس أحدهما بالآخر؟ أبداً.

(٨٤) دِينُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ أَوِ الدِّينُ التَّقْلِيدِيُّ

الصوفية: تقول: إننا ندين دين آبائنا وأجدادنا والبعض الآخر يقول: ندين الدين التقليدي الذي ورثناه عن آبائنا وأجدادنا والمعنى واحد، وإذا قيل لواحد منهم: إن ما تفعله من العبادة والعمل ليس موجوداً في الكتاب والسنة ولا في كتب الأئمة المعتمدة فلا تفعله فإنه بدعة قال لك في الجواب: (إنما أفعله اتباعاً لما وجدت عليه آبائي فأبني وجدتهم على هذا وأنا أتبعهم في ذلك، وما أتيتنا به شيء غريب علينا ما سمعنا به أأنت أعلم منهم؟ وقد كان في زمنهم علماء فما منعهم من ذلك ولا قالوا لهم ما قلت أنت لنا، وكان بين يديهم الكتاب والسنة ونفس الكتب التي بين يديك، ترى أما كانوا يفهمونها أم أنت أكثر فهماً لها منهم؟ لا نتبعك ولا نأخذ بقولك، إنما أنت جئت لتبدل ديننا فأنت وهابي، وقد كانوا حذرونا منكم، والآن ظهر لنا أمركم، لقد عشنا برهة من الزمان لا نعرفكم ولا نسمع عنكم وقد ظهرتم الآن فأين كنتم؟ وأين كان علمكم حتى الآن؟ لقد قالوا لنا: أنكم جواسيس للإنكليز تأخذون على العمالة لهم دولارات كثيرة).

الجماعة: تقول: إن ما يتقولونه علينا أننا جواسيس للإنكليز وأننا نأخذ منهم دولارات كثيرة فهذا بهتان عظيم من قاله وتكلم فسوف يحاسب يوم القيامة بين يدي الله، وإخهم بهذا الكلام يؤذوننا ويسئون إلينا فينطبق عليهم حكم الكتاب: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ومن بلغه هذا الكلام كان عليه أن يحقق ويتبين قبل أن يصدق لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ١١].

وما تقول الصوفية من أنهم يدينون دين آبائهم وأجدادهم أو الدين التقليدي الموروث عن الآباء والأجداد فهذا الجواب ليس بصحيح من أي وجه.

(١) أولاً: - إن آباءهم وأجدادهم لم يكونوا أنبياء ولا مرسلين حتى يكون لهم دين مستقل مغاير لدين النبي ﷺ بل الواجب عليهم وعلى آبائهم وآباء آبائهم مهما علوا أن يتبعوا دين محمد ﷺ إذ كلنا وآباؤنا وآباء آبائنا نشهد أن محمداً رسول الله الذي جاءنا بالدين.

وكل أب أو جد مهما علا أو عظم إذا خالف في شيء دين محمد ﷺ ينهى عنه ويوقف عند حده، فدين محمد ﷺ هو الدين الوحيد الذي يجب اتباعه على الجميع علينا وعلى آبائنا وأجدادنا وعلى أبنائنا وأحفادنا إلى أن تقوم الساعة، ومصدر تلقي هذا الدين للجميع هو الكتاب والسنة اللذان تركهما رسول الله ﷺ لنا بعد وفاته وقال فيهما: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ مَا تَمَسَّكْتُمُ بِهِمَا فَكُنْ تَصِلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»، وصحة الأقوال والأفعال لا تعرف ولا تثبت إلا بموازنتهما بالكتاب والسنة فما وافقهما فهو الصحيح وما خالفهما فهو الفاسد بقطع النظر عما صدرت، ولا ينظر إلى عظم شأن وجلالة قدر من يصدر منه القول أو الفعل لأنه لا أحد معصوم من الخطأ إلا الأنبياء عليهم السلام، فقد يكون هذا القول أو هذا الفعل من بعض أخطائه، ولا أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ.

إننا اليوم أحياء نمشي على الأرض ونعمرها ولقد كان آباؤنا الذين خلوا مثلاً فيما مضى وسنصبح فيما يستقبل من الزمان آباءً وأجداداً بالنسبة لأولادنا وأحفادنا الذين سيأتون بعد، أي باختصار نحل محل آبائنا فهل من المعقول أن نقول نحن لأولادنا: قلدونا في كل ما نفعل واتبعونا ولا تخالفونا في شيء؟ أم علينا أن نقول لهم: تمسكوا بالكتاب والسنة واعملوا بهما ولا تخالفوهما؟ لعل هذا الأخير هو الأصح الأصوب؟

ومن اللائق في هذا المقام أن يؤتى بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لَا تَعْرِفِ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ إِعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ رِجَالَهُ"، فما أصدقه من كلام وما أبلغها من حكمة أي اعرف الحق من مصدره تعرف أهله ورجاله، ومصدر الحق لنا هو الكتاب والسنة وكتب الأئمة المدونة على وفقهما.

(٢) ثانياً: - إن قولهم: (ندين دين آبائنا وأجدادنا) يشبه قول الكفار الذين قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا ولقد ورد في القرآن في تقرير هذا آيات كثيرة:

منها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ومنها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

ويقرر الله أن من دُعي إلى الكتاب والسنة فلم يأت وظل متمسكاً بما كان يعمل من قبل أنه من المنافقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ [النساء: ٦١].

إن القول بأني أتبع دين آبائنا وتبرير عمله به إنه قول من لا دليل له على ما يفعل قال تعالى يحكي لنا حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٥٣].

وقال تعالى يخاطب نبينا ﷺ ويشبه حاله مع قومه بحال من كان قبله من الأنبياء مع أقوامهم: ﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أُولُو حِجْثُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٤].

لقد كانت ردود الأمم السابقة أكثر وقاحة وأشد استكباراً فانظروا ما يقول قوم شُعَيْبٍ لشعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْتَمِئَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [يونس: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧].

ومثل هذا كثير في القرآن، فيفهم منها كلها أن تقليد الآباء والتمسك بما وجد الآباء عليه إنما هو من قول الكفار وعملهم وأنه مُتَمَسِّكٌ من لا دليل له، لأن الآباء قد يكونون ضلوا وأخطأوا فلا يستحقون حينئذ أن يُقَلَّدوا أو يُتَّبَعُوا، كما قال الله

تعالى حاكياً لقول ابراهيم لقومه: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

وقد يكون الآباء لا يعقلون أو لا يعلمون فلا يهتدون وهنا أيضاً لا يكونون أهلاً لأن يقلدوا أو يتبعوا كما قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. وقال أيضاً: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

ويختلف الأمر تماماً لو كان آباؤنا أنبياء ورسلاً لا يخطئون ولا يضلون إذن لحق لنا أن نقول: إننا نتبع ملة آبائنا كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨].

فعلم بطلان قول أحد: إني أدين دين آبائنا أو أدين الدين التقليدي فلا دين للآباء ولا دين تقليدي غير دين محمد ﷺ وعلى الجميع أباءً وأبناءً اتباعه.

ملاحظة: كثيراً ما يعترض علينا الصوفية إذا أتينا من القرآن دليلاً على بطلان قولهم أو فعلهم ويقولون: إنها آيات نزلت في الكفار ومشركي قريش فلا تطبقها علينا فإنها لا تنطبق علينا فإننا مسلمون، فنقول رداً عليهم:

أولاً: هناك قاعدة أصولية أجمعت على صحتها العلماء وهي: أن العبرة في القرآن والحديث بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فبناء على ذلك تشملهم الآيات، لأنها وإن كانت نزلت بخصوص عبادة مشركي قريش للأصنام لكن لفظها عام يشملكم أيضاً.

ثانياً: إن القرآن نزل في عهد مشركي قريش والصحابة وكل خطاب فيه موجه إما لهؤلاء أو لهؤلاء وقد انقضى هؤلاء وهؤلاء ولكن حكم القرآن باق إلى يوم القيامة فلو قُصِرَتْ آيات القرآن على مشركي قريش وعلى الصحابة ما كان في بقاء القرآن فائدة وما كان كتاباً يرجع إليه ويستنبط منه الأحكام في كل زمان وكل مكان ولكل قوم.

ولقد ذكر الله في القرآن قصصاً كثيرة للرسول وأممهم فليس ذكرها في القرآن مجرد الاستئناس بها بل ليُعْتَبَرَ بها ويُعْظَ بها، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]. فما هي العبرة؟ أليست هي العظة؟ أليست هي الدرس؟ أليس معناه أنكم إذا عملتم مثل عملهم أصابكم ما أصابهم وكان مآلهم مثل مآلهم؟

فلو كان الأمر كما تقول الصوفية ما ذكرها الله في القرآن وما جعلها عبرة وعظة
لنا فيبطل احتجاج الصوفية علينا.
ثالثاً: إذا عملتم عملاً أو قلتم قولاً يشبه عمل الكفار وقولهم أصبحتم مثلهم فلا
فرق بينكم وبينهم فتشملكم الآيات.
أيها الصوفية جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

(٨٥) إِسْتِخْدَامُ الْمَوْسِيقَى فِي حَفَلَاتِ الْأَعْرَاسِ

الصُّوفِيَّةُ: إن لم يكن كلهم لكن كثيراً منهم يستخدمون المعازف والآلات الموسيقية والإسترادا الموسيقية في حفلات أعراسهم والخمر والمسكرات والرقص المختلط للرجال والنساء، هذا كله في غرفة أو جانب من الدار وفي غرفة أخرى أو الجانب الآخر من الدار قراءة المولد النبوي في منظمات وقصائد. هذا للشيوخ الذين خرجت سنهم عن الصبوة والحفلات والرقص، وذلك للشباب الذين ما زالوا في سن التصابي والحفلات والرقص. وهكذا يرضون النوعين من الناس بسخط الله، يرضون الشباب بالحرام ويرضون الشيوخ بالبدعة ألا ساء ما يعملون.

أما الجماعة: فأبعد شئ عن استخدام الحرام أو البدعة في حفلات أعراسهم فلا معازف ولا آلات موسيقية ولا إسترادا موسيقية في حفلات أعراسهم ولا الخمر ولا الرقص المختلط للرجال والنساء أو على الأقل يحاولون التخلص من هذه الظواهر المحرمة. **الجماعة على خلاف الصوفية** تؤدي حفلة الزواج بوليمة يدعى إليها إخوتهم في الدين فيأكلون ويشربون كل ما لذ وطاب ويحمدون الله ويباركون الزواج ويستأنسون ويتحدثون ويفرحون، وربما يلقي بعض الأخوة كلمة فيها نصح أو حكمة أو موعظة، ويشرح للحاضرين آداب الزواج وأحكامه وحقوق الزوجية وواجباتها ثم ينصرفون بعد ذلك. أما أن يقرءوا مولدا في غرفة ويشربوا الخمر في غرفة أخرى وأن تقام حفلة عرس في ساحة الدار فيها مزامير وطبول وأنواع أخرى من الموسيقى وفيها رقص مختلط بين الرجال والنساء وأن يرضوا أحدا بسخط الله فهذا لا يكون أبداً، عملاً بما قال النبي الكريم محمد ﷺ: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَّاهُ اللَّهُ مَوْوَنَةَ النَّاسِ وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»^(١).

(١) رواه الترمذي.

(٨٦) الْقُرْآنُ

الصُّوفِيَّةُ: يستعملون القرآن في غير ما أنزل له، إنهم يقرأونه لا ليتدبروه فيعتبروا بقصصه وأخباره ولا ليعملوا بأوامره ونواهيه، بل يقرأونه على الأموات أو يقرأونه في القباب على القبور ليصل إلى أصحابها ثوابه و يقرأونه بأجرة يأكلون به أموال الناس بالباطل أو يستكثرون به، أو يعلقونه كحجب وتمايم، أو لا يقرأونه أصلاً بل يقتنونه لمجرد التبرك به ويعلقونه على الجدار في غلاف مزين مرصع ولا ينزلونه من الجدار إلا عند موت أحد، وإن كان بين الصوفية من يقرأ القرآن فإنما يفعل ذلك رغم قاعدتهم إذ من واجبات المريد أن لا يذكر الله بغير ما أُذن له فيه، ولا يقرأ القرآن إلا إذا أذن له الشيخ الذي تولى تربيته وترقيته إلى المقامات العليا، فإن لكل حال من أحوال المريد ولكل مقام من مقاماته ذكراً خاصاً يناسبه وعلم ذلك إلى الشيخ كما أن علم الطب والأدوية إلى الطبيب فإن خالف المريد ما رسم له فلا ينتفع به وقد يصيبه مس أو خبال.

الْجَمَاعَةُ: تعلم أن الله أنزل القرآن ليقراه الناس ويتدبروه ويعملوا بأوامره ونواهيه ويهتدوا بهداه ويعتبروا بقصصه ويتعظوا بمواعظه لا ليقرأ على الأموات ولا في القباب ولا ليقرأ بأجرة ولا ليعلق كحجب وتمايم ولا ليقتنى لمجرد التبرك فيعلق على الجدار. إن الله يذكر لنا الغاية من إنزاله فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه: ١]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إن الله نزل القرآن للأحياء ليعملوا به في حياتهم فليس القرآن للأموات كما قال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠]. فكان النبي ﷺ والصحابة يقرأون القرآن ويُطَبِّقُونَهُ في حياتهم ويُنَظِّمُونَ حياتهم على وفق تعاليمه وإرشاداته فسعدوا بذلك في الدنيا والآخرة وأصبحوا سادة الأمم وانقادت لهم شعوب العالم، وحين ترك المسلمون تعاليم القرآن ومن بعض ما عملوه أن حولوا القرآن من الإحياء إلى الأموات يقرأونه على القبور وأيام التعزية تسلَّطَ عليهم العدو وأصابهم الذل والتفرق وأصبحوا غثاء كغثاء السيل ونزع الله من قلوب أعدائهم المهابة وقذف في قلوبهم الوهن حب الدنيا وكرهية الموت كما حذر من ذلك الحديث.

ولو كان في قراءة القرآن على الموتى أو على القبور خير لكان أول فاعل له النبي ﷺ والصحابة، لأنه ما من خير إلا دل النبي ﷺ أمته عليه وما من شر إلا حذر أمته منه كما جاء بذلك الحديث.

(٨٧) صَرَفُ النَّاسِ عَنِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ

الصُّوفِيَّةُ: تصرف الناس عن القرآن والحديث ودراستهما والتدبر فيهما بحجة أننا لا طاقة لنا بهما ولا نفهمهما، يقولون إننا لا نفهم القرآن لأن القرآن الكريم كلام الله جل وعلا، ولا نفهم الحديث لأنه كلام الرسول ﷺ ونحن رجال صغار جهال لم نبلغ مبلغا نفهمهما فيه فأنى لنا أن نفهمهما؟ فواجبنا نحن إذا قرأنا القرآن أن نقرأه لمجرد الأجر والثواب أو على الميت أو القبر لا للتدبر معانيهما ولا لنستقي علومهما، فليس هذا إلينا، فقد فعله وكفانا مؤنته أئمتنا وعلمائنا القدامى فقد استنبطوا منهما العلوم ودونوها في كتبهم وسهلوا علينا الطريق، فلم يبق علينا إلا السير في الطريق الذي مهدوه لنا، فأبي حاجة بنا بعد كل ما عملوه وما أكثر ما عملوه إلى أن نتحمل العناء ونشق طريقا جديدا لأنفسنا لاسيما ونحن لم نبلغ مبلغهم ولم نستكمل الآلة اللازمة لذلك؟

الْجَمَاعَةُ: تقول: هذا الكلام من الصوفية مكيدة شيطانية وزخرف من القول يتوسلون به إلى صرف الناس وإبعادهم عن القرآن والحديث وتدبر معانيهما ليقبوا المسلمين على جهلهم بدينهم فيسهل عليهم التحكم في عقولهم فانخدع به ضعفاء المسلمين وصدقوهم وأصبحوا جاهلين بكتاب الله وسنة رسوله، لأن المسلم إذا كان بعيداً عن كتاب الله وسنة رسوله لا يقرأهما إلا بأجرة يأخذها، وإلا على الأموات ولا يتدبر معانيهما ولا يعمل بما فيهما كان جاهلاً بالدين وجاهلاً بمكايد الشيطان وحيل الكفار وجاهلاً بأنواع الشرك والبدع فيصعب عليه الاحتراز من الشيطان ومكره وعن الشرك والبدعة فيقع فيهما وهو لا يدري كما وقع وغرق فيهما الصوفية.

إن الله أنزل القرآن للناس ليقروا ويتدبروا معانيه ويتفهموه ثم يعملوا بتعاليمه ويهتدوا بهداه كما قلنا هذا في الفصل السابق فقد ذكر الله نفسه الغاية من إنزاله لكتابه في آيات كثيرة منها: ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢].

وأفهام الناس وإدراكاتهم في فهم القرآن والاطلاع على معانيه تتفاوت من شخص إلى آخر فليس فهم بعض العوام مثلاً كفهم أبي بكر وعمر أو فهم أبي حنيفة والشافعي رحمهم الله ولكن هذا لا يعني أنه يجوز لأبي بكر وعمر، أو لأبي حنيفة والشافعي أن يقرأوا القرآن ويتفهموا معانيه ولا يجوز لمن لا يساويهم في ذلك فهذا لا يقول به أحد من الناس بل لكل من الناس أن يقرأ القرآن ويتدبر معانيه ويتفهمه فما فهمه عمل به وما أشكل عليه أو لم يفهمه سأل عنه من هو فوقه في العلم أو راجع الكتب التي كتبت في تفسيره، لأن كتب التفسير إنما وضعت لأجل تسهيل فهم معاني القرآن على أمثالنا نحن أما أن ينصرف الإنسان عن تدبر القرآن وتفهم معانيه بالكلية بحجة أننا لا نفهمه أصلاً فهذه حيلة ومكر بالمسلمين ليكونوا بمعزل عن مصدر التلقي لديهم الكتاب والسنة اللذين تركهما رسول الله ﷺ لنا بعد وفاته.

ولا يطلب كذلك ممن يريد فهم القرآن أن يكون قد تخرج من الجامعة أو المعهد أو أن يكون قد حصل على دبلوم علمي أو شهادة الدكتوراه فقد أنكر الله على مشركي قريش عدم تدبرهم للقرآن فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

فما كان قريش قد تعلموا العلوم ودرسوا الفنون وما كانوا تخرجوا من الجامعات والمعاهد بل ما كان أكثرهم يعرفون القراءة والكتابة إنما كانوا فقط عرباً يعرفون لغتهم العربية ومنحهم الله من الفهم والفكر ما لو شاءوا وتدبروا القرآن لفهموه، ولكنهم ما شاءوا وما تدبروا فما فهموا فأنكر الله عليهم عدم تدبرهم له وشبههم بمن علق القفل على قلبه وأغلقه.

وكل من حذا حذو قريش واقتدى بهم في موقفه من القرآن وإعراضه عنه كان داخلاً تحت حكم الآية ولا ينفعه قوله إني مسلم ولست من مشركي قريش.

أقول هذا القول الأخير لأن صوفية زماننا اعتادوا كلماً أتينا لهم بدليل من القرآن على أعمالهم الشركية أن يقولوا: لماذا تطبقون علينا الآيات التي نزلت في مشركي قريش؟ فإذا تقرر هذا علم أنه لو كان تدبر القرآن وإدراك مقاصده مستحيلاً على مشركي قريش وعلى أمثالنا نحن ما كان الله ليطلب منهم ذلك ولا لينكر عليهم تركه إذ لا يمكن عقلاً ولا شرعاً أن يطالب الله عبده بما لا يقدر عليه كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿البقرة: ٢٨٦﴾ ثم يعاتبه على تركه فعلم من ذلك أن تدبر القرآن وفهم معانيه أمر ممكن ومطلوب من كل أحد يتأتى منه ذلك وليس حُكْرًا على الأئمة أو من في مرتبتهم في العلم.

ولا ندعى أننا نفهم القرآن على المستوى الذي كان يفهمه أبو بكر وعمر أو كان يفهم أبو حنيفة أو الشافعي بل أقل منهم بما لا يقاس فمثلنا في ذلك كمثل من يسبح في البحر متجهًا إلى عرضه فإن كان أولئك قد أبعدوا إلى مسافة كيلومتر مثلاً فنحن نسبح فيه إلى مسافة خمسة أمتار أو تزيد أو تقل وذلك نظراً لقدرتنا وملكاتنا العلمية، وهل يقول هنا أحد: إذا كنت لا تقدر أن تسبح مثل الشافعي فلا تقرب البحر أصلاً؟ إن القرآن هو البحر الذي لا ساحل له ولا تنتهي علومه ولم يبلغ أحد من الناس منتهاه حتى لو جاء أئمة مئات بل ألوف ما قال أحد إنهم يأتون على علوم القرآن كلها ولا يبقى لأحد شيء منها.

إننا نرى العلماء اليوم يستخرجون من القرآن معاني كثيرة وأسراراً عجيبة ودلالات ووجوه أعجاز لم يرد ذكرها في كتب التفسير القديمة، فهذا عبد المجيد الزندائيُّ كم أخرج كُتَيْبَاتٍ وكم أخرج أشرطة في الإعجاز العلمي لقيت قبولاً وراجت رواجاً في الأوساط العلمية ليس بين المسلمين فحسب بل وبين الكفار أيضاً، وكم أسلم على يده ممن ناقشه أو باحثه في علوم القرآن فلو وقف الزندائيُّ هذا موقف الصوفية السليبي من القرآن أكان يحصل هذا؟ لا، أبداً.

وقفنا الله لقراءة القرآن والحديث وفهم معانيهما وعصمنا من كيد الصوفية وحيلهم آمين.

(٨٨) الْأَحَادِيثُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يوردون أحاديث باطلة وموضوعة ويعتمدون عليها ولا يتأكدون من صحتها من كتب الأحاديث الصحيحة حسب القواعد التي قررها علماء الحديث ويزعمون صحتها عن طريق المكاشفة، وعندما يذكرون أحاديث موضوعة كثيراً ما يقولون: (حدثني قلبي عن ربي) ويقولون في المحدثين "أنتم تحدثون ميتاً عن ميت ونحن نحدث عن الحي الذي لا يموت".

يقول أحمد بن حراز فيما يرويهِ عن شيخه التجاني: "قال رأيته ﷺ مرة (طبعاً يقظة) وسألتُهُ عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان واحدة قلت فيها: يمكث بعد نزوله أربعين وقلت في الأخرى سباً ما الصحيحة منها؟ قال ﷺ: رواية السبع" (١).

وكتب الصوفية مشحونة بهذه الأحاديث الموضوعة، ولقد دخل كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين) الشيء الكثير منها، لذلك قال الجاسوس الإنكليزي همبير الذي ألف كتابه عن محمد بن عبد الوهاب: "إذا أردنا أن نخدم الإسلام فعلياً أن ننشر الصوفية بينه لا سيما كتب الإمام الغزالي (الإحياء وغيره)".

الْجَمَاعَةُ: لا تقبل الأحاديث ولا تعتمد عليها ولا تعمل بها ولا تبني عليها الأحكام إلا إذا ثبتت صحتها وصحتها علماء الأحاديث حسب القواعد التي قرروها لمعرفة صحة الحديث أو بطلانه وذلك إن اليهود وأعداء الإسلام سَعَوْا وما يزالون يسعون في محاربة الإسلام وتشويهه ويستخدمون لذلك ما قدرت عليه أيديهم من الطرق والأساليب ومن تلك الأساليب أن يدخلوا في الإسلام أحاديث موضوعة ينسبونها إلى

(١) جواهر المعاني: ٥٠/١.

النبي ﷺ فوضع العلماء أسساً وقواعد ووضعا أصولاً لتمييز الأحاديث الصحيحة من الموضوعة فما جاء من الأحاديث على وفق تلك الأصول اعتبروه صحيحاً أو حسناً، وما لم يوافقه اعتبروه ضعيفاً أو موضوعاً.

أما إثبات صحة الحديث أو بطلانه عن طريق المكاشفة أو الوحي الصوفي المزعوم أو الإلهام أو المنام فليس معتبراً عند علماء الحديث إنما هي مزاعم صوفية مردودة عند العلماء لذلك نجد علماء الحديث كالبخاري ومسلم والإمام أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم من أئمة الحديث يثبتون الأحاديث حسب قواعدهم المقررة عندهم ولا يزعم أحد منهم أن حديث كذا وكذا ثبتت صحته عندهم عن طريق الكشف أو المنام أو غيره.

ولقد اعترف أناس كثيرون من وَضَّاعِي الأحاديث بأنهم وضعوا الأحاديث وانتشرت هذه الأحاديث في الأمة الإسلامية لا أذكر أسماءهم الآن.

فوصيتي لكل مسلم أن لا يغتر بالصوفية، فإنهم أتباع شياطين. وأذكر هنا بعض أحاديث موضوعة تكثر الصوفية من ذكرها ويستدلون بها على اعتقاداتهم الباطلة وعباداتهم البدعية:

- (١) إن الله قبض قبضة من نوره فقال لها كوني محمداً.
- (٢) أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر.
- (٣) توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم.
- (٤) من حج ولم يزرني فقد جفاني.
- (٥) من عرف نفسه فقد عرف ربه.
- (٦) كنت كنزاً مخفياً.
- (٧) أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم أهتديتم.
- (٨) لما اقترف آدم الخطيئة قال رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي.
- (٩) اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله.
- (١٠) إذا صعد الخطيب المنبر فلا صلاة ولا كلام.
- (١١) عليكم بدين العجائز.
- (١٢) من أخلص لله العبادة أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

(١٣) إذا أعتيكم الأمور فعليكم بأهل القبور (سبحان الله! هل يأمر النبي ﷺ بالشرك الصريح؟).

(١٤) من زار قبر والديه كل جمعة أو أحدهما فقرأ عنده سورة "يس والقرآن الحكيم" غفر له بعدد ذلك آية أو حرفاً.

(١٥) من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات.

(١٦) صببت ما في صدري إلى صدرك.

(٨٩) اَلْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ

الصوفية: يجوزون الحلف بغير الله كالحلف بالشمس والقمر والسموات والمسجد والعرش والكعبة والبركة والطعام ونحو ذلك.
وقد حلف شاعرهم محمد البوصيري في قصيدته البردة التي مدح بها النبي ﷺ بالقمر) فقال:

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنَشَّقِ أَنَّ لَهُ * مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

أما الجماعة: فيعتقدون حرمة الحلف بغير الله أو بغير اسم أو صفة من أسماء الله وصفاته لما في الحلف بشيء غير الله تعظيم للمخلوق لا يليق بغير الله. ويروونه شركاً أصغر لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» (١). ومعناه أنه أشرك مع الله غيره في تعظيمه حين حلف به وهو من كبائر الذنوب يجب الحذر منه والتوبة عنه إن كان فعله.

هذا إذا لم يقترب به ما يجعله شركاً أكبر أما إذا اقترن به ما يجعله أكبر كان كذلك وأخرج صاحبه من الملة والعياذ بالله كأن يعتقد الحالف بشيخه مثلاً أن له سرّاً التصرف والقدرة على الانتقام منه إن حلف به كاذباً لأنه هنا أشرك مع الله في صفاته المختصة به آخر وهي التصرف والقدرة على الانتقام وإيصال الضرر إليه بالطريقة الغيبية.

وقد كان من عادة العرب قبل الإسلام أن يحلفوا بآبائهم وبأمهاتهم وبأصنامهم فنهى النبي ﷺ عن الحلف بها كلها وقصر الحلف على الله وحده. (روى الشيخان) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أدرك عمر رضي الله عنه في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ

(١) صحيح رواه أحمد وغيره.

كَانَ خَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ» قال عمر: "فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا أَوْ آثِرًا".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرُكَ فَلْيَتَصَدَّقْ»^(١).

وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يحلف: "لَا وَالْكَعْبَةِ" فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢).

وقال ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدَقْ وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلْيَسْ مِنْ اللَّهِ»^(٣).

وقال ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»^(٤).

وقال ابن مسعود "لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا خَيْرٌ مِنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا"^(٥).
أقول: لأن الحلف بالله كاذباً دون الشرك والحلف بغير الله شرك أصغر وقد يكون أكبر.

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٧٢٤٧.

(٤) صحيح الجامع الصغير: ٧٢٤٩.

(٥) صححه الألباني في إرواء الغليل (٢٥٦٢).

(٩٠) إِيثَانُ الْعَرَّافِينَ وَالْكُهَّانِ وَتَصْدِيقُهُمْ

الصُّوفِيَّةُ: يأتون العرافين والدجالين والكهان والمنجمين ويسألونهم عن أخبار الغيب وعن أماكن المفقودات والمسروقات وعن مصائرهم وعما يواجههم في حياتهم وعما يصلح لهم من الحرف والأعمال والأموال والأزواج والمواشي فيقولون لهم: يصلح لكم من الحرف حرفة كذا وكذا كالتجارة أو الزراعة أو غير ذلك، ويصلح لك من الأزواج من صفتها كذا ولونها كذا وطولها أو قصرها كذا، ويصلح لك من المواشي البقر دون الضأن أو العكس ومن البقر ما لونها كذا وكذا أسود أو أحمر أو المُبَقَّعُ، فيؤمنون بهم ويصدقونهم على ذلك وعلى تنبؤاتهم وأخبارهم عن الغيب.

أما الجَمَاعَةُ: فيعتقدون حرمة إتيان المنجم والكاهن والعراف والساحر والرمال والمُنَدِّل وغيرهم كائناً من كان ممن يدعي العلم بما في النفس أو بما يكون في المستقبل أو بما يواجه الإنسان في حياته أو بما يصلح له من الحرف والأموال والأزواج والمواشي لأن ذلك من اختصاص الله تعالى كما يحرم تصديقهم على ذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تَقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(١).

(١) رواه مسلم.

وقال ﷺ أيضاً: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» (١).

فانظر بارك الله فيك كيف إن رسول الله ﷺ جعل مجرد إتيان الكاهن وسؤاله عن شيء سبباً في عدم قبول الصلاة أربعين ليلة، أما إذا سأله فصدقه فقد اعتبره كفراً بما أنزل على محمد ﷺ. هل يبقى بعد هذا عند من له مسكة من العقل أدنى شك في بطلان أعمال الصوفية وحرمة إتيان الكهان والمنجمين.

أما ما يقع أحياناً من الدجالين من مطابقة أخبارهم للواقع فلما لهم من الصلة الوثيقة بالجن التي تفرغت لهذه الأعمال ولإضلال الناس بهذه الطريقة فالجن لما عندها من سعة الكشف والاطلاع وسرعة التنقل تأتي هؤلاء الكهان والمنجمين بما عندها من أخبار تخفى على الناس وقد يَصْدُقُونَ فيها تمويهاً على الناس وفي الغالب يكذبون قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

وقيل إن الشيطان كما أنه يوسوس في قلب الإنسان كذلك يطلع على بعض ما في نفسه فينقله إلى مركز أنبائهم ومنه يوزع إلى وكلائهم وعملائهم حسب ما يقتضيه الأمر، والله أعلم.

(١) صحيح رواه أحمد.

(٩١) إِعْلَانُ الصَّدَقَاتِ

الصُّوفِيَّةُ: يعلنون صدقاتهم على رؤوس الإِشهاد في المساجد ويطلبون من المصلين الدعاء لهم مقابل صدقاتهم.

وذلك إنهم يبعثون بصدقاتهم إلى المساجد الكبيرة في المدن ومعها ورقة كتب فيها مقدار المال واسم الذي بعثها، فيأخذ الإمام الخطيب هذه الأوراق كلها يوم الجمعة قبل الصلاة عند اجتماع الناس للصلاة فيقرأها على رؤوس الأشهاد رافعاً صوته بها ويقول: إن فلاناً اسمه كذا من قرية أو مدينة كذا بعث بمال إلى مسجدنا مقداره كذا فتعالوا ندع له، يفعلون هذا تشجيعاً للناس على إرسال الصدقات إليهم لأنه إذا علم إنسان أنه يذكر اسمه ويسمعه الناس الكثير ويدعون له تتشوق نفسه إلى أن يَسْمَعَ باسمه وبصدقته الناس ويدعوا له وهكذا يأخذون على هذا الأمر جزءاً كبيراً من أوقات الناس الذين جاءوا إلى المسجد للصلاة وقراءة القرآن وذكر الله والصلاة على النبي ﷺ وجعلوها وسيلة ناجحة لجمع التبرعات من الناس في صالح المسجد.

أما **الْجَمَاعَةُ:** فيرون هذا العمل رياء وسمعة ويرون إخفاء الصدقات أفضل من إبدائها قال تعالى: ﴿إِنْ تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]. وقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» ^(١).

وذكر النبي ﷺ أن من تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه كان في عداد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.

(١) صحيح الجامع الصغير: ٣٧٥٩.

وَجُلٌّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعْلَقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

أما إعلان الصدقات في المساجد وذكر مقاديرها وأسماء المتصدقين بها ثم طلب الدعاء من الناس وإمضاء جزء كبير من أوقات الناس عليه فهذا منكر عظيم وبدعة قبيحة، وعمل لا يتفق مع روح الإسلام ويفقد الصدقة معناها الحقيقي، إنه عمل لم يعمل به النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعون ولا الأئمة من بعدهم ولو كان خيراً لسبقونا إليه، والله أعلم.

(١) متفق عليه.

(٩٢) لَا تَسْمَعُوا قَوْلَ الْوَهَّابِيِّنَ

الصُّوفِيَّةُ: تقول لأتباعهم لا تسمعوا قول الوهابيين ولا تكلموهم ولا تجادلوهم فإنكم مهما حرصتم لا تغلبون عليهم ولا تعجزونهم، إنهم مهرة في الكلام فصحاء في الجدل تعلموا العلم لأجل المجادلة والتغلب على الخصوم فقط، إنهم يتكلمون كلاماً تسعة أعشاره حق ثم يدسون فيه باطلاً من حيث لا تشعرون ويدوِّخون بجميل خطابهم وزخرف قولهم رؤوسكم فتصبحون ضحاياهم ويردونكم في ملتهم، فلا تكلموهم بل اجعلوا أصابعكم في آذانكم واستغشوا ثيابكم.

الْجَمَاعَةُ: سبحان الله!! ما أصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ...»^(١).
لقد قالت هؤلاء الصوفية مثل ما قالت كفار قريش: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَّا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]. وفعلوا مثل ما فعل قوم نوح الكفار الذين قال الله فيهم يحكى فعلهم ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]. تُرى لِمَاذَا جعلوا أصابعهم في إذانهم ولماذا استغشوا ثيابهم؟ فالجواب واضح من السياق وهو: لئلا يقرع مسامعهم قول نوح فلا يؤثر فيهم.

هكذا الكافر لا يثق بنفسه فيخاف عليها من سماع الحق، هكذا دين الصوفية يقوم على أساس غير متين يخاف عليه من سماع الحق، وهكذا رؤوس الكفار والمبطلين يخاف عليها الدوخان من سماع الحق.

(١) متفق عليه.

فأين أولئك من أهل السنة والجماعة الذين يجادلون بالتي هي أحسن عملاً بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وأين أولئك من أهل السنة والجماعة الذين يسمعون ما يقال فيتبعون أحسنه عملاً بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

إن الجَمَاعَةَ: لا يخافون على أنفسهم من مجادلة الصوفية لأنهم يعلمون أنهم يقومون على أساس متين، وإن الجماعة لا يخافون على رؤوسهم أن أحداً يُدَوِّخُهَا لأنهم على بصيرة من أمرهم وإن الجماعة لا يخافون من أن يدس أحداً الباطل في كلامه فلا يشعروا به لأنهم يتعلمون الحق والباطل على أساس الكتاب والسنة فيعلمون الحق والباطل عند أول ظهورهما فيقولون للحق: هذا حق وللباطل: هذا باطل.

انظر أيها القارئ الكريم هذا الفرق العظيم بين الصوفية وبين الجماعة وانظر الفرق العظيم بين رؤوسنا ورؤوسهم، ذلك لأن الجماعة قائمة على أساس من الحق لا يتزعزع ولأن الصوفية قائمة على أساس هش أو على باطل ليس له أساس أصلاً.

اللهم سلمنا من الانحراف في ديننا ودينانا.

(٩٣) أَحَادِيثُ عَنِ الْوَهَابِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يوردون لتأييد قولهم عن الوهابية ولتبرير موقفهم منهم أقوالاً ينسبونها إلى الرسول ﷺ ويسمونها أحاديث من أمثال: (من قتل وهابياً فكأنما قتل ستين كافراً) و (من قتل وهابياً دخل الجنة) و (من قتله الوهابي دخل الجنة).

ولقد لقيت مرة في موسم الحج في مِئى رجلاً داغستانياً أوارياً ممن يعادي الوهابيين يُدعى علي قد قضى حياته في الأعمال الجامعية وهو ذو تحصيل عال أظنه كان بروفيسوراً أو قريباً منه، فقال لي وهو يحاورني: (ألم تسمع ما قال الرسول ﷺ إن من قتل وهابياً فكأنما قتل ستين كافراً؟ فقلت: أما أنا فلم أسمع بهذا الحديث ولعلك بلغت من العلم مبلغاً تسمع فيها ما لم يقله الرسول ﷺ؟ ولم يكن الرجل عالماً ولا متعلماً بالعربية ولا قارئاً لها، ولكنه كان قد أصبح في عداد الصوفية فأصبح ضحيتهم.

الْجَمَاعَةُ: تقول: معاذ الله أن نكذب على النبي ﷺ وأن نتقول عليه ما لم يقله، إننا نخاف إن فعلنا ذلك أن نتبوء مقاعدنا من النار، ولقد قال الرسول ﷺ «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

كيف يمكن للنبي ﷺ أن يقول في الوهابية شيئاً وما ظهرت كلمة الوهابية التي تنسب إلينا، وما جرى لها ذكر إلا منذ القرون الثلاثة الأخيرة بعد ما ولد محمد بن عبد الوهاب في عام ١١١٥هـ وبدأ دعوته للتوحيد وإخلاص العبادة لله.

هكذا الصوفية لا يرتدعون حتى عن الكذب على النبي ﷺ فيضعون أحاديث باطلة مختلقة وينشرونها بين الناس لتضليلهم، وهذا من أهم الفروق بين الصوفية وبين الجماعة فالصوفية يوردون من الأحاديث ما غث وما سمن وما صح وما بطل ولا يبالون

(١) صحيح الجامع الصغير: ٦٥١٩.

بصحة الإسناد ولا بصحة المتن ولا يبالون من أي كتاب أخذوها ولا أي إمام أخرجها ولا يبالون هل صححها الإمام الذي أخرجها أم لم يصحح ومن أراد التأكد من ذلك فليُنظر إلي ما كتبوا من كتب ونشروا من جرائد يجد الأمر كما ذكرت، بينما الجماعة عندما يوردون الأحاديث يتأكدون من صحة سندها وصحة متنها فلا يقبلونها على عِلَّاتِهَا.

اللهم لا تطمس على بصائرنا كما طمست على بصائر الصوفية.

(٩٤) زَوَاجُ التَّحْلِيلِ

الصُّوفِيَّةُ: يحللون الأزواج المطلقة طلاقاً بائناً لأزواجهن الأوائل بطريقة غير مشروعة بواسطة الْمُحَلِّلِ الذي يستأجرونه لعملية التحليل.

وذلك أن المرأة إذا طلقت ثلاثاً بأن قال لها زوجها طلقك ثلاثاً أو طلقت ثلاث مرات بالفعل وأراد زوجها الأول أن يراجعها يجدون له شخصاً يستأجرونه لعملية التحليل بأجرة يتفقون معه عليها، وقد يوافق دون أجر، إذ لا يفقد بذلك شيئاً فيزوجونها منه ليلة واحدة يقضيها عندها، على أن يطلقها من الصباح فيجامعها في تلك الليلة على حسب قدراته الجنسية ثم من الصباح يأتي ذووها أو زوجها الأول فيأخذونها منه ويفارقها ويأخذ الأجرة. ومن العجيب في هذا الزواج أن الزوج المستأجر هو الآخذ للمهر وليس معطيه على عكس اللازم في الزواج الإسلامي المشروع.

كان في محتاج قلعة عاصمة دَاغِسْتَانَ رجل من قرية هَرْكَانَ الْأَوَارِيَّةِ يُدْعَى مُحَمَّدُ نُورُ مُحَمَّدُ الْهَرْكَانِيَّ وَكان صديقاً لي اختلف إليه كثيراً وأتحدث معه ساعات طويلة وكان متعلماً عالماً باللغة العربية منتسباً إلى المدرسة الإصلاحية التابعة لِمُحَمَّدَ عَبْدَهُ مفتي الديار المصرية وجمال الدين الأفغاني وحدثني مرة عن رجل أوارى ما يزال على قيد الحياة إلى الآن أكره أن أذكر هنا اسمه فقال: إني والله أعلم أن هذا الرجل نَكَحَ ثلاثمائة امرأة نكاح تحليل لأزواجهن الأوائل، والله أعلم مدى صدق كلامه.

الْجَمَاعَةُ: يرون نكاح التحليل باطلاً وحراماً وعملاً قبيحاً والإسلام بسموه ونزاهته بريء من أن يجيز نكاح التحليل.

ويدل على حرمة أحاديث وآثار واردة عن الصحابة رضوان الله عليهم ففي الحديث عن ابن مسعود وجابر مرفوعاً «لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ»^(١).

(١) صحيح الجامع الصغير: ٥١٠١.

وعن عُقْبَةَ بن عامر مرفوعاً: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هُوَ الْمُحْلَلُ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحْلِلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ»^(١).

وروي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم أن رجلاً قال له: تَزَوَّجْتُهَا أُحِلُّهَا لِزَوْجِهَا لَمْ يَأْمُرْنِي وَلَمْ يَعْلَمْ؟ قال: «لَا إِلَّا نِكَاحَ رَعْبَةٍ إِنْ أَعْجَبَتْكَ أَمْسَكْتُهَا وَإِنْ كَرِهْتُهَا فَارْقَتَهَا» قال: «وَإِنْ كُنَّا نَعُدُّهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفَاحاً وَقَالَ: لَا يَزَالَانِ زَانِيَيْنِ وَإِنْ مَكَّنَّا عِشْرِينَ سَنَةً إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحِلَّهَا»^(٢).

وجاء رجل إلى ابن عباس فقال: "إِنَّ عَمِّي طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا أُيْحِلُّهَا لَهُ رَجُلٌ؟ قال: مَنْ يُخَادِعُ اللَّهَ يُخَدَّعُ"^(٣)، وبهذا فهم ابن عباس أنه من مخادعة الله وانه غير جائز.

وروي أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هدد من يمارس نكاح التحليل فقال: "لَا أُوتَى بِمُحْلِلٍ وَلَا مُحَلَّلٍ لَهُ إِلَّا رَجْمُهُمَا" فسئل ابنه عن ذلك فقال: "كِلَاهُمَا زَانٍ"^(٤).

بهذا نرى أن نكاح التحليل كان فعلاً قبيحاً وعملاً ممقوتاً بين الصحابة، أما الصوفية فنكاح التحليل عندهم هو الوسيلة الْمُحِبَّةُ الوحيدة التي يلتجئون إليها لإعادة المرأة إلى زوجها الأول بعد تطبيقها ثلاثاً، إنهم في هذا يعملون بظاهر الآية: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ويخالفون فحواها ومغزاها حقيقة كما يخالفون الأحاديث والآثار الواردة.

قبحهم الله من صوفية جعلوا نكاح التحليل حرفة يحترفونها وقبح الله التيس المستعار الذي باع كرامته وعرضه بليلة يقضيها عند امرأة أجنبية على غير حل وقبح الله الزوج الأول الذي رضى بتسليم زوجته عارية لقضاء ليلة عند رجل أجنبي ثم رجعتها إليه بعد أن قضى التيس المستعار وطره منها دون أن تنكح زوجاً غيره نكاحاً شرعياً يطالب به الإسلام.

اللهم جَنِّبْنَا فساد الصوفية ولَوْمَ فعالمهم.

(١) صحيح الجامع الصغير: ٢٥٩٦.

(٢) أخرج بعضه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه ابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد الرزاق.

(٩٥) الزَّوْجُ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ

بعض الصوفية يتزوجون النساء بدون ولي وشاهدي عدل من بني البشر بل على زعمهم بشهادة الملائكة وبأقلِّ مُتَمَوِّلٍ خمسة كواييك أو خمسة روبلات للصدّاق، وقد قام بهذا النوع من النكاح عدد من معارفي في دَاغِسْتَان أَقروا على أنفسهم أنهم فعلوا ذلك بإباحة واحد ممن ينسب إلى العلم من قرية بئُلُخ، وإني لأعرف الآن اسم الذي أباح هذا النكاح وأسماء من فعلوه ولو شئت لذكرتهم لكن بعض الأخوة أشاروا على أن لا أصرح بأسماء المخالفين قائلاً: إنك بذكرك أسماءهم تبعد الشقة بينك وبينهم وتزيد النقرة، ولعلمهم أن يتوبوا فيغفر الله لهم فيبقى كتابك وفيه أسماءهم وهم قد تابوا.

وإذا سئلوا عن صنيعهم هذا الذي يخالف الشرع قالوا: إنما نعمل ذلك بناء على مذهب الإمام داود الظاهري ويا له من دليل قوي!..

الْجَمَاعَةُ: ترى هذا النوع من النكاح كالذي سبق عملاً قبيحاً ومنكراً فظيماً وخروجاً على سنة نبينا محمد ﷺ.

لقد مات نبينا ﷺ ولم يترك شيئاً من أمور ديننا إلا بينه لنا فإن كان خيراً دلنا عليه وإن كان شراً حذرنا منه كما قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ»^(١).

وكما روى أبو ذر رضي الله عنه: "تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا عِلْماً مِنْهُ"^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد.

لقد بين لنا رسول الله ﷺ أمور النكاح قولاً وعملاً وسنّ لنا فيه سنناً جميلة ليكون هو لنا فيها قدوة جميلة، ولكن ما وقفنا على مثل صنيع هؤلاء لا في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال ومذاهب الأئمة ولا أدري ما إذا كان مثل هذا في المذهب الظاهري الذي ينتسب إليه داود، فإن كان في أي دليل يستند؟ ومن المعلوم المتفق عليه بين علماء الأئمة أن الحكم الذي جاء صريحاً في القرآن والسنة لا يعدل عنه إلى أي رأي أو أي مذهب لأحد كائناً من كان، ولا اعتبار لأي رأي أو أي مذهب يخالف ذلك. ولا سمعنا كذلك في واقع حياة النبي ﷺ ولا الصحابة ولا الأئمة أن أحداً منهم تزوج امرأة بشهادة الملائكة وبربع درهم ودون ولي، فإن لم يفعلوا فكيف جاز هؤلاء ما لم يفعلوا؟ أجهلهم شرع جديد؟ أم وجدوه في العلوم الدنيوية؟ أم اطلعوا في اللوح المحفوظ على حكم جديد؟ أم هم يشبعون غرائزهم اتباعاً لأهوائهم فمؤهوا على العامة وخدعهم وتوسلوا بمثل تلك الكلمات المنمقة إلى اباحة الزنا؟ أم ساووا النبي ﷺ فجاز لهم ما كان من خصوصيات النبي ﷺ وهو هبة المرأة نفسها للنبي؟

لقد خالفوا بعملهم هذا قول الله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٢٥] فنكحوهن بدون إذن أهلن ولم يؤتوهن أجورهن بالمعروف.

وخالفوا قول الرسول ﷺ الذي قال: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَشَاهِدَيْنِ عَدْلٍ»^(١). والمراد من الشاهدين في الحديث شاهدان من بني البشر لا من الملائكة وهؤلاء نكحوا بدون ولي وبدون شاهدي عدل بل بشهادة الملائكة على زعمهم، نعم إن الملائكة سوف يشهدون عليهم يوم القيامة بعملهم القبيح، أما أن يشهدوا هنا في الدنيا لصحة نكاحهم فلا أبداً وقال ﷺ أيضاً: «إِنَّمَا امْرَأَةٌ نَكَحَتْ بِدُونِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا فَاسِدٌ»^(٢). وقال ﷺ أيضاً: «لَا تَزَوِّجُ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ وَلَا الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تَزَوِّجُ نَفْسَهَا»^(٣).

(١) صحيح الجامع الصغير: ٧٥٥٧.

(٢) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، والحاكم وصححه، وغيرهم.

(٣) رواه ابن ماجه.

إن من مقاصد الشريعة إعلان النكاح وأن يعلم به عدد كبير من الناس فقال فيه رسول الله ﷺ: «أَعْلِنُوا النِّكَاحَ» ^(١)، أما هؤلاء فخالفوا هذا الأمر أيضاً فأخفوا النكاح حتى لا يعلم به أحد فأخذوا شهوداً ليسوا من الناس بل من الملائكة علماً منهم بأن الملائكة لا يُقْسُونَ سِرَّهُمْ لأحد، وإنما فعلوا ذلك لأنهم ما قصدوا النكاح المشروع أصلاً وإنما أرادوا إشباع غرائزهم وقضاء شهواتهم الحيوانية متسترين بالمذهب الظاهري الذي رأوه أسهل طريق إليه.

وأما نحن الجماعة فنأتي بالنكاح على الوجه الذي سنه رسول الله ﷺ بإذن ولي المرأة وشهادة شاهدي عدل من بني البشر لا من الملائكة ونُعْطِي المرأة في المهر ما جرت به العادة لا أقلَّ مُتَمَوِّلٍ كما تفعل الصوفية ثم نعلن النكاح ولا نخفيه ونقيم وليمة عرس ندعو إليها إختوتنا، كل هذا أسوة بنبينا محمد ﷺ.

هكذا الفرق بيننا وبين الصوفية وهكذا الدين عندنا وعند الصوفية فاعتبروا يا أولى الألباب.

(١) صحيح الجامع الصغير: ١٠٧٢.

(٩٦) لَقْبُ الْحَاجِّ

الصُّوفِيَّةُ: تلَقَّب كل من حج بـ (الحاج) وتلحقه باسمه كلما ذكر اسمه بل لا يكاد يذكر اسمه إلا به، يقولون إبراهيم حاج وإدريس حاج وأحمد حاج وما إلى ذلك، ويعتبرونه لقب شرف له ويميزونه عمن لم يحج.

أضف إلى ذلك أنهم يربطون شريطاً أخضر أو أبيض على قلنسوته أو يلبسون ثوباً خاصاً بالحاج تقديراً لحجه وتمييزاً له عمن لم يحج فكل من رآه أو سمع باسمه عرف أنه حج.

الْجَمَاعَةُ: ترى هذا العمل بدعة قبيحة وتمييز من حجَّ بلقب الحاج بين الناس رياءً وسمعة كيف لا يكون بدعة والرسول ﷺ قد حج ولم يلقب نفسه بالحاج ولم يأمر أحداً أن يلقب الذي حج بالحاج أنسي؟ أم لم يعرف نفعه وأهميته؟ وكذلك الصحابة والأئمة الكبار من بعدهم لم يكن بينهم من لم يحج ولكن أحداً منهم ما كان يُلقَّب بالحاج أليس أولئك قدوة لنا؟ أليس دينهم ديناً لنا؟ فإن كان كذلك فلماذا نخالفهم نحن؟ ولماذا نتميز عليهم؟ وكذلك ربط شريط على القلنسوة لم يفعله سلفنا الصالح فهو عند الجماعة بدعة ورياء وسمعة لا يفعلونه ولا يرضون عمن يفعله.

ويبدو أن لقب (الحاج) إنما ظهر عند آبائنا وأجدادنا حين كان الحجاج بينهم قليلين جداً بسبب صعوبة الحج في وقتهم ومشقة الطريق لديهم فأصبح من حج معروفاً بين الناس مشاراً إليه بالبنان حتى عرف بالحاج فلقب به، ثم من أتى بعدهم وجدوا آباءهم على أمر فقلدوهم دون معرفة سبب لذلك حتى أصبح عند هؤلاء أمراً من الدين مهما وموروثاً من الآباء أما في أيامنا هذه فقد أصبح الحج أمراً سهلاً يناله كل راغب وبأيدينا من وسائل النقل كل ما نتمناه مما لم يكن بأيدي آبائنا حتى أصبح عدد الذين حجوا من المسلمين اليوم أكثر ممن لم يحج أو كاد.

فإن قالوا: إن إلحاق لقب الحاج ليس من أمور الدين حتى يكون بدعة وإنما هو عادة طيبة ظهرت في آبائنا ونحن سائرون عليها لا نخالفهم قلنا لهم: أقل شئ فيه أنه يخاف على من يحمل هذا اللقب من الرياء والسمعة ثم إن كثرة الحجاج في الناس تسبب صعوبة وطول كلام وكثرة كلمات عند النطق والكتابة الأمر الذي يجعل الكلام سمجاً ويخل باختصار.

ثم نقول: لماذا يفرد الحج من بين سائر الأعمال الكبيرة باشتقاق اللقب منه فهناك الصلاة والزكاة والصيام وهناك الجهاد هلا اشتققنا من كل منها ألقاباً فقلنا: محمد المصلي، وإبراهيم المزكى، وأحمد الصائم وعبد الرحمن المجاهد وهكذا؟ لا، لا نفعل لا هذا ولا ذاك بل نقتصر على ما جاء عن النبي ﷺ والصحابة والأئمة لا نزيد ولا ننقص على نقيض الصوفية الذين يزدون في دينهم من جانب وينقصون من جانب حتى يصير دينهم في آخر الأمر ليس من الدين في شئ، نسأل الله السلامة.

(٩٧) إِعَادَةُ صَلَاةِ الظُّهْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ

الصُّوْفِيَّةُ: يعيدون صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة بحجة أن عدد المصلين الذين تلزمهم الجمعة ناقص عن أربعين شخصاً، أو أن المصلين لا يحسنون الفاتحة أو أنهم لا يفهمون ترجمة معانيها أو معاني الخطبة أو أن في المدينة مسجدين تصلى فيهما الجمعة فلا يعرف السابق منهما، أو يعيدون دون حجة تقليدا لمن وجدوهم عليها من آبائهم أو لمجرد شك في نفوسهم في صحة جمعتهم اتباعاً لهواهم.

الْجَمَاعَةُ: يرون إعادة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة بدعة لأن الرسول ﷺ لم يعدها بعد الجمعة ولم يأمرنا بإعادتها، فيما أن تصلي الجمعة حيث اكتملت شروطها ولا تعاد صلاة الظهر بعدها، وإما أن تصلي الظهر حيث لم تكتمل شروط الجمعة. أما أن تصلي الجمعة ثم يصلي الظهر بعدها؛ أي: أن يجمع بينهما بإحدى الحجج السابقة فلم يفعله النبي ﷺ وما لم يكن عليه أمره فهو رد كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وفي شروط الجمعة والعدد الواجب لها خلاف بين العلماء وكلام طويل ليس هذا محل بسطه وللشافعي رحمه الله قول باشتراط أربعين رجلاً من المقيمين الذين وجبت عليهم الجمعة فمن أراد أن يأخذ بهذا القول فله ذلك ولكن عليه أن يصلي الجمعة إذا اكتمل عددهم أربعين رجلاً وإذا لم يكتملوا تركوا الجمعة وصلوا الظهر واقتصروا عليه لأن وجود أربعين رجلاً بناء على هذا القول شرط لصحة الجمعة ومعناه أن الجمعة لا تصح إذا انتفى هذا الشرط فلماذا إذن تصلي والشرط منتفٍ؟ وما فائدة الصلاة التي لم تصح؟ فكما أن مطلق الصلاة لا تصلي بدون وضوء لأن

(١) رواه مسلم.

الوضوء شرط لصحة الصلاة كذلك صلاة الجمعة لا تصلى على القول باشتراط أربعين إلا بأربعين.

أما الصوفية فيأخذون بهذا وبهذا وَيُلَقِّفُونَهُمَا وَيأتون في دينهم بشيء جديد لم يعرفه النبي ﷺ ولا الصحابة ولا الأئمة.

فإعادة الظهر بعد الجمعة إذن لا تخلو من أن تكون بدعة إن اعتقد أنها سنة وقد يكون كفراً إن اعتقد أنها فرض مع فرضية الجمعة لأن الله لم يفرض علينا في الوقت الواحد من أوقات الصلوات الخمس إلا فرضاً واحداً فهو من الأمور المعلومه من الدين بالضرورة فمن زاد عليها فاعتقد ستة فروض أو نقص فاعتقد أربعة فروض فقد كفر.

أما إحسان قراءة الفاتحة فهو واجب في جميع الصلوات بقدر المستطاع لا يختص به جمعة دون غيرها فما لم يقدر المصلي عليه فلا يكلف فوق طاقته لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، فإذا فعل ما قدر عليه فجميع صلواته صحيحة الجمعة وغير الجمعة، وإذا كان يشك في صحة جمعته لعدم إحسانه لقراءة الفاتحة فهذا الشك موجود في سائر صلواته لا يختص به جمعة دون غيرها.

أما اشتراطهم فهم ترجمة معاني الفاتحة، أو معاني الخطبة لصحة الصلاة سواء الجمعة أو غير الجمعة فلم يقل به أحد من الأئمة.

(٩٨) الْعِلْمُ وَطَلْبُهُ

الصُّوفِيَّةُ: يكرهون العلم أي علم الشريعة وعلم القرآن والحديث ويصرفون الناس عنه ويقولون إنه مشغلة عن الله وحجاب يحجب الإنسان عن الوصول إلى الله، كما يرون اكتساب العلم بالتعلم والطلب طريقاً طويلاً وعلمه مهما رقي وبلغ ناقصاً وقاصراً، أما العلم الكامل بزعمهم فهو الذي يكتسبه الإنسان عن طريق القلب بواسطة الوحي المزعوم للأولياء والكشف والمنامات واللقاء بالأَمْوات وبالْخضر واللقاء بالنبي ﷺ يقظة والنظر في اللوح المحفوظ ومصاحبة الشيخ ومجالسته وخدمته، فهذه المذكورات كلها هي مصادر العلم الكامل عند الصوفية أما القرآن والحديث ودراسة كتب الأئمة والعلماء فهي مصدر العلم الناقص والقاصر.

قال أبو يزيد: "ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً وإنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني" ^(١).

وقال السُّهْرَوْرْدِي: "الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أُكْرِمُوا بواجب حق الاستقامة رُزِقُوا سائر العلوم التي أشار إليها المتقدمون" ^(٢).

وقال أبو حامد الغزالي: "للقلب بابان باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى عالم الحواس الخمسة المتمسكة بعالم الملك والشهادة" ^(٣) ويرى الغزالي أن العلوم التي حصلت من الباب الأول هي علوم الأولياء والأنبياء والعلوم التي حصلت من الباب الثاني هي علوم الحكماء والعلماء.

(١) إحياء علوم الدين: ٢١/٣.

(٢) عوارف المعارف على هامش الإحياء: ٢٤٣/٣.

(٣) الإحياء: ١٨/٣.

وذكر الشعراني أنه سأل الحَوَاص: "هل أعتمد على النقول؟ فقال: لا، بل اعتمد في نفسك على ما يظهره الله فيك من العلوم فإن نفسك أقرب إليك ممّن تنقل عنه... فلا يعتمد على النقل إلا من يطلب النقول" (١).

ويحكى الشعراني "أن الشيخ أبا مدين كان إذا سمع أحداً من أصحابه يقول: أخبرني بما فلان بن فلان، يقول: لا تطعمونا القديد... يعني لا تحدثوا إلا بفتوحكم الجديد الذي فتح الله به على قلوبكم في كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ فإن الواهب للعلم الإلهي حي لا يموت وليس له محل في كل عصر إلا قلوب الرجال" (٢).

ويقول جعفر الخالدي: "لو تركني الصوفية لجئتكم بأستاذ الدنيا لقد مضيت إلى عباس الدوري (أحد الأئمة الأثبات والعلماء الكبار) وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت أصحابه من الصوفية فقال: أئش هذا معلق؟ فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الحزق وتأخذ علم الورق ثم خرق الأوراق فدخل كلامه في قلبي فلم أعد إلى عباس" (٣).

وعلق الذهبي على هذه القصة فقال: "من ذا إلا صوفي جاهل يمزق الأحاديث النبوية ويحض على أمر مجهول فما أحوجه إلى علم".

وأقول: تعليقاً على قول الذهبي: لقد هون الذهبي رحمه الله من أمر الصوفية وألان الكلام فيهم بأن قال لهم: (صوفي جاهل وما أحوجه إلى علم) بل الواجب أن يقال لهم: (من ذا إلا منافق زنديق يمزق الأحاديث النبوية)، و(ما أحوجه إلى عقاب يريه نجوم السماء في عز الظهر) كيف يقال عن الصوفي إنه بحاجة إلى العلم إذا كان لا يرى نفسه بحاجة إليه؟ ومن الذي حجر العلم عليه؟ أليس هو الذي انصرف عنه ويصرف الآخرين عنه؟ فهو كقولك: ما أحوج الكافر إلى الإيمان!!.

(١) درر الغواص: ٢٤.

(٢) اليواقيت والجواهر: ١٧/١.

(٣) تاريخ بغداد وسير أعلام النبلاء.

وعن أبي سعيد الكندي قال: "كنت أنزل رباط الصوفية واطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوماً من كمي فقال لي بعض الصوفية: استر عورتك" (١). ويقول الجيلاني وهو يخاطب أحد طلبه العلم الشرعي: "... يا جاهل اترك الدفتر من يدك وتعال اقعد هنا بين يدي على رأسك، العلم يؤخذ من أفواه الرجال لا من الدفاتر يؤخذ من الحال لا من المقال يؤخذ من القانين عن أنفسهم وعن الخلق الباقين بالحق عز وجل" (٢).

وينقل الشعراني عن نصر ابن أحمد الدقاق قوله: "آفة المريد ثلاثة أشياء: التزويج وكتابة الحديث ومعاشرة الضد" (٣).

أقول: المراد بالضد في كلام الصوفية عالم الشريعة الذي يعتمد على القرآن والحديث. ويحكي الشعراني عن أحد مشاهير الصوفية أنه سئل عن سوء أدب الصوفيين مع الله تعالى في أحوالهم فقال: "انخطأهم عن الحقيقة إلى العلم" (٤).

أقول: سبحان الله!! الانشغال بالعلم يكون سوء أدب مع الله؟ وروى عن الجنيد أنه قال: "إذا لقيت الفقير (أي الصوفي) فאלقه بالرفق ولا تلقه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه" (٥).

ويقول أبو يزيد البسطامي: "أشد المحجوبين عن الله ثلاثة: الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه" (٦).

أقول: إذن هو كالخنفساء يوحشه الطيب ويؤنسه ريح الغائط. ويقول الجنيد: "أحب للمبتدئ أن لا يشغل نفسه بهذه الثلاث وإلا تغيرت حاله: التكسب وطلب الحديث والتزوج وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع له" (٧).

(١) تلييس إبليس: ٣١٨.

(٢) الفتح الرباني: ١٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ٧٦/١.

(٤) الرسالة النقشبندية: ١٢٦.

(٥) الرسالة النقشبندية: ١٢٤.

(٦) الأنوار القدسية: ٩٩.

(٧) قوت القلوب: ١٣٥/٣.

أقول: لعل القارئ الفطن اللبيب قد تظن لما يرمي إليه كلام الصوفية بصرفهم الناس عن العلم إنه هدم الإسلام كاملاً بحيث لا يبقى له بقية، نأخذ للتحليل والمناقشة على سبيل المثال قول جنيد الأخير الذي يصرف فيه الصوفي المبتدئ عن التكسب وطلب الحديث والتزوج. إن هذه الثلاثة هي أساس العمران المدني فإنه يعتمد على المال والعلم والنسل القوى والدعوة إلى ترك هذه الثلاثة هي دعوة إلى خراب العمران وهدم المجتمع وقس عليه سائر الأشياء.

وأخيراً أعذر إلى القارئ عن إكثاري من ذكر مقالاتهم ونصوصهم رغم حرصنا على عدم إطالة الكتاب وذلك لنعرّف القارئ أننا ما افترينا فيما نسبنا إلى الصوفية شيئاً وما كذبنا بل لم نذكر عشر معشار ما بهم وفيهم وعليهم وعندهم.

الجماعة: على خلاف الصوفية في قضية العلم واكتسابه فيرون طلب العلم من أوجب الواجبات التي لا يتم أمر الدين والدنيا إلا بها والمراد بالعلم الواجب طلبه هو علم القرآن والحديث وسائر العلوم المتعلقة بهما والعلوم التي يعتمد عليها العمران المدني وقوة المجتمع وكلها علم الورق الذي تهوّن الصوفية من أمره.

ولقد رفع الله من شأن العلم والعلماء في آيات عديدة فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقرّن الله تعالى ذوى العلم في الشهادة بنفسه وبالملائكة فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

وحصر الله خشيته في العلماء فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. كما حصر من يفهم ويعقل أمثاله التي يصرفها للناس في العلماء فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِئِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وفي الأحاديث الشيء الكثير الذي يحث الناس على طلب العلم ويرفع من أهميته وينص على ضرورته نعرض عن ذكرها طلباً للإيجاز إذ هو أمر واضح وضوح الشمس في وضوح النهار فطلب العلم ووجوبه وعدم الغنى عنه قضية مسلّمة بديهية لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح عليه عنزان.

هذا وقد اتفق علماء الأمة الإسلامية أن المصدر الوحيد لتلقي العلوم الإسلامية عند المسلمين هو الكتاب والسنة وهما اللذان تركهما النبي ﷺ بعد وفاته لنا ليكونا مرجعاً لنا في جميع شئوننا فقال ﷺ في ذلك: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ مَا تَمَسَّكْتُمَا بِهِمَا فَلَئِنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ».

فبناءً عليه لا بد لإثبات شيء من الأمور الدينية أو الأمور الغيبية أن يوثق بدليل من القرآن والحديث أو القواعد المقررة على أساس الكتاب والسنة.

أما المنامات والكشوفات والهواتف والخواطر والإلهامات وحديث النفس فقد تكون صحيحة صادقة وقد تكون خاطئة كاذبة لذلك لا تنهض دليلاً على شيء من الأمور أو الأحكام الشرعية وهي إن دلت على شيء فدلالتها ظنية لا قطعية لذلك اتفق علماء الإسلام جميعاً أنها لا يعتمد عليها ولا تقوم حجة ودليلاً على شيء، حتى لو رأى جميع سكان الأرض مثلاً رؤيا واحدة في ليلة واحدة ودلت جميعها على شيء واحد لم يكن دليلاً يعتمد عليه في إثبات شيء أو نفيه، وهذا ما درج عليه علماء المسلمين في عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، ولذلك نجد الكتب العلمية المؤلفة على أيدي الأئمة وكبار علماء الأمة لا تستند في شيء إلا إلى أدلة من الكتاب والسنة وليس شيء منها يستند إلى منام أو مكاشفة أو هاتف أو خاطر أو حديث نفس كما تفعله مشايخ الصوفية. وأما ما يدعونه من تلقي العلوم من الوحي المزعوم واللقاء بالخضر أو بالنبي ﷺ فيقظة ومن النظر في اللوح المحفوظ ومن مصاحبة الشيخ الصوفي وخدمته فهذا باطل محض وأفك صريح، وقد بسطنا الكلام على بطلان هذه الأشياء وبطلان زعم تلقي العلوم عن طريقها في أبواب متفرقة من هذا الكتاب.

إذن فمصادر التلقي عند الصوفية من المكاشفات وما بعدها ليس لها في ميزان الشرع وزن يعتبر وكذلك العلوم المستندة إليها إن صح تسميتها بعلوم ليس لها من الوزن إلا بقدر ما لمصادرهما من الوزن ولذلك كان الأصح والأصوب تسميتها جهلاً وضلالاً لا علماً ورشاداً.

إن الصوفية لما أرادوا صرف الناس عن العلم النافع إلى الجهل وعلموا أنهم إن قالوا للناس صراحة دعوا علم القرآن والحديث وخذوا جهلنا وخرافاتنا وأوهامنا طردهم الناس ولم يقبلوا قولهم فعمدوا إلى حيلة فقسموا العلم إلى ظاهر يسمونه قشراً وإلى باطن

يسمونهم لباً فقللوا من أهمية العلم الظاهر وجعلوه علماً ناقصاً وقاصراً ورفعوا شأن العلم الباطني وجعلوه علماً كاملاً، وجعلوا القرآن والأحاديث وعلومهما من العلم الظاهر ومن يشتغل بها علماء الظاهر، ويطلقون عليهم ألقاباً أخرى كلها تتضمن تنقُصَهُم واحتقارهم كـ (العوام) و (المحجوبين) و (علماء الرسوم) و (أهل الشهوات والأهواء) و (الأضداد) وغيرها، واستدلوا على وجود العلم الباطن بقصة الخضر عليه السلام الواردة في القرآن وفسروها حسب ما يتفق وهواهم فانخدع بذلك جهلة المسلمين وتوهموا أن الانشغال بالعلم الكامل من البداية أولى وأفضل من الانشغال بالعلم الناقص القاصر، شأنهم في هذا شأنهم في تقسيم الجهاد إلى أصغر وأكبر فجهاد العدو الكافر الذي احتل أرضك وبلادك وأموالك ودينك هو الأصغر وجهاد النفس والشيطان والهوى هو الأكبر. قبحكم الله من صوفية ما أخبثكم وما أدهاكم ولكنكم أحقر وأضعف من أن تخذعوا أهل السنة والجماعة.

إن الدعوة لترك العلم الظاهر والانشغال بالعلم الباطن هي دعوة إلى الضعف والتأخر والانحطاط وهي دعوة إلى الجمود الفكري والركود الذهني وهي دعوة إلى أن يصبح المسلمون يتحكم في رقابهم الأعداء وهي دعوة إلى الخرافات والأوهام والأساطير، إنها والله دعوة إلى ترك القرآن والحديث وإلى ترك دين النبي ﷺ بالكلية.

فانظروا إلى ما آل إليه أمر المسلمين لما انتشرت فيهم الصوفية: فقد تفشَّى فيهم الجهل وتأخروا وانخطوا وضعفوا وهانوا واستكانوا وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصعة وأصبحوا غثاء كغثاء السيل وأصبحوا مقطورين مُسَيَّرِينَ بعد أن كانوا يوماً ما أساتذة للعالم وزُؤاداً للشعوب، إن هذا لوضع حزين وواقع مرير.

ألا يحق هنا عندما لمسنا نحن المسلمين هذا الوضع المهيِّن أن نتساءل: أين من قرأ اللوح المحفوظ؟ وفهموا أسرار الكائنات وطاروا في الهواء وساروا على وجه الماء وكلموا الأحجار والنبات والأسماك في قاع البحار؟ أين من جروا الشمس ومن سحبوا بخصاهم السفن والمراكب، ومن سجد لهم الملائكة؟ أين من شفى بنظرته المرضى وذوي العاهات وحيي بكلمة منه الأموات وأورقت وأثمرت بمروره بها الأشجار والنباتات؟ أين من بصَّقَتْهُ تطفئ نار جهنم ومن ينصب خيمته بجانب العرش؟ أين كان محمد اليراعِي وجمال الدين العُمُوقِي حين قتل الإمام غَازِي مُحَمَّد في مضيق كَمَرٍ وعندما أُسِرَ الإمام شَمُويلُ على

جبل عُثَيْب؟ أين كان كُنُتْنَا حَاجِي الذي ما يزال حياً وراء جبال قاف حين نُفَى الشعب الشَّيْشَانِيَّ المسلم بأسره بأمر من الطاغية الظالم سَتَّالِينَ إلى المناطق الباردة في شمال كَاَزَاخِسْتَانَ وَسِيْبِيرِيَا في عام ١٩٤٤؟ وأين سائر مشايخ الصوفية وأولياؤهم بقدراتهم الهائلة التي لا حدود لها والقدرات المستمدة من قدرة الله؟ أين هؤلاء كلهم عندما تَعَبْتُ أمريكا وإسرائيل بالقدس والعالم العربي والإسلامي؟

أين كان سَعِيدُ أَقْنَدِي التَّشْرِكِيُّ المطلع على اللوح المحفوظ والعارف لأسرار الكون عندما دَبَّرُوا تفجير سيارة صفوة مريديه يوم الجمعة ٢١ آب عام ١٩٩٨م رئيس الإدارة الدينية في دَاغِسْتَانَ سَيِّدَ مُحَمَّدَ أَبُو بَكْرُوفَ؟ لماذا لم يُحَذَّرْ؟ وهل يعرف الآن أسماء من فعله؟ فإن كان يعرف فأى ضرورة كانت به أن يدعُو عَادِلَ غِرِّي وزيرَ داخلية دَاغِسْتَانَ وَغِرِّي رئيسَ مركز الشرطة في كِيْزِيلْتُورْتِ إِلَيْهِ ويؤكد عليهما ضرورة البحث عن الْمُفْجِرَيْنِ؟ من يجب على جميع هذه (الأينات)؟

وعلى النقيض منهم نرى الغرب الكافر وكذلك الشرق الكافر قد انصرف العلم عن المسلمين إليهم فبلغوا شأواً بعيداً في مضمار العلم واستطاعوا أن يركبوا الهواء ويطلقوا الصواريخ ويغوصوا تحت الماء ويستخدموا الذرة والكهرباء ويطوفوا حول الأرض أسابيع وشهوراً ويغزوا الكواكب والأفلاك وينقلوا الصور المختلفة عبر القارات لقد أصبح الغرب والشرق الكافر هو مالك الأموال والبنوك ومالك الإنتاج والصناعة في العالم كله فهم الذين يستخرجون البترول وهم الذين يفرضون قوانينهم على المسلمين في بلادهم كيفما شأوا، وهم الذين يحددون للمسلمين في بلادهم ما يجوز لهم الإنتاج والصناعة وما لا يجوز، وهم الذين يفرضون الحصار الاقتصادي على أي بلد إسلامي عندما يبدى أدنى عصبان لقوانينهم التعسفية، وهم الذين يهددون العالم الإسلامي بضرباتهم القوية، فالمال في أيديهم والقوة في أيديهم والعلم في أيديهم والإعلام في أيديهم يسخرونها كيف يشاؤون، وأما نحن المسلمين فننتظر قدوم الشيخ الصوفي من وراء جبال قاف أو خروج المهدي فإلله المستعان.

وقد يتساءل متسائل: ما للصوفية وللعلم؟ ولماذا رأوا ضرورة صرف الناس عنه؟ وما عسى أن يكون فيه من السر؟ فنقول في جوابه مستعينين بالله: إن الصوفية كلها منكراً، فعقائدها منكرة، وعباداتها منكرة، وأفعالها منكرة وبالعلم يتبين المنكر، ويعلم المرء المنكر

وبالعمل به يتم الإنكار والإنكار حجر عثرة أمام الصوفية يعيق طريقهم فكان لا بد للصوفية من وقف الإنكار ولوقفه لا بد من إزالة العلم الذي به يعرف المنكر فنقروا الناس من العلم ودعوههم إلى تركه واعتبروه ضياع وقت بل حجاباً يحجب عن الله، فاغتر بهم من اغتر وما أكثرهم وعوفي من عوفي وما أقلهم والحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به هؤلاء. وقد يقول قائل منهم أو من غيرهم: إننا إذا نظرنا حولنا نرى الواقع على خلاف ما تقول عن الصوفية فنرى لهم المعاهد والجامعات ونرى طلابهم يدرسون العلوم المختلفة ويتنافسون معكم وعندما يخطبون ويتكلمون ويعظون نراهم يوردون آيات من القرآن الكريم وأحاديث نبوية كيف يتفق هذا مع ما تقول أنت؟ أقول في جوابه: إنهم يفعلون هذا أولاً: لأن صوفيتهم في زماننا هذا قد ضعفت وأصبحت لا تقدر أن تؤثر على عقول الناس دون أن يضيفوا إليها شيئاً من العلم الظاهر، وثانياً: يدرسون العلم (الظاهر) لا ليعملوا به بل ليخضعوه لصوفيتهم وطريقتهم، يرى ذلك يقيناً من جميع المخالفات الشرعية التي يرتكبونها والتي نذكرها في كتابنا هذا، فإن لم يكن الأمر كذلك فكيف أصبح بين الصوفية وبين أهل السنة والجماعة هذه الفروق الكثيرة التي معظمها فروق بين الكفر والإيمان؟

ونختتم هذا البحث بعبارة لطيفة للإمام عبد الرحمن بن الجوزي التي نقلها محمد فهر شقفه في كتابه: (التصوف بين الحق والخلق):

".... ليس في الوجود شيء أشرف من العلم، كيف لا وهو الدليل؟ فإذا عُدِمَ وقع الضلال، وإن من خفي مكاييد الشيطان أن يزين في نفس الإنسان التعبد ليشغله عن أفضل التعبد وهو العلم، حتى إنه زين لجماعة من القدماء أنهم دفنوا كتبهم ورموها في البحر وهذا قد ورد عن جماعة، وأحسن ظن بهم أن أقول: كان فيها شيء من رأيهم وكلامهم فما أحبوا انتشاره وإلا فمتى كان فيها علم مفيد صحيح لا يخاف عواقبه كان رميها إضاعة للمال لا محل.

وقد دنت حيلة إبليس إلى جماعة من المتصوفة حتى منعوا من حمل المحابر لتلاميذهم حتى قال جعفر الخالدي: "لو تركني الصوفية لجتكم بأستاذ الدنيا، كنت جالساً عند أبي العباس الدوري فلقيني بعض الصوفية فقال: دع علم الورق عليك بعلم الخرق، ورئيت محبرة مع بعض الصوفية فقال له صوفي آخر استر عورتك.

وقد انشدوا للشبلي:

إِذَا طَالَبُونِي بِعِلْمِ الْوَرَقِ * بَرَزْتُ لَهُمْ بِعِلْمِ الْحَرَقِ

وهذا من خفي حيل إبليس، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، وإنما فعله وزينه عندهم لسببين: أحدهما: إنه أرادهم يمشون في الظلمة. والثاني: إن تصفح العلم كل يوم يزيد في العلم ويكشف له ما كان خفي عنه ويقوى إيمانه ومعرفته ويريه عيب كثير من مسالكه إذا تصفح منهاج الرسول ﷺ والصحابة، فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة وأظهر أن المقصود العمل لا العلم لنفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل. فاحذر من هذه الخديعة الخفية فإن العلم هو الأصل الأعظم والنور الأكبر وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو، وكم من معرض عن العلم يخوض في غمار من الهوى في تعبده ويضيع كثيراً من الفرض بالنفل ويشغل بما يزعمه الأفضل عن الواجب، ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى، فتأمل ما ذكرت لك ترشد أن شاء الله تعالى ^(١).

ولا شك أن هؤلاء الصوفية الذين زهدوا الناس في العلم يحملون أعظم الوزر في تأخر المسلمين وانحطاطهم واستيلاء الأعداء عليهم بسبب تخديرهم لهم ومنعهم إياهم من طلب العلم ^(٢).

إن صوفية دَاغِسْتَانَ وَالشَّيْشَانِ اليوم يحاولون جهدهم أن يمنعوا الشباب من السفر إلى البلاد الإسلامية في الخارج والالتحاق بالجامعات والمعاهد التي تدرس فيها العقيدة السلفية الصحيحة ويرسلونهم إلى دمشق إلى جامعة (أبي النور) التي تشرف عليها الصوفية أو إلى جامعة الأزهر التي لا يهتم فيها بالعقيدة، ورغم ذلك فإن كثيراً ممن أرسلوهم خبيوا آمالهم ورجعوا وقد تبينت لهم الحقيقة واتضح لهم زيف الصوفية، فهم الآن في حيرة من أمرهم، إن أرسلوا أخفقوا وإن لم يرسلوا تخلفوا؟ اللهم زد حيرتهم حتى يصابوا بجنون وانزع من أيديهم أولادهم آمين آمين.

(١) صيد الخاطر: ١٤٤/١-١٤٦.

(٢) التصوف بين الحق والباطل: ١٢٨-١٢٩.

(٩٩) الزَّوْجُ

الصوفية: يرون الزواج أمراً يبعد عن الله وغُلاً من الأغلال يشغلهم عن عبادة الله تعالى ويصفونه بأنه ملذات دنيوية تناقض ما هم عليه من محاربة الهوى ونبذ اللذات والشهوات. والشاهد عليه من مقالات القوم كثير:

كان إبراهيم بن أدهم يقول: "من تعود أفخاذ النساء لا يفلح" ^(١).

وقال أبو سليمان الداراني: "من تزوج فقد ركن إلى الدنيا" ^(٢).

وقال الجنيد سيد طائفة التصوف كما يقولون: "أحب للمبتى أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله: (١) التكسب (٢) وطلب الحديث (٣) والتزوج. وأحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لقلبه" ^(٣).

وقيل لبشر بن الحارث: "إن الناس يتكلمون فيك فقال: ماذا يقولون؟ قيل يقولون إنك تارك للسنة يعني النكاح فقال: قولوا لهم إنه مشغول بالفرض عن السنة" ^(٤).

وقيل لبعض الفقراء أي الصوفية: تَزَوَّجْ فقال: "إني إلى أن أطلق نفسي أحوج مني إلى الزواج" ^(٥).

ولم يكتف بعض الصوفية بترك الزواج بل حمل الجهل أقواماً منهم كما قال الإمام ابن الجوزي إلى أن يَجْبُوا أنفسهم فجَبُّوا أنفسهم وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياءً من الله تعالى وهذه غاية الحماسة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة وخلقها لتكون

(١) عوارض المعارف على هامش الإحياء: ١٦٩/٢.

(٢) الإحياء: ٨٧/٣.

(٣) فوت القلوب: ١٣٠/٣.

(٤) عوارض المعارف على هامش الإحياء: ١٦٧/٢.

(٥) عوارض المعارف على هامش الإحياء: ١٦٧/٢.

سبباً للتناسل والذي يجب نفسه يقول بلسان الحال: الصواب ضد هذا، ثم قطعهم الآلة لا يزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم^(١).

الجماعة: يرون الزواج نظاماً اقتضته الحكمة الإلهية للحفاظ على النوع الإنساني وإكثار النسل وسنة من سنن الرسول ﷺ وأمر لا بد منه ولا بديل له لغض البصر وللحفاظ من الوقوع في الزنا.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

بل كان بدء الخليقة من زوجين آدم وحواء فتلك سنة الله فكيف تريد الصوفية أن يبدلوا سنة الله؟

وإذا نظرنا إلى أقوال النبي ﷺ فيما يخص الزواج نجد أنه يحثنا عليه وينها عن تركه حيث قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»^(٢).

كما نهي عثمان بن مظعون عن تركه لنسائه وتبئله في شعب له فقال: «يَا عُمَانُ إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ أَرَأَيْتَ عَنْ سُنَّتِي؟»^(٣).

(١) تليس إبليس: ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير: ٧٩٧٥.

(٣) أخرجه الدارمي وأبو داود.

وقال ﷺ يَحْتُ على الزواج: «إِذَا تَزَوَّجَ الْعَبْدُ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الْإِيمَانِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي التَّصْفِ الْبَاقِي» ^(١).

وقال ﷺ أيضاً: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» ^(٢).

وكان الزواج أمراً محبباً بين الصحابة أفضل خلق الله بعد الأنبياء، فما إن تطلق امرأة بينهم فتنتهي عدتها حتى يتزوج بها آخر، وما إن يموت عن امرأة أحد فتنتضي عدتها حتى يتزوج بها آخر لا يمضي على ذلك الأمر إلا أيام هكذا كان دأب الصحابة لا كما تقول الصوفية.

وكان ابن مسعود يقول: "لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي إِلَّا عَشْرَةُ أَيَّامٍ أَمُوتُ فِي آخِرِهَا لِأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ وَلَا أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا أَعَزُّ".

وحدث أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأباه برهة من دهره فانتبه من نومه ذات يوم فقال زوجوني فسئل عن سبب ذلك فقال: رأيت في نومي كأن القيامة قد قامت وكنت في جملة الخلائق في الموقف وبني من العطش ما يكاد يقطع عنقي وكذلك الخلائق في شدة العطش من الحر والشمس والكرب، قال فبينما نحن كذلك إذا الولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد ويتخللون الجمع ويجاوزون أكثر الناس. قال: فمددت يدي إلى أحدهم فقلت اسقني شربة فقد أجهدني العطش فقال: ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت: ومن أنتم؟ قالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين ^(٣).

إن الإكثار من الزواج والتناكح سبب في كثرة الأولاد والنسل المطلوبة لتكثير أمة محمد ﷺ وقد قال فيه الرسول ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ» ^(٤).

(١) صحيح الجامع الصغير: ٤٣٠.

(٢) رواه مسلم.

(٣) التصوف بين الحق والخلق: ١٣٣.

(٤) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

كيف ينظر الصوفية إلى هذا الأمر؟ ألم يبلغهم؟ وكيف لا يبلغهم ومشايخهم لا يخفى عليهم شئ في الأرض ولا في السماء؟ أم إنهم يهدمون الإسلام لبنة لبنة ويزيلون منه سنة تلو سنة حتى يجردوا الإنسان من الإسلام تماماً؟.

إن كل دعوة للعزوبة بحجة الانقطاع إلى الله هي دعوة لإفساد حكمة الله سبحانه وتعالى التي ارتضاها لعباده وهي دعوة نصرانية حارباها الإسلام، ولا يخفى ما فيها من خطر على المجتمع وما يؤدي إليه من كبت الغرائز التي خلقت في الإنسان لا لِتُكَبَّتْ فَيَشْبَقَ الناس ويعم الفساد ويقل النسل وتضعف الأمة وتضطرب العواطف البشرية وتصبح الأمة ضحية سهلة للعدو وهذا ما تريده الصوفية بالإسلام والمسلمين.

من هنا ومن غيرها من أخلاق الصوفية وآدابها وطقوسها وعقائدها نرى إن كل شئ في الصوفية إنما هو مَعُولٌ لهدم صَرَحِ الإسلام من الداخل لا يتفطن له إلا من تعلم العلم وتفقه في الدين وعرف أسرار الصوفية وفضائحهم ووقف على مَرَامِيهِمْ.

وقد يعترض معترض من الصوفية قائلاً: نحن في الصوفية منذ أن عرفنا ولا نلاحظ أن قد ترك أحد منا الزواج أو نَكَلَ عنه فقولك هذا فينا باطل؟ أقول: إنكم ما تركتم الزواج وما نكلتم عنه لأنكم لا تراعون قواعد طريقتكم ولو راعيتم لوجب عليكم أن لا تتزوجوا لأنه مذكور في كتبكم التي ما تزال متداولة بينكم ومنقول من أقوال مشايخكم وعظمائكم الذين هم موضع تقدير واحترام وتَأْلِيهِ منكم.

اللهم أحفظ أمة محمد ﷺ من كيد أعدائهم الصوفية وآخرين.

(١٠٠) طَلَبُ الْمَالِ وَالتَّوَكُّلُ

الصُّوفِيَّةُ: يمنعون مريديهم من التكسب وطلب المال ويدعونهم إلى التوكل بمفهومهم الذي يغاير التوكل الشرعي المطلوب، ويفسرون التوكل بأنه ترك التدبير وترك اتخاذ الأسباب وعدم طلب الرزق والتجرد من المال وتوقع الرزق وكل شيء من الغيب ننقل لك عدة قصص من كتبهم المعتمدة وهي:

ما حكى الشيخ محمد الكردي: "أن جماعة دخلوا على الجنيد فقالوا له نطلب أرزاقنا؟ قال: إن علمتم أين هي فاطلبوها، فقالوا: نسأل الله ذلك؟ فقال: إن علمتم أنه ينساكم فَذَكِّرُوهُ، فقالوا: ندخل بيوتنا ونتوكل عليه؟ فقال: التجربة مع الله شك خطرٌ قالوا: ما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة"^(١).

وما حكى الشيخ محمد الكردي أيضاً: "وقال إبراهيم الخواص: لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد عليّ توكلي بسكوني إليه ففارقتة"^(٢).

وما قال الشيخ الكردي: "أكمل أحوال المتوكل أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يُقَلَّبُهُ كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير"^(٣).

وما حكى أيضاً: "أن أحد مشايخ الطائفة النقشبندية وهو الشيخ حبيب الله جان جانان المظهر كان يسافر مع أصحابه بغير زاد ولا راحلة فكانوا إذا نزلوا منزلاً تأتيهم الموائد من الغيب"^(٤).

(١) تنوير القلوب: ٤٨٢ الرسالة القشيرية: ٧٨.

(٢) تنوير القلوب: ٤٧٧ الرسالة القشيرية: ٧٧.

(٣) تنوير القلوب: ٤٧٩.

(٤) الأنوار القدسية: ٢٠٤، والمواهب السرمدية: ٢٢٤، جامع كرامات الأولياء: ٣٨٩/١.

وكان أحد مشايخهم واسمه عبد الله الدهلوي يقول: "كما أن طلب الحلال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين"^(١). ونظر أبو تراب النخشي إلى صوفي جائع قد مد يده إلى قشر البطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام من التوكل الصوفي فقال له: "لا يصلح لك التصوف الزم السوق"^(٢). وقال أبو علي الروزباري: "إذا قال لك الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزمه السوق وأؤمره بالكسب"^(٣).

فهذه نصوص من أقطاب الصوفية صريحة بما لا يدع مجالاً للشك أو للتأويل أن التوكل عندهم ترك التكسب وترك التزود وترك اتخاذ الأسباب والاعتماد على ما يأتيه من الغيب، فهو غير التوكل في الشريعة وعند أهل السنة والجماعة.

الْجَمَاعَةُ: تقول: إن هذا التوكل المذكور بالمفهوم الصوفي ليس من التوكل الشرعي في شيء إنما هو تواكل وبطالة ودعوة إلى ترك الكسب وتثبيط عن العمل... وهو سبب لنشر الفقر وضعف المجتمع وطرق أبواب الأغنياء بالشححات. أما التوكل الإسلامي المشروع والمأمور به فهو كسب وعمل وحيلة وأخذ بالأسباب من مطعم ومشرب وتحرُّز من عدو وإعداد أسلحة ثم تفويض ما لا طاقة للعبد فيه إلى الله مع الثقة التامة به والإيقان الكامل بأن قضاءه ماض. أما أن تقعد لا تأخذ بالأسباب وتتكاثر عن العمل وتوقع أن ينزل الله عليك الرزق من الغيب دون تدبير منك ولا اتخاذ مقدمات وأسباب لذلك فهذا يتنافى مع التوكل الذي جاء ذكره في القرآن والأحاديث ومع ما كان عليه سلفنا الصالح. قال تعالى لمن يصلي الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] ومعناه: انتشروا في الأرض واطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعي والعمل والتجارة.

(١) المواهب السرمدية: ٤٠/، الأنوار القدسية: ٢١٣.

(٢) الرسالة القشيرية: ٦٧.

(٣) الرسالة القشيرية: ٦٧، تلبس إبليس: ٢٠٩.

ولم يقل الله سبحانه هنا اقعدوا في البيت حتى يأتيكم رزق الله دون سعي وطلب منكم وقال تعالى أيضاً: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥] ومعناه: امشوا في جوانب الأرض ونواحيها طلباً للرزق.

وذكر ابن كثير أن أناساً من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون: فأنزل الله فيهم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، فأين من هذه الآية الشيخ حبيب الله جان جانان المظهر الذي كان يسافر مع أصحابه بغير زاد ولا راحلة؟ أهو مستثنى من الأمر الإلهي؟ ألكونه شيخاً صوفياً؟

وأما الأحاديث فلا نجد فيها ما يدلنا على المفهوم الصوفي للتوكل بل كل الأحاديث التي بين أيدينا تحثنا على اكتساب المال واتخاذ الأسباب المنافي للتوكل الصوفي منها: قوله ﷺ «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا فَلَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ»^(١). وقوله ﷺ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَ وَيَأْكُلَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(٢). وقوله ﷺ لعمر بن العاص: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(٣). ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ وسأله عما يفعل بناقته أيعقلها أم يُطْلَقُهَا ويتوكل على الله؟ قال: «فَبَيْدُهَا وَتَوَكَّلْ»^(٤).

وهذا الحديث لا يترك أمامنا مجالاً للشك أن التوكل إنما يكون مع اتخاذ الأسباب لا كما تقول الصوفية مع ترك التدبير وترك الأسباب.

ولقد كان النبي ﷺ من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه أحد ومع ذلك فإننا نراه في حياته العملية يتخذ أسباب الحذر والتحصن، فقد حفر الخندق حول المدينة تحصيناً للمسلمين وأموالهم الأمر الذي يتنافى والتوكل الصوفي أثره ترك التوكل الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠] كما اتخذ أسباب

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه ابن خزيمة والطبراني؛ قال العراقي في المغني: إسناده جيد.

الحيطة والحذر حين خرج من مكة مع صاحبه أبي بكر للهجرة، حتى خرج أولاً إلى جهة اليمن الجهة المقابلة للمدينة التي هي مكان هجرته تخفياً من مشركي قريش الذين كانوا يبحثون عنه، وهنا من يجرؤ أن يقول إن الرسول ﷺ ترك هنا التوكل؟

وإذا نظرنا في سيرة الصحابة الذي هم خير من يتوكل على الله بعد الأنبياء لا نجد أحدا منهم يتوكل على الله التوكل الصوفي، بل نجد فيهم التجار وأصحاب الأموال، فهذا أبو بكر رضي الله عنه كان غنياً ذا مال كثير فانتفع بماله النبي ﷺ حتى قال فيه: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالٌ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

وأعتق أبو بكر بماله خمسة عشر من العبيد المعذَّبين في قريش ممن آمن بمحمد ﷺ ويعد هذا العمل من مناقب أبي بكر رضي الله عنه أكان يفعل ذلك لولا ماله؟ وعبد الرحمن بن عوف أيضاً كان غنياً فلما هاجر إلى الله ورسوله ترك ماله وثروته كلها في مكة وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه سعد نصف بيته ونصف ماله وأن يطلق له إحدى زوجاته ليتزوج هو بها لكنه أبي وقال قولته المشهورة: "بَارَكَ اللَّهُ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَلَكِنِّي عَلَى السُّوقِ" فعاد أغنى مما كان عليه في مكة قبل الهجرة بسبب انشغاله بالتجارة والكسب.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما اسْتُخْلِفَ أصبح غادياً إلى السوق (على وفق عادته) وعلى رقبته أثواب يَتَجَرَّ بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تريد؟ فقال: السوق. قال: تصنع ماذا وقد وليت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟!!! فنهياه عن مزاوله التجارة لأنه تولى أمر المسلمين وفرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم^(٢).

فانظروا الآن إلى ما قال أبو بكر: "فَمِنْ أَيْنَ أُطْعِمُ عِيَالِي؟" فوالله لو قال أحدنا للصوفية هذه القولة لقالوا له: أَشْرَكْتَ. أفأشرك أبو بكر؟ ألم يكن متوكلاً؟ أم لم يبلغه آية التوكل؟ أم يؤولون كلامه أيضاً لأنهم أساتذة في التأويل والتحريف.

ونجد بين الصحابة من غَدَّ أمواله المتروكة للورثة بألوف الألوف كطلحة والزبير وابن عوف وغيرهم وهذا كله يُشْعِرُنَا بأن فهم الصحابة المبشرين بالجنة لمعنى التوكل كان

(١) صحيح الجامع الصغير: ٥٦٨٤.

(٢) تاريخ الطبري وتلخيص إبليس.

على خلاف ما تعرفه الصوفية أيعقل أن يكون الصحابة والنبي ﷺ يخفى عليهم معنى التوكل ففهمه الصوفية الزنادقة أحسن منهم؟ كلا، وحاشا! بل عمل الصوفية هذا كغيره من سائر أعمالهم مما يهدف إلى إضعاف المجتمع ونشر الفقر فيه وهدمه وجعله عرضة للهلاك.

ومما يدل على أن التوكل الإسلامي المشروع لا يتنافى والاكتساب وطلب الرزق واتخاذ الأسباب أن الله الذي يأمر بالتوكل من جانب بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وبقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠] هو الذي يأمر من جانب آخر بطلب الرزق والانتشار في الأرض في طلبه وهو الذي يأمرنا بإعداد القوة لإرهاب العدو ومواجهته، فكيف يأمر الله بشيء وضده؟ إنه والله تناقض ومستحيل أن يتناقض كلام الله بعضه مع بعض فلزم أن يكون معناه غير ما عرّف به الصوفية من أنه ترك للتدبير وقطع للأسباب بل هو عمل التدبير واتخاذ أسباب وتفويض ما فوق طاقة العبد فيه إلى الله مع الثقة به والرضا بقضائه كما أسلفنا. وأخيراً أريد أن أضرب مثلاً بسيطاً للتوكلين الصوفي والإسلامي للمقارنة بينهما ولمزيد الوضوح فالأول كرجل ملك حقلاً مما يحرق ويزرع ولكنه ما حرثه ولا زرع البذر فيه ولا سقاه بل تركه متوكلاً على الله ورجا أن ينبت فيه أجود أنواع القمح أو الرز ولكن الثاني حرث الحقل وزرع فيه البذر للمحصول الذي يريد أن يخرج ثم سقاه وجعل فيه من السماد ما يلزم وأتلف الحشائش الضارة وسيّجه بسيّاح حماية له من دخول المواشي فيه فتتلفه وبعد أن عمل كل ما يلزمه توكل على الله، فأَي هذين الرجلين أحق بأن يجنى الغلة المنشودة؟ فالجواب واضح فالتوكل الأول هو الصوفي والثاني هو التوكل الإسلامي وقس على هذا سائر الأشياء.

(١٠١) الْجِهَادُ

الصوفية: يصرفون الناس عن الجهاد وقتال الأعداء ويقللون من أهميته ويقولون بعدم وجوبه ولا يشتركون فيه إلا القليل منهم والأدلة والأمثلة على ذلك من التاريخ ومن حياتنا نحن كثيرة لا تحصى.

منها ما ذكر الأستاذ عبد الرحمن الوكيل في كتابه (هذه هي الصوفية) عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي يقول: وهذا بيت المقدس سقط في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة فلم يحرك منه هذا الحدث الجلل شعورا واحدا ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه، لقد عاش الغزالي بعد ذلك ١٣ عاماً إذ مات (سنة ٥٠٥ هـ) فما ذرف دمعة واحدة ولا استنهض همة مسلم ليزود عن الكعبة الأولى بينما سواه من الشعراء يقول:

أَحَلَّ الْكُفْرُ بِالْإِسْلَامِ ضَيْمًا * يَطُولُ عَلَيْهِ لِلدِّينِ النَّحِيبُ
وَكَمْ مِنْ مَسْجِدٍ جَعَلُوهُ دَيْرًا * عَلَى مِحْرَابِهِ نُصِبَ الصَّلِيبُ
دَمُ الْخَنَزِيرِ فِيهِ هُمْ خُلُوفٌ * وَتَحْرِيقُ الْمَصَاحِفِ فِيهِ طِيبُ

أهز هذا الصريخ الموجه زعامة الغزالي؟ كلا، إذ كان عاكفا على كتبه يقرر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء!! ويتحدث عن الصحو والمحو دون أن يقاتل أو أن يدعو حتى غيره إلى قتال.

وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم يسمع عن أحد منهما أنه شارك أو دعا إلى قتال أو سجل في شعره أو نثره آهة حَسَرَى على الفوارج التي نزلت بالمسلمين لقد كانا يقرران للناس: أن الله هو عين كل شئ فليَدْعِ المسلمون الصَّلِيبِيِّينَ فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك

الصور، هذا حال أكبر زعماء الصوفية وموقفهم من أعداء الله !!! فهل كافحوا غاصباً أو طاغياً؟... انتهى^(١).

ونسوق هنا شهادة للدكتور عمر فروخ في كتابه (التصوف في الإسلام) يقول: ألا يعجب القارئ إذا علم أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في أيدي الفرنج الصليبيين وعاش اثنتي عشرة سنة بعد ذلك ولم يشر إلى هذا الحادث العظيم، ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة أخوانهم في الشام لنفر مئات الألوف منهم للجهاد في سبيل الله ولو فرّ إذن على العرب والإسلام عصوراً مملوءة بالكفاح وقروناً زاخرة بالجهاد... وما غفلة الغزالي عن ذلك إلا لأنه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفياً أو اقتنع على الأقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة بل هي أهدى تلك السبل وأسعدها، وكذلك عاش عمر بن الفارض ومحي الدين بن عربي في إبان الحروب الصليبية ولم يرد لتلك الحروب ذكر في آثارهما... وحين أغار الفرنجة على المنصورة في (٦٤٧هـ . ١٢٥٩م) اجتمع زعماء الصوفية! أتدري لماذا؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء.

الصوفية تزعم أن لهم كرامات ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم فإذا كان هؤلاء القوم مثل هذه الكرامات... فلقد كان من الجناية على الدين نفسه أن يسكتوا عن الفرنج الصليبيين في بلاد المسلمين وعن غيرهم من المغيرين الظالمين. ولكن المتصوفة يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بأن هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه (كذا) فإذا كان الله قد سلط على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها... انتهى ببعض تصرف.

وهذه شهادة ثالثة للدكتور زكي مبارك بعد أن تحدث قليلاً عن الحروب الصليبية يقول: "أتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية؟ لتعرف أنه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتحرير الرسائل يحث أهل أوروبا على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي (حجة الاسلام) غارقاً في خلوته منكبا على أوراده (المبتدعة) لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد.

(١) هذه هي الصوفية: ١٧٠ . ١٧١.

ويكفى أن نذكر أن الإفرنج قبضوا على أبي القاسم الرملي الحافظ في يوم فتح بيت المقدس ونادوا عليه ليفتدى فلم يقدِّهِ أحد ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عدداً لا يحصيه إلا الله كما ذكر السبكي في طبقاته، وما ذكرنا هذه المأساة إلا لنعد القارئ لفهم حياة الغزالي". انتهى.

هذه ثلاث شهادات من ثلاثة دكاترة باحثين قد اتفقوا في ذكر الغزالي وموقفه من الجهاد والحروب الصليبية ولم يتجن أحد منهم لا على الغزالي ولا على ابن الفارض ولا على ابن عربي ولم يرموهم بما لم يكن منهم وكيف والغزالي يشهد على نفسه بعمله وما كان منه في عهد الحروب الصليبية يذكر في كتابه (المنقذ في الضلال) عند بحث طريقة التصوف أنه كان خلال الحروب الصليبية مشغولاً في خلوته تارة في منارة دمشق وتارة في صخرة القدس يغلق باجمها عليه في مدة تزيد على سنتين!!.

نعم هكذا كان موقف الغزالي (حجة الإسلام عند الصوفية) من الجهاد وقاتل الكفار ومحاربة الصليبيين بل لم يكن يرى الجهاد شيئاً من الدين، لذلك لم يذكر في كتابه (إحياء علوم الدين) شيئاً عن الجهاد لا كتاباً ولا باباً ولا فصلاً ولا فرعاً ولا مسألة ألا تعجب أيها القارئ من هذا الكتاب الذي أراد به أن يحيي علوم الدين وكيف ترك وأهمل أهم ما به حياة الدين ألا وهو الجهاد؟ أنسي؟ لا وكلا ولكن ترك الجهاد وتشبث الناس عنه هو الدين عند الصوفية وأهم عقائدهم يقولون: فيم القتال؟ ومن تقاتل؟ أنقاتل نفسك إذا كان كل شيء هو عين الله؟ لذلك لم يذكر (حجة الإسلام) في كتابه (إحياء علوم الدين) الجهاد في قليل أو كثير، هذا الكتاب الذي قال فيه بعض علمائهم: (كاد الإحياء أن يكون قرآناً) سبحان الله!!

ويقول عبد الرحمن الوكيل في كتابه: (هذه هي الصوفية: ١٧١) ثم اقرءوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه المسئلة الشرقية: "ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان أن رجلاً فرنسائياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان فلما اقترب الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاءوا يستلونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه فدخل (سيد أحمد) الضريح ثم خرج مهولاً لهم بما سينا لهم من المصائب وقال لهم: بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم لأن وقوع البلاد

صار حتماً فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع بل دخلها الفرنسيون آمنين في ٢٦/١٠/١٨٨١ م.
من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يصدقون على الصوفية الجاه والمال" انتهى.

وما لنا نذهب بعيدا في إثبات نفور الصوفية عن الجهاد فلدينا في ديارنا هذه في عصرنا هذا وفي العصور التي سبقتة أمثلة زاهرة لذلك:

لا يخفى على أحد أن الإمام غازي محمد ومن بعده الإمام شمويل رحمهم الله رحمة واسعة قاموا بجاهدون في سبيل الله لإزالة الطقوس وشريعة العرف وإقامة شريعة الله مقامها وتحرير بلاد الإسلام من تحت السيطرة الروسية القيصرية أخذوا على هذا ٣٣ سنة برز خلال الفترة هنا وهناك في داغستان وفي الشيشان مشايخ صوفية يصرفون الناس عن الجهاد ويقولون: قبل بدء الجهاد مع العدو الكافر الخارجي لابد لنا أن نجاهد أعداءنا الداخلية: النفس والهوى والدنيا والمال والشيطان فما لم نتغلب على هؤلاء الأعداء لم نكون مستعدين لجهاد العدو الكافر الخارجي فإذا انتهت هذه المرحلة دخلت المرحلة التي تليها وهي مرحلة جهاد العدو الخارجي، وإذا أخذنا في جهاد العدو الخارجي قبل انتهاء المرحلة التي قبلها نكون قد استعجلنا الأمر قبل حلول أوانه، فهذا لا يجوز فمثله في ذلك مثل الثمر إذا قطعته قبل أوان جذاذه لم تنتفع به وإذا قطعته بعد أوان جذاذه كان المقصود.

فمن هؤلاء المشايخ (كُنْتُ حَاجِي) الذي دُسَّ في صفوف المسلمين في عهد الإمام شمويل من قبل روسيا القيصرية لتثبيط المسلمين عن قتال الكفار مع الإمام شمويل لما رأوا أن الإمام شمويل لا يقهر وان صموده لا يفتّر فدخلوا في الأمر بطريقة مكرة وأثروا على المسلمين والجنود من حوله بأسلوب خبيث، فلما أدى دوره وقام بمهمته واستطاع من تثبيط هم المجاهدين ذهبوا به قبل أن يفتضح أمره وأخذوه في صورة أسير وأخفوا مصيره ليثبتوا في عقائد أتباعه فكرة خلوده وعدم موته فهاهم أتباع كُنْتُ حَاجِي إلى يومنا هذا يعتقدون خلوده وعدم موته وينتظرون مجيئه إلى الشيشان مرة أخرى وأنه وراء جبال قاف إلى غير ذلك من الأساطير الملفقة حوله.

وإنما اختير الشيشان محلاً لكننا حاجي يبدأ نشاطه فيه لأن الشيشان كانت من حيث العلم أقل من داغستان والناس فيها أكثر بساطة وسذاجة فكان قبوله فيها أرجى

وقد تم لهم للأسف ما أرادوا. أما كنتا حاجي فما يعرف له أصل ولا موطن ولا جنسية، ومن المعلوم يقينا أنه ما كان شيشانيا ويذكرون فيه أقوالاً متضاربة بعضهم يقول انه كان من غُمخَا قرية في ولاية عَندي في داغستان وآخر يقول: إنه من بَشَكِيرِيَا وثالث يقول: إنه من مَلْدَاوِيَا وقيل من غاغَاؤُس والأخير هو الراجح ومن المحتمل أن يكون والده قد جاء أولاً إلى قرية غمخا ومنها إلى الشيشان إلى قرية إِيْلَاْسَخَان يُورْت، إلا أن الشيشان يؤكدون أنه ولد في إِيْلَاْسَخَان يورت. والله أعلم.

وعلى كل فقد ثبت المجاهدين عن الجهاد مع الإمام شمويل، وكان يظهر على يديه الشعوذة وخوارق الأمور ومن أقواله التي تنسب إليه: "لا بأس عليكم أن تعلقوا الصليب في عنقكم إنما هو قطعة حديد، ولا أن تدخلوا الكنيسة إنما هي جدران من حجر" أو كما قال.

ومن الأمثلة والأدلة على أن الجهاد مرفوض عند الصوفية ما عرف من الشيخ حَسَنُ أَفَنْدَى الْقَحَّيِّ الصوفي اللَّيْنِيَّيِّ من موقفه المعادي من الإمام نجم الدين الْحَزَرِّي الأوارى الداغستاني العلامة الذي عين إماماً لداغستان والشيشان في الجهاد ضد روسيا القيصرية في أوائل القرن العشرين، فوالى حسن أفندي المذكور الروس وأصبح إلى جانبهم وعادى نجم الدين وقاوم الجهاد وثبط عزائم الناس عن قتال الكفار مع نجم الدين، وأصبح وكيلاً لروسيا الْبُلْشَفِيَّة اللَّيْنِيَّة يستخدمونه ضد نجم الدين ويرسلونه في أداء كل مهمة تعرض لهم في داغستان وكان يرأسل لِيْنِيَّ ويعبر عن حبه له وتقديره له وانتظاره لشفائه ليتعاونوا ويبدأوا العمل ضد نجم الدين وأمثاله وضد الجهاد.

ولقد قال نجم الدين العلامة الذي عرف طبيعة الكفر والكفار وأنه لا عهد لهم ولا ذمة وأن البلاشفة الشيوعية أخبث أنواع الكافر، قال للحسن: إنك لن تنجو من أحد سيفين إما أن أتغلب فأظفر بك وأضرب عنقك وإما أن تتغلب الروس البلاشفة فيضربوا عنقك. فكان الأمر كما قال.

قد يعترض معترض: إن الإمام شمويل كان مرشداً نقشبنديا وأن مقاتليه كانوا مريدين له حتى إن التاريخ يذكرهم على أنهم مريدون له وأنت بتعميم القول في الصوفية قد تجنيت على الحق.

أقول في جوابه "إن الإمام شمول لم يكن مرشداً صوفياً قط ولو كان لدخل في سلسلة المشايخ الصوفيين كما دخل من هو أخط منه بكثير ولم يكن يقوم بالأوراد الصوفية المبتدعة المعروفة اليوم، ولم يكن يؤدي رابطة شركية يدعو فيها غير الله ويتصور فيها صورة الشيخ ولم يكن صورة الشيخ في جيبه كما تفعل الصوفية اليوم ولا يعلقها على جداره في مصلاه ولم يقف يوماً أمام كاميرات التصوير نفسه أو أهله ولم يسمح لأحد بذلك لا في أثناء الجهاد ولا بعد وقوعه في أيدي الروس، أما صورة لوحاته المنتشرة اليوم فتباع وتعلق إنما هي من اختراع خيالات الفنانين والمصورين.

ثم إن الإمام شمول كان صاحب لحية عظيمة اقتداء بالرسول والنبي ﷺ ولم يكن يخلقها كما تفعل الصوفية اليوم تحبباً لمشاهدة الوهابيين.

أما أن يسمي مقاتليه بالمريدين فإنما فعل ذلك بغية اختراع اسم يجمعهم من حوله كما يجتمع مريدو الصوفية حول شيخهم تشبيهاً لتنظيمه وحركته بالتنظيم الصوفي وحركتها.

أضف إلى ذلك أنه ما كان يعلم من خطر الصوفية وفضائحتها وأسرارها ما عرفنا نحن لذلك ما ألقى لها بالاً، فمن زعم خلاف ما ذكرت فليأت عليه بدليل.

ولا ننكر علاقته ببعض المشايخ الصوفيين في عهده كمحمد البراغبي وجمال الدين العُموقي كيف لا تكون علاقة له بهما إذ هو صهر جمال الدين الغموقي، تزوج ابنته، كما كان غازي محمد صهر محمد البراغبي، ولكن ما كان يطيعهم في ترك الجهاد ويذكر التاريخ أنه كان منهما محاولة لصرفه وصرف غازي محمد عن الجهاد لكنهما لما رأيا إصراره على الجهاد أقرّاه عليه وتركوا الإنكار عليه؛ بل شاركوا معه في ذلك، ثم إننا لا نعلم نوع هذه العلاقة بينهما أكانت علاقة تلميذ مع أستاذه أم علاقة مريد مع شيخه أم علاقة صديق مع صديقه وعلى كل فالإمام شمول ليس قدوة لنا في كل شيء، بل هو واحد من البشر قام بأعمال عظيمة ولم يكن معصوماً من الخطأ فرحمه الله رحمة واسعة آمين.

أعود فأقول مرة أخرى، ما لنا نذهب بعيداً لإثبات كراهية الجهاد عند الصوفية ففي الجهاد الذي حصل في الشيشان في أيامنا هذه خير شاهد، إننا والله نعلم أن صوفية داغستان على اختلاف أنواعهم وطرقهم لم يشتركوا في جهاد الشيشان ضد القوات الروسية المحتلة في أعوام (١٩٩٤ - ١٩٩٦) لا بمال ولا بنفس ولا بكلام ولا

بأية مساعدة بل على العكس من ذلك كانوا يصرفون الناس عن الاشتراك فيه إرضاء لأسيادهم الروس.

ولقد خطب مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْحُشْنَادِيِّ إمام مسجد حَسَافِيُورْتِ الصوفي العدو اللدود (للوهابيين) غير مرة يصرف الناس عن الاشتراك في جهاد الشيشان ويقول: من اشترك فيه وقتل فإنه يخاف على إيمانه، أما الجنود من الجيش الروسي الذين قتلوا في أفغانستان (ولا أذكر يقيناً هل قال الشيشان أيضاً) فهم على حد قوله شهداء فسبحان الله كيف انقلبت الأمور رأساً على عقب (١).

أما بعد انتهاء حرب الشيشان فقد تغيرت المواقف واختلفت الموازين وأصبحت صوفية الشيشان أصدقاء أحماء للصوفية في داغستان وبتاتوا يكتثرون من اللقاءات والمقابلات ووجدوا للبحث والمناقشة موضوعاً مشتركاً بالغ الأهمية في حياتهم وهو موضوع الوهابية كيف يقضون عليها؟ وكيف يتعاونون فيها؟

وقد يقول آخر: إن صوفية الشيشان على اختلاف أنواعهم وطبقاتهم قد اشتركوا في جهاد الشيشان فبطل قولك فيهم تعميماً؟ وأقول في جوابه: نعم، اشتركوا ولكن البعض منهم ليس الجميع لأن أكثرهم كانوا في جانب المعارضة وبدافع من الشعور القومي في نفوس كثير منهم، لا بدافع ديني بحت ولو أخلصوا للعقيدة الصوفية واتبعوا وصايا شيخهم لتجنبوا الاشتراك ولكنهم خالفوا عقيدتهم وغلبت قوميتهم على عقيدتهم فاشتركوا، فاشتراكهم يعني اشتراك الشيشاني القومي لا اشتراك الشيشاني الصوفي، على أننا لا ننفي أن يكون بين المقاتلة الشيشانيين الصوفيين من جاهد خالصاً لوجه الله لكن يبدو من تصرفاتهم بعد الحرب أن هذا النوع قليل، إننا لا نحكم على ضمائر الناس ونياتهم فهذا إلى الله ولكننا نحكم على أعمالهم وتصرفاتهم فنحكم بما يظهر لنا منهم، ونسأل الله العفو إذا أخطأنا.

(١) لكن شيخه وأستاذه في الطريقة تاج الدين العشلي الساكن في خسفورت صرح في التلفاز على مرأى ومسمع من الجميع بأن الجنود الروس المراطين في داغستان، وكذلك الذين جاءوا يقاتلون ضد مجاهدي الشيشان: «إنما هم إخواننا فعلياً أن نصرهم ونؤيدهم وندعو لهم» وكما كان في كثير من مساجد داغستان التي تشرف عليها الصوفية الدعاء للجنود الروس في قتالهم ضد مجاهدي الشيشان (المؤلف).

ويروى الصوفية لتأييد موقفهم من الجهاد خبر أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيه: "وأما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله.

وقال الحافظ العراقي: "أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف" (١).

قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس: "هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عيلة" انتهى (٢).

وحتى لو فرضنا جلدًا أنه من كلام النبوة لم يكن فيه حجة لموقفهم وهو وجوب ترك الجهاد الأصغر قبل الانتهاء من مرحلة الأكبر، لأن النبي ﷺ وإن كان قاله فقد قاله بعد الرجوع من الجهاد الذي يسمونه الأصغر، فإن كانوا يقتدون به فليقولوا كما قال هو بعد الرجوع منه، ولا يكون الرجوع منه إلا بعد الخروج إليه. وعلى كل حال سواء كان أصغر أم أكبر وجب عليهم الخروج ليقولوا مثل ما قال: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر).

الجماعة: موقفهم من الجهاد على خلاف تام مع الصوفية:

فالجماعة يرون الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة مادام في الأرض فتنة وحكم كافر لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ولقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار.

(٢) وانظر أيضا ما قاله الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وانظر أيضا مختصره للحافظ ابن حجر في كتابه الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف.

[البقرة: ٢١٦]، ولقول الرسول ﷺ: «الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ كَانَ أَوْ فَاجِرًا...» (١) الحديث.

ولقوله ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ» (٢).

ويرون الجهاد تجارة رابحة مع الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوَمِّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١].

ولقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤-٧٥].

ويرون الجهاد إحدى صفات المؤمنين الخمسة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ويرون الجهاد ذروة سنام الاسلام لقوله ﷺ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).

ويرون ترك الجهاد سبباً في الموت على شعبة من النفاق لقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ» (٤).

والشهادة في سبيل الله التي تكفر كل شيء إلا الدين لا تنال إلا بالجهاد.

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود والنسائي

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

(٤) رواه مسلم.

ورسول الله ﷺ تَنَى أَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ يُحْيَى ثُمَّ يَقْتَلُ ثُمَّ يُحْيَى ثُمَّ يَقْتَلُ ثُمَّ يُحْيَى
ثم يقتل، على ما رواه البخاري.
ولغدوة في سبيل الله أو روحه خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب كما رواه
الشيخان.

وأمر الله تعالى المؤمنين بالتهيؤ للقتال وإعداد العدة الصالحة بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾
[الأنفال: ٦٠].

ووعده الله المؤمنين النصر بعد القتال فقال تعالى: ﴿فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ
اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

والجهاد هو ما به حياة الدين وعز الإسلام والمسلمين وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا،
وما أصيب المسلمون اليوم وفي القرون الوسطى بالذل والهوان والتبعية إلا لتركهم الجهاد
ولا نخوض لهم إلا بإخاض الجهاد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ
أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى
تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»^(١).

إن فضل الجهاد لا يحصى وآياته وأحاديثه لا تعد ولا تحصر، ولقد كان الرسول ﷺ
في الواقع العملي إمام المجاهدين وأشجع المقاتلين إِنْقَضَ عنه أصحابه في غزوة حنين
فقد بغلته باتجاه صفوف الأعداء وهو ينادي بأعلى صوته: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ
عَبْدِ الْمُطَّلَبِ».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أسبق الناس إلى الجهاد وأشجعهم إذا حمي
الوطيس ونهج على منوالهم المسلمون حتى ارتفعت راية الإسلام على الممالك والأمصار
ووجدت العقيدة الإسلامية طريقها إلى النفوس.

ولقد عرف أعداء الإسلام أن الجهاد سر قوة المسلمين ومبعث عزهم وعظمتهم
وطريق شهادتهم وذروة سنام دينهم ومن أفضل أعمالهم، وما دام المسلمون يسرون على

(١) صحيح الجامع الصغير: ٤٢٣.

درب الجهاد فلن يُعْلَبُوا ولن يُقْهَرُوا فأخذوا يفكرون بصرفهم عن الجهاد إضعافاً لأمرهم وإذلالاً لنفوسهم وخضداً لشوكتهم فأوهموهم أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس وهو مقدم على جهاد العدو فتقاعس عنه المسلمون حتى غلبوا على أمرهم وتناول عليهم المستعمرون.

اللهم حبيب إلينا الجهاد ويسر لنا أسباب الجهاد وافتح لنا أبواب الجهاد واهدنا سبل الجهاد وأمتنا في الجهاد ولا تجعلنا كالصوفية الذين يمتنون الجهاد آمين، وانصر الجهاد والمجاهدين في سبيلك في كل مكان في الشيشان وداغستان وشمال القافقاس وفلسطين وفي غيرها.

(١٠٢) الْمَسَاجِدُ

الصُّوفِيَّةُ: يستعلمون السبحة ويحسون عدد ما ذكروا الله وسبحوه بالمُسَبِّحَةِ ويرون المسابح والخرزات المنظومة على الخيط شيئاً من الدين وحملها علامة على تقوى الرجل وصلاحه وكثرة ذكره لله، لذلك ترى كل متدين من الصوفيين يحمل المُسَبِّحَةَ في جيبه. وإذا قيل لهم في ذلك وذكُّرُوا بأنها بدعة وأنها لم تكن للنبي ﷺ ولا للصحابة رضي الله عنهم قالوا: إن تك بدعة فإنها بدعة حسنة ولا نرى فيها بأساً بل هي تساعدنا على ذكر الله والإكثار منه، وما دمنّا ممسكين لها لهَجَّتْ ألسنتنا بذكر الله وكيف نمتنع عن عمل يساعدنا على ذكر الله تعالى؟

وقد يحمل الرجل منهم مُسَبِّحَتَيْنِ في آن واحد وعادة يكون هذا لدى أتباع الطريقة النقشبندية بإحداهما يعدون وحدات الأذكار وبالأخرى مئات الأذكار.

ولقد انتشرت المسابح الآن بكثرة بين الصوفية ومن والاهم في داغستان والشيشان فإذا دخلت مسجداً من المساجد التي يشرف عليها الصوفية رأيت الجدار أمام الصف الأول من المصلين كله دقت فيه المسامير وعلقت عليها المسابح يستخدمها المصلون بعد الانتهاء من صلاتهم ليعقدوا عليها تسبيحاتهم بعد الصلاة وبهذا يعلم الداخل أن المسجد تابع للصوفية أو للمبتدعة لأن مساجد أهل السنة والجماعة لا ترى فيها هذه الظاهرة البدعية.

لقد فطنت الدول الكافرة المنتجة والتجار وأرباب الصناعات إلى سذاجة عامة المسلمين في العالم وقلة علمهم بالدين فاستغلوا هذا منهم فعمدوا إلى إنتاج المسابح بالملايين ليكسبوا عليها أرباحاً كبيرة، ثم بعثوا بها إلى الحرمين الشريفين لتباع في محازنها ومحلاتها التجارية فيشتريها الحجاج والمعتمرون الذين يأتون من كل بقاع العالم، ثم يعودون بها إلى بلادهم، وقد يشتري الواحد منهم ألف حبة أو يزيد، لأن خير هدية يقدمها الحاج أو المعتمر لمن يزوره بعد عودته من حجه أو عمرته هي المسبحة ولا يساويها هدية أخرى،

وكفاها أن تكون جلبت من البلاد المقدسة وعلى أيدي حجاج ولكن لا يدرون ولا يهتمهم أين صنعت؟ أي الصين أم في اليابان أم في سنغافورة أم في دول أوروبا أم في أمريكا؟ كما لا يُهْمُهُمْ من أنتجها وعلى أيدي من صنعت؟ المهم أنها جاء بها الحاج من بلد مقدس فما دام كذلك فلا بد أن تكون فيها بركة تساعدكم على إكثار ذكر الله، والذكر الذي يؤتي به على تلك المسابح (المقدسة) لا بد أن يكون أرجى قبولاً وأكثر ثواباً عند الله.

هكذا سذاجة المسلم وقلة فقهه في الدين يستغلها الكفار وأصحاب الحرف الماكرون وأكبر مُرَوِّج لها هم الصوفية وهذه هي إحدى الوسائل التي يستخرج بها أعداء الإسلام أموال المسلمين من جيوب هؤلاء إلى بنوكهم فانظروا ماذا يفعل الجاهل بالإنسان المسلم، اللهم علمنا علماً نافعاً وزودنا منه ووقفنا للعمل به آمين.

الْجَمَاعَةُ: لا يرون المسبحة من الدين لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ لم تكن له مسبحة قط وما عد تسبيحاته وتَهْلِيلَاتِهِ على المسبحة قط، بل كان ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ بِيَمِينِهِ^(١). إذن فهي بدعة، وهي علاوة على أنها بدعة فإنها أبطلت سنة الذكر بأصابع اليد اليمنى التي كانت معروفة ومتبعة عند النبي ﷺ والصحابة الكرام، فانك لا تكاد تجد من يحمل المسبحة يعد تسبيحاته وتكبيراته وتَهْلِيلَاتِهِ على الأصابع، والسر في استحباب ذكر الله على الإصبع أن كل عضو مُسْتَنْطَقٌ فشاهد يوم القيامة بما عمل فذكر الله على الأصابع يشهد للذاكر بمن يوم القيامة قال رسول الله ﷺ للنساء: «سَبَّحْنَ وَاعْقِدْنَ بِالْأَصَابِعِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ»^(٢).

أما الْمَسْبُوحَةُ والحصى والنوى فلا تُسْتَنْطَقُ ولا تشهد يوم القيامة لعدم ورود دليل على ذلك فكيف يترك اللبيب العاقل ما نفعه متيقن إلى ما نفعه مشكوك فيه؟
والصحابة الكبار إذا رأوا من يذكر الله على الحصى ويحصى عددها كانوا ينكرون عليه ذلك فمن ذلك ما جاء في الصحيح أن ابن مسعود مر برجل يسبح بالحصى فضربه برجله ثم قال: لَقَدْ سُبِّحْتُمْ رَكْبَتُمْ بِدَعَةٍ ظُلْمًا.

(١) صحيح رواه الترمذي وأبو داود.

(٢) صحيحه الحاكم والذهبي.

ومنه ما جاء في سنن الدارمي أن بعض الصحابة قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أَخْرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوماً حَلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حَلَقَةٍ رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة... ويقول: هللو مائة فيهللون مائة... ويقول: سبحو مائة فيسبحون مائة... قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك. قال: أفلا أمرتهم أن يَعُدُّوا سيئاتهم؟ وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقة فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد بها التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء! ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هَلَكَتِكُمْ! هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون وهذه ثيابه لم تَبُلْ وآنيته لم تُكْسَرْ والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد؟ أو مفتتحو باب ضلالة؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لم يصبه إن رسول الله ﷺ حدثنا: «إِنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ» وَإِنَّ اللَّهَ لَا أَدْرَى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْتُ عَامَةً أَوْلَتْكَ الْحَلْقَ يَطَاعُونَا يَوْمَ النَّهْرِ وَإِنْ مَعَ الْخَوَارِجِ" (١) وقد أتيت بتمام الحديث لما فيه من فوائد جمة.

أقول: فانظروا إلى أولئك كيف أن قلوبهم كانت مائلة إلى الانحراف والبدعة حتى جرتهم إلى أن يصبحوا في عداد الخوارج أصحاب التكفير وانظروا ما أشبه حصى أولئك بمساحب الصوفية اليوم وحلق ذكرهم بحلق هؤلاء.

إن المسبحة كما قلنا لم يعرفها السلف الصالح ولم يعلقوها على الجدران في مساجدهم ولا دقوا لذلك في الجدران مسامير وإنما كانت معروفة في الديانة النصرانية قبل مجيء الإسلام بكثير فهي عندهم بصليب في طرفها وادخلها في الإسلام الصوفيون

(١) إسناده صحيح.

فغيروا شكلها بعض الشيء وأزالوا صليبها ووضعوا مكانه شاهداً، وإذا نظرنا في مساجد البلدان الإسلامية حيث العلم أقوى والفقه في الدين أكثر لا نجد فيها المسابح كما نجدها في مساجد داغستان والشيشان التي تحت أيدي الصوفية.

ومع أن الجماعة يرون المسيحية ليست من الدين في شيء لكنها لا تشدد النكير عليها نظراً لأن بعض العلماء لم يروا بها بأساً، حتى شيخ الإسلام ابن تيمية لم يربها بأساً إذا لم يراء بها الرجل بأن علقها على العنق أو وضعها على اليد كالسوار فقال فيها: "وعد التسييح بالأصابع سنة كما قال النبي ﷺ للنساء: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْيِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ» (١)

وأما عده بالنوى والحصى ونحو ذلك فحسن، وكان من الصحابة رضي الله عنهم من يفعل ذلك وقد رأى النبي ﷺ أم المؤمنين تسبح بالحصى وأقرها على ذلك، وروى أن أبا هريرة كان يسبح به.

وأما التسييح بما يجعل في نظام من الخرز ونحوه فمن الناس من كرهه ومنهم من لم يكرهه، وإذا حسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه وأما اتخاذه من غير حاجة وإظهاره للناس مثل تعليقه في العنق أو جعله كالسوار في اليد أو نحو ذلك فهذا إما رياء للناس أو مظنة المراءاة ومشابهة المرائين من غير حاجة فالأول محرم والثاني أقل أحواله الكراهة... (٢)

وعلى كل فالأولى تركها تجنباً لمشابهة أهل البدعة وإحياءاً لسنة عقد التسييح على الأصابع وصوناً للناس من الاعتقاد الباطل في المسابح وحفاظاً على أموال المسلمين في جيوبهم دون أن تنفق في ما لا طائل له ودون أن تصرف إلى بنوك أعداء الإسلام.

(١) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وأحمد والحاكم.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٥٠٦/٢٢.

(١٠٣) حُكْمُ الْمَحِيضِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: تخالف الشريعة في حكم الحيض فإذا حاضت المرأة عندهم لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يسمحوا لها بإحضار الطعام ولا بزرع البذر في الحقل وأعفوها من كثير من الأعمال ويعللون ذلك بأن فيه من المعاني السرية والعلوم الدنية ما لا يعرفها إلا أهلها من الصوفية:

وقد ذكروا قصصاً تؤيد قولهم.

من ذلك: أن أحد الأولياء الصوفيين قُدِّمَ له طعام فلم يأكل فلما سئل عن السبب؟ قال: إني أرى في الطعام دمًا وإن المرأة التي أحضرت الطعام كانت في وقت تحضيره حائضاً فلما سئلت المرأة عن ذلك اعترفت له وقالت أنها كانت حائضاً. وآخر قُدِّمَ له شيء يؤكل من الخضروات من خيار أو غيره فامتنع هو الآخر عن الأكل فلما سئل عن السبب أجاب: إني لا آكله لأنني أرى فيه دمًا لأن المرأة التي زرعت كانت أوان زرعها حائضاً.

ويروي الصوفية قصة الإمام الغزالي والسبب الذي أصبح من أجله صوفياً: أنه كان في بداية أمره عالم الشريعة ولم يكن صوفياً وكان له أخ صوفي اسمه أبو الفتوح أحمد وحدث مرة أنه كان يصلي بالناس إماماً وكان بين المأمومين أخوه الصوفي فبينما هم في الصلاة إذ فارق أخوه الإمام وصلى منفرداً فأنكر الغزالي عليه ذلك وشكاه إلى أمهما فسألت الأم ابنتها أحمد عن سبب مفارقتها للإمام فقال الابن: ما كنت لأصلي وراءه وهو يسبح في بحر من الدم فإني رأيته كذلك، فلما سئل الغزالي عن ذلك قال: نعم كنت في تلك اللحظة في الصلاة أفكر في مسألة الحيض فهناك اعترف الغزالي بفضل أخيه وأن لديه علماً باطنياً وأن علماء الباطن يطلعون من العلوم والأسرار على ما لم يطلع عليه علماء الظاهر وترك الإنكار على أخيه بعد ذلك اليوم وأصبح صوفياً.

هذه هي أدلة الصوفية رؤى وأحلام وخیالات وهَلُوسَات.

أَجْمَاعُهُ: تنقيد في مسألة الحيض كغيرها من المسائل بما جاء في الكتاب والسنة ولا تتجاوز عنه بحجة أن فيه سرّاً أو معنى أو إشارة أو علماً باطنياً.

لقد سأل الصحابة النبي ﷺ عن الحيض وعن معاشره المرأة في الحيض وذلك إنهم لما رأوا اليهود والنصارى في مسألة الحيض على طرفي نقيض فاليهود كانوا يحرمون على الرجل أن يأكل زوجته أو يشاربها أو يساكنها بينما النصارى لا يفرقون بين أن تكون حائضاً أو غير حائض فيفعلون بها في المحيض كل ما يفعلون في الطهر، فأراد المسلمون أن يعلموا حكم الإسلام في الحيض فسألوا النبي ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فقال رسول الله ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ^(١).

وهكذا جاء الإسلام وسطاً بين اليهودية والنصرانية ليس يحرم كل ما حرم اليهود وليس يحل كل ما أحل النصارى، فحرم الإسلام الجماع ومباشرة الفرج وأحل ما سوى ذلك من كل ما كان محرماً عند اليهود من المؤكلة والمشاربة والمساكنة وغيرها.

وجاء في السنة آثار كثيرة تدل على أن المحرم في الحيض هو الجماع ومباشرة الفرج فقط حتى مباشرة ما بين السرة والركبة غير القبل والدبر فأمر مختلف فيه، فأكثر العلماء على حرمة على اعتبار أنه حريم الفرج، واختار النووي الحل مع الكراهة لأنه أقوى من حيث الدليل أما مباشرة ما فوق السرة وما تحت الركبة فحلال بالإجماع لم يخالف فيه أحد.

فمن تلك الآثار ما روى أبو داود عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئاً يلقي على فرجها ثوباً.

ومنها ما روى أبو داود أيضاً عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «أُذِنِي مِنِّي» فقلت: «إِنِّي حَائِضٌ فَقَالَ: «اكَشِفِي عَن فَخْذِكَ» فَكَشَفْتُ فَخِذِي فَوَضَعَ حَدَّهُ وَصَدَرُهُ عَلَى فَخْذِي وَحَنِيثٌ عَلَيْهِ حَتَّى دَفِنِي وَنَامَ ﷺ».

(١) رواه مسلم.

وروى عن جعفر بن جرير عن مسروق أنه قال لعائشة: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي فقلت: إنما أنا أملك وأنت ابني فقال: ما للرجل من امرأته وهي حائض؟ فقلت له: "كل شيء إلا فرجها" وفي رواية: "إلا الجماع".

وروى ابن جرير أيضاً عن عائشة أنها قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنِي فَأَعْسِلُ رَأْسَهُ وَأَنَا حَائِضٌ، وَكَانَ يَتَكَيُّ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ".

وفي الصحيح عن عائشة قالت: "كُنْتُ أَتَعَرَّقُ الْعَرَقَ وَأَنَا حَائِضٌ فَأَعْطِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَضَعُ فَمَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعْتُ فَمِي فِيهِ، وَأَشْرَبُ الشَّرَابَ فَأَنَاوِلُهُ فَيَضَعُ فَمَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ أَشْرَبُ مِنْهُ".

وروى مسلم وغيره عن عائشة قالت: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «نَاوِلِينِي الْخُمْرَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ» فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ: «إِنَّ حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ».

وروى أحمد والنسائي عن ميمونة رضي الله عنها قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى إِحْدَانَا وَهِيَ حَائِضٌ فَيَضَعُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهِيَ حَائِضٌ ثُمَّ تَقُومُ إِحْدَانَا بِخُمْرَتِهِ فَتَضَعُهَا فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ حَائِضٌ".

وهكذا نرى إذا تتبعنا هذه الآثار وغيرها كيف كان النبي ﷺ يعاشر أزواجه في زمن الحيض ويعمل معهن كل ما كانت الصوفية تتحرج من عمله، وإن كل ما عمله النبي ﷺ وجاز له عمله يكون جائزاً لنا إلا ما ورد تخصيصه به، والتزُّة عنه يكون غلوّاً في الدين، يؤكد هذا ما جاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ صنع شيئاً ترخص فيه وتزَّة عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»^(١).

وباستقراء كتب الفقه نعلم أن ما يحرم على النساء زمن الحيض هو: الصلاة والطواف ومس المصحف وحمله وقراءة القرآن والمكث في المسجد لا المرور فيه والصوم والوطء وكذلك مباشرة ما بين السرة والركبة على قول، أما غيرها من الأشياء فلم يرد دليل على كراهته فضلاً عن تحريمه وما تفعله الصوفية من تحريم شيء أو تحليله زيادة على ما حرم الله ورسوله أو حلَّاه فهو استدراك على الله ورسوله وتشريع في دين الله بما لم

(١) رواه الشيخان.

يأذن به، والتشريع حق الله الخالص له ومن صفات الألوهية فمن شرَّع فقد أشرك بالله ونَصَّبَ نفسه إلهاً.

نقول للصوفية الآن: ما لكم تتزهون عن الشيء صنع الله ﷺ؟ أأنتم أطهر منه؟ أم أنتم أخشى لله منه؟ أم إن حيضة نسائكم في أيديهن فتمنعوهن من تحضير الطعام وزرع البذر؟ أم إنكم مصرون على أن أقوالكم وأعمالكم تشتمل على سر أو حكمة أو تأويل أو ذوق لا توجد عند غيركم وكلها من علم الباطن أو العلم اللدني؟ ما أخبثكم وما أدهاكم أيها الصوفية!! كلما ضَيَّقَ عليكم الحِناقَ بالقرآن والحديث وأَعَزَّكُمْ الجوابُ عنهما احْتَمَيْتُمْ بعلومكم اللدنية الموهومة.

(١٠٤) الصَّبْرُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ

الصُّوفِيَّةُ: يخالفون أهل السنة والجماعة في معنى الصبر وما هي مواطن الصبر فيرون لزوم الصبر على الذل والهوان والرق والعبودية وعلى السلطة الكافرة وعلى التبعية للحكومة الكافرة لأن الكفار على حد قولهم ما سَلَطُوا علينا إلا بإذن من الله وأمر منه فيلزمنا الصبر على ذلك والله مع الصابرين ولا يميزون لأحد محاولة التخلص والتحرر منها.

لذلك لا نرى صوفياً واحداً في الشَّيْشَانِ أو في دَاغِسْتَانَ يريد أو يحاول التحرر من سيطرة موسكو ومن التبعية لهم، وإذا قيل له: كيف ترضى أن تكون تحت الذل والهوان والعبودية وتكون خاضعاً للحكم الكافر أجاب: إننا لا نرضى بذلك ولكن الله أمرنا بالصبر فنصبر على قضاء الله حتى يحدث بعد ذلك أمراً وما نحن فيه ليس إلا بقضاء الله. أما **الْجَمَاعَةُ:** فالصبر عندهم هو الصبر على المشاقِّ والصعوبات والصبر على وعورة الطريق، والصبر على كل ما يلقاه الإنسان في طريقه إلى النصر والاستقلال، والصبر على الجهاد وما يكون فيه من القتل والجراح هذا هو الصبر الذي أمرنا الله به في القرآن لا الصبر على الذل والهوان والرق والتبعية للحكم الكافر والسلطة الكافرة ولو لم يكن الأمر كذلك لما هاجر النبي ﷺ والصحابة من مكة إلى المدينة في محاولة التخلص من الذل الذي يَلْقَوْنَهُ في مكة بل كَانُوا صَبَرُوا عليه وأقاموا في مكة إلى أن يزيله الله عنهم ويأتيهم بنصره.

ومن سنن الله في خلقه انه لا يغير حالهم وما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم فوجب علينا نحن إذا وقعنا في ذل أو عبودية أو تبعية لكافر أو تسلط علينا الكافر أو أصبحنا في سجن أن نكافحها ونسعى جهداً ونتخذ كل الأسباب اللازمة للتخلص منها لا أن نقعد بحجة أننا نصبر على قضاء الله، فمثل هذا الصبر ليس صبراً محموداً، فقد يبتلىنا الله ويسلط علينا الكفار لذنوب عملناه او معصية ارتكبتها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا

أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴿[الشورى: ٣٠]، أو ليمتحننا ويعلم هل نسعى في التخلص من سيطرة الكافر أو نرضى بالعبودية أو لحكمة أخرى لا ندركها فالاستسلام عندئذ لها وعدم محاولة الخروج منها ليس من الصبر المنشود في شيء وإنما هو رضى بالذل والعبودية وخضوع للشر.

وهكذا عرفنا الفرق الكبير بين الصبر على الذل والهوان والعبودية وبين الصبر على المشاق في طريق التحرر من الذل والهوان والعبودية فالنوع الأول من الصبر هو صبر الصوفية عصمنا الله منه والنوع الثاني هو صبر أهل السنة والجماعة، ثبتنا الله عليه.

(١٠٥) الدَّعْوَةُ إِلَى الدُّلِّ وَالْمَهَانَةِ

الصُّوفِيَّةُ: يدعون المسلمين إلى الدل والمهانة ويصفون أولياء الله بأنهم أذلاء في نظر الخلق حتى يَسْحَرُ منهم أهل الذمة الذين ليسوا بمسلمين.

يقول الحجتان (طبعاً عند الصوفية) أبو طالب المكي والإمام الغزالي عن بعضهم أنه قال: ألقني الشوق إلى الخضر فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء علي فرأيت، فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس علمني شيئاً إذا قلتُ حُجِبْتُ عن قلوب الخليفة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة؟ فقال: قل: "اللهم أَسْبِلْ عليّ كثيف سترك وحط عليّ سرادقات حُجُبِكَ واجعلني في مكنون غيبك واحجبي عن قلوب خلقك" قال: ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى انه صار بحيث يُسْتَدَلُّ وَمُتَّهَنُ حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم، وكان الصبيان يلعبون به... " (١).

ويعلق الغزالي الإمام حجة الإسلام على هذا فيقول: وهكذا حال أولياء الله تعالى ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا.

وروي أن ابن الكُرَيْبِيِّ وهو أستاذ الجنيد دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك؟ فقال: قد رضت نفسي على الدل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت (٢).

(١) قوت القلوب: ٧٣/٢، الإحياء: ٣٠٦/٤.

(٢) قوت القلوب: ٧٤/٢.

أَجْمَاعُهُ: يدعون المسلمين إلى القوة والعزة والغلبة والوقار وأن يكونوا فوق أهل الذمة وفوق أهل الكفر لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ويصف الله المؤمنين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين^(١). وأمر الله النبي ﷺ أن يغلظ على الكافرين والمنافقين ففي رسول الله ﷺ أسوة حسنة لنا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩].

حتى أخذ الجزية من الكفار ينبغي أن يكون وهم صاغرون أذلاء من أسفل إلى أعلى قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [المائدة: ٢٩].

ويقول الرسول ﷺ: «لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»^(٢).

ومن دعاء الرسول ﷺ وهو راجع من الطائف وقد رده أهلها: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ...»^(٣).

وهكذا نجد الله ورسوله يأمرنا أن تغلظ على الكفار والمنافقين وأن نكون أعزاء عليهم لا أذلاء ولا مهانين ولا مسخرين، ونجد الرسول ﷺ يشكو إلى الله هوانه على الناس ولا يفرح به ولا يسعى إليه فكيف التوفيق إذن بين هذا وبين ما عند الصوفية من الدعوة إلى الذل والمهانة والحقارة بين يدي الكفار.

إذا تأملنا مثل هذه الدعوة الصوفية المستندة إلى الكشوف والعلوم اللدنية اتضح لنا سبب انخراط المسلمين حتى أصبح الكفار يتحكمون في رعايقهم فإله المستعان.

(١) انظر سورة المائدة: آية: ٥٤.

(٢) رواه مسلم.

(٣) كما روثه كتب السيرة.

ثم إن الأسلوب الذي ذكره الكريني في ترويض النفس متبع في الهندوسية وفي البوذية وفي الكهانة والسحر، أما الإسلام فهو بريء منه، فمن زعم أن لا فعلية بدليل من سيرة الرسول والصحابة والتابعين والأئمة خير القرون وخير السلف الذين هم قدوة لنا.

(١٠٦) التَّصْوِيرُ

الصُّوفِيَّةُ: يجيزون التصوير الذي حرمه الشرع ويصورون مشايخهم ويعلقون صورهم على الجدران تعظيماً لها وتبركاً بها واستمداداً للخشوع منها وكثيراً ما يجمعون صور مشايخهم في ورقة واحدة فيعلقونها في أماكن صلاتهم في جهة القبلة ويصلون مستقبلين لها مراقبين لها دون الله، وإذا سئلوا عن ذلك قالوا إنما هي نقش ورقم لا ظل له في ثوب أو ورق ومثله جائز شرعاً وإنما الممنوع ما كان له حجم وظل.

ولقد زرت سَعِيدَ أَفَنْدِي التَّشْرُكِيِّ في بيته قبل فساد ما بيننا فرأيت في بيته لوحين عظيمتين معلقتين على الجدار إحداهما للإمام شمويل والثانية لشيخ الطريقتين النقشبندية والشاذلية سيف الله قَدْري لكنها لم تكونا في جهة القبلة بل كانتا على يمين المصلى وعلى يساره.

الْجَمَاعَةُ: ترى تصوير ذي الروح لغير الحاجة حراماً سواء ما كان ذا حجم وظلٍّ منه وما كان رقماً في ثوب أو ورق لا ظل له ويزداد حرمة اذا ضوحي به خلق الله أو علق للتعظيم على الجدار ويستوي في هذا صورة رجل عظيم أو بطل أو عالم أو نبي أو ملك أو بَرّاق أو صورة الْوَلَدَيْنِ علقت للذكرى أو غيرهم.

فقد ورد تحريم الصور في أحاديث كثيرة ولم يفرق فيها بين ما له ظل أو لا ظل له فمنها:

(١) عن عائشة أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهة فقالت: يا رسول الله أتوب إلى الله ورسوله فما أذنبْتُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

(١) رواه الشيخان.

ومعلوم أن الصور في النمرقة لا ظل لها ولا حجم لها ومع ذلك فقد منعها الرسول ﷺ.

(٢) وقال ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ»^(١).

(٣) إن النبي ﷺ لَمَّا رَأَى الصُّورَ فِي الْبَيْتِ لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى تُحْيَتْ^(٢).

(٤) وقال ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»^(٣).

ويجوز تصوير ما لا روح له كمناظر الطبيعة والشمس والقمر والأشجار والكعبة والمسجد وغيرها

ودليله قول ابن عباس رضي الله عنهما: "إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَأَعِلَّ فَأَصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لَا تَفْسَ لَهُ"^(٤).

ويجوز ما يحتاج إليه كالصور الموضوعة على الجوازات ورخصة القيادة وصور المجرمين من القتلة والسُّرَّاق للبحث عنهم وإلقاء القبض عليهم وكالصور في كتب الطب وعلم الأحياء ونحوها فهذه يسمح بها للحاجة إليها.

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح الجامع الصغير: ٧٢٦٢.

(٤) رواه البخاري.

(١٠٧) اَلتَّعَصُّبُ لِمَذْهَبٍ وَاحِدٍ مُّعَيَّنٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ

الصُّوفِيَّةُ: يتعصبون للمذهب ويقولون بأن باب الاجتهاد مغلق بعد الأئمة الأربعة فلا يحق لأحد من بعدهم أن يجتهد في المسائل الفقهية فيستنبط بنفسه الأحكام من الكتاب والسنة ويلزمون الفرد باتباع مذهب معين واحد من المذاهب الأربعة فيلزمونه أن يكون حنفياً أو مالكياً أو شافعياً أو حنبلياً ولا يجوز له أن يخرج من مذهب إمامه إلى مذهب إمام آخر إلا عند الضرورة. وذكروا لهذه الضرورة قيوداً وشروطاً لا بد من التقيد بها لمن أراد تقليد مذهب آخر في مسألة ما، والذي خرج من مذهب واحد دون أن يتقيد بشروطهم عدوه مُلَقَّباً ومُرَقَّعاً وجعلوه وهابياً.

بل يقسمون البلاد إلى المذاهب الأربعة ويقولون إن الله تعالى هو الذي قسم البلاد إلى تلك المذاهب فجعل لكل بلد مذهباً معيناً لا يَتَعَدَّوْنَهُ ولا يخرجون منه كما صرح بذلك دُرَوَيْشُ الصوفي من حَسَنُفِيُوزَت، فكل عباداتهم مبنية على مذهب واحد وكل دروسهم في معاهدهم وجامعاتهم ومدارسهم على مذهب واحد، حتى لو أحببت أن تجد كتاباً في مذهب آخر غير مذهب ذلك البلد أعياك طلبه، وإذا علموا منك مثلاً أنك تخالف مذهبهم ولو كنت في ذلك تعمل بالحديث الصحيح عادوك ولقبوك بالوهابي أو بغيره من الألقاب.

وإذا خالفهم أحد في موقفه عن المذاهب ولم ير رأيهم قالوا له: إنك تبغض الأئمة وتطعن فيهم وتكره المذاهب وتدعي الاجتهاد وتعدّل نفسك بالأئمة فأنت وهابي وأنت لأمذهبي وأنت كذا وكذا وكذا... وما إلى ذلك.

الْجَمَاعَةُ: تقول: قبل أن نحكم على المذهب وقبل أن نذكر موقفنا من المذهب لا بد لنا أن نعرّف المذهب ونعرّف ما هو؟ وإلا كان حكمنا عليه حكماً على مجهول فنخطئ في الحكم فنقول:

(المذهب) في اللغة اسم زمان ومكان من "ذَهَبَ يَذْهَبُ" أي الزمان الذي يذهب فيه الشخص أو المكان الذي يذهب إليه الشخص، والمذهب في الاصطلاح الفقهي هو الرأي أو الحكم الذي يذهب إليه الشخص في مسألة ما، ولقد كان للعلماء والأئمة دائماً مذاهب تنسب إليهم في مسائل كثيرة أي آراء يرونها في تلك المسائل تختلف عن آراء الآخرين، فلا يبي حنيفة رأيه ومالك رأيه وللشافعي رأيه ولأحمد رأيه ولغيرهم من الأئمة آراؤهم. وقد يتفق اثنان من الأئمة أو خمسة أو أكثر أو أقل على رأي واحد ويختلف آخرون، وقد يكون لشخص واحد رأيان أو قولان أي مذهبان في مواضع مختلفة أو في ظروف مختلفة وقد يتفق جميع الأئمة على رأي واحد وهذا يكون إجماعاً وإن لم يتفقوا كان كل رأي من كلٍ صاحب رأي مذهباً منسوباً إليه.

وهذا الاختلاف في الآراء ليس مقصوراً على الأئمة بل كان بين الصحابة اختلاف في الآراء في مسائل كثيرة وكان بينهم مذاهب وأصحاب مذاهب، فابن عباس له مذهب ويعرف باللين وابن عمر له مذهب ويعرف بالشدة وابن مسعود له مذهب يعرف بالشذوذ.

وقد يقول قائل: كيف يكون للرجال آراء وكيف تعتبر ويعمل بها وكل شئ في الكتاب والسنة واضح؟

أقول: "هذا سؤال جيد والأمر كما قال هذا القائل إن كل شئ في الكتاب والسنة واضح، نعم إنه واضح من حيث الأصول والقواعد والضوابط الكلية ولذلك لا نكاد نرى فيها خلافاً ما بين الأئمة والعلماء المعترين، أما ما يتفرع عنها من المسائل الجزئية والفروع فهي أكثر من أن يأتي عليها حصر لذلك نجد الأئمة والعلماء يرون في المسائل الفرعية آراءً ذهبوا إليها يختلف بعضها عن بعض واختلاف الأئمة والعلماء في آرائهم ومذاهبهم أمر طبيعي لا بد منه ويحصل لأسباب عديدة، منها:

(١) بلوغ الحديث في مسألة ما إلى أحدهم وغيابه عن الآخر لأن أحداً من العلماء والأئمة مهما كثر علمه وعظم مقامه لم يحيط بالسنة كلها، فلم يدع أحد منهم أنه أحاط بعلم السنة كلها.

(٢) اختلافهم وتفاوتهم في فهم الكلمة وفهم المراد منها كما اختلف الإمام أبو حنيفة والشافعي في فهم المراد في كلمة (لامستم) في القرآن، فقال أبو

حنيفة إن المراد منه الجماع وقال الشافعي إنها تصدق على لمس البشرة فكل منهما مجتهد وكل منهما مأجور ومصيب ما لم يرجح أحدهما عمل النبي ﷺ أو قوله أو قرينة أخرى.

(٣) وقد يبلغ أحدهم الحديث في مسألة ما ولكنه لم يصح عنده فلم يعمل به بل عمل بدليل آخر على خلافه وبلغ نفس الحديث إماماً آخر فصح عنده فعمل به.

(٤) ولاختلافهم أسباب أخرى كثيرة تعرف من كتب الأصول.

ثم إن المذاهب وآراء الرجال تظهر وتعتبر في المسائل الفرعية والاجتهادية التي لا نص فيها ولا دليل عليها واضح من الكتاب والسنة أما المسائل الجلية المعلومة من الدين بالضرورة فلا رأى لأحد فيها ولا مذهب، فمثلاً كون أركان الإيمان ستة وأركان الإسلام خمسة لا خلاف فيها ولا رأى لأحد فيها ولا يقال إن أركان الإيمان في مذهب أبي حنيفة ستة أو أركان الإسلام في مذهب الشافعي خمسة، ومنها مثلاً الصلوات الخمس في اليوم والليلة وعدد الركعات في كل صلاة منها فلا يقال إنها مذهب فلان أو رأى فلان، إذ هو واضح جلي من قول النبي ﷺ وعمله وليس من المسائل الاجتهادية.

وإذا تقرر هذا علمنا أن المذهب هو رأي شخص واحد أو أشخاص في المسائل الاجتهادية التي لم يأت عليها دليل صريح من القرآن والسنة ذهبوا إلى ذلك الرأي بعد اجتهادهم وتفرغهم قواهم العلمية لمعرفة الأصوب في تلك المسائل، ومع ذلك فقد يكون ما أدى إليه اجتهادهم خطأ أو صواباً وعلى كل فالمجتهد مأجور فإن أصاب فله أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة وإن أخطأ فله أجر واحد وهو أجر الاجتهاد، يقول الرسول ﷺ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).

والآن بعد أن علمنا معنى المذهب لغة واصطلاحاً نصدر حكماً عليه ونقول: إننا لا نتعصب لمذهب فقهي واحد ولا نقول بأن باب الاجتهاد مغلق، وفي الجواب على سؤال: (هل الفرد ملزم بإتباع مذهب واحد معين من المذاهب الأربعة)؟ نقول: ما دام أن المذهب هو رأي شخص فإلزام الفرد بإتباعه إلزام بإتباع رأي شخص وهذا لم يقل به

(١) رواه البخاري.

أحد من الأئمة والعلماء ولا نقول نحن به، لا سيما ولا أحد بعد النبي ﷺ معصوم من الخطأ ورأيه يحتمل الخطأ والصواب.

والقول بأن باب الاجتهاد مغلق خطأ لأن هذا الباب تركه النبي ﷺ من بعده مفتوحاً فلا يحق لأحد أن يغلق ما تركه النبي ﷺ مفتوحاً، ولم يغلقه الأئمة الأربعة الذين دونت المذاهب الأربعة باسمهم، ولم يقولوا لأحد من أصحابهم وتلامذتهم اتبعوا رأينا وخذوا بمذهبنا ولا تحيدوا عنه كما تقول الصوفية للمريدين: لا تميلوا عن شيخكم إلى شيخ آخر فينغلق أمامكم باب الوصول إلى الله تعالى بل يقول الأئمة عكس ما تقول الصوفية، وآتي هنا ببعض أقوالهم لنعرف مذهبهم في هذا الباب:

يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

- (١) لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه.
- (٢) حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً.

(٣) إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي.

(٤) يقول ابن عابدين في كتابه: إذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب (أي مذهب أبي حنيفة) عمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه (أي أبي حنيفة) ولا يخرج مقلده عن كونه حنفياً بالعمل به فقد صح عن أبي حنيفة أنه قال: "إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي".

ويقول الإمام مالك رحمه الله:

- (١) إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

(٢) ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر وأشار بيده إلى قبر النبي ﷺ.

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله.

- (١) ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة رسول الله ﷺ وتغرب عنه فمهما قلت من قول أو أصْلْتُ من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي.

(٢) أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد.

(٣) إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت.

(٤) إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي.

(٥) كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي.

(٦) إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب.

(٧) كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي ﷺ أولى، فلا تقلدوني.

ويقول الإمام أحمد رحمه الله:

(١) لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا فرأى الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة بالآثار.

(٢) من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.

وهكذا نرى الأئمة الأربعة ينهون عن تقليدهم دون معرفة دليلهم وإذا وجد أحد في السنة شيئا يخالف قولهم فكل منهم يوصي بترك قوله والأخذ بالحديث وهذا هو الواجب وهذا هو الصواب، فمن خرج عن قول الإمام إلى الحديث الصحيح فليس بخارج من مذهبه وإنما هو عامل بمذهبه لأن مذهبه الحديث الصحيح لا قوله الذي استبان بطلانه لأنه راجع عنه في حياته أو بعد مماته وهكذا يكون الذي يعمل بالحديث عاملاً بمذاهب الأئمة كلهم وإن خالف أقوال بعضهم.

إن الناس بالنسبة إلى المذهب واتباعه ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

(١) من بلغ درجة الاجتهاد وهو الذي استكمل الآلة وتجمع عنده من العلوم اللازمة ما يمكنه من استنباط الأحكام الفقهية من الكتاب والسنة فهذا لا

يجوز له أن يقلد أحداً في مسألة بل يستخرج الحكم فيها بنفسه ويكون له مذهبه الشخصي.

(٢) من لم يبلغ من العلم اللازم للاجتهاد ما بلغ الأول ولكنه يستطيع أن يقرأ ما كتبه المجتهدون ويقارن أدلتهم بعضها ببعض فيميزها ويعرف قوتها من ضعفها فهذا يلزمه الأخذ من آراء المجتهدين بما قوى دليله، ولا يجوز له أن يقتصر على مذهب واحد لإمام واحد دون النظر في درجة دليله قوة وضعفاً ودون مقارنة دليله بأدلة الآخرين.

(٣) العامي الذي لم يبلغ درجة الاجتهاد ولم يبلغ درجة التمييز بين أدلة المجتهدين فيجب عليه أن يستفتي من العلماء من يطمئن إليه قلبه، فأى شئ أفتاه فيكون على مذهب مفتيه فإن أفتاه على مذهب الإمام أبي حنيفة كان في هذه المسئلة على مذهب الإمام أبي حنيفة وإن أفتاه في مسألة أخرى على مذهب الإمام أحمد كان في تلك المسئلة على مذهب الإمام أحمد وإن أفتاه على ما يراه هو نفسه كان على مذهبه هو وهكذا.

وإذا تقرر هذا علم أن باب الاجتهاد مفتوح ولا يغلق، وإن تعدد المذاهب أمر طبيعي وإلزام أحد باتباع مذهب واحد معين لإمام واحد خطأ ومخالفة للشرعية. ولا يلزم من قولنا (أن باب الاجتهاد مفتوح) أنه يجوز أن يدخله ويمارس الاجتهاد كل راغب ممن هب ودب، بل لابد لذلك من استكمال الآلة وتوفير العلوم الكثيرة وقل من يستكملها، حتى لو سئلت أنا عن بلادنا هذه هل فيها مجتهد لقطعت بأنه ليس فيها مجتهد ولعله لم يكن فيما مضى أيضاً فيها مجتهد، وليس قول الصوفية لنا بأننا نطعن في الأئمة ونكره المذاهب وندعى الاجتهاد بصحيح، فلا نطعن في الأئمة ولا نكرههم بل نجلهم ونحترمهم ونقدم قولهم على قول غيرهم ممن أتى بعدهم، ونترحم عليهم عند ذكر أسمائهم ولا ندعى الاجتهاد بل كل ما في الأمر أننا لا نلزم أحداً باتباع رأى شخص واحد لزوم اتباع قول النبي ﷺ كما مر بيانه فيما كتبنا.

(١٠٨) أَيْنَ اللَّهِ؟

الصُّوفِيَّةُ: ينفون علو الله بذاته على عرشه ومخلوقاته ويقولون في الجواب على سؤال: (أَيْنَ اللَّهِ؟) إنه في كل مكان أو لا مكان له واصفين له بما لم يرد في الكتاب والسنة، وكلتا العقيدتين باطلة ومخالفة لعقيدة السلف عقيدة أهل السنة والجماعة. أما القول بأنه في كل مكان فعقيدة الجهمية وأما القول بأنه لا مكان له فعقيدة الأشعرية والمُعْتَزِلَةُ نقلتها الصوفية عنهم.

ثم إن هذه العقيدة عند الصوفية هي عقيدة مرحلة معينة من مراحل تطور أحوالهم ومقاماتهم وهي عقيدة من لم يبلغ المقام الأعلى أي مقام الفناء ومقام وحدة الوجود، أما من بلغه فإنه يتحول من تلك العقيدة إلى عقيدة أخرى يتساوى فيها عنده الإله وغير الإله والخالق والمخلوق وأصبح كل شئ عنده إلهاً أو مظاهر تجلّى فيها الإله كما ذكرنا تفاصيله في فصلي (الفناء) و (وحدة الوجود).

هكذا نجد الصوفية تختلف عقائدها باختلاف أحوالها ومقاماتها ولذلك نجدهم يعتقدون تارة هذا وتارة هذا وعقائد المقام الأخير عند الصوفية هي سر يخفى عن من هو في المقامات قبله فلا يطلعون مريدتهم عليه ولا يعرفونه، ولهذا نجد كثيراً من أتباع الصوفية ممن لم يترق المقامات العلى ينكرون ما نقول وما نكتب عن الصوفية يقول أحدهم مثلاً: أنا أمارس الصوفية منذ ثلاثين سنة فلم أعرف ولم أسمع بالذي تقوله عنهم فأى صوفية تذكرها؟ والسبب في ذلك ما ذكرنا من أن عقائدهم تختلف من مقام إلى مقام ومن حال إلى حال فلا يظهرون عقائد المقامات التالية إلا لمن بلغها وأصبح مستعداً لتلقيها خوفاً من أن لا يتحملها فينكرها.

وبهذا نرى أن الصوفية تتدرج في تربية أتباعها وفي ترفيتهم من عقيدة إلى عقيدة ومن مقام إلى مقام حسب استعداد المريد لتلقى الحال والمقام كما يترقى الطالب في الجامعة من صف إلى صف.

الْجَمَاعَةُ: تُثَبِّتُ علو الله بذاته على عرشه وعلى سائر مخلوقاته وتقول: إن الله في السماء فوق العرش فهي عقيدة أهل السنة والجماعة وهي عقيدة السلف الصالح أجمعوا عليها ولم ينقل عنهم ما يخالفها وهذه العقيدة عندهم مستندة إلى أدلة كثيرة من القرآن والحديث والعقل والفطرة السليمة وأقوال الأئمة الأجلة.

وقبل أن أذكر هنا بعض تلك الأدلة ننبهكم إلى أهم شيء يتعلق بالعقيدة، وذلك إن أخطر وأعظم ما يتكلم فيه الإنسان من العقائد هو ما يتعلق بالعقيدة في الله، فالعقيدة في الله لا بد أن تقيد بالكتاب والسنة بحرص وعناية شديدين ولا بد من الحذر من الزيغ والانحراف فيها ولو يسيراً، ولا يجوز للإنسان أن يطلق عنان فكره وعقله في العقيدة المتعلقة بالله فيصفه بما أدى إليه عقله واستنتاجاته الفكرية، بل واجبه أن يصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ويقف عند حدود الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة يمرها على ظاهرها ويعتقد حقيقة معانيها دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل أو تكييف أو تفويض، فهذا ما فعله الرسول ﷺ والصحابة والأئمة الأجلة بآيات وأحاديث صفات الله سبحانه وتعالى فمن فعل ما زاد على ذلك بأن أولها أو شبهها أو عطّلها أو كيفها أو فوّضها فقد فعل ما لم يفعله الرسول ﷺ والصحابة والأئمة الأجلة فيكون بدعة ويرد على صاحبه، وينطبق عليه حديث «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١). وإليك بعض الأدلة على علو الله فوق العرش:

أدلة من القرآن:

(١) يخبر الله تعالى عن استوائه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقال أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]. ومعنى "اسْتَوَى" (علا وارتفع) كما جاء في صحيح البخاري عن بعض التابعين.

أما الصوفية فيخرجون "اسْتَوَى" عن معناه الحقيقي وهو العلو والارتفاع ويقولونه بـ (اسْتَوَى) وذلك باطل من وجوه:

(١) رواه مسلم.

أولاً: إن هذا التأويل لم يرد عن النبي ﷺ ولو كان بحاجة إلى التأويل وكان اعتقاد معناه الظاهر غير جائز لبينه النبي ﷺ ونقل إلينا.
ثانياً: إن (استوى) لا يقال إلا إذا كان هناك معارض يريد أن يتغلب عليه، فهل الله معارض يريد أن يتغلب عليه ويأخذ منه العرش قسراً؟ سبحانه الله عما يقولون.

ثالثاً: بناء على تفسيره بـ (استوى) يلزم من كلام الله تعالى أن يكون الله عز وجل حين خلق السموات والأرض لم يكن مستولياً على عرشه وإنما حدث استيلاؤه عليه بعد خلقهما لأن الله يقول: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ لأن (ثم) في كلام العرب تفيد الترتيب فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السموات والأرض لغير الله.

رابعاً: إذا فسر (استوى) بـ (استوى) جاز أن يقول: (إن الله استوى على الأرض والشجر والجبال) لأنها ملكه كما أن العرش ملكه لكن هذه العبارة لم يقل به أحد ولا يجوز أن يقال.

خامساً: إن تفسير (استوى) بـ (استوى) فيه زيادة لام في الكلمة وفيه تشبه باليهود الذين أمروا أن يقولوا (حِطَّةً) فقالوا (حِنْطَةً) بزيادة النون، فلام هؤلاء مثل نون اليهود وهذا مصداق قول الرسول ﷺ في بعض أحاديثه: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوْ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ»^(١).

إذا تقرر هذا علمنا أن معنى (استوى) ليس (استوى) بل علا وارتفع كما ذكرنا.

(٢) وقال تعالى: ﴿أَآمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك:

١٦]. قال ابن عباس: المراد بمن في السماء هو الله.

(٣) وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

(١) رواه البخاري.

- (٤) وقال تعالى مخبراً عن عيسى ومبطلا لقول اليهود أنهم قتلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].
- (٥) وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وهل يكون الصعود إلا إلى فوق؟.
- (٦) وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]. أي: كان ابتداء نزوله من ربك والتنزيل إنما يكون من فوق إلى أسفل.
- (٧) وقال تعالى عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]؟ وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ فيكون من كَذَبَ بعلو الله على عرشه شبيها بفرعون.
- (٨) وقال تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤ - ٥]. أي يكون انتهاء العروج إليه تعالى، والعروج إنما يكون من أسفل إلى فوق فكما أن النزول منه تعالى إلى أسفل كذلك العروج إليه تعالى إلى فوق فهذان اللفظان صريحان في أن الله فوق وأي معنى لعروج الملائكة والروح إليه وأي حاجة إليه لو كان الله في كل مكان ولم يكن فوق. هذه بعض أدلة من القرآن.
- أَدِلَّةٌ مِنَ الْحَدِيثِ:
- (١) إننا نجد الرسول ﷺ لما أراد الله أن يخصه بقربه عُرِجَ به من سماء إلى سماء إلى فوق حتى كان قاب قوسين أو أدنى.
- (٢) وقال ﷺ: «أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»^(١).
- (٣) وقال ﷺ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢).

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم.

(٤) وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فِتْنًا عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاحِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا زَوْجَهَا»^(١).

(٥) وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ، أَنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»^(٢).

(٦) لما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة بقتل الرجال وسبي النساء والذرية قال له رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ حُكْمًا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ»^(٣).

(٧) وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: "كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي فِي قَبْلِ أَحَدِ الْجَوَانِيَةِ، وَإِنِّي أَطْلَعْتُ يَوْمًا إِطْلَاعَةً فَوَجَدْتُ ذَنْبًا ذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، وَإِنِّي رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ، فَصَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: أَفَلَا أُعْتِفُهَا؟ فَقَالَ: «أُدْعُهَا» فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «فَمَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «أُعْتِفُهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(٤).

إذا نظرنا في هذا الحديث نستفيد منه أن السؤال بـ (أَيْنَ اللَّهُ؟) مشروع وأنه سنة حيث سأل رسول الله ﷺ لكنَّ القائلين بأن الله لا مكان له يمتنعون من هذا السؤال فهذا الحديث رد عليهم لأن الرسول ﷺ هو الذي سأل هذا السؤال فليس هذا السؤال بدعة، كما نستفيد منه أن الجواب على سؤال (أَيْنَ اللَّهُ؟) ينبغي أن يكون: (إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ) أو ما شابهه مما يفهم فوقية الله وعلوه على مخلوقاته لأنه ﷺ أقرَّ الجارية على هذا الجواب ولم يُؤَوِّلْهُ ولم يُحَذِّرْهَا من هذا القول ولم يحذر الناس من الإيمان بظاهر معناه، وكان يحضر مجلس

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) بهذا اللفظ رواه ابن إسحاق وغيره، وهو في البخاري وغيره بالفاظ أخرى.

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

رسول الله ﷺ كل أصناف الناس العالم والجاهل والشريف والوضيع والذكي والبليد والأعرابي الجاني ولا نجد له يؤول أو يعقب شيئاً من النصوص الدالة بصراحة على علو الله فوق عرشه، ولو كان بحاجة إلى التأويل لما أخفاه عنهم ولما أخر بيانه.

(٨) وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَآوَاتِهِ وَسَمَآوَاتُهُ فَوْقَ أَرْضِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ» وأشار النبي ﷺ بيده مِثْلَ الْقُبَّةِ (١).

(٩) وكان رسول الله ﷺ إذا دعا يرفع يديه إلى السماء وإذا أحب أن ينزل الله شيئاً تطلع بوجهه إلى السماء، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]. حين كان رسول الله ﷺ يتطلع إلى السماء يحب أن ينزل الله آية بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة.

وأما الآثار عن الصحابة فكثيرة، منها:

(١) قول عمر رضي الله عنه عن حَوْلَةٍ لَمَّا اسْتَوْفَقَتْهُ فتوقف لها طويلاً فسئل عنها فقال: "هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَآوَاتٍ".

(٢) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَحِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ: "زَوَّجَكُنَّ أَهْلُوكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَآوَاتٍ" (٢).

(٣) وعن ابن عمر قال: "لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَأَكَبَ عَلَيْهِ وَقَبَلَ وَجْهَهُ وَقَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طَبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا... ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ فِي النَّاسِ السَّمَاءِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ" (٣).

(٤) لما وقع عبد الله بن رواحة على جارية له قالت امرأته: أفعلت بها؟ فقال: لا، فطلبت منه أن يقرأ القرآن حتى تتأكد من أنه لم يفعل بها لأن قراءة القرآن للجنب غير جائز فقال شعراً يُعَرِّضُ به عن القراءة:

(١) رواه أبو داود.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ * وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ * وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ كِرَامٍ * مَلَائِكَةُ إِلَهِ مُسَوِّمِينَ^(١).

(٥) لما دخل ابن عباس على عائشة رضي الله عنها وهي في التَّرْعِ فقال: "كُنْتُ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ إِلَّا طَيْبًا وَأَتَرَلَ اللَّهُ بِرَأْيِكَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ".

(٦) ولما سئل عبد الله بن المبارك كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قال: "بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ بَائِتٌ مِنْ خَلْقِهِ".

(٧) والأئمة الأربعة متفقون على علوِّ الله فوق عرشه، قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "مَنْ قَالَ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ كَفَرَ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ وَلَكِنْ لَا أَدْرِي الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ كَافِرٌ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ فَمَنْ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ فَقَدْ كَفَرَ"^(٢).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "الْقَوْلُ فِي السُّنَّةِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا وَرَأَيْتُ أَصْحَابَنَا عَلَيْهَا أَهْلَ الْحَدِيثِ... الْإِفْرَافُ بِالشَّهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَشَاءُ"^(٣).

هذه بعض أقوال السلف وتصريحاتهم بأن الله فوق عرشه وعرشه فوق السماوات دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تفويض.

والفطرة السليمة تدل على أن الله في السماء فكل إنسان مفطور على أن الله في السماء، ولهذا عندما يفجؤك الشيء الذي لا تطيقه وإنما تتوجه إلى الله لدفعه فإن قلبك ينصرف إلى السماء وتمد يديك إلى فوق، حتى الذين ينكرون علو الله

(١) ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ٢٦٧.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.

بذاته ينسون عقيدتهم في اللحظات الحرجة فيرفعون أيديهم ويتطلعون بأبصارهم إلى السماء.

وإذا سألت الأطفال أين الله؟ فيجيبون بفطرتهم السليمة أنه في السماء ويشيرون بأيديهم إلى فوق.

لقد قلنا: إن القول بأن الله في كل مكان إنه عقيدة الجهمية فقد حكى ابن كثير في تفسير الآية ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] حكى اتفاق المفسرين على إنكار قول الجهمية بأنه في كل مكان^(١).

والقول بأن الله ليس له مكان وأنه لا فوق العالم ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا أمامه ولا ورائه ولا داخله ولا خارجه قول بنفي وجوده أصلاً إذا هي صفات الشيء المعلوم. هكذا نجد الآيات والأحاديث وأقوال الأئمة والعقل والفطرة السليمة تدل دلالة واضحة على أن الله مستو على العرش فوق خلقه حقيقة دون تأويل وهو الذي أجمع السلف عليه.

أما الذين أنكروا علو الله بذاته على خلقه فقد وقعوا في ذلك بسبب إعمالهم الفكر في ذات الله وصفاته واستنتاجاتهم العقلية وطلبهم الجواب على كل خاطر يخطر ببالهم، فليس كل خاطر يخطر نجد له الجواب مثل أن يقول قائل: إن الفوق بالنسبة لنا نحن الساكنين في دَاغِسْتَانَ ما فوق رؤوسنا والفوق بالنسبة لمن يسكن في أمريكا مثلاً ما فوق رؤوسهم إذن فما هو فوق لهم فهو تحت لنا وما هو فوق لنا فهو تحت لهم فهل يتعدد الإله إذن؟ فنقول في جوابه: سبحان الله!! هذا استنتاج عقولنا وتفكرنا في ذات الله، وإطلاق عنان فكرنا وعقلنا فيما يتعلق بالله، فالواجب علينا أن نكفَّ عن مثل هذا وأن نقف عند حدود عبارات القرآن والحديث ونعتقد حقيقة معانيها، وإذا خطر ببالنا من الخواطر والأفكار ما يوقعنا في مُنْزَلٍ طردناها وتعوذنا بالله من الشيطان الرجيم فهي من الأمور السرية التي طويت عنا ولن نحيط بها أبداً، والتعمق والنظر فيها كما قال أبو جعفر الطحاوي في البحث في القدر ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة... آه

(١) انظر تفسير ابن كثير.

ولن نخطئ أبداً ما قلنا ما قال رسوله ﷺ وَوَسِعَنَا مِنْ مَعَانِيهِ مَا وَسِعَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَالْأُئِمَّةَ الْكِرَامَ، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدُرُوا قَدْرَهُ»^(١).

وأخيراً نقول: إننا إن قلنا: إن الله بذاته فوق خلقه وأنه مستو على عرشه فإنه لا يعني أصلاً أننا نثبت له كيفية معينة أو أننا نُشَبِّهُهُ بخلقهِ ونقول: إن استواءه كاستواء ملوك الأرض على عروشهم بل نقول: إن الله استوى على عرشه لأن الله أخبر عن نفسه أنه استوى على العرش، ولا نقول: على كيفية كذا لأن الله لم يخبرنا عن كيفيته، ولا نشبهها باستواء ملوك الأرض على عروشهم لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٧].

ولا نقول: إنه جالس أو قائم على عرشه لأن الله أو الرسول لم يصفه بأنه جالس أو قائم. بل لا يجوز فيما يتعلق بالله وصفاته السؤال بما لم يرد في السنة، فالسؤال (أين الله؟) قد ورد في السنة فلذلك يجوز، والسؤال (كيف استوى على العرش؟) لم يرد في السنة فيكون بدعة ولا يجوز، ولذلك لما سئل مالك بن أنس رحمه الله كيف استوى الله على العرش؟ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا يقال: كيف؟ وكيف عنه مرفوع وقال لمن سأله أَرَأَيْكَ رجل سوء فأمر به فأخرج من المجلس.

(١) رواه أبو الشيخ ابن حبان في الترغيب والترهيب بسند فيه مقال، وانظر طريقه في كشف الخفاء.

(١٠٩) الرِّضَا بِالْحُكُومَةِ الْكَافِرَةِ

الصُّوفِيَّةُ: يؤيدون الحكم القائم ولو كان كافراً ويرضون بوجودهم تحت الحكومة الكافرة وبالعبودية لها ويقولون بوجوب الطاعة لهم، ويقولون إن ذلك بقدر من الله فلا تجوز معارضة قدر الله، ولا يحاولون التحرر منهم أبداً ولا يسعون إلى إقامة الدولة الإسلامية، ونقول هذا عن اقتناع ويقين ومن شك في صدق قولنا فيهم فعليه بقراءة النصوص التالية من كتبهم المعتمدة:

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: "أُخِذَ علينا العهدُ العام بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف داروا، ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم ولو في أمور الدنيا وولايتها، وكل ذلك أدباً مع الله عز وجل الذي رفعهم فإنه ما رفع أحداً إلا لحكمة..."^(١).
وقال الدكتور عمر فروخ: يقول الصوفية: "إذا سلط الله على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله وأن يتأفف منها".

وقال صاحب جواهر المعاني: "إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن أمره"^(٢).

بهذا نرى أن الصوفية مستسلمون دائماً للعدو الكافر فلا يحاربونه ولا يقاومونه ولا يحاولون إزالته ولا يحركون في ذلك ساكناً بل يدعون الناس إلى طاعتهم والخضوع لنظامهم وحكمهم إذ شعار الصوفية (دع الخلق للخالق) و (ليس في الإمكان أبدع مما كان) و (لو اطلعتم على الغيب لا اخترتم الواقع) وغيرها.

أما أهل السنة والجماعة الذين أعلنوا الحرب على الكفر والكفرة والحكومة الكافرة ويسعون في إزالة نظام الكفر كما يسعون إلى إقامة كلمة الله وإقامة حكم الله في الأرض

(١) البحر المورود: ٢٩٢.

(٢) جواهر المعاني: ٢٢١.

فَيَتَّبِعُونَهُمْ بِحُبِّ السُّلْطَةِ وَالطَّمُوحِ إِلَى الْحُكْمِ وَالْحِرْصِ عَلَى الْمَنَاصِبِ وَيَشُوهُونَ سَمْعَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَنْظَارِ النَّاسِ بِإِثَارَةِ مِثْلِ هَذِهِ الشَّبَهَاتِ حَوْلَهُمْ، يُرْضُونَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ أَسْيَادَهُمُ الْكَافِرَ وَيَغْرُونَهُمْ بِهِمْ وَيَشُونَهُمْ بِهِمْ إِلَيْهِمْ قَائِلِينَ لَهُمْ: إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَنَازِعُونَكُمْ السُّلْطَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَأْخُذُوا مَنَاصِبَكُمْ وَيَسْتَوْلُوا عَلَى حُكْمِكُمْ فَقَاتِلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ.

أقول: إنهم أعداؤنا ما داموا يحاربون الإسلام ويحاربون التوحيد أما إذا اعتنقوا الإسلام وأصبحوا مسلمين مؤمنين فقد أصبحوا إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

أما **الْجَمَاعَةُ**: فهم على النقيض من الصوفية في هذه القضية إنهم لا يرضون بالكفر ولا بالحكم الكافر ولا بالحكومة الكافرة لأن الرضا بالكفر كفر ومن رضي بالحكومة الكافرة ولم يرغب في إقامة شريعة الله وإقامة الحكم الإسلامي فهو كافر قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠ - ٦١]. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

فيجب على المسلمين جميعاً أفراداً وجماعات أن يزيلوا الحكم الكافر ويُطِيعُوا بالحكومة الكافرة ويخرجوا من العبودية لها ويقيموا الحكومة الإسلامية التي تحكم بشريعة الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز لهم أن يَرْضَوْا بالحكم الكافر فمن رضى فإنه كافر، كما لا يجوز لهم أن يبقوا تحته ولا يوماً واحداً ولا ساعة واحدة ولا لحظة واحدة بقطع النظر عما يؤمِّن لهم من الطعام والشراب وسائر أسباب المعاش والرفاهية، حتى حرية ممارسة الدين ما دام أنها في ظل الحكم الكافر، بل الواجب على المسلم أن يتخلص بقدر المستطاع من كل عبودية لغير الله ومن كل حكم غير حكم الله، ثم يعيش في ظل حكم الله، فإذا لم

يفعل ذلك فلا يكون مؤمناً وإن صلى وصام وكان من أبوين مسلمين وقال إنني مسلم. إن الإنسان خلق لكي يعبد الله ولكي يكون عبداً خالصاً لله، ولا يكون كذلك إلا إذا كان يعيش في ظل حكم الله، فمن كان يعيش في حكم غير حكم الله عن رضى منه فإنه عبد لذلك الحكم سواء أقر بذلك أم لم يقر ولا يخرج من هذه العبودية إلا بخروجه كاملاً من كل تبعية لحكم غير حكم الله، ومن كان يتمتع في هذه الحالة بحرية في تصرفاته وتنقلاته وممارسة دينه فهو عبدٌ حُرٌّ.

أما بالنسبة لطاعة الحكومة الكافرة والحاكم الكافر في معصية الله فهذا لا يجوز لأن الله تعالى نهي نبيه ﷺ ونهانا عن طاعتهم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وقال تعالى أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦]. وفي القرآن في هذا المعنى آيات كثيرة وكلها تنهى صراحة عن طاعة الكافر والمنافق سواء كان فرداً أو حكومة، وقال رسول الله ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(١).

لذلك تقول الجماعة: لا طاعة للحكومة الكافرة بل تُزال ولا تُبقى لحظة واحدة إذا كان ذلك بالإمكان وإن لم تمكن إزالتها حالاً وجب الحرص على إزالتها واتخاذ الأسباب المؤدية لها والسعي في تقويضها فإن تعذر ذلك بتاتاً وجب الهجرة منها على أن يعودوا إليها فاتحين مجاهدين.

إن كل حكم غير حكم الله شرك والشرك ظلم قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، والظلم يُقاوم ولا يُقَرُّ وهو أيضاً فتنة والفتنة تقاتل وتُزال قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

أما قول الصوفية: "إنهم بقدر الله فلا يجوز معارضة قدر الله" فهذا الكلام نصفه الأول صحيح؛ لأنه لا يشك أحد أن كل ما يجري في العالم من خير أو شر إنما هو بقدر من الله، والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان وأما نصفه الثاني فمغالطة إذ لا يعنى

(١) صحيح الجامع الصغير: ٧٥٢٠.

الإيمانُ بالقدر الصبرُ عليه إذا كان شراً بل الواجب محاولة الخروج منه إلى قدرٍ خير منه، ولو لم يكن الأمر كذلك لما جاز محاولة التخلص من المصيبة لأنها تصيب بقدر ولا التداوي من المرض لأن المرض أيضاً يصيب بقدر، فبطل قول الصوفية. صحيح أن الحكومة الكافرة تسلطت على المسلمين وأصبحت تتحكم في رعايهم ومصائرهم بقدر من الله ولكنه قدرٌ شرٌّ أصاب المسلمين بسبب تقصيرهم وذنوبهم وبما كسبوا من أعمال سيئة وبسبب نبذهم الكتاب والسنة وراء ظهورهم وبسبب تفرقهم في دينهم بأن اتخذ كلٌّ لنفسه شيخاً يجعله إلهاً، فالواجب عليهم الآن ليس الصبر على هذا الوضع المهين بحجة عدم معارضة قدر الله بل تغييره وإصلاح أمورهم الدينية والدنيوية واتخاذ الأسباب اللازمة للفوز والنجاح وتوحيد صفوفهم والتفافهم حول الكتاب والسنة ومحاربة الحكم الكافر القائم على رؤوسهم، حينئذ تنزل الدولة الكافرة وتقوم دولة الإسلام ويكون المسلمون قد خرجوا من قدر شر إلى قدر خير بقدر من الله فلا محذور في ذلك ولا معارضة لقدر الله على حدِّ تعبير الصوفية، وحينئذ يأتيهم النصر من الله كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وأما شبهة الطموح إلى السلطة حول أهل السنة والجماعة فهي أيضاً مما تغالط به الصوفية أفهام الناس. إن الجماعة لا تطمح إلى السلطة لأجل أن يصبحوا سلاطين على الناس يستغلونهم ويبتزون أموالهم ويستغنون على حسابهم كما هو الجاري في الدول غير الإسلامية، إنما يطمحون إلى السلطة إن صح التعبير بذلك لأجل أن تصبح السلطة لله فتوضع في يد من يكون أهلاً لذلك بصلاحه وتقواه وكفاءته، ثم صاحب السلطة في الإسلام لا يتمتع بحقوق أكثر من الآخرين إلا فيما يتعلق بأداء وظيفته، فالحاكم في دولة الإسلام غير الحاكم في الدولة الكافرة والسلطة فيها تكليف أكثر من أن تكون تشريفاً، لذلك يخاف المسلم الذي يتقي الله أن يستلم السلطة بعد أن تعيَّن هو لها فضلاً أن يطمح إليها، لقد حذر الرسول ﷺ أبا ذر من الإمارة لَمَّا طلبها فقال له: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»^(١).

(١) رواه مسلم.

ولقد كان من دأب رسول الله ﷺ إذا أسلمت القبيلة أو أسلم أهل بلد أن يُقَرَّ الرئيس أو الحاكم الذي كان عليهم قبل ذلك إن أسلم هو، وما كان يعزله ويجعل آخر مكانه كفعل الشيوعية، وللجماعة في رسول الله أسوة حسنة في كل ما يأتون ويذرون، فلا داعي لخوف حكام الدول الغير الإسلامية اليوم كداغستان والشيشان من أن يُعزَّلوا إذا أصبح الحكم فيها على أيدي الجماعة لله بل الذي يجب عليهم ويكفيهم أن يعتنقوا الإسلام ويدخلوا فيه ديناً ودولة ودستوراً ونظاماً ومنهجاً وحكماً، فإذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم واحتفظوا برئاستهم ومناصبهم وقد يكون إبقاؤهم في مناصبهم ضرورياً للاستفادة من خبرتهم وخنكتهم.

وبهذا تقرر أن تسلم السلطة والطموح إليها أمر لا بد منه ولكن له عند الجماعة معنى غير المعنى الذي استقر في أذهان الكفار ومن والاهم وقد عرفتم ذلك.

(١١٠) الصُّوفِيَّةُ وَحُرِّيَّتُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ الْكَافِرَةِ

الصُّوفِيَّةُ: فُتِحَتْ أمامهم في كل دولة كافرة أو منافقة الطرق الخضراء ووُفرت لهم الحرية التامة فما من صوفية في دول العالم كلها اليوم وفي السابق الا والطريق أمامها مفتوح والحرية لديها متوفرة لنشر دينها والدعوة إلى عقيدتها واليك من ذلك أمثلة:

مفتي الشيشان الرسمي الزنديق من غلاة الصوفية أحمد قَادِرُوفُ يتمتع في حكومة مَسْحَاذُوفَ بحرية كاملة للتكلم في القناة الحكومية الشيشانية متى شاء وبما شاء، فيستغلها لتأليب الحكومة والجماهير على دعاة الحق وحملة التوحيد يلقبونها بالوهابيين، بينما أهل التوحيد لا يسمح لهم أن يقربوا من التلفزة أو غيرها من وسائل الإعلام إلى أدنى مكان؛ كما ترى على شاشات تلفزيون الشيشان كل ليلة عبادة صوفية وذكر صوفياً بالرقص والدوران والتصفيق وهز الأبدان وضرب الدف وعزف الكمنجة والألحان من كل ما يقضي الناظرُ منه العجب، فالله المستعان.

ومفتي داغستان الرسمي الأَوَارِي طبيبُ الأسنان الجاهل جهلاً مركباً الذي لا قطميرَ عنده من العربية والفقهِ في الدين ولا نقيِرَ عدو التوحيد الذي يدعى (سيد محمد أبوبكروف) يجد إلى قناة داغستان طريقاً متى شاء وكم شاء ليقول ما شاء، فيستغلها في التهجم علينا وقمع حركة التجديد الذي بدأنا بينما لم يُمَكِّنُونَا من إلقاء كلمتنا نشرح فيها موقفنا وننفى فيها تهمة الوهابية عنا.

ومفتي أُكْرَانِيَا الرسمي العربي الصوفي الحبشي أَحْمَدُ تَمِيمِي من تلامذة عبد الله الهُرَيْرِي الحبشي يتمتع بحرية تامة في أوكرانيا فيقوم بنشاط لا مثيل له في نشر دينه الحبشي ودعوة الناس إليه، وينشر صحيفة (المنارة) باللغة الروسية ولا يلقى أي تشويش أو إعاقة من قبل الحكومة، بل لا يقتصر نشاطه على أوكرانيا فيأتى في جولات إلى داغستان والشيشان ويتعاون مع صوفيتهما في محاربة دعوة التوحيد والتجديد، بل يجد طريقاً إلى قناة التلفاز

فيهما بحرية تامة، ولقد كَفَّرَني هذا الرجل وسماني (بلاء الدين) بدل (بهاء الدين)، اللهم
أهلك المبطل منا واجعله عبرة.
ومفتي سوريا الصوفي أحمد كَافْتَارُو لَفِي منزلة من حاكم سوريا النَّصِيرِي العَلَوِي من
عُبَادِ الفروج حافظ الأسد ينشر دعوته بحرية مطلقة.
وحُسْنِي مُبَارَكُ حاكم مصر الفاجر المنافق يذهب لأداء صلاة الجمعة رياء وسمعة
إلى مسجد الصوفية في مصر.
وهكذا أينما نظرنا وحيثما بحثنا فالصوفية في كل دولة كافرة أو منافقة لفي حرية
تامة مطلقة لنشر دعوتهم ودعوة الناس إلى عقيدتهم.

أما الجماعة: دعاة التوحيد وأصحاب العقيدة السلفية الصحيحة وأصحاب فكرة
الجهاد وإقامة دولة الإسلام في الأرض فهم مطارَدون ومضطهَدون في كل دولة وأفواههم
مكمومة وأيديهم وأرجلهم مقيدة، وكتبهم وصحفهم مصادرة ومنوعة وما إن يبدأ نجمهم
يبرز حتى يتألب عليهم الجميع فيخمدونه وما إن تبدأ دعوتهم تقوى وتستقطب الشباب
حتى تتداعى عليهم الأمم فيفترقون ويُسَرَّدون ويُسَجَّنون ويقتلُون.
ودول العالم الأوروبية والأمريكية والأفريقية والآسيوية كلها متواطئون على معاداة
التوحيد ومتألبون على دعاة التوحيد وكلهم يهولون ويرعبون الناس بكلمات (الوهابية
والأصولية والإرهابية والمتطرفة) وكلهم يعنون بهذه الكلمات من يدعو إلى كلمة التوحيد
(لا إله إلا الله) وإلى إخلاص العبادة لله وإلى إقامة حكم الله في الأرض وإلغاء سائر
الأحكام والنظم الوضعية وإلى الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، حتى
أصبحت الجماعة غرباء في أوطانهم وفي عُقْرِ دارهم وبين أهليهم وأقاربهم كما قال فيهم
رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصَلِّحُونَ
مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي»^(١).

(١) رواه الشيخان.

(١١١) مُوَالَاةُ الْحُكُومَةِ الْكَافِرَةِ

الصُّوفِيَّةُ: لها صلة وثيقة بالأنظمة والمستعمرين وتوالى الحكومة الكافرة وتتعاون معهم في محاربة جماعة المسلمين الموحدين ويعقدون معهم الجلسات الواحدة تلو الأخرى للتدبير ضد جماعة الموحدين ويطلبون منهم الأسلحة لمحاربتهم، وكانوا دائماً عوناً للكفار عبر التاريخ.

تشهد بذلك لنا أمثلة مرة مؤسفة من حاضرننا وماضينا في بلادنا ومما كتبه الكتاب العرب في كتبهم فنبداً بالآخر:

يقول محمد شقفة: "وقد كان اتباع الطريقة التجانية وشيوخها من أكثر العلماء نفعاً لفرنسا في الجزائر وبعض الأقطار الأفريقية ففي عام ١٨٧٠م استطاعت سيدة فرنسية تدعى (أوريلي بيكار) أن تتسلل إلى الزاوية التجانية وتتزوج شيخها المدعو سيد أحمد، ولما تُوِّفِّي تزوجت أخاه سيد علي فأصبحت السيدة المذكورة مقدَّسةً عند التجانيين وأطلقوا عليها (زوجة السيِّدَيْن) وكانوا يقيمون بالتراب الذي تمشي عليه مع أنها بقيت كاثوليكية على دينها القديم، وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الشرف وقالت الحكومة الفرنسية في أسباب منح هذا الوسام (لأن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى وكسبت للفرنسيين مزارع خصيبة ومراعي كثيرة لَوْلَاهَا ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين التجانيين، ولأنها ساقَت إلينا جنوداً مجندة من أحباب الطريقة التجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفاء كأنهم بنيان مرصوص)" (١).

واستطرد محمد فخر شقفة قائلاً: "وقد ساعد أتباع الطريقة التجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل فكانوا يتجسسون لهم ويرسلون معهم الأولياء يقاتلون إلى جانبهم، وعد مشايخهم ذلك واجباً يمليه الشرف ويغون فيه الاحتساب من الله تعالى.

(١) التصوف بين الحق والخلق: ٢١٣.

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التجانية الكبرى وخليفة الشيخ أحمد التجاني الأكبر مؤسس هذه الطريقة في خطبة ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الافرنسية في مدينة (عين ماضي) المركز الأساسي للطريقة الصوفية التجانية وذلك بتاريخ ١٣٥٠/١٢/٢٨ هـ قال فيها:

"إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً ومعنوياً وسياسياً لهذا فأني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا" (١).

وبالمناسبة ننقل هنا قول مؤسس الطريقة التجانية الشيخ أحمد: (إن الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة يمثلون لأمر الله تعالى وليسوا بخارجين عن أمره) (٢).

أقول: إن كان الأمر كما قال الشيخ أحمد فلا عجب أن فرحوا بانضمامهم إلى فرنسا حبيبة قلوبهم وبهجة نفوسهم وثمره فؤادهم، هكذا التصوف يقتل في نفوس أتباعه عنصر المقاومة والكفاح ويربي فيهم عنصر الاستسلام والتذلل. ويقول محمد فهر شقفة:

"ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا لِلْقَيْرَوَانِ في تونس أن رجلاً فرنسياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان، فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه، فدخل (سيد أحمد) الضريح ثم خرج مهولاً لهم بما سينا لهم من المصائب وقال لهم: إن الشيخ ينصحكم بالتسليم لأن وقوع البلاد في أيدي الفرنسيين أصبح حتماً فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان أقل دفاع بل دخلها الفرنسيون آمنين في ١٠/٢٦/١٨٨١ م (٣).

(١) التصوف بين الحق والخلق: ٢١٣.

(٢) جواهر المعاني: ٢٢١.

(٣) التصوف بين الحق والخلق: ٢١٢.

ويقول الشيخ طنطاوي جوهرى:

"إن كثيراً من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب وجلبت إليهم الثمرات وهوت إليهم القلوب لما ركّز في النفوس من قربهم إلى الله، فلما رأوا الفرنسة أحاطوا بالمسلمين لم يَسْعَهُمْ إلا أن يُسَلِّمُوا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام، وهذا هو الذي حصل في أيامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مَرَاكِشَ وقرأنا نحن فيها إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشايخ الطرق الصوفية وأن الشرفاء القائمين في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشايخ الطرق وعلى الشريف الذي يملك السلطة في البلاد وقالوا هذا بصريح العبارة: (إن هؤلاء جميعاً متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم فمتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جر المغنم وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التي تأكل ما فَضَّلَ من فرائس الأسود والنسور)^(١).

ومن الأمثلة المضحكة المبكية على سير رجال الطرق الصوفية وراء المستعمرين والحكام الفسقة والظالمين أن صوفية مصر لاذوا بفاروق وأفاضوا إليه عبدانا يشكرونه على أن منح شيخهم كسوة وبين يدي فاروق وقف شيخ الصوفية يخطب عابداً شاكراً فقال عن الكسوة:

"أنها يا مولاي رمز لما أعطاكه الله من مواهب وعنوان لفيض من فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تكشف عن مدى طهرٍ وضعه الله فيك فصفت روحك الطيبة، وإن هذا التكريم للصوفية إنما هو قبس من قلبك النقي ينير لنا الطريق!! ويهدينا سواء السبيل!! منك نستضيئ ومن هديك نسترشد ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى، وإني إذ أتشرف بالوقوف بين يديك اليوم أقطع على نفسي عهداً وثيقاً أن أكون لجلالتك المخلص الوفي أمدك الله يا مولاي بروح من عنده وألبسك حلة مجده وأيدك بجند من جنده وأعانك بعونه وكفلك بعين رعايته"^(٢).

(١) الجواهر: ١٣٧/٩. ١٣٨.

(٢) هذه هي الصوفية: ١٨١.

ويقول محمد فهد شقفة:

"إن انتشار وذبوع الطرق الصوفية في العالم الإسلامي مثار الدهشة والاستغراب فقد كثر أتباعها ولم ينبج من ويلاتها إلا من رحم ربك وإني درست أغلب هذه الطرق فلم أجد واحدة منها تتفق مبادئها مع الكتاب والسنة.

وقد حدثني صديق لي أنه تأثر مرة من مشهد الحجيح (أي من كثرهم) وخطر بباله هذا السؤال: ما سبب تسليط الله سبحانه الكفرة على المسلمين في أكثر بقاع الدنيا مع أنه سبحانه بشرهم بأنهم الأعلون وأن لهم العزة ولن يجعل للكافرين عليهم سبيلاً وكان حقاً عليه نصرهم؟ فألهم أن يسأل عن هذا الحجيح سواء كان إفريقيا أو أسيويا السؤال التالي: ما هي طريقتك؟ فكان أكثرهم يذكر له اسماً من أسماء هذه الطرق الغربية.

وقد زار جماعة من وزراء إحدى الدول الإسلامية التي تعاني اضطهاد إحدى جاراتها الكفرة فسألهم عن أسماء الطرق الموجودة في دولتهم فظنوه من أنصارها وأتباعها فذكروا له أسماء ما يقرب من عشرة منها، فلما سألهم أية هذه الطرق تتفق مع طريقة ودين محمد ﷺ؟ اندهشوا من هذا السؤال الغريب فقال أحدهم: كل صاحب طريقة طريقته محمدية، فأجابه: ولكن محمداً ﷺ طريقته واحدة وقد وصفها سبحانه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ...» فغضب هؤلاء الوزراء وطلبوا الكف عن هذا الموضوع.

فتذكر الصديق عندئذ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]^(١).

إن الصوفية هي الصوفية في الماضي والحاضر في بلادنا وفي غير بلادنا في روحها وفي حقيقتها وفي غايتها مع اختلاف في الشكل بسيط، إنها هي في كراهيتها للعلم وفي تشيبتها عن الجهاد وفي رفع المشايخ إلى مرتبة النبوة بل فوقها إلى مرتبة الألوهية وفي موالاتها للكفار دون المسلمين الموحدين وفي هدمها لصرح الإسلام وفي كثير غيرها. وإذا نظرنا في تاريخ بلادنا وجدنا مشايخ الصوفية عندنا وأتباعهم وقفوا إلى جانب

(١) التصوف بين الحق والخلق: ٢١٨.

الكفار فهذا حَسَنُ أَفَنْدِي الْقَحَّيِّ الصوفي شيخ مشايخ صوفية دَاغِسْتَانَ الذي يصفونه بأنه (القطب الرباني والغوث الصمداني العارف بالله وولى الله بلا نزاع) هذا الشيخ كان في أوائل القرن العشرين وكان معاصرَ الإمام نَجْمِ الدِّينِ الْحَزِينِي، ونجم الدين هو الإمام الخامس في دَاغِسْتَانَ وفي الشَّيْشَانِ الذي خرج ضد روسيا القيصرية كما خرج من قبله الإمام غازي محمد وشمويل، وأراد تحرير البلاد من رِقِّ استعمار روسيا وإقامة الدولة الإسلامية فيها، فقاومه حَسَنُ أَفَنْدِي وناصبه العداء ووقف إلى جانب الروس وثبط عزائم الناس عن الجهاد وشقَّ عصا المسلمين وفرق كلمتهم وتبعه من وثق به من المغرورين واستغله الروس في تحقيق مآربهم وتنفيذ خططهم وكانوا يبعثونه لتسكين من ثار من القرى في دَاغِسْتَانَ، فكان يقوم في الناس ويخطبهم ويحرضهم ضد نجم الدين ويخبرهم بأن نجم الدين ليس إماماً حقاً ولكنه صاحب فتنة، ويخبرهم ببعض المغيبات ويريههم بعض مخاريق في صورة كرامات فيصدقها الناس ويتبعونه.

وكان بينه وبين زعيم البلاشفة لِينِينَ صداقة ومكاتبه:

عَقَدَ حَسَنُ أَفَنْدِي في عام ١٩٢٢ أو ١٨٢٣ م مؤتمراً دعا إليه (٧٢) عالماً من علماء خُنْزَر وَهْدَ وبحثوا فيه قضية نجم الدين وإمامته والجهاد معه، فحرروا فيه محضراً اتفقوا فيه ووقعوه إلا ستة من الحاضرين أبوا أن يُوقِّعُوا المحضر اتفقوا على تخطئة نجم الدين وأن لا جهاد له وأعلنوه عدواً للشعب ولعنوه على رؤوس الملاء ودعوا عليه، وفي المؤتمر نفسه أعدوا رسالة برقية يرسلونها إلى زعيمهم لِينِينَ في موسكو في الكرملين مضمونه ما يأتي: (إلى زعيم البروليتاريَّة العالمية لِينِينَ نحن متأسفون على مرضك ومنتظرون لشفائك وإننا واثقون من انتصارك ونحن معك إلى الإمام على طريق النصر).

هذا هو القطب الصوفي وغوثهم (العارف بالله) والعارف بلِينِينَ حَسَنُ أَفَنْدِي الْقَحَّيِّ يعلن ولاءه لزعيم البلاشفة الملحدة والشيوعية الدامية ويتأسف على مرضه وينتظر شفاؤه ليسير معه على طريق النصر ويعلن عداؤه للإمام المجاهد العلامة نجم الدين رحمه الله الذي أراد تحرير بلاد المسلمين من نِيرِ الاستعمار الروسي وإقامة كلمة الله وإنشاء دولة الإسلام فيها.

وكانت نتيجة الصراع بينهما أن قبض أتباع لِينِينَ بمعونة أتباع حَسَنُ أَفَنْدِي على الإمام نجم الدين الحزبي ثم بعد مضي برهة من الزمان وبعد أن قضوا وطهرهم من حَسَنُ

أَفَنَدِي ورأوا أنهم لم يعودوا بحاجة إليه بعد فعلوا به مثل ما فعلوا بنجم الدين فألحقوه به وتحقق فيه قول نجم الدين له يوماً: "لن تنجو من أحد سيفين إما أن أظفر بك فأضرب عنقك وإما أن يظفروا بك فيضربوا عنقك".

وهناك شخصية أخرى بارزة وشيخ من مشايخ الصوفية لعب نفس الدور الذي لعبه حسن أفندي فوقف إلى جانب الروس وأصبح في صفوفهم وقاوم الجهاد فأدركه نفس المصير الذي أدرك حسن أفندي وبئس المصير وهو علي حَاجِي العَحوشيُّ. هكذا أقطاب الصوفية دائماً أولياء الملحدين وأعداء الموحدين.

هكذا ماضينا القريب وليس أحسن منه حاضرنما فما أشبه الليلة بالبارحة فصوفية داغستان اليوم برئاسة سعيد أفندي التشركي ويمينه خص محمد وولده سيد محمد المفتي الراحل أصبح أقرب رجل إليهم من سلطات داغستان (مُحْهُمَّا تُوفِتَشْ عَلِيُوف) الشيوعي الملحد الكافر رئيس برلمان داغستان فهو الذي يعقدون معه الجلسات ويدبرون معه ضد الجماعة ويتآمرون معه ومع غيره من أعداء الإسلام في القضاء على حركة تجديد الإسلام وحركة دعوة الناس إلى التوحيد.

ويطلبون منهم الأسلحة لمحاربة الجماعة وقد استخدموا كثيراً منابر الحكومة وقاموا منها بحملات شرسة على ما يسمونه بالوهابية فطعنوا في الجماعة وضللوهم وكفروهم وكالوهم اتهامات عريضة وألبوا الجماهير ورجال الحكومة عليهم وشوهوا صورتهم، حتى أصبحت صورتهم أقبح وأشوه صورة في عيون الجماهير فأصبحوا يتداعون على الجماعة كما تتداعى الأكلة على القصعة.

كم تعاونوا مع الحكومة فمنعوا إصدار الكتب والمجلات والجرائد الصادرة عن الجماعة ومنعوا أصحاب المكتبات ومحازن الكتب من بيعها، ودعوا الناس عن طريق التلفاز والراديو والصحف إلى رفضها، وعدم قراءتها، وحكومة داغستان في كل ذلك تعاونها وتساعدها وتفتح الإشارة الخضراء أمامها، وكم قاموا مع رجال المخابرات والشرطة والحكومة بجولات في ربوع داغستان جنوبها وشمالها يتفقدون حالها ويحذرون الناس من انتشار الوهابية فيها، الناس لا يعرفون الله ولا يعرفون الإسلام ولا ينطقون كلمة الشهادة ولا الصلاة والصيام ومع ذلك فأول ما يحذرونهم من الوهابية وكم دعوا الناس من منابر المساجد ومنابر الحكومة إلى قتل (الوهابيين) ولم يكتفوا بهذا بل بدأوا

يهاجمون مواقع الجماعة فدهموا مع رجال الشرطة مقر مركز (القافقاس) التابع للجماعة الذي كان مسجلاً ومعتزفاً به حسب قانونهم، داهموا مُقَنَّعِينَ وعتوا فيه فساداً وحطموا كل ما فيه من الأجهزة والآلات وضربوا الفتية الذين كانوا يتلقون الدروس العربية فيه حتى أدموهم ثم أخذوا كل ما فيه وأخذوا الفتية وذهبوا بهم إلى مركز الشرطة والفتية صائمون في نهار رمضان فإذا أراد الفتية أن يمجوا الدماء من أفواههم أرغموهم على بلعها قائلين: لا تلوثوا أرضنا بدمائكم.

بل لم يكتفوا بهذا حتى قاموا بمبادرة لإصدار قانون أو تعديل في قانون الحكومة ينص على حظر ما يسمونه بالوهابية وما الوهابية التي يتشدقون بها في جنون وسعر إلا دعوة إلى الله وتوحيد العبادة لله ونبذ الشرك والبدعة والتمسك بالسنة حتى اقنعوا الحكومة بضرورة ذلك فأجابوهم إليه فأصدروا بتاريخ ٢٧ - ٢٨/١٢/١٩٩٧ م. قانوناً يشبع رغبتهم ويشفي غليلهم.

والجماعة رغم ذلك سائرة في طريق التوحيد والدعوة إليه وطريق الجهاد لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا يثني عزمهم عن المضي قدماً ما يجدونه من عقبات وصعوبات في طريقهم معتقدين أن طريق الجنة صعبة وأنها سنة الله.

هذا هو العمل الدائب لصوفية داغستان وهذا نشاطه وكان جهاد الشيشان قائماً بجوارها ولكنها ما شاركت في جهاد الشيشان ولا نطقت بنصف كلمة في نصرتهم وما عرفوا نظراءهم وأخوتهم الصوفيين الشيشانيين إبان الحرب وما ذكروهم، بينما جماعة داغستان قاموا إلى جانبهم وشاركوهم في جهادهم بأموالهم وأنفسهم، ولكن لما انتهت وطُرد الجنود الروس عن أرض الشيشان عادوا إلى قضية الوهابية فأثاروها ثانية. وهنا تجاوبت الصوفيتان صوفية دَاغِسْتَان وصوفية الشَّيشَان وعرف كل منهما مكان الآخر وامت بينهما اللقاءات والمقابلات لا لبحث موضوع سوى موضوع الوهابية وضرورة تنسيق الأعمال وتضافر الجهود ضدها.

حتى عقد القائد العسكري شَامِلٌ بَسَايُوفٌ مؤتمراً في غُرُوزِي عاصمة الشيشان حضره مفتي دَاغِسْتَان ومفتي الشَّيشَان ومفتي إِنْغُوشِيَا وبحثوا في موضوع الوهابية وطريقة مكافحتها وضرورة مقاومتها والقضاء عليها، ولم يخطر ببال شَامِلٌ بَسَايُوفٌ ولا ببال مفتي الشَّيشَان أحمد قادروف أن يسأل مفتي دَاغِسْتَان أو مفتي إِنْغُوشِيَا: أين كنتما في

الحرب التي قررت مصيرنا؟ وما خاف مفتي داغستان أو مفتي إنغوشيا أن يسأله أحد عن ذلك لأن كلا منهما عرف أن موضوع الحرب قد انتهى وقام موضوع الوهابية ^(١). واليوم حين كشف رئيس الشيشان أسلان مسخادوف قناع الإسلام عن وجهه وأظهر الكفر والنفاق في أقواله وأفعاله وناصب العداء ضد الجماعة الإسلامية حتى أصدر الحكم بالإعدام على أربعة بصفة أنهم أجنب جاءوا بدين وهابي يدلون دين آبائه، وهؤلاء الأربعة: الشيخ أبو عمر محمد سيف السعودي، وعبد الرحمن الأردني الشيشاني، وحمزة الأردني الشيشاني رحمه الله، وأنا، وأصبح مفتي الشيشان الصوفي أحمد قاديروف أول رجل يؤيد مسخادوف ويقف في صفه فمكث مسخادوف من استخدام جميع وسائل الإعلام في حكومته في هجماته وحملاته ضد الجماعة، فما أن يمضي يوم إلا ويظهر أحمد قاديروف على شاشة تلفاز الحكومة TV I يحمل حملاته المسعورة على جماعة التوحيد الإسلامية يُبْعِضُهُمْ إلى الناس ويُشَوِّهُ صورتهم في أنظارهم. وما من مرة إلا ويعيد فيها مقالة (الوهاييون أتباع محمد بن عبد الوهاب الذي قال وهو يمسك بعصاه: عصاي هذه خير من نبيكم). اللهم لعنتك على الكاذب منهما ^(٢). هكذا الصوفية في ولائها للكفرة أعداء الإسلام.

أما الجَمَاعَةُ: فلا ولاء لهم مع الكفار سواء أكان فرداً أو حكومة ولا يعتقدون معهم الجلسات ولا يتآمرون معهم ضد المسلمين ولا يَتَمَثَّلُونَ إِيَّاهُمْ على المسلمين حتى

(١) هذا الذي ذكر ما كان عليه شامل بسايوف في حرب الشيشان الأولى حين كان لم يتعرف بعد على الجماعة وعلى الصوفية تماماً، ولكنه بحمد الله تغير فيما بعد وصلح حاله وتعرف على العقيدة الصحيحة قبلها. نحسبه كذلك. ويرجع فضل ذلك معظمه بعد الله إلى الأمير خطاب العربي الذي يحارب ضد المعتدين الروس حتى أصبح خطاب فيما بعد شريكه في الحرب ومن أقرب أصدقائه. (المؤلف).

(٢) هذا الذي ذكر هنا ما كان عليه أحمد قاديروف وأسلان مسخادوف في الحرب الأولى وبعدها، أما في حرب الشيشان الثانية فقد أصبح بين الرجلين الفجوة فغلبت على المفتي الصوفية وانضم إلى روسيا وأعلن ولاء لهم ولبوتين رئيس روسيا وأصبح يحارب ضد المجاهدين حتى عينته روسيا عمدة على الشيشان، بينما أصبح مسخادوف في عداد المجاهدين. ولا أدري ما إذا كان أصبح فيهم عن اعتقاد أم إنه رأى فيه مصلحة ذاتية وأرجو أن يكون تاب أو يتوب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ولو كانوا صوفيين وهم في معاملتهم للكافر كما قال تعالى في وصف المؤمنين ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]. وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] والتحريم: [٩].

لذلك ترى كل الحكومات الكافرة والمنافقة تعادينا وتعادي جماعتنا وتعادي حركة التجديد التي تقوم هنا وهناك في بقاع الأرض على أيدينا وأيدي أخوتنا ويلقبون حركتنا تارة (وهايية) وأخرى (أصولية) وثالثة (متطرفة) ورابعة (إرهابية) ومهما لقبوها من ألقاب فما هي إلا حركة تجديدية تدعو الناس للرجوع إلى الكتاب والسنة وترك الشرك والبدعة كما بشر بها الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا» (١) حتى الحكومة السعودية التي تعتبر على حد تعبيرهم وهايية والتي بدأت من أرضها حركة التوحيد في القرون الأخيرة تعادي حركتنا فسجنت علماء دعوتنا في سجونها كسلمان العودة وسفر الحوالي وسعيد القحطاني وناصر العمر وغيرهم فالله المستعان.

هكذا الحق وأصحاب الحق ودعاة الحق والسائرون في طريق الحق غرباء في أرضهم وفي قعر دارهم فرحماك يا أرحم الراحمين ونصرك يا اله العالمين.

(١) صحيح الجامع الصغير: ١٨٧٤٥.

(١١٢) الْأَذَانُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ

الصُّوفِيَّةُ: يؤذنون خلف الجنازة عند حملها إلى القبر كما يؤذن للصلاة.

الْجَمَاعَةُ: يروونه بدعة وعملاً بما لم يرد عن سلفنا الصالح ، فالأذان مشروع لجمع الناس للصلاة ونحوها كما يشرع التأذين في أذن المولود في أول ولادته ليكون أول ما يطرق سمعه من كلام الدنيا كلمة الشهادة.

أما أن يؤذن خلف جنازة الميت عند حملها إلى القبر وعند دفنها فليس من الدين، وكيف يكون من الدين والنبي ﷺ لم يفعله ولا أحد بعده ممن يقتدى بهم، فما لم يفعله النبي ﷺ ولا الخلفاء الراشدون من بعده لا يكون ديناً، وإن استحسنته العقول أو لم تر فيه بأساً فإن الدين لا يثبت بالعقل بل يثبت بالنقل، قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: (لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالْعَقْلِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْحُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ)^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، وقال الحافظ في الفتح والبلوغ: بإسناد حسن.

(١١٣) الدُّعَاءُ تَحْتَ الْكَفَنِ

الصُّوفِيَّةُ: يجعلون في قبر الميت عند دفنه تحت كفنه ورقة كتبت فيها آية أو دعاء في قَبِينَةٍ رجاء أن تنفع الميت بدفع العذاب عنه أو تخفيفه أو نحو ذلك. ولقد تفرغ لهذا العمل عدد من الناس لما يرون أنه يدُرُّ عليهم أموالاً ليست قليلة فاتخذوا لذلك آلة تصوير يصورون هذه الورقة فيبيعونها ويأتيهم كل من يصدقهم ويتابعهم على ذلك فيشترونها منهم، وهكذا اتخذوه حرفة يكتسبون من خلالها أموالاً طائلة لان الناس البسطاء الجهلاء من شأنهم أنهم إذا رأوا الناس يعملون شيئاً أن يقلدوهم ويتبعوهم لا سيما إذا كان هذا الأمر يصدر من رجال ينسبون إلى العلم أو كان له علاقة بالأموات.

فمن الجلي الواضح أن الناس دائماً يحترمون الأموات ويدعون لهم ويستغفرون لهم ويعملون لهم كل ما عسى أن يكون سبباً في رفع درجاتهم وتكفير سيئاتهم وتخفيف العذاب عنهم ولا يبخلون في سبيلهم بشيء فيستغل رجال سوء المتاجرون بدينهم شعور الناس هذا ويوحون إليهم أن هذا العمل أنفع شيء للميت وأنه سبب في مغفرة ذنوبه كلها صغيرها وكبيرها، ورفع درجاته أو نحو ذلك ويأخذون أموالهم بالباطل.

الْجَمَاعَةُ: يرون هذا العمل منكراً فظيماً وبدعة قبيحة

كيف يجوز أن توضع في جنازة الميت ورقة كتبت فيها آية من القرآن الكريم أو اسم من أسماء الله الحسنى أو دعاء يتضمن ذلك إذا كانت جثة الميت ستبلى عن قريب وتصبح جيفة تنبعث منها رائحة كريهة لا يتحملها إنسان؟ إنه، والله، امتهان للقرآن وامتهان لاسم الله وانتهاك لحرمتهما.

لقد أجمع الفقهاء على حرمة كتابة آية من القرآن أو جملة منها على جدران القبر وعلى الحجر المنصوب على القبر لما في ذلك من امتهان القرآن وانتهاك حرمة واستعماله

في غير ما أنزل له، حتى كتابة اسم الميت على الحجر الذي ينصب عند رأس الميت
اختلف في جوازه العلماء فبعضهم حرّمها لعموم نهي النبي ﷺ عن الكتابة عليها ففي
حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ "نَهَى أَنْ يُحْصَصَ الْقُبُورُ وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا"^(١)
وبعضهم أجازها لضرورة معرفة القبر.

هذا إذا كانت الكتابة فوق القبر بعيداً عن جثة الميت وكانت غير قرآن ولا اسم من
أسماء الله تعالى ولا حديث من أحاديث الرسول ﷺ ولا زائداً على قدر الحاجة، وأما
ذاك فلا يشك في حرمة أحد بل قد يؤدي إلى الكفر إن رأى جواز ذلك.

أضف إلى ذلك أننا لا نجد أحداً ممن يقتدي بهم من سلفنا الصالح فعل هذا الفعل،
لا النبي ﷺ فعله ولا الصحابة ولا التابعون ولا الأئمة الأربعة فعلوه، ترى لماذا لم يفعلوه؟
أكان موتاهم في غُنيّة عن نفع هذه الكتابات وهذه القناني؟ أم جاء الصوفية من الله ما
لم يجرى أولئك السلف؟ أم إن الصوفية اخترعوا من الدين ما لم يأذن به الله؟

لقد تبين لكل واحد بما لا شك فيه أن شيئاً من الدين سواء ما يفعل بالأحياء أو
بالأموات لا يثبت إلا بدليل من الكتاب والسنة، فنسأل هنا أين دليل الصوفية على
مشروعية ما يفعلونه وعلى نفعه للميت؟

اللهم سدد خطانا للحق وثبتنا عليه واحفظنا من شرك الصوفية وشركهم، اللهم
آمين.

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما

(١١٤) قِرَاءَةُ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى زَوَايَا الْقَبْرِ

الصُّوفِيَّةُ: يقرأون على زوايا القبر الأربع عند دفن الميت أربع سور من القرآن وهي: السجدة، وسورة يس، وسورة الدخان، وسورة تبارك ويذكرون لقراءتها فضلاً عظيماً.

الْجَمَاعَةُ: يرونها بدعة لان النبي ﷺ والصحابة من بعده لم يفعلوه ولو كان فيه خير للميت لفعلوه ولو كان فيه الفضل العظيم الذي ذكروه في كتبهم ما خفي عن النبي ﷺ وما أخفاه عن أمته، والأخبار والأحاديث التي ذكروها في فضل قراءتها كلها كذب وأخبار موضوعة لم يرد شئ منها في كتب الأحاديث الصحيحة، والدين إنما يثبت بالكتاب والسنة الصحيحة لا بالأحاديث الموضوعة ولا بالرؤى والمنامات والمكاشفات والإلهامات والهواتف فليس شئ من هذه الأشياء دليلاً على أمور الدين، وان قاله الصوفية.

ثم إن النبي ﷺ لم يقرأ على الميت بعد موته ولا على القبر شيئاً من القرآن بقصد نفع الميت بقراءته، لأن القرآن الكريم إنما جاء كما قلنا غير مرة ليقرأه الأحياء ويتدبروه ويعملوا به ويهتدوا به ويتنفعوا به في حال حياتهم ويتخذوه شرعة ومنهاجاً لحياتهم لا أن يعلقوه على الجدار في غلاف مزين مرصع لا ينزلونه إلا ليقرأ على الميت فهذا استعمال للقرآن في غير ما أنزل له ولقد قال الله تعالى بشأن القرآن: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

(١١٥) الدفن في مؤخر القبر

الصُّوفِيَّةُ القادرية: يدفنون أمواتهم في مؤخر القبر على خلاف ما يفعله سائر المسلمين، وإذا سئلوا عن ذلك أجابوا: إن ثمة ثلاثة أشياء أوصانا كُنْتُنا حاجي أن نفعلها وهي على خلاف ظاهر الشريعة وأن لا نسأل عنها العلماء فإنهم لا علم لهم بها وأنها من الأشياء التي اختص بعلمها الأولياء والدفن في مؤخر القبر إحداها.

وإذا سئلوا عن السر في ذلك قالوا: إذا مات ميت من أتباع شيخهم كُنْتُنا حاجي جاء شيخهم إلى القبر بعد دفنه ليجيب على سؤال الملكين بدلاً من مريده فيجلس في مُقَدِّم القبر، فدفن الميت في مؤخر القبر إنما هو ليبقى مقدم القبر خالياً غير محجوز.

الْجَمَاعَةُ: يدفنون موتاهم على الكيفية التي وردت في السنة وهي الكيفية التي دفن بها النبي ﷺ والصحابة والأئمة من بعدهم، وهي أن يكون الدفن على أحد وجهين، اللحد أو الشق.

فاللحد تجويف في مقدم القبر بمقدار ما يسع الميت فيوضع الميت فيه ثم يسد فم التجويف بصفائح من الحجارة كي لا ينهال عليه التراب، ويسن اللحد إذا كانت الأرض صلبة لخبر: «**الْلَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِعَيْرِنَا**»^(١). ولخبر مسلم (٩٦٦) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في مرض موته: "الْحَدُّوا لِي لَحْدًا وَأَنْصِبُوا عَلَيَّ اللَّيْنَ نَصْبًا كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ".

والشَّقُّ هو تجويف في أسفل أرض القبر بمقدار ما يَسْعُ الْمَيِّتُ ويبنى طرفاه بحجارة أو لَبْنٍ أو نحوهما فيوضع الميت فيه ثم يُسَقَّفُ الشق من فوقه بصفائح من الحجارة ثم يُهَالُ فوقه التراب ويُتَدَبُّ الشق إذا كانت الأرض رَحْوَةً لا يمكن فيها اللحد.

(١) صحيح الجامع الصغير: ٥٤٨٩.

هذه هي الكيفية التي وردت في السنة ودرج عليها المسلمون في أقطار العالم إلى يومنا هذا، أما أن يدفن الميت في مؤخر القبر حتى يترك مكان واسع في مقدم القبر يأتي إليه الشيخ فيجلس ليحجب على سؤال الملكين فهذا شيء غريب على المسلمين.

ويرد هنا عدة تساؤلات: هل يتركون في مقدم القبر مكاناً فارغاً ليس فيه تراب أم يكون مملوءاً بالتراب؟ أما أن يجعل فيه تحوييف ليس فيه تراب ليجلس فيه الشيخ فلم أسمع بأحد فعل ذلك. وإذا كان يُوسّع الشيخ أن يأتي إلى مكان مملوء بالتراب تحت الأرض فيجلس حيث لا فراغ فيه فهلا دفنوا ميتهم في مقدم القبر حفاظاً على السنة ويتقدم الشيخ أمامه بقليل بمقدار ما قُدِّمَ الميت إذا كان بوسع شيخهم أن يجلس حيث شاء تحت الأرض؟

نحن الآن في حيرة مما يقوله القادريون أنصدقهم إحساناً للظن بالإخوة أم نكذبهم لعدم ثبوت شيء مما يقولونه في الكتاب والسنة وكتب الأئمة.

لقد شقي المسلمون الأوائل إن كان ما يقول القادريون حقاً لأنهم دفنوا في مقدم القبر ولم يتركوه ليأتي مشايخهم فيجلسوا فيه فيجيبوا على سؤال الملكين.

لقد مات في عهد النبي ﷺ خلق كثير فلم يأمر الصحابة بدفنهم لموتاهم في مؤخر القبر ليأتي هو فيجلس في مقدم القبر ويحجب على سؤال الملكين لقد كان النبي ﷺ ناصحاً لأئمة وصحابته حريصاً عليهم دالاً لهم على كل خير ومحذراً لهم من كل شر حتى شهد الله له بذلك فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فلم يبشر أحداً من أهله وأقاربه ولا من صحابته أن يأتي إلى قبره ليحجب على سؤال الملكين عنهم، ولم يعد أحداً بذلك لا في حياته ولا بعد مماته أيفعل مشايخ القادريين ما لم يفعله الرسول ﷺ بأعز خلق الله عليه. أم يقدر على ما لم يقدر هو عليه؟ أم جاءهم دين جديد لم يعلمه النبي ﷺ؟ ألا تشعر أيها القارئ اللبيب كيف ترفع الصوفية مشايخهم فوق مرتبة النبي ﷺ من حيث لا يشعر الناس؟ فتأمل لعلك تهتدي.

(١١٦) الصَّدَقَةُ عَنِ الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ

الصُّوفِيَّةُ: يتصدقون عن أنفسهم بعد الموت، يدخرون الأموال وينتظرون للتصدق إلى الموت، فيوصي أحدهم أن يتصدق عنه في يوم موته وعند دفنه وبعد دفنه بعدة أيام حسب ما جرت عادة القوم به، وقد يحملون الصدقة إلى القبر ليوزع على من حضر الدفن بعد دفنه والذي فَرَطَ في هذه الصدقة أو أهملها لحقه عار عظيم يُعَيَّرُ به بقية عمره فيُضْطَرُّ الرجل إذا مات له ميت سواء أكان فقيراً أو لا يملك شيئاً أن يجرد نفسه من آخر ما ملكت يداه فإن لم يملك شيئاً فعليه أن يستدين وإلا فيكون قد أهان ميتة إهانة ما فوقها إهانة وينسبونه إلى البخل ويتفوهون بأنه ألقى ميتة كالجيفة دون صدقة من خلفه.

إن الصوفية يرون هذه الصدقة في أيام موته من أعظم القربات وأنفع شيء ويهتمون بها سواء كان الميت لا يصلي ولا يصوم ولا يؤتي هو الصدقة في حياته حتى لو قضى حياته بالكفر يحارب الإسلام ويعاديهِ ويعمل في الدوائر أو المؤسسات الكافرة التي تحارب الإسلام كـ (ف س ب) وغيرها من المخابرات ومصالح النظام الكافرة دفنوه في مقابر المسلمين على طريقة الإسلام وتصدقوا عنه أكثر من أي رجل آخر، أتحسبون أيها الناس أنهم يفعلون ذلك ابتغاء وجه الله؟ لا ولكن رياء وسمعة واتباع عادة واتقاء عارٍ فيا سبحان الله!!

أما الجماعة: فيرون الصدقة أمراً نافعاً للإنسان في حياته وبعد مماته إذا تصدق بها الرجل على الوجه المشروع وفي وجوهها، ويختارون منها ما هو أكبر نفعاً وأعظم أجراً، فيرون صدقة الرجل في حياته أعظم أجراً بما لا يقاس منها بعد موته لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ أَجْراً؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ

وَتَأْمُلُ الْغَنَى وَلَا تُمْهَلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^(١).

ولما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا آخَرَ»^(٢).

ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

ولم يكن من هدى النبي ﷺ ولا الصحابة من بعده أن ينشغلوا بالتصدق عن الميت في أيام موته على النحو الذي تفعله عامة الصوفية في أيامنا هذه، وأن يعتبروه أعظم ما يُفَعَّلُ بالميت بعد موته، فلو كان فيه نفع للميت ما تركه رسول الله ﷺ وأمرنا بفعله. وهل يعقل أن يكون رسول الله ﷺ قد مات ولم يعلمنا ما ينفع أحياءنا وأمواتنا؟ أليس هو الذي قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ وَيُنْذِرُهُمْ شَرٍّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ»^(٣). بل على العكس مما تراه الصوفية كان يرى الموت أمراً يشغل الناس عن إطعام أنفسهم فضلاً عن إطعام الآخرين فضلاً عن ذبح بقر وشاء وشراء أكياس من السكر للتصدق عن الميت يوم موته، فقال للناس لما بلغ آل جعفر خبرُ استشهاد جعفر في حرب الْمُؤْتَةِ: «اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَاماً فَإِنَّهُمْ قَدْ آتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»^(٤).

هذا فيما يتعلق بتصدق المرء عن نفسه، أما إذا أراد المرء أن يتصدق بماله عن قريبه الميت فلا مانع من ذلك في أي وقت شاء إذا لم يقصد بذلك حفظ العادة السيئة المخالفة للسنة.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح الجامع الصغير: ١٠١٥.

ثم إن خير الصدقة ما يُعطى للأيتام والفقراء المحتاجين إليها وفي وجوه الخير لا سيما الجهاد والدعوة لا ما يقسم بين الأغنياء والفقراء على السواء على ما جرت به عادة القوم في ديارنا.

لقد أصبح الناس يجهلون معنى الصدقة وكيفية إعطائها ولمن وفي أي وجه يلزم إعطاؤها وأصبحت عندهم رياءً وسمعةً وشيئاً يتباهون به ويتفاخرون.

ومن البدعة إخراج الصدقة مع الجنائز وحملها إلى المقابر وتوزيعها عندها على ما جرت به عادة الصوفية والمبتدعة في ديارنا، قال صاحب فقه السنة: (وَلَا يُشْرَعُ إِخْرَاجُهَا عِنْدَ الْمَقَابِرِ).

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. آمين.

(١١٧) اسْتِئْجَارُ النَّاسِ لِذِكْرِ كَلِمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

سبعين ألف مرة عن روح فلان

الصُّوفِيَّةُ: يستأجرون الناس لذكر كلمة (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة عن روح شخص ما، وعدد الناس المستأجرين يكون عادة سبعين رجلاً على أن يقول كل رجل منهم (لا إله إلا الله) ألف مرة. فإن قلَّ عدد الرجال عن سبعين زادوا عدد مرات (لا إله إلا الله) حتى يكمل مجموع ما قالوا سبعين ألفاً، وأن زاد عدد الرجال على سبعين نقصوا عدد مرات (لا إله إلا الله) عن ألف. يبدأون عملية الذكر بقراءة سورة الفاتحة وآية الكرسي وبعض آيات أو سور قصيرة أخرى يرون لقراءتها فضلاً ثم الاستغفار عدة مرات ويختمونها بالصلاة على النبي ﷺ وبعض أدعية، وإذا انتهوا من كل شيء يذكر ويقرأ أعطوا ثواب ما قرأوا أو ذكروه أولاً لروح النبي ﷺ على ما جرت العادة به في كل عمل يهدى ثوابه لأحد ما، وعند ذكر اسم الرسول ﷺ ترى الجميع في حركة واحدة يرفعون أديبارهم من مقاعدهم على اعتبار أن الرسول ﷺ يحضر مجلس ذكره، ثم يهدون ثوابه لسائر الرسل والأنبياء ثم للخلفاء الأربعة ثم لمشايخ طريقتهم، ثم لروح من اجتمعوا له وبعد انتهاء عملية الذكر يعطي كل أجير أجرته، ويختمون بالدعاء للصدقة.

وكان من عادتهم أن يوصوا بعمل هذا بعد موته فلما أكثرنا عليهم من ذكر أن الصدقة قبل الموت أفضل بكثير نقلوه إلى ما قبل الموت لكن طريقة الذكر وطريقة الصدقة واستئجار الناس لها لم يغيروها فترى أحدهم اليوم يستأجر الناس لذكر كلمة (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة في حياته.

الْجَمَاعَةُ: يرون هذا العمل بدعة لأن النبي ﷺ لم يستأجر أحداً لذكر الله عن روحه سبعين ألف مرة، ولا الصحابة من بعده ولا الأئمة من بعدهم، ولا أمر أحداً بذلك ولا أقر أحداً عمل ذلك، وليس للصوفية أى دليل من القرآن والحديث على عمل ذلك، وليس فيه حديث صحيح أو ضعيف وإنما يفعلونه بناء على المكاشفة التي حصلت

لبعض أرباب الكشوف وذلك حسب ما يذكرون (إن رجلاً من الصلحاء من أرباب الكشف كان قد ماتت له أم فكان يراها كل ليلة في حالة سيئة فأصابه من ذلك غم عظيم وكان له صديق من الصلحاء ومن أرباب الكشف أيضاً، فلما رآه مهموماً سأله عن سبب غمه؟ فأخبره بحاله فقال صديقه: إني ذكرت الله بكلمة (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة وإني ادّخرتها ليوم القيامة وإني أهديها لأملك عسى أن ينفعها أو يخفف عنها، فرآها ابنها في تلك الليلة وقد حسنت حالها وزال ما بها وهي مسرورة فرحة) هذه القصة هي الدليل الذي يبنون عليه استحباب عملهم هذا وثبوت نفعه للميت. ونحن نقول في جوابه: إنه لا يثبت أي حكم من أحكام الإسلام بالرؤى والمنامات والمكاشفات كما قلنا هذا في غير مرة.

ومن العجيب في عملية الاستئجار هذه أن هؤلاء الأجراء يعطون الذي استأجرهم ثواب عملهم كشيء حاصل في أيديهم ومقدور عليه وهو لم يحصل ولم ينالوه، لأن الثواب لا ينال إلا على العمل الذي عمله المرء خالصاً لوجه الله لا يتغني به شيئاً سواه، كما جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً وَابْتِغَايَ بِهِ وَجْهَهُ»^(١).

وهؤلاء قد عملوه لغير وجه الله وابتغوا به غير ثواب الله بل لأجرة ينالونها، فالله لا يقبل عملهم لعدم وجود شرط قبول العمل لديهم فإذا لم يقبل الله عملهم فكيف ينالون الثواب من الله على ذلك؟ وكيف يعطون الناس ما لم ينالوا وما ليس في أيديهم؟ إن هذا الخداع وغش إنهم يخادعون الله ويخادعون الناس، ونفس الشيء يقال في قراءة القرآن بأجرة.

وبالنسبة لهذا العدد سبعين ألفاً فإننا لا ندري وهم لا يدرون من أين جاء هذا العدد؟ وما وجه تخصيصه به؟ ولا نجد عليه جواباً ولا نجد عليه دليلاً إذ من المطلوب شرعاً أن يذكر الله ذكراً كثيراً ولم يرد تخصيص عدد معين في ذكر الله إلا في بعض أذكار تعرف من الكتب. وقد أنكر ابن مسعود على قوم تجمعوا في المسجد في حلقة وأمام كل واحد منهم عدد من الحصى فيقول كل واحد (لا إله إلا الله) بعدد الحصى أمامه.

(١) صحيح الجامع الصغير: ١٨٥٦.

(١١٧) استتجار الناس لذكر كلمة (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة عن روح فلان

فقال لهم وقد قام على رؤوسهم: "هَلَّا أَحْصَيْتُمْ سَيِّئَاتِكُمْ فَإِنِّي ضَامِنٌ لَكُمْ أَنْ لَا تَضِيعَ حَسَنَاتُكُمْ".

هكذا نجد الصوفية يفعلون من الأعمال كل ما لم يفعله سلفنا الصالح الذين هم قدوة لنا في كل خير.

(١١٨) تَشْيِيدُ الْقُبُورِ

من الصُّوفِيَّةِ من يُشَيِّدُ القبر بالحصص وبينيه بالآجر والأسمنت، ويُسَيِّجُهُ بسياج من شبكة من الحديد، ومنهم من يَرَصِّفُ عليه حصى ملونة صغيرة، ومنهم من يُجَمِّلُهَا بأشياء أخرى، ويرفعون القبر نصف متر أو أكثر من ذلك، وكل وقت يمر يزيد من أفعال الناس بالقبور شيئاً يستحسنونه بعقولهم ولا يهتمون بكونه موافقاً أو مخالفاً للشرع والصوفية من وراء ذلك كله.

وقد ظهرت الآن في الشيشان قبور تمتاز عن قبور الآخرين بأنَّ عليها سوارٍ من أنابيب حديدية قد يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار جعلوا في رأسها مروحة كلما هبت الرياح أدارتها في اتجاه واحد، وإذا نظرت إلى المروحة في حالة دورانها قامت أمامك صورة الصليب، فلما سألت عنها قيل لي: هي قبور الشهداء الذين استشهدوا في الحرب الأخيرة (١٩٩٤ - ١٩٩٦م) بين الشَّيْشَانِ وبين رُوسِيَا.

الْجَمَاعَةُ: لا يشيدون قبورهم بالحصص ولا يبنونها بالآجر والأسمنت ولا يدخلون في قبورهم شيئاً مسته نار، ولا يسيجونها بسياج من حديد، ولا يزينونه بشيء آخر ولا يرصفون عليه حصى ملونة لأنهم يعلمون أن هذه أعمال لا تنفع الميت ويضر الحي أضف إليها أنها لم يفعلها الرسول ﷺ ولا الصحابة ولا أوصانا بها؛ بل هذه كلها عمل الكفار، وعملنا لها تَشَبُّهٌ منا بهم وقد فهمنا عن التشبه بهم.

وإنما يحاول الجماعة أن يزينوا قبورهم بصالح الأعمال التي يعملونها في حياتهم فتتبع الميت إلى القبر وتبقى معه في قبره تؤنسه إلى يوم القيامة، أما ما يفعل بالقبر فوق الميت من تشييد وتبييض وتسييج وتزيين ووضع حصى مرصوف على سطح القبر وغيره من كل ما يفعل بالقبر زائداً على ما ورد في السنة فلا يتأثر به الميت ولا يصل إليه ولا ينتفع به وكل ما أنفق على هذه الأعمال من المال والوقت فهو ضائع وعبث وقد يكون ظاهر

القبر مزيناً ومزخرفاً وصاحب القبر في عذاب أليم فليحرص كل واحد على تزيين داخل قبره بالعمل الصالح.

وأما بالنسبة لرفع القبور فالسنة فيه أن لا يرفع القبر عن الأرض أكثر من شبر واحد للنهي عن ذلك فقد روى مسلم (٩٦٩) وغيره أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لأبي الهيثاج الأسدي: "أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْنَالاً إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

ثم إن تمييز قبور قتلى الحرب عن قبور الآخرين بدعة حديثة ظهرت الآن ولم تكن معروفة فيمن قبلنا وينبغي منعها والإنكار عليها، لأن قتلى الحرب وإن كنا نأمل أنهم أصبحوا شهداء لكن أن نحكم على معين أنه مات شهيداً أمر لا يجوز شرعاً، لأن الشهيد الذي يستحق فضل الشهادة إنما هو الذي مات وهو يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وهذا غيب لا يطلع عليه أحد إلا الله فنترك أمورهم إلى الله وحده، حتى ولو كان مات شهيداً فلا يستحق أن يُمَيَّز قبره عن قبور الآخرين.

(١١٩) إِقَامَةُ تَابِينَ بِذِكْرِ مُرُورِ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ يَوْماً أَوْ سَنَةٍ عَلَى مَوْتِ الْإِنْسَانِ

الصُّوفِيَّةُ: يقيمون تَابِينَاً ويجتمعون لذكرى مرور أربعين يوماً وخمسين يوماً ولمرور سنة على موت الإنسان فيجتمعون في بيته ويذكرونه بالخير ويتصدقون عنه ويقرأون عن روحه القرآن وَيُمَدُّونَ المائدة و يقيمون مأدبة.

الْجَمَاعَةُ: يعتبرونها كلها أعمالاً بدعية ما دام أن النبي ﷺ لم يعملها، وإنما دخل في الإسلام من الديانات الأخرى كالنصرانية واليهودية وغيرهما:
وقد رَوَّجَ هذه البدعَ في دَاغِسْتَانَ أَبُو سُفْيَانَ الْعَزَائِشِيُّ الدَّاغِسْتَانِيُّ الَّذِي تَرَجَمَ كِتَاباً متضمنة لهذه البدع من التركية إلى اللغة الْعُمُوقِيَّةِ إحدى لغات دَاغِسْتَانَ القريبة من التركية، ومن المعلوم أن تركيا من أكثر البلاد مُحَرِّفِينَ وأعظم نشرًا للبدع والخرافات، وفي تركيا (جمعية وقف الإخلاص) التي تخرج وتنشر من الكتب كل ما يحارب التوحيد والسنة وكل ما يروج البدع والخرافات ككتب زَيْنِي دَخْلَانَ وكتب يُوسُفَ النَّبْهَانِيِّ وكتب نُوحِ الْمَرْثُوقِيِّ وغيرهم من كل من وقف حياته على محاربة السنة ومكافحة حركة التجديد بتهمة أنها (وهاية). هذه الجمعية أنشئت بأموال المسلمين من تركيا ولكن اليهود الصهاينة استولوا عليها أخيراً، ولا تزال إلى اليوم تؤدي دورها في محاربة التوحيد وقيام دولة الإسلام وفي نشر كتب البدعة.

(١٢٠) رَفْعُ الْقُرْآنِ عَالِيًا عِنْدَ الْمُرُورِ لِدَفْنِ الْمَيِّتِ

بعض الصُّوفِيَّةِ القادرين في الشيشان من عادتهم أن يمشى واحد أمام موكب الجنازة الذاهب لدفن الميت يمشي وهو يحمل في يده القرآن يرفعه عالياً ويذكر الله بصوت عالٍ.

أما الْجَمَاعَةُ: فيشيعون الجنازة ويحملونها إلى المقبرة للدفن على الكيفية التي وردت في السنة، وهي أن يكون المشي مع الجنازة بدون رفع صوت لا بقراءة القرآن ولا بذكر ولا باستغفار لميت بل بالتفكر في الموت والتأمل في عاقبة أمره وإن كل واحد ممن يشيعونها اليوم سيصبح مكانه قريباً فَيُصْبِحُ الْمُسَيِّعُ بعد أن كان مُسَيِّعًا لحديث أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَتَّبِعِ الْجَنَازَةَ بِصَوْتٍ وَلَا نَارٍ»، وقال فضيل بن عمر: "بَيْنَمَا ابْنُ عُمَرَ فِي جَنَازَةٍ إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ: اسْتَغْفِرُوا لَهُ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا عَفَرَ اللَّهُ لَكَ!!".

وكره سعيد بن المسيَّب وسعيد بن جُبَيْرٍ والحسن والنَّعَّيُّ وأحمد وإسحاق قول القائل خلف الجنازة: اسْتَغْفِرُوا لَهُ. وقال الأوزاعي: بدعة.

وقال النووي صاحب كتاب (منهاج الطالبين) في الفقه الشافعي: واعلم أن الصواب ما كان عليه السلف من السكوت حال السير مع الجنازة فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غيرها لأنه أسكن لخطره وأجمع لفكره فيما يتعلق بالجنازة، وهو المطلوب في هذا الحال فهذا هو الحق ولا تغتر بكثرة من يخالفه، وأما ما يفعله بعضهم من القراءة على الجنازة بالتمطيط وإخراج الكلام عن موضعه فحرام بالإجماع. (انتهى كلام النووي).

وأما حمل المصحف ورفعته فهذه بدعة حديثة لم يعرفها السلف حتى يحكموا عليها بالحرمة أو غيرها وهي داخلة في قاعدة (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ).

(١٢١) نَصْبُ أَجْجَارٍ عَلَى الْقُبُورِ

الصُّوفِيَّةُ: يَتَبَاهَوْنَ وَيَتَبَارَوْنَ فِي الْمَغَالَاةِ فِي نَصْبِ أَحْجَارٍ عَلَى قُبُورِ الْمَوْتَى فِيَحَاوِلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَنْصُبَ الْحَجَرَ عَلَى قَبْرِ مَيِّتِهِ أَجْمَلَ وَأَحْسَنَ وَأَعْلَى مِنَ الْآخَرِينَ، حَتَّى بَلِّغَ بِهِمُ الْأَمْرَ أَنْ يَنْصُبُوا عَلَى قُبُورِ مَوْتَاهُمْ أَحْجَاراً مِنَ الرِّخَامِ وَالْمَرْمَرِ، يَنْفَقُونَ فِيهَا أَمْوَالاً طَائِلَةً تَبْلُغُ الْمَلَائِينَ حَتَّى إِنْ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اتَّخَذُوا إِعْدَادَ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَالْأَنْصَابِ حِرْفَةً يَحْتَرِفُونَهَا وَيَكْتَسِبُونَ مِنْ خِلَالِهَا الرِّزْقَ، فَيَعْدُونَهَا بِنُقُوشٍ وَأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَكُتَابَاتٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَبَعْضُ أَدْعِيَةٍ وَأَقْوَالٍ مَأْثُورَةٍ، وَقَدْ يَصُورُونَ عَلَى الْحَجَرِ مَا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنْ كَسْبِهِ وَعَمَلِهِ فِي حَيَاتِهِ فَإِنْ كَانَ عَالِماً صَوَّرُوا عَلَيْهِ مِثْلًا الْكِتَابِ وَالْقَلَمِ وَالْمَحْبَرَةِ، وَإِنْ كَانَ مُحَارِبًا صَوَّرُوا عَلَيْهِ آلَاتِ الْحَرْبِ كَالسِّيفِ وَالرَّمْحِ وَالْخَنْجَرِ وَالرِّشَاشَةِ وَهَكَذَا. وَقَدْ يَبْلُغُ طُولُ النَّصْبِ مَتْرَيْنَ أَوْ أَكْثَرَ وَيَبْلُغُ مِنَ الثَّقَلِ مَائَتِي كِيلُوْغَرَامٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ كَلِمَا كَانَ أَكْبَرَ وَأَثْقَلَ كَانَ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا لَمْ يَتِمَّ كُنْوَ مِنْ وَضَعَ هَذَا الْحَجَرَ يَوْمَ دَفْنِهِ لَعْدَمِ تَكَامُلِ اسْتِعْدَادِهِمْ بِدَلُّوْهُ بَعْدَ التَّمَكُّنِ وَلَوْ بَعْدَ مَضَى سَنِينَ. أَمَّا أَنْ يُبْقَى قَبْرُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ نُصْبٌ بَارِزٌ بَيْنَمَا سَائِرُ الْقُبُورِ مِنْ حَوْلِهِ عَلَيْهَا أَنْصَابٌ بَارِزَةٌ كَمَنَارَاتٍ عَالِيَةٍ فَهَذَا أَمْرٌ لَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ الصُّوفِيُّ وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَجَرُّدِهِ مِنْ مَالِهِ كُلِّهِ، وَيَا لَهُ مِنْ عَارٍ!!

أَمَّا الْجَمَاعَةُ: فَيَضَعُونَ عَلَى قُبُورِ مَوْتَاهُمْ الْأَحْجَارَ مُتَقِيدِينَ بِمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ مَعَ مِرَاعَاةِ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْحِكْمَةَ عِنْدَمَا ذَفَنَ عَثْمَانُ بْنُ مِظْعُونٍ فِي الْمَدِينَةِ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ صَخْرَةً فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَقَالَ: «أَتَعَلَّمُ بِمَا قَبِرَ أَخِي وَأَذْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي»^(١).

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

إذن فالحكمة من وضع الحجر على القبر معرفة صاحب القبر ومكان القبر وهذا المقصود يحصل بأدنى حجر أو قطعة شجر، أما الزيادة على ذلك وصرف الأموال الكبيرة فيه والمغالاة فيه والتباهي به فأمر لا يتفق ومقاصد الإسلام، إنه عمل يضر الأحياء ولا ينفع الميت، وقد يضر الميت إذا أوصى به لأنه وصية بما لا يجوز شرعاً فيضر صاحبها.

وصرف الأموال فيه من التبذير والإسراف الذي حرمه الإسلام وجعل صاحبه من إخوان الشياطين قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

(١٢٢) التَّردُّدُ إِلَى قَبْرِ الْمَيِّتِ أَيَّامَ دَفْنِهِ

الصُّوفِيَّةُ: بعد دفن الميت يترددون إلى قبره جماعة صباح مساء سبعة أيام أو ثلاثة أيام أو أكثر إلى أربعين يوماً، يزيدون في المدة كلما كان الميت من كبار الناس ووجهائهم فيقرأون عند قبره في كل مرة سورة يس أو غيرها من قصار السور والآيات.

وكما يترددون إلى القبر صباح مساء كذلك يجتمعون في بيت الميت صباح مساء لقراءة القرآن وإهداء ثوابه للميت، يقرأون عادة سورة يس وبعض آيات وسور قصيرة قبل يس أو بعدها، وبعد قراءة يس وما بعدها يُهَلَّلُونَ وَيُحَمِّدُونَ وَيُكَبِّرُونَ ويستغفرون ويصلون على النبي ﷺ بعدد معين، ثم بعد الانتهاء من كل ذلك عند القبر وفي البيت يُهدون ثواب ما قرئ إلى أرواح الأموات بدءاً بالنبي ﷺ وانتهاء بعامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكل نوع من المريدين وأتباع الطريقة الصوفية يخصون مشايخهم بالذكر فيقول النقشبنديون: وخاصة إلى أرواح مشايخ النقشبندية، ويقول القادريون: وخاصة إلى أرواح مشايخ القادرية، ثم يذكرون اسم الميت الذي اجتمعوا في بيته أو من أجله وبعد الانتهاء من كل ذلك لا سيما إذا كان الاجتماع في البيت يقسمون الصدقة على الحاضرين ويدعون بعد الصدقة أيضاً بقبولها وإيصال صوابها أيضاً إلى روح الميت، وإذا لم يأتوا بالدعاء بعد الصدقة يعتبرون الصدقة ضائعة لا ينتفع الميت بها.

الْجَمَاعَةُ: تقول: سبحان الله!! ما أكثر ما أدخلوا في الدين من البدع وهي ليس من الدين في شيء لا سيما فيما يتعلق بالميت بحجة أنهم يحترمون الميت ويجلونه ويفعلون ما ينفعه.

هذه الأشياء التي مر ذكرها لم يفعل النبي ﷺ شيئاً منها بالميت ولم يأمرنا بها وليست من سنته ولا ينبغي لنا أن نفعل بالأموات والأحياء إلا ما فعله النبي ﷺ والصحابة الأئمة من بعدهم أو ما يكون نفعه لهم محققاً.

أم عدم نفعها للأحياء فلا يخفى على أحد لأن هذه الاجتماعات التي يفعلونها سبعة أيام أو أربعين يوماً وهذه الزيارات للقبر ولبيت الميت خلال تلك المدة فليس فيها مما ينفع الأحياء شيء لأنها تأخذ من أوقاتهم ما لو صرفت في شيء آخر نافع لعاد عليهم بالخير الكثير.

وأما نفعه للميت فشيء يحتاج إلى ثبوته لأنه من أمور الغيب التي لا تثبت إلا إذا أخبر بها رسول الله ﷺ ولم يخبرنا الرسول ﷺ بنفع الأشياء التي مر ذكرها للميت فيجب علينا نحن إذن أن نقتصر من أمور ديننا على ما فعله النبي ﷺ لنكون مستمسكين بالسنة مجتنبين للبدعة التي حذر منها الرسول ﷺ أشد التحذير ولئلا تذهب أموالنا وأوقانتنا عبثاً في غير طائل لنا وللأموات.

وأما إهداء الثواب للأموات فلم يعرف عن السلف فعله، ولم يرد في دعائهم: (اللهم أوصل ثواب ما عملته أو قرأته إلى فلان وفلان... وإلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها). فهذا دعاء من اختراع المتأخرين، لأن وصول ثواب عمل الغير إلى آخر إذا لم يكن هذا سبباً في عمله فأمر مختلف فيه من العلماء والأئمة، فبعض يقول بوضوئه وبعض يقول بعدم وضوئه ولكل أدلتهم، والإمام الشافعي من القائلين بعدم وضوئه استناداً إلى آية: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] واستناداً إلى الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (١).

أما الدعاء والاستغفار فلا يشك أحد في نفعها للجميع واستحبابهما.

حتى إهداء الثواب إلى رسول الله ﷺ فأمر مختلف في استحبابه بين العلماء.

قال ابن القيم: قيل من الفقهاء المتأخرين من استحبَّه ومنهم من لم يستحبه وراه بدعة لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه، وإن النبي ﷺ له أجر كل من عمل خيراً من أمته من غير أن ينقص من أجر العامل شيء لأنه الذي دل أمته على كل خير وأرشدهم ودعاهم إليه ومن دعا إلى هدى فله من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص

(١) رواه مسلم.

ذلك من أجورهم وكل هدى وعلم فإنما نالته أمته على يده فله مثل أجر من اتبعه أهداه إليه أم لم يهدده. (انتهى من فقه السُّنَّة في باب الجنائز).
وكذلك الحال مع كل من عمل خيراً أو تسبب في عمل خير ودام بعد موته فإنه يصل إليه ثواب هذا العمل سواء أهداه له عامله أم لم يهدده.

(١٢٣) رَفْعُ الْأَذْبَارِ عِنْدَ الْمُرُورِ بِالْقَبْرِ أَوْ بِالْمَقْبَرَةِ

الصُّوفِيَّةُ: عندما يمرون بالمقابر وهم راكبون سيارة أو باصاً يرفعون أذبارهم من مقاعدهم ويرونها إكراماً لأصحاب القبور واحتراماً لهم.

أما الْجُمَاعَةُ: فيرون هذا العمل قريباً من الشرك وعملاً جاهلياً وبدعة لم يفعلها الرسول ﷺ ولا الصحابة من بعده ولا الائمة، اذ كيف يسمح الإسلام للمرء أن يقوم ويرفع دبره عن مقعده عند مروره بالقبر إذا كان يمنعه من القيام للدخل الحي. فقد روى أنس رضي الله عنه قال: "مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لَهُ" (١).

إن الجماعة عندما يزورون القبور أو يمرون بها فإنما يسلمون على أصحاب القبور ويدعون لهم بالمغفرة والعافية على وفق ما فعله النبي ﷺ مقتدين بالنبي ﷺ في كل ما أتى ومعتقدين الخير كل الخير للأحياء وللأموات فيما عمل اذ هو رسول الله ﷺ جاءنا من الله يعلمنا كل شئ بقوله وفعله.

فإن قالت الصوفية: إننا نحترم بذلك أمواتنا، فنقول: أي احترام للميت في رفعكم أذباركم عن مقاعدكم؟ هل يستحق ميتكم احتراماً أكثر مما يستحقه النبي ﷺ والصحابة من بعده؟ ولم يفعل بهم هذا النوع من الاحترام، أم إنكم عرفتم نوعاً من الاحترام لم يعلمه النبي ﷺ ولا الصحابة؟ كلا ثم كلا.

لقد جاء حق الجماعة وزهق باطل الصوفية إن الباطل كان زهوقاً.

(١) صحيح رواه الترمذي.

(١٢٤) تَبْذِيرُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى بَعْدَ مَوْتِ عَائِلِهِمْ

الصُّوفِيَّةُ: يبذرون أموال اليتامى بعد موت عائلهم بحجة التصديق عن الميت وإذا كانت لهم بقرة واحدة يعتمدون في قوتهم على لبنها ذبحوها لأجل التصديق بلحمها عن روح الميت ولا يلتفتون لحال الأيتام ولجوعهم ولا يفكرون في رؤسهم وعريهم وفي مستقبلهم، وإذا لم يكن لدى الأيتام شيء اقترضوا ما يذبحون على حساب هذه الأسرة الفقيرة أسرة الأيتام يزيدونهم رؤساً على رؤس وبلاء على بلاء ثم يفرق الجميع بما أصاب من قطعة لحم أو علبة سكر وتبقى الأسرة في حالة يرثى لها وقد حرمت كل شيء فسبحان الله!! وهو المستعان.

أما الجماعة: فيجتنبون مال اليتيم ولا يقربونه لا بالأكل منه ولا بالتصدق ويعلمون أن أكل مال اليتيم بأية حجة من الحجج من الكبائر الموبقات التي ورد التصريح بها في القرآن وفي الحديث. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

فالتصدق عن الميت من مال اليتيم الذي مات عائله إنما هو أكل له ظلماً فيدخل في حكم هذه الآية الْمُتَصَدِّقُ بِهِ وَالْمُتَصَدِّقُ عَلَيْهِ وَإِكْلُهُ إِذَا كَانُوا يَعْلَمُونَ وَسَيَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا.

وقال رسول الله ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

(١) متفق عليه.

فأي وجه وأي مبرر عند هؤلاء بعد هذه الآيات والأحاديث في تبذير مال اليتيم وتمزيقه وبعثرته، بل كان الواجب عليهم على النقيض منه أن يجمعوا المال ويعطوها اليتامى لا أن يسلبوهم وينهبوهم.

فأنظر الفرق العظيم بين الصوفية وبين الجماعة أن الجماعة تتجنب مال اليتيم ولا تتعرض له بوجه من الوجوه والصوفية تتكالب عليه وتقتسمه كالذئاب الجائعات في الأحقاف.

(١٢٥) تَحْضِيرُ الْأَرْوَاحِ

الصُّوفِيَّةُ: يؤمنون بتحضير أرواح الموتى ويعتقدونه فيأتون من يدعي ذلك ممن يتعاطى السحر والكهانة ويسألونهم عن أرواح موتاهم ويطلبون منهم تحضيرها فيسألونهم عن الأرواح البرزخية والأخبار الغيبية ويصدقونهم على ذلك. وهؤلاء الذين يدعون تحضير أرواح الموتى كثيرون منتشرون في بقاع الأرض، يأتيهم العوام وجهلة الناس معجبين بما يقولون ويفعلون، ويحملون لهم الهدايا والعطايا.

أما **الْجَمَاعَةُ:** فيعتقدون بطلان هذا الأمر وأن تحضير الأرواح أمر غير ثابت وأن من يدعى ذلك فإنما يأتي دَجَلًا وشعوذة ويقوم بالاعيب يستخدم فيها الجن لتضليل الناس وخداعهم وإبطال عقائدهم وسلب أموالهم وأكلها بالباطل يستدل على ذلك بما يلي:

(١) إن أرواح الموتى بعد موتهم لا سلطان لأحد عليها بتسخير أو تحضير أو غير ذلك لأن هذه الأرواح ذهبت إلى خالقها لِتَلْقَى مصيرها حسب عملها فهي إما في روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وتلك حياة برزخية لا سلطان لأحد عليها ولا رجعة إلى الدنيا لأحد بعدها قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ۙ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

(٢) لم يثبت أن نبياً مرسلًا أو صحابياً أو تابعياً أو إماماً من الأئمة العظام خَضَرَ رُوحٌ ميت ليسأله عن أمر من الأمور، وكم حصل بين الصحابة وطوائف الأمة من الخلافات والنزاعات والصراعات وكم تَأَزَّمَتْ أمور وتعتقدت مسائل لو قال الميت فيها كلمة واحدة لانتهى الأمر وحلت المشكلة هذا علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم كم وقع بينهم حروب ومعارك

قتل فيها من الجانبين ألوف من خيرة الصحابة أكان يصعب عليهم في هذه الحالة الحرجة لو كان ذا بالإمكان أن يُحضَرُوا روح النبي ﷺ أو أن يُحضَرُوا أرواح من مات قبلهم من خيرة الصحابة فيسألوهم عما أشكل عليهم فتُحلَّ المعضلة دون إراقة الدماء، لكن هذا لم يكن وتحضير الأرواح في دين الإسلام لم يثبت ولو ثبت وكان فيه خير لما حرم خيرة الصحابة منه.

أما ما حصل لعيسى عليه السلام من إحيائه لبعض الموتى بإذن الله فإنما كان إحياء للجسم مع الروح لا تحضيراً للروح، وكذلك إحياء الله ميت بني إسرائيل على يد موسى عليه السلام ليخبر عمن قتله كان إحياء للجسم مع الروح لا تحضير روح، وكل ذلك معجزة لهما، وكل ذلك وارد في القرآن.

(٣) لو كان هذا بالإمكان لدلنا الإسلام عليه ولعرفنا منه أخباراً حقيقية تفصيلية عن أهل الجنة وأهل النار وعن نعيم القبر وعذابه والأخبار البرزخية الأخرى والأسئلة والأجوبة بالنسبة للموتى ولأمكن نشر ذلك كله على الناس ودعوتهم لسماعه، وكل هذا لو حصل خير عظيم لكن نبينا ﷺ لم يدلنا عليه، وما من خير إلا دل أمته عليه، وما من شر إلا حذر أمته منه، فعلم من ذلك أنه غير صحيح وأنه غير ثابت.

(٤) إن الأرواح بعد فراق الأجساد محكومة بناموس وسر إلهي لم نعهده ولم نطلع عليه فلا يمكن لأحد أن يتسرب إليها ولا أن يسخرها هذا التسخير المُرْري، وإنها مشغولة بما هي فيه من نعيم أو عذاب.

(٥) إن الأرواح بحكم أنها في العالم البرزخي الآخر في العالم الحق الذي ليس فيه باطل لا يمكن أن تكذب أو تخدع أو تراوغ أو تخلف الوعد أو تدعى غيباً مستقبلاً أو ترضى بالمنكر في مجالسها كأن ترضى بجلوس من يلبس الذهب والحريز من الرجال وترتضي قوماً نساؤهم سافرات عاريات وقد يَكُنَّ غير مصليات وكل هذا حاصل في (مجلس تحضير الأرواح).

ثم إننا نرى أن (الأرواح المُحضَرة) تكسر الأشياء وتؤدي بعض الناس وقد تقوم بأعمال بهلوانية كالرقص والتلون بألوان مختلفة وإضاءة الحجرة والإخبار ببعض ما يحدث بين الناس وفي العالم مما لا يراه ولا يعلمه المُحضَرُونَ فظن

الناس الذين يرون كل هذا أن أرواح الموتى حقاً حضرت وأن كل ما تقول هو حق وصدق فيزداد تعلقاً به ويزداد ضلالة عن الحق.

ونحن أهل السنة والجماعة نقول في مثل هذا: إن التي حضرت ليس أرواح الموتى وإنما هي الجن التي تتعاون مع هذا الكاهن أو الساحر لإضلال الناس البسطاء الجهلة وإفساد عقائدهم، فالجن لسعة كشفها واطلاعها ولسرعة تنقلها هي التي تأتي الناس بأخبار الماضي وهي التي تخبر الناس بأماكن بعض الأشياء، وتدلهم على مكان المسروقات، وهي التي تخبر ببعض الأحداث التي تغيب عن كثير من الناس، وبإمكان الجن أن تتشكل في صورة أي شخص حي أو ميت وأن تأتي إلى من وقع في مصيبة للعون والإغاثة على صورة من يدعو ويستغيث به وبإمكان الجن كذلك أن تعرف من الجنى قرين الميت ما كان عليه الميت من أعماله وتفصيل أمور حياته، وما كان عنده من أسرار فإذا سمع قريب الميت هذه التفاصيل التي لم تكن معروفة لمن (يُحضّر) الأرواح لم يشك في صدقه وفي قدرته على تحضير الأرواح وكل هذا بسبب جهل الناس وبعدهم عن علم الكتاب والسنة فأصبحوا ضحية سهلة للجن والشياطين ومضغة هنيئة للسحرة والدجالين المشعوذين وألعوبة في أيدي الصوفية^(١).

اللهم أصرف عنا كيد من يريد بنا سوءاً فإنك أشد بأساً وأشد تنكيلاً.

(١) هذا الباب نقل من كتاب: «تبسيط العقائد الإسلامية» لحسن أيوب ببعض تصرف واختصار.

(١٢٦) آراء بعض كبار الأئمة والعلماء في الصوفية

من كتاب الفكر الصوفي بتصرف واختصار.
كلمة (التصوف والصوفية) لم تعرف في عصر الصحابة ولا التابعين ولم تظهر إلا في أواخر القرن الثاني الهجري وهذا كاف للحكم عليها بأنها بدعة، ولذلك لم يدركها الإمامان أبو حنيفة ومالك رحمهما الله ولم يتكلما فيهما، بل كان بدء التكلم فيها من الإمام الشافعي ومن بعده:

الإمام الشافعي:

أدرك بدايات التصوف وكان من أكثر العلماء والأئمة انكاراً عليهم حتى قال فيهم: (لَوْ أَنَّ رَجُلًا تَصَوَّفَ أَوَّلَ النَّهَارِ لَا يَأْتِي الظُّهْرُ حَتَّى يَصِيرَ أَحْمَقَ) وقال أيضاً: (وَمَا لَزِمَ أَحَدُ الصُّوفِيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَعَادَ عَقْلُهُ إِلَيْهِ أَبَدًا) وأنشد:

وَدَعَ الَّذِينَ إِذَا أَتَوْكَ تَسَكُّوا * وَإِذَا خَلَوْا كَانُوا ذُنَابَ حِقَافٍ^(١)

وقال أيضاً عندما سافر إلى مصر: "تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة شيئاً يسمونه السماع" يقصد بهم الصوفية^(٢).

الإمام أحمد:

والإمام أحمد كان لهم بالمرصاد فقد قال فيما بدأ الحارث المَحَاسِنِي يتكلم فيه وهو الوسواس والخطرات، قال أحمد: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون، وحذر من مجالسة الحارث المحاسبي وقال لصاحب له لا أرى لك أن تجالسه.

(١) الحفاف: جمع حقف: وهو ما أعوج من الرمل واستطال.

(٢) تلييس إبليس: ٣٧١.

وَالْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ هذا ترجم له ابن المُلَقِّنِ في (طبقات الأولياء) فقال: الْحَارِثُ بَنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ البصري أَبُو عبد الله، أحد الأوتاد والجامع بين الظاهر والباطن سَمِيَ المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه مات سنة ٢٤٣هـ... آه.

الإمام أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ:

وجاء بعد الإمام أحمد بن حنبل الإمام أَبُو زُرْعَةَ رحمه الله فقال أيضاً عن كتب الحارث المحاسبي وقد سأله سائل عنها: "إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب" قيل له: في هذه الكتب عبرة، قال: "من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، هل بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟ هؤلاء (يعني الصوفية) قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الدَّبِيلِيِّ ومرة بحاتم الأَصَمِّ ومرة بشقيق البلخي" ثم قال: "ما أسرع الناس إلى البدع"^(١).

الإمام ابن الجوزي:

أما الإمام عبد الرحمن بن الجوزي البغدادى (ت ٥٩٧هـ) فقد كتب كتاباً فريداً في نقد كل طوائف الناس من العلماء والقراء والحجاج والصوفية وغيرهم اسماء: (تلبيس إبليس) وخص بالصوفية معظم فصوله وبين تلبيس الشيطان عليهم، فهذا الكتاب كما قال بعض من وصفه جدير بأن يكتب بماء الذهب وَيُقَتَّنَى في كل بيت لمعرفة أخطاء مختلف الطوائف.

الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية:

وأما الإمام ابن تيمية رحمه الله فقد كان من أعظم الناس بياناً لحقيقة التصوف وتتبعاً لأقوال الزنادقة والملحدين منهم، وخاصة: ابن عربي والتِّلْمَسَانِيَّ وابن سبعين فتعقب أقوالهم وفضح باطنهم وحذر الأمة من شرورهم في كتبه ومؤلفاته الكثيرة وفي فتاويه، وكذلك تتبع أقوال المخلصين منهم الذين خلطوا بين القول الطيب والقول الخبيث كالترمذي صاحب كتاب (ختم الولاية) والغزالي صاحب (إحياء علوم الدين) وغيرهما.

(١) تلبيس إبليس: ١٦٦. ١٦٧.

وما كتبه ابن تيمية ودَوَّنَهُ وقام به في هذا الصدد شيء يطول وصفه. أما في العصر الحديث فإن التصوف على الرغم من انتشاره في غفلة من المسلمين عن علوم الكتاب والسنة وبجهود جبارة ممن يمحرون بالإسلام والمسلمين فإن الله سبحانه وتعالى قيض للمسلمين من العلماء من كشف عَوَارِ الصوفية وكشف أسرارهم وأظهر فضائهم، ومن أشدهم وطأة عليهم الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الذي كان لدعوته المباركة في الجزيرة العربية بعد الله الفضل في إيقاظ الأمة من سباتها العميق وإطلاعها على حقيقة التصوف الضال فانتشرت دعوة التوحيد شرقاً وغرباً، وقام الرجال المخلصون بملاحقة فلول التصوف في كل صُفْع من أصقاع الأرض حتى انزاحت الغمة أو كادت بفضل الله وبرحمته بعد أن كان الظلام والشر قد عم الأرض كلها إلا القليل القليل من أهل الدين الحق والتوحيد.

ولقد أخرج علماء عصرنا كتباً نفيسة في كشف فضائح الصوفية وبيان حقيقتها لا يَسْتَعْنِي عنها وعن قراءتها من أراد معرفة الصوفية والتوقي عنها، منها:

الفكر الصوفي - تأليف عبد الرحمن عبد الخالق.

التصوف المنشأ والمصادر - تأليف إحسان إلهي ظهير.

هذه هي الصوفية - تأليف عبد الرحمن الوكيل "الصوفي سابقاً"

التصوف بين الحق والخلق - تأليف محمد فخر شقفة

التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق - تأليف الدكتور زكي مبارك.

الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ - تأليف محمود عبد الرؤوف القاسم.

تقدیسُ الأشخاص في الفكر الصوفي - تأليف محمد أحمد لوح.

التشبيذية - تأليف عبد الرحمن دمشقية.

التصوف في ميزان البحث والتحقيق - تأليف عبد القادر بن حبيب الله السندي.

وهذه هي الكتب التي استفدت منها عند إعدادي لكتابي هذا:

ومما أعجب له أن بعض العلماء وأرباب حركة التجديد في الأمة الإسلامية وقفوا من الصوفية موقف اللين ووصفوه بغير ما يتصف به، كالإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله الذي كان يرى بداية الصوفية على حق ثم حرفها المحرفون، وكالعلامة أبي الأعلى

المودودي رحمه الله الذي كان يرى التصوف أمراً يطهر باطن الإنسان، ولا أحسب هؤلاء العلماء على جلالة قدرهم وغزارة علمهم إلا أخطأوا بعض الخطأ في وصف الصوفية وتقييمها، وأرى عذرهم في أنهم ما تعمقوا في دراسة الصوفية فخفي عليهم منها ما خفي فعفا الله عنا وعنهم.

وأحسب أن العلماء السابقين لم يأبهوا لها ولم يهتمهم أمر الصوفية فتهاونوا بها فانتشر إلى هذا الحد الذي نراه ولو قطعوا شأفتها واستأصلوا دابرها عند أول ظهورها ما قُدِّر له هذا الانتشار والفسق ولكن قدر الله وما شاء فعل.

(١٢٧) حُكْمُ الصُّوفِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ

أهل السنة والجماعة يحكمون على الصوفية بأنهم مبتدعة وضلال لأن مجرد اسم (الصوفية) والتسمي بها بدعة لم يرد بها الكتاب والسنة، وكل بدعة ضلالة ولكنهم لا يحكمون على الصوفية لمجرد أنهم صوفية بأنهم كفار، ولا يحكمون على الصوفي المعين بأنه كافر حتى يثبت من أقواله أو أفعاله أو عقائده ما هو شرك أو كفر، فإذا ثبت عليه من أقوال الكفر أو أفعاله أو عقائده شيء كدعائه للأموات واعتقاده بوجود شريعة خاصة بالأولياء تخالف شريعة محمد ﷺ مثلاً: إذا ثبت هذا عليه وبين بطلانه له وقامت الحجة عليه ثم لم يرَعوَ عنه حينئذ حكموا عليه بالكفر لقوله أو فعله أو اعتقاده الكفرى، كما يحكمون نفس الحكم على غير الصوفي أيضاً إذا كان عنده ما يُكْفَرُ من قول أو فعل أو اعتقاد مع اعتبار شروط التكفير المذكورة في الكتب.

(١٢٨) خَاتِمَةٌ

هذه هي بعض (فروق بين الصوفية وأهل السنة والجماعة) وأحمد الله على أن يَسَّرَ لي كتابتها، وإني اقتصرت على هذا القدر لما رأيت أن الكتاب يطول كثيراً، وإلا فهي أكثر مما ذكرت لأن مخالفاتهم لم تنحصر في ما ذكرت وكل مخالفة منهم فرق بينهم وبين أهل السنة والجماعة.

وبعد أن عرفنا هذه الفروق العظيمة بين الصوفية وبين أهل السنة والجماعة وأن كل فرق ليس في الأمور الصغيرة الهينة وإنما هو في ركن أو أصل هام من أصول الدين وأن الصوفية في كل ذلك على خطأ ولا يستندون إلى دليل من الكتاب والسنة هل بعد هذا كله يقول أحد: إن الصوفية هم من أهل السنة والجماعة، وأنهم على أساس الكتاب والسنة، وإن عملهم مضبوط بالكتاب والسنة؟ وأنهم السالكون الطريق الموصل إلى الله؟ ومن الناس من يقول: لماذا تختلف الصوفية والجماعة؟ لا سيما وأمامهم العدو الكافر المشترك، وما المانع من أن يتحدثوا؟ وأنا أقول: ليتأمل قائل هذا القول هذه الفروق كلها، ثم لينظر هل من سبيل إلى اتحادهما مع بقاء كل منهما على عقيدته؟ لا سيما وقد وقفت الصوفية إلى جانب ذاك العدو الكافر المشترك تحارب الجماعة؟ حتى لو وافقنا نحن أترضى بالاتحاد معنا الصوفية؟ أليسوا هم الذين أثاروا حولنا شبهات الوهابية وأحدثوا هذه الفتنة العظيمة؟ أم يريد القائل أن تتنازل الجماعة عن عقيدته وعبادته للصوفية؟ فإن هذا مستحيل، أما إذا تخلت الصوفية عن عقيدتهم وأعمالهم الشركية والبدعية ورجعوا إلى الكتاب والسنة وكتب الأئمة فهنا حصل الاتحاد وأصبحوا إخواناً لنا، ونحن منتظرون أن يثوبوا إلى رشدهم فيتركوا طريق الضلال ويسلكوا طريق الهدى والحق.

وأخيراً أسأل الله أن يتقبل هذا الكتاب ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وينفع به المسلمين في ديارنا وخارج ديارنا في فهم حقيقة الصوفية، ويعفو عما وقع مني فيها من خطأ أو زلل، إنه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.

انتهى بقلم أبي هارون بهاء الدين محمد الداغستاني
بتاريخ: ١٤ شوال ١٤١٩ هـ الموافق ٣١ يناير ١٩٩٩ م

فهرس المحتويات

المقدمة:	٥
(١) اتِّخَاذُ الْوَاسِطَةِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ فِي الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ	١٣
(٢) عِلْمُ الْغَيْبِ	١٨
(٣) دُعَاءُ الْمَشَايِخِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِمْ	٢٢
(٤) مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ الْمُرِيدِينَ	٢٨
(٥) سَمَاعُ الْأَصْوَاتِ مِنْ بَعْدِ	٣٠
(٦) إِنْزَالُ الْمَطَرِ	٣٣
(٧) شِفَاءُ الْمَرْضَى	٣٦
(٨) الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ	٤٠
(٩) هِدَايَةُ الشَّخْصِ وَإِضْلَالُهُ	٤٦
(١٠) اَلتَّصَرُّفُ بِكَلِمَةِ التَّكْوِينِ "كُنْ فَيَكُونُ"	٥٠
(١١) خِدْمَةُ الْمَشَايِخِ	٥٤
(١٢) طَرِيقَةُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ	٥٥

- (١٣) قُدْسِيَّةُ سُلَالَةِ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ ٥٨
- (١٤) حُضُورُ الْمَشَايِخِ عِنْدَ النَّزْعِ وَعِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ ٦٠
- (١٥) هَلِ النَّاسُ أَغْنَامٌ وَالشَّيْخُ رَاعٍ؟ ٦٢
- (١٦) مُرَاقَبَةُ الشَّيْخِ وَاسْتِحْضَارُ صُورَتِهِ ٦٣
- (١٧) رُؤْيَا اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ٦٧
- (١٨) الْكَلَامُ مَعَ اللَّهِ ٧٠
- (١٩) الطَّاعَةُ الْعَمِيَاءُ ٧١
- (٢٠) تَقْدِيسُ قُبُورِ الْمَشَايِخِ ٧٥
- (٢١) اَلْتَّبَرُّكُ بِأَثَارِ الشَّيْخِ وَكُلِّ مَا لَهُ صَلََّةٌ بِهِ ٨٠
- (٢٢) تَدْبِيرُ الْكَوْنِ ٨٥
- (٢٣) عِصْمَةُ الْمَشَايِخِ ٨٧
- (٢٤) الطَّوَافُ بِالْقُبُورِ ٩٠
- (٢٥) الرُّوْحُ لِلصَّلَاةِ بِمَكَّةَ ٩٢
- (٢٦) شَدُّ الرِّحَالِ إِلَى الْقُبُورِ وَالْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ ٩٥
- (٢٧) الشِّفَاعَةُ الْآخِرِيَّةُ ١٠٠
- (٢٨) حُبُّ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ ١٠٣
- (٢٩) الْخَوْفُ مِنْ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ ١٠٦

- (٣٠) جُوبُ الْاِقتِصَارِ عَلَى شَيْخٍ وَاحِدٍ ١١٢
- (٣١) هَلْ مَشَايِخُ الصُّوفِيَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ؟ ١١٥
- (٣٢) خُلُودُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ وَعَدَمُ مَوْتِهِمْ ١٢٠
- (٣٣) اتِّخَاذُ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ ١٢٢
- (٣٤) تَقْدِيمُ النُّذُورِ وَالْقَرَابِينِ لِأَصْحَابِ الْقُبُورِ ١٢٦
- (٣٥) إِبَاحَةُ الْخُرُوجِ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ١٣٣
- (٣٦) الرَّجْعَةُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ١٣٦
- (٣٧) حِفْظُ الْعَالَمِ مِنَ الدَّمَارِ ١٤٢
- (٣٨) اتَّعَصَبُ لِأَقْوَالِ الْمَشَايِخِ ١٤٤
- (٣٩) آدَابُ الْمُرِيدِ إِزَاءَ شَيْخِهِ ١٤٦
- (٤٠) الْعُلُومُ الدُّنْيَا ١٥٩
- (٤١) تَقْسِيمُ الدِّينِ إِلَى شَرِيعَةٍ وَحَقِيقَةٍ (أَوْ إِلَى ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ) ١٦٢
- (٤٢) الْفَنَاءُ ١٦٥
- (٤٣) وَحْدَةُ الْوُجُودِ ١٦٧
- (٤٤) وَحْدَةُ الْأَدْيَانِ ١٧٣
- (٤٥) التَّوْحِيدُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ١٧٥
- (٤٦) الْجَنَّةُ وَالنَّارُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ١٧٦

- (٤٧) إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ..... ١٨٠
- (٤٨) هَلْ إِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ سَقَطَتْ عَنْهُ التَّكَالِيفُ؟..... ١٨٤
- (٤٩) طَلَبُ الْجَنَّةِ وَالْفِرَارُ مِنَ النَّارِ ١٨٦
- (٥٠) التَّثْلِيثُ فِي دِينِ الصُّوفِيَّةِ ١٨٨
- (٥١) الْخَلْوَةُ ١٩٠
- (٥٢) الْخَمْرُ وَالسُّكْرُ فِي كَلَامِ الصُّوفِيَّةِ ١٩٤
- (٥٣) عِبَادَةُ الْعَوَامِّ وَعِبَادَةُ الْخَوَاصِّ ١٩٦
- (٥٤) الْإِكْتِسَارُ مِنَ الْعِبَادَةِ ١٩٨
- (٥٥) غَرَائِبُ أَقْوَالِ الصُّوفِيَّةِ ٢٠٠
- (٥٦) أَقْوَالُ الصُّوفِيَّةِ الْكُفْرِيَّةِ ٢٠٣
- (٥٧) هَلْ خُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ ٢١٠
- (٥٨) هَلْ نُورُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ؟ وَكُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ نُورِهِ؟ .. ٢١٢
- (٥٩) هَلْ أُعْطِيَ النَّبِيُّ ﷺ عُلُومَ اللُّوحِ وَالْقَلَمِ؟ ٢١٥
- (٦٠) هَلْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَعْرِفُ الْقُرْآنَ قَبْلَ نَزُولِهِ عَلَيْهِ؟ ٢١٦
- (٦١) رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ وَمُقَابَلَتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ يَقْظَةً ٢١٨
- (٦٢) هَلْ يُعْطِي النَّبِيُّ ﷺ التَّشْرِيعَاتِ وَيَعْلَمُ الْأَذْكَارَ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ ٢٢٤
- (٦٣) حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ ٢٢٨

- (٦٤) الْإِحْتِفَالُ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ ٢٣٢
- (٦٥) صِيغُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ٢٤٢
- (٦٦) الْأَوْلِيَاءُ ٢٤٨
- (٦٧) نَمَازِجُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الصُّوفِيَّةِ ٢٥٧
- (٦٨) خَتْمُ الْوَلَايَةِ ٢٨٧
- (٦٩) تَفْضِيلُ الْوَلِيِّ عَلَى النَّبِيِّ ٢٨٩
- (٧٠) الْكَرَامَاتُ ٢٩٢
- (٧١) الْخَضِرُ ٢٩٦
- (٧٢) الدِّيَوَانُ الصُّوفِي ٣٠٣
- مكان انعقاد الديوان ومذهب قضائه ٣٠٣
- أهل التصريف ٣٠٤
- من يحضر الديوان؟ (أعضاء الديوان) ٣٠٤
- لغة أهل الديوان ٣٠٥
- عدد أجساد القطب الكبير ٣٠٥
- تقاتل الأقطاب ٣٠٦
- انعقاد الديوان في غير حراء ٣٠٧
- الغوث الصوفي دكتاتور كبير ٣٠٧

- أولياء ينظرون في اللوح المحفوظ ٣٠٧
- فيم يتصرف الأقطاب ٣٠٨
- (٧٣) الذِّكْرُ ٣٠٩
- (٧٤) الذِّكْرُ بِالْأَسْمِ الْمُفْرَدِ أَوْ بِالْضَّمِيرِ ٣١٢
- (٧٥) الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ ٣١٦
- (٧٦) آدَاءُ الْأَوْرَادِ وَالْأَذْكَارِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ٣٢١
- (٧٧) عَدَمُ جَوَازِ الذِّكْرِ بِدُونِ إِذْنِ الشَّيْخِ ٣٢٣
- (٧٨) كَثْرَةُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ ٣٢٥
- (٧٩) الْفَالُ ٣٢٩
- (٨٠) بَيَانُ الشِّرْكِ وَالتَّوْحِيدِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ٣٣١
- (٨١) الْبِدْعُ وَمَا اسْتَحْسَنَتْهُ الْعُقُولُ ٣٣٤
- (٨٢) مَبْنَى الْأُمُورِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ عَلَى الدَّوْقِ ٣٣٧
- (٨٣) أَدْلَةُ الصُّوفِيَّةِ ٣٤١
- (٨٤) دِينُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ أَوْ الدِّينُ التَّقْلِيدِيُّ ٣٤٣
- (٨٥) اسْتِخْدَامُ الْمَوْسِيقَى فِي حَفَلَاتِ الْأَعْرَاسِ ٣٤٨
- (٨٦) الْقُرْآنُ ٣٤٩
- (٨٧) صَرْفُ النَّاسِ عَنِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ ٣٥١

- (٨٨) الْأَحَادِيثُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ٣٥٤
- (٨٩) الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ ٣٥٧
- (٩٠) إِتْيَانُ الْعَرَفِينَ وَالْكُتَّانِ وَتَصْدِيقُهُمْ ٣٥٩
- (٩١) إِعْلَانُ الصَّدَقَاتِ ٣٦١
- (٩٢) لَا تَسْمَعُوا قَوْلَ الْوَهَّابِيِّينَ ٣٦٣
- (٩٣) أَحَادِيثُ عَنِ الْوَهَّابِيَّةِ ٣٦٥
- (٩٤) زَوَاجُ التَّحْلِيلِ ٣٦٧
- (٩٥) الزَّوْجُ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ ٣٦٩
- (٩٦) لَقَبُ الْحَاجِّ ٣٧٢
- (٩٧) إِعَادَةُ صَلَاةِ الظُّهْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ٣٧٤
- (٩٨) الْعِلْمُ وَطَلَبُهُ ٣٧٦
- (٩٩) الزَّوْجُ ٣٨٥
- (١٠٠) طَلَبُ الْمَالِ وَالتَّوَكُّلُ ٣٨٩
- (١٠١) الْجِهَادُ ٣٩٤
- (١٠٢) الْمَسَابِحُ ٤٠٥
- (١٠٣) حُكْمُ الْمَحِيضِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ٤٠٩
- (١٠٤) الصَّبْرُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ٤١٣

- (١٠٥) الدَّعْوَةُ إِلَى الدُّلِّ وَالْمَهَانَةِ ٤١٥
- (١٠٦) التَّصْوِيرُ ٤١٨
- (١٠٧) التَّعَصُّبُ لِمَذْهَبٍ وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ٤٢٠
- (١٠٨) أَيْنَ اللَّهُ؟ ٤٢٦
- (١٠٩) الرِّضَا بِالْحُكُومَةِ الْكَافِرَةِ ٤٣٥
- (١١٠) الصُّوفِيَّةُ وَحُرِّيَّتُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ الْكَافِرَةِ ٤٤٠
- (١١١) مُوَالَاةُ الْحُكُومَةِ الْكَافِرَةِ ٤٤٢
- (١١٢) الْأَذَانُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ ٤٥١
- (١١٣) الدُّعَاءُ تَحْتَ الْكَفَنِ ٤٥٢
- (١١٤) قِرَاءَةُ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى زَوَايَا الْقَبْرِ ٤٥٤
- (١١٥) الدَّفْنُ فِي مُؤَخَّرِ الْقَبْرِ ٤٥٥
- (١١٦) الصَّدَقَةُ عَنِ الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوْتِ ٤٥٧
- (١١٧) اسْتِئْجَارُ النَّاسِ لِذِكْرِ كَلِمَةٍ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) سَبْعِينَ أَلْفَ
مرة عن روح فلان ٤٦٠
- (١١٨) تَشْيِيدُ الْقُبُورِ ٤٦٣
- (١١٩) إِقَامَةُ تَأْيِينَ بِذِكْرِ مُرُورِ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ يَوْمًا أَوْ سَنَةً
عَلَى مَوْتِ الْإِنْسَانِ ٤٦٥

- (١٢٠) رَفَعَ الْقُرْآنَ عَالِيًّا عِنْدَ الْمُرُورِ لِدَفْنِ الْمَيِّتِ ٤٦٦
- (١٢١) نَضَبُ أَحْجَارٍ عَلَى الْقُبُورِ ٤٦٧
- (١٢٢) التَّرَدُّدُ إِلَى قَبْرِ الْمَيِّتِ أَيَّامَ دَفْنِهِ ٤٦٩
- (١٢٣) رَفَعَ الْأَدْبَارَ عِنْدَ الْمُرُورِ بِالْقَبْرِ أَوْ بِالْمَقْبَرَةِ ٤٧٢
- (١٢٤) تَبْذِيرُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى بَعْدَ مَوْتِ عَائِلِهِمْ ٤٧٣
- (١٢٥) تَحْضِيرُ الْأَرْوَاحِ ٤٧٥
- (١٢٦) آرَاءُ بَعْضِ كِبَارِ الْأُئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ فِي الصُّوفِيَّةِ ٤٧٨
- (١٢٧) حُكْمُ الصُّوفِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ ٤٨٢
- (١٢٨) خَاتِمَةٌ ٤٨٣